الدروس العلمية

دروس الدورة العلمية الثالثة
بجامع علي بن المديني
بمدينة الرياض لعام ١٤١٩ هـ

شرح كتاب التوحيد

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر البراك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذا شرح كتاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) للإمام المجدد الشيخ / محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي

وقد قام بشرحه وبسطه فضيلة شيخنا العلامة /

عبد الرحمن بن ناصر البراك

وقدم فضيلته هذا الشرح المبارك في الدورة العلمية الثالثة بجامع علي بن المديني بمدينة الرياض عام ١٤١٩ هـ .

أسأل الله أن يجزي شيخنا خيراً عن الموحدين ، وأن ينفع البلاد والعباد ، وأن يرفع درجاته في عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يجعل لي من الخير نصيباً . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وبعد :

فهذا كتاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) للإمام المجدد الشيخ / **محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي** .
الحنبلي المجدد الذي دعا إلي توحيد الله تعالى وعبادته سبحانه على منهج السلف الصالح .

قال رحمه الله :

كتاب التوحيد ، وقول الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا

---

(١) الداريات الآية [٥٦]
(٢) النحل الآية [٣٦]
(٣) الإسراء الآية : [٢٣]
(٤) النساء الآية [٢٥]

تشركوا به شيئا ﴾ [١] قال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه ، فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾ إلى قوله : ﴿ وأن هذا صراتي مستقيما فاتبعوه .... ﴾ [٢] الآية .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، على حمار فقال لي : ((يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟)) فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : : ((فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)) ، فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ ، قال : ((لا تبشرهم فيتكلوا)) أخرجاه في (الصحيحين) .

الشرح :

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، وعلى آله وصحابته ، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين .

نبدأ معكم أيها الأخوة في هذه الليلة ، ليلة الأحد الموافق الحادي عشر من شهر صفر من عام ستة عشر بعد الألف وأربع مائة للهجرة النبوية ، ودرسنا هذا يتعلق بالتوحيد ، وسنقرأ ونواصل إن شاء الله قراءة كتاب (**التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**) ، وقبل الشروع في الكلام على نصوص هذا الكتاب ، لابد من ثلاثة مقدمان :

(١) الأنعام الآية [١٥١] .
(٢) سورة الأنعام الآيات [١٥١ ـــ ١٥٣] .

الأولى : فضل العلم الشرعي ، يجب أن يعلم طلاب العلم وسائر المسلمين أن

....

أفضل العلوم ، هو العلم الشرعي ، والمراد بالعلم الشرعي العلم الذي مصدره الوحي .

والوحي : هو ما أوحى الله به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزله عليه ، وهو شيئان وحيان : وحي الكتاب ، ووحي السنة ، وكلاهما منزل من عند الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ **وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾ ، فهذا امتنان من الله على نبيه بذلك العلم ، وقد أمره الله أن يطلب المزيد في قوله : ﴿ **وقل رب زدني علما** ﴾ .

وهذا العلم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المودع في الكتاب والسنة ، في كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، هذا هو العلم النافع الذي نفعه يدوم ، هذا هو العلم الذي هو نور وحياة ولهذا سماه الله روحا ، سماه نورا في مواضع من كتابه ، ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا** ﴾ ، ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا** ﴾ ، ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ .

فلا حياة ولا هدى إلا بذلك العلم الصحيح ، وما سوى هذا العلم لا تحصل به حياة القلوب ، والأرواح ، ولا تحصل به الهداية إلى صراط الله ، فلا يسمى شيئا من العلوم نورا ، ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا** ﴾ قال تعالى : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾ .

هذا هو النور ، وهو الروح ، فيجب أن يستقر هذا في حس المسلمين وفي عقول المسلمين ، أن العلم الذي له الفضل الكبير ، وقد أمر الله به في مثل

قوله تعالى ﴿ **فاعلم أن لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ اعلموا أن الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم .

....

وأثنى سبحانه وتعالى على أهل مثل ذلك العلم في مثل قوله تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط** ﴾ هذه لا تعم كل علو ، أو كل أهل علم من سائر العلوم ، لا ، فيدخل في هؤلاء الرسل فهم أعلم الناس بربهم وبدينه ، ثم أتباعهم على مراتبهم وهذا العلم الشرعي مداره على ثلاثة أصول ، وإن شئت قل هو ثلاثة أقسام :

١ ــ العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، العلم بالله ، بأسمائه وصفاته وأفعاله ، هذا أشرف العلوم الثلاثة .

٢ ــ ثم العلم بدينه ، وشرعه الذي جعله طريقا يوصل سالكيه إلى الله ، وإلى جنته ومرضاته ، وهو أمره ونهيه ، الأوامر والنواهي ، هذا هو العلم الثاني ، الأوامر والنواهي وما يتبع ذلك من الحلال والحرام ، الأحكام المتعلقة بالأفعال ، أفعال العباد فعلا وتركا .

٣ ــ والقسم الثالث ، أو العلم الثالث ، العلم بما أعد الله للعاملين في الدار الآخرة ثوابا للمحسنين ، وعقابا للكافرين والظالمين .

فها العلم هو الذي به الحياة وبه الهداية ، وبه النجاة لمن أخذ منه بنصيب ، وقام بحقه وعمل به ، وقد جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بعلم جم ، وبلغه للأمة ، ولم يزل منذ بعثه الله ، وهو يعلم الناس بقوله ، وبفعله ، حتى توفاه الله وقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة صلوات الله وسلامه عليه . وتلقى ذلك من بعده أصحابه فحملوا هذا العلم وبلغوه لمن بعدهم جيلا بعد جيل

، وسيبقى هذا العلم وهذا النور معينا يستقي منه الواردون ، وينهلون من هذا المورد الصافي ، ويستترون بذلك النور الساطع ، إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى .

....

والسعيد من استنار بهذا النور واهتدى بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم .
وبما أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، فالله قد ضمن حفظ مصدر هذا الدين ، وهو كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ ، فدين الله باق ومحفوظ .
وحفظ هذا الدين إنما يكون بوجود حملة ، من يحمله ، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك بقوله : ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة)) .
ورغب النبي عليه الصلاة والسلام في هذا العلم في أحاديث كثيرة ، ومن اخصرها وأجمعها ، قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق على صحته : ((من يرد الله به خيرا يفقه في الدين)) . فالفقه في الدين ، في عقائده وفي أحكامه عنوان السعادة ، والحديث في هذا يطول .
فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا جميعا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا وإلا يجعل ما علمنا علينا وبلاء .
المقدمة الثانية : لم يزل الله يخرج في هذه الأمة من يجدد لها دينها بين حين وآخر ، كما جاء في الحديث المشهور : ((إن الله يبعث في رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة دينها)) معنى الحديث ، وهذا لابد منه تحقيقا لحفظ الله دينه .

فلم يزل يخرج في كل زمان من يقوم بهذا الدين ، علما وعملا ودعوة وجهادا ، ومما لا ريب فيه أن من الدعاة ا لمصلحين المجاهدين الذي حصل على يديه ، وأيدي من استجاب لدعوته ، حصل على أيديهم تجديد دعوة التوحيد ، لا ريب أن من المجددين لدعوة التوحيد شيخ الإسلام **محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على التميمي** ، الذي شهرته تغنى عن إطالة الحديث عنه ، فهو ....

الإمام المجدد في القرن الثاني عشر الهجري ، إذ قد ولد عام خمسة عشر بعد ألف ومائة ، وتوفي عام ستة بعد المائتين ، فقد ألقى الله في روعه همة عالية ، وهو أن تصدى للدعوة إلى التوحيد ، ومحاربة الشرك والخر افة في هذه البلاد ن في قلب نجد ، بعد أن فتح الله عليه بالبصيرة ، وتلقى العلم عن جماعة من العلماء أبصر الواقع ، فهب رحمه الله لأحياء ما درس من التوحيد والسنن ، سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاهد بنفسه وبلسانه وبقلمه ، ومنة فضل الله أن يسر له من يسانده ويساعده من الولاة ، وفي مقدمتهم الإمام **محمد بن سعود** فقد وازه في هذه الدعوة حتى شقت طريقها وحتى رفعت راية الجهاد ، راية الجهاد في سبيل الله إعلاء لكلمة الله ، فقد كانت لدعوة هذين الإمامين أثر بالغ في العالم الإسلامي ، ولكن معظم هذا الأثر أينما كان في هذه البلاد ، في نجد وما حولها .

وقد كان من جهوده رحمه الله أن ألف المؤلفات في تقرير التوحيد ، فألف الرسائل المختصرة ، كرسالة (الأصول الثلاثة) ، (وكشف الشبهات) ورسائل أخرى ، كرسالة (شروط لا إله إلا الله) ، وأحسن ما ألف ، بل لا أبالغ إن قلت إنه أحسن ما أُلِف في تقرير التوحيد بأدلته ، هو هذا الكتاب

الموصوف بكتاب (التوحيد) .وهذا هو الأمر الثالث الذي أريد أن ألمح عن منزلته .

المقدمة الثالثة : هذا الكتاب كتاب قيم عظيم ، لم يؤلف في موضوعه مثله ، في تبويبه ، وتقسيمه ، فقد تضمن هذا الكتاب بيان التوحيد بأنواعه الثلاث ة ، خصوصا توحيد العبادة الذي كانت فيه الخصومة بين الرسل وأتباعهم .

فضمنه ، رحمه الله سبعة وستين باب ، كل هذه الأبواب ليس فيها إلا ذكر

....

الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة ، وأحا ديث كذلك ذكرها الشيخ لاستشهاد بها ، مع ذكر بعض الآثار ، وقرن أو ضمن واتبع كل باب بمسائل هي عبارة عن فوائد ، ولكن على سبيل الإشارة والاختصار .

فتضمن هذا الكتاب ، تقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة ، وبيان من يضاده من الشرك الأكبر ، وما يضاده كمالا من الشرك الأصغر ، وهو سائره ، وسائر الشرك . فضمنه كل ما يحصل به تقرير هذا الأصل الأصيل الذي هو التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ، وسيتضح هذا جليلا عند المرور بهذه الأبواب . فهذا الكتاب جدير بالحفظ ، كأنه نصوص ، آيات وأحاديث ، وينبغي أن يعتني بالمسائل ويوقف عنها ، وإن لم تحفظ فلتقرأ وتتدبر وتربط بالنصوص التي استنبطت منها .

وقد سمعتم أيها الأحباب ، سمعتم في القراءة الباب الأول ، ولم يترجم له الشيخ بترجمة خاصة بل اكتفى له بالترجمة العامة (كتاب التوحيد) هذه ترجمة عامة عنوان على الكتاب كله ، يندرج تحت هذا العنوان جميع أبواب ال كتاب ، فاكتفي في الباب الأول ، بالعنوان العام ، ولم يفرده بترجمة .

وقبل الكلام على هذه الآيات والأحاديث ، فقد تضمن هذا الباب خمس آيات وأثر بن مسعود وحديث معاذ رضي الله عنها .

التوحيد : معناه جعل الشيئين أو الأشياء شيئا واحدا ، هذا في اللغة ، واعتقاد الشيء واحدا ؛ لأنه مصدر وحد يوحد توحيدا .

وأما معناه في الشرع ، وهذا هو المقصود ، معناه في الشرع هو اعتقاد تفرده تعالى في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته ، اعتقاد جازم بأنه سبحانه وتعالى رب كل شيء ومليكه وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ، وأنه

....

الموصوف بكل كمال المنزه عن كل نقص ، فهذا توحيد علمي ، اعتقاد تفرده في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته ، ثم إفراده تعالى بالعبادة وإخلاص الدين له ، هذه حقيقة التوحيد بكل جوانبه .

فيشمل التوحيد ، ثلاثة أنواع ، وإن شئت قل نوعين :

توحيد الربوبية ، وهي توحيده بأفعاله .

وتوحيد الإلهية ، وهو إفراده بالعبادة .

وتوحيده في أسمائه وصفاته بنفي الشبيه والشريك ، فلا شبيه له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

فقول الشيخ : (كتاب التوحيد) يعني هذا كتاب يتضمن بيان التوحيد بكل معانيه ، بكل أقسامه ، ومن البيان ، من طرق البيان بيان الشيء بذكر ضده ، فبيان الشرك الأصغر والأكبر ووسائلهما هذا مما يحصل به كمال بيان التوحيد ، فلابد من معرفة التوحيد وضده .

قلت : إن هذا الباب أشتمل على خمس آيات وأثر بن مسعود وحديث معاذ رضي الله عنهما .

أما الآيات فالأولى فهي قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ ، في هذا حصر ، أسلوب حصر ، فالله تعالى يبين في هذه الآية ، الحكمة من خلقه الثقلين الجن والإنس ، فمعنى قوله : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ يعني ما خلقتهم إلا مريدا منهم العبادة ، إلا لأمرهم وأنهاهم بما يتعبدون به له سبحانه .

والعبادة التي خلق الله لها الثقلين ، هي عبادته وحده لا شريك له ، هي التوحيد

....

ففي هذه الآية بيان الحكمة من الثقلين ، وأن الحكمة من خلق الثقلين ، هو التوحيد ، هو عبادة الله وحده لا شريك له .

هذه هي الغاية ، وهذه هي الغاية الشرعية ، فالله خلقهم مريدا منهم العبادة ، والإرادة التي تتضمنها هذه الآية ، ويدل عليها حرف التعليل ﴿ **إلا ليعبدون** ﴾ هي الإرادة الشرعية . فما خلقهم الله ليتكثر بهم ولا ليتعزز بهم ، ولا ليتقوى بهم ، ولهذا قال بعدها ﴿ **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ .

الثانية قوله تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فالله تعالى يخبر أنه بعث في كل أمة ، أي في كل قرن وجيل من الناس رسولا ، ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله** ﴾ يعني بعثه وأمره أن يقول للناس اعبدوا الله ، قوله ﴿ **بعثنا** ﴾ تتضمن معنى الأمر بهذه الدعوة ﴿ **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، فتضمنت ، دعوة الرسل

تضمنت الأمر بعبادته تعالى ، والنهي عن عبادة ما سواه ، وكل معبود سواه فهو طاغوت ، إلا من عبد وهو غير راض بل هو يبرأ من عبيدية كالملائكة والأنبياء والأولياء الصالحين ، فالذين يعبدونهم إنما يعبدون الجن كما قال تعالى : ﴿ **يوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنين** ﴾ ، فقوله : ﴿ **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ هو معنى : لا إله إلا الله ؛ لأن كلمة التوحيد كما سيأتي في مواضع إن شاء الله تتضمن النفي والإثبات ، نفي العبادة نفي الإلهية لغير الله ، وإثبات الإلهية له سبحانه وتعالى فقوله : ﴿ **أن اعبدوا الله** ﴾هذا معنى الإثبات ، هو معنى إلا الله .

....

وقوله : ﴿ **واجتنبوا الطاغوت** ﴾ هو معنى النفي في كلمة التوحيد . ولهذا قال تعالى في آية أخرى﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ .

ففي هذه الآية دلالة على وحدة دين الرسل ، على أن دين الرسل واحد فدين الرسل كلهم يقوم على التوحيد ، كلهم جاءوا بالدعوة إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه ، فكل نبي يقول لقومه ، كما أخبر الله عن نوح وهود وصالح وغيرهم ، كل نبي يقول لقومه : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

الآية التالية هي قوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ ، وقضى : القضاء هنا هو القضاء الشرعي ، ومعناه أمر ووصى ، ﴿ **وقضى ربك** ﴾ يعني أمر ربك ووصى ، ووصى عباده .

﴿ **ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ ألا ، فأن مفسره لقوله : ﴿ **وقضى ربك** ﴾ لا تعبدوا ، فألا تعبدوا ، أو تكون مصدرية ، ومعنى ﴿ **قضى ربك** ﴾ ، يعني أمر ووصى بألا تعبدوا ، ألا تعبدوا إلا إياه .

﴿ **وبالوالدين إحسانا** ﴾ فقرن حق الوالدين بحقه سبحانه وتعالى ، وهذا كثير في القرآن ، والله قد أمر ووصى بذلك على ألسن رسله من أولاهم إلى أخرهم ، من أولهم نوح عليه السلام ، وأخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ ،وقبل هذه الآية قال الله تعالى : ﴿ **لا تجعل مع الله إلها أخر فتقعد مذموما مخذولا** ﴾ ، ثم ذكر الله وصايا بعد ذلك عديدة ، أوامر ونواهي ، ختمها بقوله كما سيأتي في المسائل لعلنا نقرأها ، ختمها بقوله : ﴿ **لا تجعل مع الله إله أخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا** ﴾ .

الآية الرابعة ، قوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ .

....

قوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ ، هو نظير قوله : ﴿ **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، فيه الأمر بعبادة الله ، والنهي عن الإشراك به ، ففيها معنى لا إله إلا الله ، ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا** ﴾ الآية .

وهكذا الآية الخامسة ، وهي قوله تعالى في سورة (الأنعام) : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا بالوالدين إحسانا** ﴾ فبدأ بالوصية بترك الشرك ، هذه أولى الوصايا العشر في هذه الآيات الثلاث ، أولاها الوصية بترك الشرك .

فالأمر بالتوحيد يتضمن النهي عن الشرك ، والنهي عن الشرك يتضمن الأمر بالتوحيد ، على حد قول الأصوليين : أن الأمر بالشيء نهي عن ضده ، والنهي عن الشيء أمر بضده .

﴿ **ألا تشركوا به شيئا** ﴾ ، يعني اعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، اعبدوا وأخلصوا العبادة له تعالى وحده لا شريك له .

هذه هي الآيات الخمس ، ذكر الشيخ ، رحمه الله بعدها أثر ابن مسعود ، وأثر ابن مسعود رضي الله عنه ، الصحابي الجليل الشهير أحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد العلماء ، وأحد القراء ، قراء الصحابة ، يقول رضي الله عنه كما رواه الترمذي وغيره : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه ، فليقرأ **قوله تعالى** : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ **إلى قوله** : ﴿ **وأن هذا صراتي مستقيما فاتبعوه ....** ﴾ الآية .

فهذه ثلاث آيات ذكر الله فيها خمس أو عشر وصايا ، من أوامر أو نواهي ، ختم كل آية من الآيات الثلاث بقوله : ﴿ **ذلكم وصاكم به** ﴾ ، في الأولى قال :

....

﴿ **ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون** ﴾ ، وفي الثانية قال : ﴿ **ذلكم وصاكم به لعلم تذكرون** ﴾ ، فالتذكر يأتي بعد التعقل ، وقال في الثالثة قال : ﴿ **ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ والتقوى تكون بعد التعقل والتذكر .

هذه عشر وصايا ، في الأولى ذكرنا فيها خمس ، في الثانية ثلاث ، في الثالثة اثنتان ، وتدبروها .

أما حديث معاذ رضي الله عنه ، وفيه أن معاذ كان رديف النبي ، راكب مع النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

((أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟)) قال : فقلت ، الله ورسوله أعلم ، قال : : ((فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)) وهذا هو الشاهد من الحديث ((أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)) هذا حق الله على عباده ، وهذا أعظم الحقوق ، فالعباد عليهم حقوق لله ، ولعباده ، حقوق فيما بينهم ، ولكن أعظم هذه الحقوق هو حق الله على عباده ، وهو عبادته تعالى وحده لا شريك له .

حق الله على العباد ((أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)) ، وهذا حق لازم وحتم لا خيار فيه ، حق واجب على كل مكلف أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وهذا أول الحقوق ، وآكد الحقوق .

نعلم من هذا أن التوحيد هو أعظم الواجبات ، وأول الواجبات ، كما سيأتي في بيان فضله ، وأعظم الحسنات ، حسنة التوحيد .

ومما يدل على عظم شأنه توقف جميع الأعمال على التوحيد ، فجميع الأعمال متوقفة على التوحيد ، فلا يصح من مشرك أي عمل ، فالكافر أي نوع من الكفر ، والمشرك لا يقبل الله منه أي عمل ، فالكافر لا يؤمر بصلاة ولا صيام

....

ولا زكاة ، ولا شيء حتى يدخل في الإسلام ، وذلك بالإقرار بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

ولكن تارة يأتي التنصيص عليهما ، وتارة يأتي الاقتصار على أحدهما ، وكثير ما يقتصر في النصوص على ذكر كلمة التوحيد ، وإن كانت لا تتم ولا تصح إلا بشقيقتها وقرينتها ، وهي شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدلت هذه النصوص ، الآيات مع حديث معاذ ، على أن التوحيد أول واجب ، وأنه أعظم الحقوق ، وهو حقه سبحانه وتعالى على عباده ، وأنه هو أصل الدين ، أصل دين الرسل كلهم من أولهم إلى أخرهم .
ثم قال صلى الله عليه وسلم : ((وحق العباد على الله)) حق العباد ، هذا حق جزائي ، ((أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)) وهذا حق أحق الله على نفسه تفضلا منه وإحسانا ، ليس هذا الحق واجب على الله ، بإيجاب أحد عليه ، بموجب العقل فأنه لا أحد يملك أن يوجب على الله شيء ؛ لأن الكل عبيد ، وليس للعبد أمر على سيده ، فالله تعالى هو الذي يوجب على العباد ما شاء ، ويحرم ما شاء بحكمته البالغة ، وهو الذي تعالى فضلا منه أوجب على نفسه ما أوجب من حق أهل التوحيد ، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، وكما أوجب على نفسه قبول التوبة من التائبين ، كما قال تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما** ﴾ ، وما أحسن قول الشاعر في هذا المقام :

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... بفضله وهو الكريم الواسع

....

قال معاذ رضي الله عنه ، لما أخبره الرسول بالحقين ، قال رضي الله عنه : أفلا أبشر الناس ؟ . يعني بما ذكر من حق الموحدين ، ((أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)) ، وسيأتي ما يوضح معنى هذا الوعد ، هذا وعد ، وعد من الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، سيأتي ما يوضح هذا المجمل في الباب التالي إن شاء الله .

قال رضي الله عنه : أفلا أبشر الناس ؟ . يعني أبشرهم وأخبرهم بهذا الفضل العظيم ، قال : ((لا تبشرهم فيتكلوا)) .
وقد ورد في بعض الروايات أن معاذ رضي الله عنه أخبر بذلك عند موته تأثما وخشية من الكتمان ، ومعلوم قطعا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يريد منه كتمان كذلك مطلقا ، وإنما أراد أن لا يحدث الناس الذين لا يحسنون فهم مثل هذه النصوص ، نصوص الوعد ، وهم أكثر الناس ، أكثر الفهم لا يحسنون فهم النصوص ، إذا سمع مثل هذا أتكل ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((فيتكلوا)) .
أما أهل البصائر ، وأهل العلم فلا ، انظروا إلى العشرة المبشرين بالجنة ، أتراونهم أخلدوا وتركوا العمل اتكالا على أنهم بشروا بالجنة بأسمائهم ؟ أو أهل بدر الذين قال فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام : ((لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) ؟ هل تقعص أحد منهم عن العمل أو اجترأ على الذنوب اتكالا بهذا الوعد ؟ كلا إنهم يعلمون أن هذه المنازل لا يناولونها إلا بالجد والاجتهاد والصدق ، ومثابرة على الإيمان والعمل الصالح ، والاستقامة على صراط الله المستقيم .

....

قال : ((لا تبشرهم فيتكلوا)) ، فيتكلوا ، علل بالاتكال ، إذًا الذين يوثق بحالهم لا مانع من تحديثهم .
إنما الذين لا يحسنون فهم النصوص ، لا ينبغي تحديثهم ، فلا يليق أن نأتي بمن يكون مسرفا على نفسه مجترأ على معاصي الله ، فنحدثه بالأدلة التي تدل على سعة رحمة الله ، وكثرة مغفرته للذنوب ، فإن هذا مجلبة لاغتراره ؛ لأنه

يغتر بما يسمع من ذلك ولا يحسن فهمه ولعله بقراءة المسائل نستدرك ما لعله قد فات ، ونظرا إلى أن هذه الليلة بداية ، ولعله فات من الوقت في المقدمات ، لعلنا نقتصر على هذا الباب .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس .

الثانية : أن العبادة هي التوحيد ؛ لأن الخصومة فيه .

الثالثة : إن من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه قوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ [١] .

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، يقول الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب : (فيه مسائل) ، يعني في هذا الباب المتقدم فيه مسائل ، هذه المسائل عبارة عن فوائد ، ولكن منها ما يكون مجمل ، ومنها ما يكون واضح مصرح به .

الأولى : (الحكمة من خلق الجن والإنس) وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، لقوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ فهذه هي الغاية الشرعية ، الغاية الشرعية من خلق الثقلين ، هي أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ، وفي هذا دلالة على أن الله ذو حكمة في أفعاله وتشريعاته ، ففيها دلالة على تعليل أفعال الله ، وأحكام الله خلافا لمن أنكر ذلك من الجهمية ومن وافقهم .

المسألة الثانية : (أن العبادة هي التوحيد) ففيه معنى قوله تعالى ﴿ **لا أعبد ما تعبدون** ﴾ أن العبادة هي التوحيد ، فالعبادة التي لا تكون قائمة على توحيد الله ، ومن موحد لله ، ليست عبادة ، فالعبادة هي التوحيد .

....

المسألة الثالثة : فيها دلاله على يوحد الله ، من لم يعبد الله ، أو من لم يوحد الله ، فلا عبرة بعبادته ولا يكون عابد لله ، فالمشرك وإن عبد الله بزعمه ،

(١) الكافرون الآيتان [٣ ــ ٥] .

فعبادته ليست لله ، ولهذا يقول تعالى :﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ مع أن المشركين يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره ، فعبادتهم لله غير معتد بها ، وليست عبادة .

لأن الخصومة فيه ، الخصومة فيه بين الرسل وأممهم ، الخصومة القائمة منذ بعث الله نوح عليه السلام إلى محمد ، الخصومة بين الرسل وأمم هم إنما هي في التوحيد ، ولهذا قل نبي يقول لقومه : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ يعني اعبدوا الله وحده .

(أن من لم يأت به لم يعبد الله) أن من لم يأت بالتوحيد لم يعبد الله .

(ففيه قوله : ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾) فالمشركون وإن عبدوا الله بزعمهم في بعض الأشياء ، فليسوا في الحقيقة ، عابدين ؛ لأن أن لم يأت به لم يعبد الله ، وإن زعم أنه يعبدهم .

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ، ففيه معنى قوله : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ... ﴾ [١] الآية .

الشرح :

هذه أربع مسائل مأخوذة من الآية التالية ، **﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .**

منها أن الرسالة عمت كل أمة ، **﴿ ولقد بعثا في كل أمة ﴾ .**

ومنها أن دين الأنبياء واحد ؛ لأنهم جميعا دعوا إلى هذا الأصل **﴿ أن اعبدوا الله واجتبوا الطاغوت ﴾ .**

السابعة : (أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت) هذه شبيهة بالمسألة المتقدمة ، (أن من لم يأت به لم يعبد الله) ، فعبادة الله لا تحصل إلا مع التوحيد ، بالكفر بالطاغوت ، فأصل دين الرسل ، هو الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ، عبادة الله وحده لا شريك له .

(ففيه المسالة الكبيرة) ، التي لا تحصل ولا تتحقق إلا مع التوحيد إلا بالكفر بالطاغوت .

(والكفر بالطاغوت) هو البراءة من كل معبود سوى الله ، ومن كل عبادة لغير الله .

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة (الأنعام) عند السلف ، وفيها عشر مسائل ، أولها النهي عن الشرك .

---

(١) البقرة الآية [٢٥٦] .

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة (الإسراء) وفيها ثمانية عشر مسألة ، بدأها بقوله : ﴿ لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ (١) ، وختمها بقوله : ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ﴾ (٢) ، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ (٣) .

الشرح :

الثامنة : (أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله) هذه المسالة سبق التنبيه عليها ، أن الطاغوت عام في كل عبد من دون الله ، ولا يدخل في ذلك من لم يرضى بعبادته من دون الله كالملائكة والأنبياء ، سبق التنبيه على ذلك

التاسعة : (عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات ..) هذا أخذا من قول ابن مسعود ، عظم الآيات الثلاث من سورة الأنعام ، التي أولها : **﴿ قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم ﴾** أخذ بقول ابن مسعود من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم إلى آخره . وبدأ هذه الوصايا العشر بقوله **﴿ إلا تشركوا به شيئا ﴾** ، **﴿ قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم إلا تشركوا به شيئا ﴾** .

الحادية عشر : أية سورة (النساء) التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ (٤) .

---

(١) الإسراء الآية [٢٢] .
(٢) الإسراء الآية [٣٩] .
(٣) الإسراء الآية [٣٩] .
(١) النساء الآية [٣٦] .

الثانية عشر : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .
الثالثة عشر : معرفة حق الله تعالى علينا .
الرابعة عشر : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه .

الشرح :

كل هذا يدل على عظم شأن التوحيد ، ففيه الأوامر والنواهي التي في سورة (الإسراء) بدأها بالنهي عن الشرك ، والوصية بالتوحيد ، وختمها كذلك بالنهي عن الشرك .

وهكذا في آية (النساء) ، الآية التي تسمى آية الحقوق العشر ، بدأها الله بالأمر بحقه ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ ، ثم ذكر بعد ذلك الحقوق المتعلقة بالعباد وأولها وأعظمها حق الوالدين فقال : ﴿ **وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ...**﴾ إلى آخر الآية .

فهي آية الحقوق العشرة بدأها الله بأعظم الحقوق ، وهو حقه تعالى على عباده ، وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

الثانية عشر :(التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته) أخذا ابن مسعود من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه ، فليقرأ هؤلاء الآيات من سورة (الأنعام) ، فهذا ما وصى به

....

النبي ، وما زال يوصي به إلى أن توفاه الله ، وهو يوصي بكتاب الله ، ويوصي بعباده الله لا شريك له ويوصي بالكتاب ، والتمسك بالكتاب يتضمن

هذه الوصايا العشر ، وغيرها مما في كتاب الله من الأوامر والنواهي والتشريعات .

الرابعة عشر : (معرفة حق العباد إذا أدوا حقه) وفي حديث معاذ ، التنبيه على حق العباد إذا أدوا حقه ، ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)) ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)) ، وقد تقدم القول فيه .

الخامسة عشر : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشر : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشر : استحباب بشارة المسلم بما يسره .

الثامنة عشر : (الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله)

الشرح :

الخامسة عشر : وهذا أيضا كله مأخوذ من حديث معاذ ، يقول الشيخ ، ففي الحديث ، حديث معاذ : (أن هذه المسألة) وهي حق الله على العباد ، وحق العباد على الله ، (أن هذه المسألة لا يعرفها اكثر الصحابة) ، وهذا فيه تأمل ، (أفلا أبشر الناس) ، لعل كثير من الصحابة ، كثر من الناس ، قد لا يعرفوا ما للتوحيد من الفضل ، وأن حق العبد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ؛ لأن هذا هو المعنى الذي قال فيه معاذ : أفلا أبشر الناس ؟ ، قال :((لا تبشرهم)) يريد المعنى الثاني وهو قوله : ((حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)) هذا هو الذي قصد به معاذ أن يخبر به الناس ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يفعل خشية أن يتكلوا ، وسبق التنبيه أن هذا إنما يراد به من لا يحسن فهم مثل هذه النصوص ، أما خواص الصحابة ، علماء الصحابة ، فقهاء الصحابة فإنهم يعرفون هذا من قبل ، وما يبلغهم من نوع ذلك ، فإنهم يفهمونه ، ويضعونه في موضعه .

السادسة عشرة : ومن فوائد هذا الحديث : (جواز كتمان العلم للمصلحة) الرسول قال : ((لا تبشرهم)) أمره بكتمان العلم عن بعض النا س ، لا بالكتمان مطلقا ، عن بعض الناس الذين لا يحسنون فهم العلم ، وليس هذا كتمان لكل علم ، ولا شك أنه سيأتينا في باب (حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله) أثر عن علي رضي الله عنه .

....

السابعة عشرة : وفي الحديث دلالة على (استحباب بشارة المسلم بما يسره) أخذا من قول معاذ : أفلا أبشر الناس ؟ ، ولا ريب أن إدخال السرور على المسلم أمر مطلوب ، ولكن هذا لا يستلزم أن يكون في كل شيء .

الثامنة عشرة : (الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله) نعم هذا أمر محظور شرعا ، فالاتكال على سعة رحمة الله هذا اغترار ، وهو شأن المغترين والجاهلين بعظمة الله ، وبأليم عقابه ، ففيه الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله ، أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا تبشرهم فيتكلوا)) الاتكال أمر مخوف ؛ لأن الذي يتكل على سعة رحمة الله ، يجترأ على المعاصي ، ويفرط في الواجبات ، اتكالا على رحمة الله ، ولهذا قرن سبحانه وتعالى بين الوعد والوعيد في القرآن ، ليجمع المسلم بين الخوف والرجاء ، فلا يتكل على سعة رحمة الله ، ولا يقنط من رحمته ﴿ **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ .

التاسعة عشر : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم
العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .
الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه .

الشرح :

التاسعة عشرة : إذا سئل الإنسان عما لا يعلم ، فليقل الله أعلم ، أو ليقل : الله ورسوله أعلم ، لا بأس بذلك ، فقد كان الصحابة يقولون هذا في حضور الرسول ، وفي غيبته ، يقول أحدهم إذا سئل عن شيء لا يعلمه ، يقول : الله ورسوله أعلم ، وحتى بعد الوفاة لا مانع ، وهذا ما يقتضيه استن باط الشيخ ، استنباط الشيخ يقتضي هذا ، قول من سئل عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

العشرون : (جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض) لأن الرسول خص معاذ بهذا العلم ، وجعله أهلا ، وجعله أهلا لذلك ، فلم يكن من عامة الصحابة ، بل هو من خواص الصحابة ومن علماء الصرحابة .

الحادية والعشرون : (تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه) هذا ظاهر الدلالة عليه ، ركوب الحمار يأنف منه المتكبرون ، يحتاجون إلى ركوب الخيل ......، ويأنف أحدهم من ركوب الحمار ، والرسول عليه الصلاة والسلام هو إمام المتواضعين ، وسيد ا لمتواضعين صلى الله عليه وسلم ، وهذا من وجهين : من ناحية ركوب الدابة ، ومن ناحية الإرداف أيضا ، يعني هذه الفائدة تأخذ من ركوب الرسول على الحمار ، ومن الإرداف عليه ، فأهل التكبر يأنفون من أن يركب معهم أحد أيضا

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة .
الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .
الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

الشرح :

الثانية والعشرون : (جواز الإرداف على الدابة) ، إذا كانت تطيق ، بهذا القيد .

الثالثة والعشرون : (فضيلة معاذ بن جبل) في هذا الحديث دلالة على فضيلة من وجهين : من ناحية صحبته للنبي وركوبه معه ، فهذا فيه خصوصية وفضيلة ، ومن جهة تخصيصه بالعلم ، ففي الحديث دلالة على فضيلته رضي الله عنه ، ولا ريب أنه من فضلاء الصحابة ، ومن علمائهم و أجلهم ، وله منزلة عند النبي صلى الله عليه وسلم .

الرابعة والعشرون : (عظم شأن هذه المسألة) وهي مسألة التوحيد ، وعبادة الله وحده لا شريك له وأنها أعظم الحقوق ، حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا

٢ ــ باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (١) .

عن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله على ما كان من العمل)) أخرجاه .

ولهما في حديث عتبان : ((فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) .

وعن أبي سعيد الخضري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ((قال موسى : يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به ، قال قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا ، قال : يا موسى ، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله)) رواه ابن حبان ، وللحاكم وصححه .

---

(١) الأنعام الآية [٨٢] .

وللترمذي وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) .

الشرح :

هذا (باب فضل التوحيد) ، وما يكفر من الذنوب ، وذكر هذا الباب بعد الباب الأول ظاهر مناسب ، فإنه بعد بيان وجوب التوحيد وعظم منزلته من الدين ، ناسب أن يذكر الشيخ ما يدل على فضله ، وهو عظم أجره ، وتكفيره للذنوب (باب فضل التوحيد) أي هذا باب بيان فضل التوحيد ، عظم أجر التوحيد ، وبيان تكفره للذنوب ، فغن قوله : (وما يكفر) يحتمل أن تكون موصولة ، يعني اسم موصول ، أي والذي يكفر من الذنوب ، ويحتمل أن تكون ما مصدرية ، فتأول هي وما بعدها للمصدر ، فيكون التقدير باب فضل التوحيد وتكفيره للذنوب ، فيكون عطف هذا على ما قبله ، من عطف الخاص على العام . فإن من فضله تكفيره للذنوب .

وهكذا كل عمل صالح ، كالصلوات الخمس ، لها أثران : الثواب الذي رتبه الله عليها ، وتكفيرها كذلك للذنوب .

والتوحيد هو أوجب الواجبات ، وأعظم الحسنات ، فثوابه أعظم الثواب ، وتكفيره للذنوب أعظم من تكفير سائر العمال الصالحة .

وذكر الشيخ في هذا الباب آية ، وأربعة أحاديث ، أما الآية فقوله تعالى : **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** هذه الآية جاءت في آخر قصة محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه ، كما في سورة (الأنعام) ، جاء في آخرها **﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم**

تعلمون ﴾ بعدها : **﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** فيحتمل أن يكون هذا من جملة قول إبراهيم الذي قصه الله علينا ، ويحتمل أن يكون هذا جواب من الله تعالى بيانا للأحق بالأمن **﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** .

....

وثبت في (الصحيحين) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية ، ق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه ؟ ــ من الذي يسلم من الظلم ــ قال صلى الله عليه وسلم : ((ليس كما تظنون ، إنه الشرك ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح **﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾**)) . يعني لقمان كما ففي سورة (لقمان) **﴿ إذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾** .

إذًا قوله تعالى : **﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا ﴾** يعني أمنوا بالله ، وحدوه ، آمنوا بربوبيته وإلهيته ، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ، **﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾** أي بشرك ، **﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** فمن آمن بالله ربا وإلها ولم يلبس إيمانه بظلم فهو من أهل الأمن ، ومن أهل الهدى **﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** .

والظلم أنواع ثلاث : فمن خلص منها فله الأمن التام ، والهدى التام ، فمن وقع في ، أنواع الظلم ثلاثة :

١ ــ ظلم في حق الله وهو الشرك .

٢ ــ وظلم العبد نفسه بالمعاصي .

٣ ــ وظلم العباد في دمائهم وأموالهم وأعراضهم .
فمن نجا وخلص من أنواع الظلم الثلاثة فله الأمن التام ، والهدى التام ، ومن نجا من الظلم الأول ، الظلم في حق الله وهو الشرك ، فهو من أهل الأمن والهدى في الجملة ، ويعبر العلماء عن ذلك ، بأن له مطلق الأمن ، ومطلق الهدى ، يعني فهو من أهل الأمن والهدى في الجملة ، يوضح ذلك أن من نجا
....

وخلص إيمانه من الشرك الأكبر فله الأمن ، فهو من أهل الأمن والهدى ، أي مطلق الأمن وأصل الأمن وأصل الهدى .
فيأمن من الخلود في النار ، ويكون من أهل الاهتداء ن فالتوحيد يعصم ، أصل التوحيد يعصم من الخلود في النار ويقتضي دخول الجنة ، ولو في المآل ، وليس المقصود أن من نجا من الشرك الأكبر أنه يأمن من كل وعيد للنصوص الدالة على أن المعاصي سبب يستحق بها العاصي ما توعده الله به على ذنوبه ، كأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وغير ذلك من الذنوب الكبيرة والصغيرة .
﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا** ﴾ ، لم يخلطوا ﴿ **إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ ، فالظلم المنافي لأمن هو الشرك ، المنافي لأصل الأمن ، وأصل الهدى ، فمن خلص من الظلم بأنواعه الثلاثة ، فله الأمن التام والاهتداء التام ، فيكون من أهل النجاة ، ومن خلص من الشرك الأكبر فهو من أهل الأمن والهدى أي مطلق الأمن ومطلق الهدى .
واقرءوا هذا المعنى في كلام شيخ الإسلام ابن تيميه ، كما نقله الشارح الشيخ عبد الرحمن في (فتح المزيد)، والشيخ سليمان رحمهما الله .

أما الأحاديث فأولها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وقد أشتمل هذا الحديث على خمسة أصول من أصول الدين :

الأول : قوله : ((من شهد أن لا إله إلا الله)) هذا هو الأصل الأول ، وهذا أعظم الأصول شهادة أن لا إله إلا الله ، فهذه كلمة التوحيد أصل دين الرسل كلهم من أولهم إلى أخرهم ، وكلمة التوحيد لها ركنان ، النفي والإثبات ، فهي مركبة من نفي وإثبات ، ولا يتحقق مضمونها إلا بالنفي والإثبات ، ومعناها

....

المختصر البسيط ، لا إله إلا الله ، لا معبود بحق إلا الله ، ففيها نفي كل معبود سوى الله ، نفي الإلهية عن كل معبود سوى الله ، وقوله : إلا الله ، إثبات الإلهية له تعالى وحده لا شريك له ، فالنفي يتضمن الكفر بالطاغوت والبراءة من كل معبود سوى الله ، والإثبات يتضمن الإيما ن بالله ، والإقرار له بالإلهية وحده دون ما سواه ولابد في هذه الشهادة أن تصدر على علو ويقين وقبول وانقياد ومحبة وصدق ولإخلاص ، وهذه إجمال الشروط التي استنبطها العلماء من سائر النصوص ، فقوله : ((من شهد أن لا إله إلا الله)) الشهادة لابد فيها من العلم والصدق واليقين ، ومن الأدلة على هذا قوله تعالى : ﴿ **فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ ، فلا يكفي في هذه الشهادة مجرد التلفظ بها ، لا ، لابد أن يتطابق على مضمنوها الظاهر والباطن ، القلب واللسان ، فإن من قالها بلسانه من غير اعتقاد القلب ، فهو منافق ، فالمنافقون الذين قال الله فيهم ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن**

المنافقين لكاذبون ﴾ فهذه الشهادة هي أصل دين الرسل ، وهي أصل دين الإسلام الذي بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم .
وقوله : ((وحده لا شريك له)) تأكيد لمضمون الكلمة ، كلمة التوحيد ،
وقوله : ((وحده)) تأكيد للإثبات .
وقوله : ((وحده لا شريك له)) تأكيدا للنفي .
والأصل الثاني ، قوله : ((وأن محمدا عبده ورسوله)) ، ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله)) هذا الأصل الثاني من هذه الأصول الخمسة ، وهذا الأصل الثاني مع الأصل الأول يتحقق بهما
....

الركن الأول من أركان الإسلام ، فالركن الأول من أركان الإسلام يتضمن الشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فهما شهادتان متلازمتان لا تغني إحداهما عن الأخرى ولا تنفك إحداهما عن الأخرى ، وكثيرا ما يقرن الرسول صلى الله عليه وسلم بينهما ، كما في هذا الحديث ، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم : ((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)) ، وكما في حديث عبد الله بن عمر في الصحيحين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أمرت أن أقتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ...)) الحديث . فهاتان الشهادتان هما أصل دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم .
وقوله : ((وأن محمدا عبده ورسوله)) ذكر في هذه الشهادة وصفين لا بد من الشهادة بهما للرسول : وصف العبودية ووصف الرسالة . لا بد من الإيمان

والإقرار بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، الهاشمي القرشي الذي ينته نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، لابد من الإقرار بأنه صلى الله عليه وسلم عبد عابد لله خاضع لله مطيع لربه ، بل هو أعبد الناس وأعظم الناس تحقيقا للعبودية ، وقد ذكره الله بهذا الوصف في أجل المقامات : مقام الإسراء ، ومقام التحدي ، ومقام الدعاء ، ومقام النذارة . اقرءوا شواهد ذلك في القرآن ، كقوله تعالى : **﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ ﴿ تبارك الذي نزل على عبده ﴾ ﴿ وأنه لما قام عبد الله ﴾ ﴾**

....

الوصف الثاني : الرسالة ، فهو عبد الله ورسوله ، رسول الله إلى جميع الناس إلى الثقلين ، بل إلى الثقلين الجن والإنس . فلا بد أن تتضمن الشهادة هذين الأمرين ، وهما : الإقرار بأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله وأنه رسول الله .

وهذا هو الصراط المستقيم في شأن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فإن الناس منهم من كذبه وجحد رسالته ، وهم أكثر البشر ، ومنهم من غلا فيه ورفعه عن منزلة العبودية إلى منزلة الإلهية فصرف له بعض خصائص الإلهية من علم الغيب المطلق ، العلم بكل شئ ، أو توجه إليه بأنواع من العبادة من الخوف والرجاء والدعاء ، فلا بد في هذه الشهادة من الجمع بين الإقرار بالعبودية بأنه عبد لا يعبد والإقرار بالرسالة بأنه رسول لا يكذب بل يطاع ويتبع . عبد لا يعبد ، بل هو عابد لله ، ورسول حق من عند الله أرسله الله

بالهدى ودين الحق ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** ﴾ .

فمن غلا فيه انحرف عن الصراط المستقيم ومن كذبه زاغ عن الصراط المستقيم ، والصراط المستقيم في أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالشهادة له بالعبودية والرسالة . والناس متفاوتون في هذا المقام ، فلا بد من تحقيق الشهادة له صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة أنه عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

الأصل الثالث مما اشتمل عليه هذا الحديث : الشهادة لعيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله ، خلافا لليهود الذين كذبوه وقالوا إنه ابن بغي ورموا أمه بما برأها الله منه ، وخلافا للنصارى الذين غلوا فيه وقالوا إنه ابن الله أو أنه الله ،

....

فأكذبهم الله في كتابه ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم** ﴾ ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة** ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة كما في سورة المائدة وفي آخرها ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾ الآيات .

((وأن عيسى عبد اله ورسوله)) ، والإيمان بعيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله ، هذا من الإيمان بالرسل ، فمن أصول الإيمان الإيمان بالرسل ، ومما يجب الإيمان به في حق عيسى :

أنه كلمة الله ، أي أنه مخلوق بكلمة كن ، ليس هو كن ، ليس هو الكلمة ، ليس هو كلمة كن ، وإنما كان بكن ، كما قال تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال كن فيكون** ﴾ .

وهو ((روح منه)) ، روح من الأرواح التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، وسماه الله كلمة لأن خلقه ليس كخلق سائر بني آدم بل خلقه الله من أنثى بلا ذكر ، فحمل به أمه من نفخة ، من النفخة التي نفخها جبريل في فرجها كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا** ﴾ فيه يعني في الفرج ، وفي الآية الأخرى ﴿ **فنفخنا فيها من روحنا** ﴾ ، والمراد بالروح في هذه الآية وما أشبهها المراد به هو جبريل ، كما قال تعالى : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا** ﴾ .

....

فعيسى عليه السلام هو روح الله ، فإضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه ، فقوله ((وروح منه)) هذه إضافة تشريف و(من) المقصود أنه الأرواح التي روح من الله ، يعني مخلوق من مخلوقات الله كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه** ﴾ .

ليست (من) للتبعيض بل للابتداع ، روح ابتدع الله خلقها كما ابتدع سائر المخلوقات ، لكنه تعالى أضافه إلى نفسه إضافة تشريف .

((وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)) وهذا قد صرح الله به في قوله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا**

على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ ألقاها إلى مريم بالنفخة بواسطة جبريل عليه السلام .

الأصل الرابع والخامس ، كأنه تصير هذه الأصول يعني تنتهي إلى أربعة وهي : قوله صلى الله عليه وسلم : **((** وأن الجنة حق والنار حق **))** لا بد من الإيمان بالجنة والنار ، والإيمان بالجنة والنار داخلان في الإيمان باليوم الآخر والإيمان باليوم الآخر هو أحد أصول الإيمان الستة لكن خصهما الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الشهادة بالذكر لأنهما أعظم ما يكون يوم القيامة ، وهما دار القرار وإليهما ينتهي المكلفون ، المكلفون ينتهون إلى هذا المصير إلى الجنة أو النار .

فالإقرار بهما يتضمن الإيمان بالبعث الذي أنكره الكفار ، الكفار أنكروا البعث واستبعدوه وتعجبوا من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم به **﴿ وإن تعج ب فعحب قولهم ءإذا كنا ترابا ءإنا لفي خلق جديد ﴾ ﴿ فقال الكافرون هذا شئ عجيب ءإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ﴾** .

....

فالإيمان بالجنة والنار يتضمن الإيمان بالبعث ؛ لأن البعث طريق إلى الحشر والجزاء ، ونهاية الجزاء بدخول الجنة أو النار ، فالمؤمنون ينتهون إلى الجنة والكفار ينتهون إلى النار **﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ﴾** .

فهذه أربعة أصول :

الأول : شهادة أن لا إله إلا الله .

الثاني : شهادة أن محمد عبد الله رسوله .
الثالث :شهادة أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .
والرابع : الإيمان بان الجنة حق وأن النار حق .
ولما ذكر هذه الأصول التي يجب الإقرار بها ، قال : ((ادخله الله الجنة)) من شهد هذه الشهادة المتضمنة لهذه الأصول ((ادخله الله الجنة على ما كان من العمل)) وهذا هو الشاهد من الحديث ، وأن من شهد هذه الشهادة فلابد له من دخول الجنة ، من شهد هذه الشهادة بعلم ويقين ادخله الله الجنة على ما كان من العمل ، ادخله الله الجنة ، من مات على التوحيد فلابد له من دخول الجنة ، ابتداء إن كان من المحققين للتوحيد ، أو في النهاية إن كان من أهل الذنوب التي يستحق عليها العقاب ، وقد قال أهل العلم في معنى قوله : ((ادخله الله الجنة على ما كان من العمل)) يعني ادخله الله الجنة على ما كان من العمل حسنا أو سيئ ، يعني وإن كان عاصيا فلابد له من دخول الجنة ، فمآله إلى دخول الجنة ، فإن كان من المحققين للتوحيد دخل الجنة من أول وهلة ، وإن كان من العصاة أدخله الله الجنة ولو بعد تطهير ، إن لم يتجاوز

....

الله عنه ، ويعفو عنه فإن ما دون الشرك فهو تحت مشيئة الله ، فقيل معنى ((ادخله الله الجنة على كما كان من العمل)) يعني من حيث المنزلة ، أنزله الله من الجنة بحسب عمله ، فإن الجنة درجات ، والله ينزل أولياءه الجنة بحسب أعمالهم ، هذا ما يتعلق بهذا الحديث العظيم وهو من أعظم الأدلة على فضل التوحيد ، ومن أجل ذلك أورده الشيخ رحمه الله .
ونكتفي بهذا القدر نظرا للوقت ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله .

....

نواصل الكلام على باب (التوحيد وما يكفر من الذنوب) ، سبق لكلام على الآية ، وعلى حديث عبادة ، قال الشيخ ، رحمه الله عن حديث عبادة :
(أخرجاه) ، يعني البخاري ومسلم ، يعني أخرجاه في (الصحيحين) فهو حديث متفق عليه .
ثم قال : (ولهما) أي للبخاري ومسلم .

(ولهما في حديث عتبان بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))) ، هذا طرف وقطعة من حديث طويل ، فيه قصة مضمنوها أن عتبان بن مالك دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته ليصلي في مكان من بيته ليتخذه مصلى ؛ لأنه قد ضعف بصره ، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام ، وجاء الصحابة ، وذكروا شخصا وطعن فيه بعضهم بالنفاق ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : ((أليس يقول : لا إله إلا الله ؟)) قيل : نعم ، قال :((إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))

((إن الله حرم على النار)) ، هذا خبر يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، حرم على النار ، حكم بأن من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ، أنه لا يدخلها ، وأن النار حرام عليه ، وهو حرام عليها .

((حرم على النار من قال : لا إله إلا الله)) حرمه على النار ، فلا تمسه ، وهذا يعني أنه لا يدخلها البتة ، ولكن بهذا الشرط ، ليس كل من قالها ، فإن المنافقين يقولونها ، بل من قالها ((يبتغي)) يقصد ويريد بقوله لها وجه الله ، وهذا يتضمن الإخلاص ، المعنى من قالها مخلصا لله بذلك ، والإخلاص يكون في القلب ، وقوله ((يبتغي)) يعني يقصد ويريد ، وهذا عمل قلبي .

....

فقيد هذا الوعد بالإخلاص ، ولهذا كان من شروط كلمة التوحيد الإخلاص ، أن يقولها مخلصا لوجه الله ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك ؟ ، قال : ((من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)) ، وفي لفظ ((من قبل نفسه)) .

وهذا الحديث وأمثاله هو من أحاديث الوعد ، ففيه الترغيب العظيم بهذه الكلمة مع الإخلاص فيها لوجه الله ، ومع هذا قد دلت نصوص كثيرة متواترة أن كثير ممن يقول : لا إله إلا الله يدخل النار ، كما في حديث الشفاعة ((يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال شعيرة من إيمان)) ، وفي آخر : ((من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة ــ خردلة ــ من الإيمان)) .

كما جاءت نصوص في الكتاب ، وفي السنة تتضمن الوعيد على بعض الأعمال ، وعيد ، مثل الوعيد على كبائر الذنوب ، كالسبع الموبيقات ، وغيرها كثير .

إذًا فيعلم من هذا أن هذا الوعد المذكور في هذا الحديث ليس عام لكل من قالها على أي حال ، ((إن الله حرم على النار)) هذا أخص مما جاء في حديث عبادة في قوله : ((ادخله الله الجنة على ما كان من العمل)) دخول الجنة قد يأتي ابتداء كما تقدم ، يدخل الجنة من أول وهلة ، يدخل الجنة دون أن يمسه عذاب ، وقد يكون دخول الجنة بعد التمحيص .

أما هنا ففيه الوعد بعدم دخول النار البتة ، ((إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله)) .

فلهذا بين العلماء على أن المراد بهذا الحديث : هو من حقق التوحيد كما سيأتي ....

بكمال الإخلاص ، والتوحيد التام لا يكون معه إصرار على ذنب ، إصرار يعني استمرار ، إصرار معناه استمرار وملازمة للذنب ، هذا لا يكون ، فالتوحيد التام يمنع من الإصرار على شيء من كبائر الذنوب .

فمن قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه ، الإخلاص التام يبتغي بذلك وجه الله ، ومات على هذه الحال ، الموت شرط ، والأعمال بالخواتيم ، فمن مات على هذه الحال ، حرمه الله على النار ، لا يدخل أبدا .

أما من قالها مخلصا ، ثم بعد ذلك طرأت عليه ذنوب وأصر عليها ، ومات كذلك ، فما قارفه من الذنوب ومات مصرا عليه ، دليل على عدم تحقيق التوحيد ، فتحقيق التوحيد يمنع من الإصرار على الذنوب ، وهذا لابد منه جمعا بين أدلة الوعد والوعيد ، لو أخذ هذا ، لو أخذ مثل هذا الحديث على ظاهره الذي يتبادر لبعض الناس ممن لا بصيرة له ، ولا علم له بنصوص الوعد والوعيد ، يأخذ هذا على أنه إذا قال : لا إله إلا الله واستمر على لا إله إلا الله ، خلاص ، هو صادق يقولها صادقا ، ويقولها بشيء من الإخلاص ، لكن ليس هو ذاك ، ليس هو ذاك الإخلاص .

ونقطع بأن هذا الحديث ليس على الظاهر الذي يتوهمه البعض ، وهذا من جنس حديث معاذ المتقدم ، ((حق العباد على الله إلا يعذب من لا يشرك به شيئا)) ، أفلا أبشر الناس ؟، قال : ((لا تبشرهم)) هذا من جنسه ، حديث عتبان هذا هو من جنس حديث معاذ رضي الله عنه ، ((وحق العباد على الله إلا يعذب من لا يشرك به شيئا)) هذا وعد بأن من مات وهو لا يشرك بالله شيئا ، لا يشرك بالله أي شرك ، أكبر أو اصغر ، فهو في أمن من العذاب ((إلا يعذبه)) هذا نفي عام ، ((إلا يعذب من لا يشرك به شيئا)) لأن

....

التوحيد التام كما تقدم يمنع من الإصرار على الذنوب ، يمحو الله به الذنوب ، فمن مات وهو لا يشرك ، حديث معاذ وهذا الحديث ، كله مقيد بالموت على ذلك ، إنما الأعمال بالخواتيم ، ((إلا يعذب من لا يشرك به شيئا)).

وهكذا أيضا بجمع أطراف الموضوع ، حديث أنس في آخر الباب عندكم ، حديث قدسي ، يقول الصنف : وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه النبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) ، لا تشرك نفي للشرك الأكبر والأصغر كله ، فالتوحيد التام وسلامة القلب من الشرك كله ، يوجب مغفرة الذنوب ، يوجب مغفرة جميع الذنوب ، ((لأتيتك بقرابها مغفرة)) فمن عصم من الشرك الأكبر كان ذلك أمانا له من الخلود في النار .

من قال : لا إله إلا الله وكان توحيده مخلصا له من الشرك الأكبر فقط ، فذلك يأمن به ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن** ﴾ يأمن به من ماذا ؟ من الخلود في النار ، أما من خلص بتوحيده من الشرك كله ، الشرك الأكبر والصغر ، فذلك يأمن به من دخول النار ، وهذا هو الذي حرمه الله على النار .

أقرءوا هذا المعنى الذي أنا عبرت عنه ، أقرءوه لشيخ الإسلام ابن تيميه فيما نقله الشيخ عبد الرحمن بن حسن في شرح هذا البلب ، في الكلام على حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه .

نقول : أنه لابد من هذا جمعا بين الأدلة ، فالنجاة من العذاب مطلقا إنما تكون للقلب السليم السالم ، كما يقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ولا تخذني يوم يبعثون**

....

يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا القلب السليم ، أن يجعل قلوبنا سليمة من الشرك كله ، وسيأتي مزيد إيضاح في الباب الثالث ، وهو باب (من حقق التوحيد دخل الجنة من غير حساب ولا عذاب) .

الحديث الثالث من هذا الباب ،أعني باب(فضل التوحيد وما يكفر من للذنوب) حديث (أبي سعيد الخضري رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ((قال موسى : يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به ، قال قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا ، قال : يا موسى ، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله)) رواه ابن حبان ، والحاكم وصححه) جماعة من أهل العلم وضعفه بعضهم ، ولكن التحقيق أنه حسن بشواهده فقد ورد كما في (فتح المزيد) ورد معناه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، كما عند الإمام أحمد رحمه الله في (المسند) .

فالحديث حسن بشواهده ، ومعناه من الأحاديث الصحيحة المتقدمة ، ما ذكر منها وما لم يذكر ، حديث عبادة ، معناه أنه يدل على فضل كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر : ((أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)) .

هذه الكلمة هي أفضل كلمات الذكر ، الكلمات الأربع التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : ((لئن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله ،

والله أكبر أحب علي مما طلعت عليه شمس)) ، وفي الحديث الآخر ((أفضل
....

الكلام بعد القرآن أربع كلمات)) ــ وهن من القرآن لأن القرآن يتضمنها ــ ((سبحان الله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله ، الله أكبر)) .

ففي هذا الحديث أعني حديث أبي سعيد فيه أن موسى عليه السلام سئل ربه ، (قال : يا رب علمني شيئا أذكرك) أثني عليك به ، وأسألك به ، (قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله) فهي ذكر ودعاء ، ذكر فيه الثناء على الله بتوحيده ، فإن قول العبد : لا إله إلا الله يتضمن الإقرار بأنه تعالى الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ، ويتضمن الثناء على الله بذلك ، يثني على الله ، المسلم قد أقر بمضمون هذه الكلمة ، فعندما نقولها في مختلف المناسبات ، نقولها لا إحداث من الإقرار ، الإقرار حاصل من المسلم ، بل نعبد الله بذكره ، ونثني عليه بذكره بوحدينيته ، نثني عليه بالتوحيد ، لا إله إلا الله ، وفي نفس الوقت فيها توسل إلى الله ، وإلى مثوبته بهذه الكلمة ، انظروا إلى يونس عليه السلام ، لما صار إلى بطن الحوت وفالتقمه الحوت وهو مليم ، الآية ، ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين** ﴾ .

هذه الكلمة هي ذكر ودعاء ، ولهذا جميع العبادات تدخل في دعاء العبادة ؛ لأن الدعاء نوعان : دعاء مسألة ، ودعاء عبادة .

(قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا) يعني كل عبادك المؤمنين ، الموحدين ، ليس كل الناس يقول : لا إله إلا الله ،

أكثر الناس يكفر بالله ويشرك بالله ، ويعبد مع الله غيره ولا يقول : لا إله إلا الله ، لكن المراد (كل عبادك) من ؟ المؤمنين يقول : لا إله إلا الله .
(كل عبادك يقولون هذا) فعلم أن موسى أراد أن يكرمه الله ، وأن يخصه
....

بذكر ودعاء يفضل به ويسبق به غيره ، وهذا من طلب الكمال ، والله تعالى يختص بفضله من يشاء .
فالخلق ليسوا عل مرتبة واحدة في العلم بالله ، وبأسمائه ، وبصفاته ، وأكرم الخلق وأعلم الخلق بالله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك يقول : ((لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)) .
قال الله تعالى لموسى : ((لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري)) يعني ومن فيهن ، من الملائكة ، ومن فيهن ، ((والأرضين السبع في كفة))، وقوله : ((غيري)) الله تعالى في السماء ، في السماء لكن في العلو فوق جميع المخلوقات ، فوق العرش ، كما أخبر عن نفسه سبحانه وتعالى ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ فالعرش هو أعلى المخلوقات ، والله فوق العرش ، ويعلم ما العباد عاملون ، فالله في السماء ، ولكن بالمعنى اللائق به ، ليس معنى ذلك أنه في داخل في السماء ، وأن شيء من السماء تقله أو تظله ، لا له العلو المطلق ((لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة)) يعني في إحدى كفتي الميزان ، ((ولا إله إلا الله في كفة)) في الكفة الأخرى ، ((مالت بهن لا إله إلا الله)) .
إذًا هذه الكلمة عظيمة المعنى ، عظيمة الوزن ، فالأعمال توزن ، والأعمال متفاوتة في الثقل والخفة ، ((كلمتن خفيفتان على اللسان ، حبيبتان إلى الرحمن

، ثقيلتان في الميزان ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)) ، فالأعمال توزن ، وأعظم الكلمات كلمة التوحيد ، لو وضعت في كفة ، وهذه العوالم في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله .

وهنا وقفة ، أما كلمة التوحيد بحد ذاتها ، فهي باعتبار ما تدل عليه ،هي أعظم

....

من جميع المخلوقات بلا ريب ؛ لأنها تدل على وحدانيته تعالى وتفرده بالإلهية ، وهذا ما شهد الله به ، لنفسه ، وشهدت به ملائكته وأولوا العلم في قوله سبحانه : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط** ﴾ فهذه شهادة ، أعظم شهادة من أعظم شاهد وأجل شاهد بأعظم مشهود به ، فهذه الكلمة في حد ذاتها أعظم من هذه العوالم ، فلو وضعت هذه الكلمة بما تدل عليه من المعنى العظيم ، لرجحت بهذه العوالم قطعا .

لكن باعتبار صدورها من العاملين ، يتكلم بها المنافق ، يتكلم بها المؤمن ، ضعيف الإيمان ضعيف التوحيد ، يتكلم بها أهل الإيمان التام ، يتكلم بها الأنبياء والمرسلون ، هنا يختلف وزنها باعتبار من صدرت عنه ، يختلف وزنها ، هي عمل ، هي من عمل المنافق ، ومن عمل كذا ، ومن عمل ، ومن عمل .

فهي من المنافق ، تزن شيئا ؟ لا تزن شيئا باعتبار صدروها من العامل المنافق ؛ لأنه كاذب فيها ، بل هو معذب ومعاقب بها ؛ لأنه قالها كاذبا ، ﴿ **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ .

وهي من الموحد الضعيف التوحيد الظالم لنفسه المقترف للذنوب ، لها وزن لكنه ترجع به السيئات الكبيرة ، فلهذا يدخل ا لنار من يدخل ممن يقول : لا إله إلا الله .

وتكون من بعض الخلق ، لا تعدلها السماوات والأرض ، تصوروا هذا المعنى فهذا الحديث يدل على عظم هذه الكلمة في ذاتها ، ويدل على عظم شأنها وثقل وزنها ممن صدرت عنه مع كمال التوحيد وكمال الإخلاص .

فيرجع إلى ما تقدم من الكلام في حديث عتبان بن مالك ، وأما حديث أنس

....

فتقدمت الإشارة إلى مضمونه وأن هذه الوعد مشروط من الخلوص من الشرك كله الأكبر والصغر ، ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشر ك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) .

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية [٨٢] التي في سورة (الأنعام) .

الشرح :

الأولى : (سعة فضل الله) هذا مأخوذ من مجموع الأدلة ، ومأخوذ من الآية والأحاديث ، ولا شك أن هذا الفضل العظيم هو من سعة فضله ومن سعة رحمته .

الثانية : (كثرة ثواب التوحيد عند الله) ولكن ثواب التوحيد يتفاضل بتفاضله في القلوب ، حتى إن الأعمال ، سائر الأعمال الصلاة والصيام والزكاة ، تتفاضل بحسب تفاضلها في التوحيد وكمال الإخلاص ، إذا كان الإخلاص شرط في جميع العبادات فإن العاملين تتفاضل أعمالهم بتفاضلهم في الإخلاص

الثالثة : (تكفيره مع ذلك للذنوب) كما في حديث أنس في آخر الباب .
الرابعة : (تفسير الآية [٨٢] في سورة (الأنعام)) تفسير آية الأنعام ، ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ وتقدم ذكر بعض مالا يتعلق بتفسيرها ، ولا سيما بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما اشكلت على الصحابة ، وشق عليهم لما ظهر لهم ، تبادر إلى إفهام ، قال لهم عليه الصلاة والسلام : ((إنه ليس الذي تعنون أو تظنون ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾)) تقدم أن السلامة من الشرك الأكبر يحصل به مطلق الأمن ، ومطلق الاهتداء ، يعني أصل الأمن وأصل الاهتداء

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

الشرح :

الخامسة :(تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة) تأمل الخمس اللواتي ، الشيخ جعلها خمس ، الخمس اللواتي في حديث عبادة بن الصامت :

١ ــ شهادة أن لا إله إلا الله .
٢ ــ شهادة أن محمد رسول الله .
٣ ــ شهادة أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه .
٤ ــ الشهادة بأن الجنة حق .
٥ ــ الشهادة بأن النار هي حق .

هذه هي الخمسة ، هذه أمور عظيمة ، الأولى والثانية هيما أصل دين الإسلام الذي بعث الله به محمد ، والثالثة هي من جملة الإيمان بالرسل ، وخص عيسى بالذكر :

أولا : لأنه آخر الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح ، يقول عليه الصلاة والسلام : ((إن أولى الناس بابن مريم لأنا ، إنه ليس بيني وبينه نبي)) .

ثانيا : لأن عيسى عليه السلام افترقت فيه الطوائف ، بين مفرط ومتفرط ومتوسط ، فاليهود فرطوا في حقه وجفوا وكسروا ؛ لأنهم كذبوه ، والنصارى غلوا وتجاوزوا ، وأهل الحق اتباع محمد عليه الصلاة والسلام توسطوا فيه ، وهذا هو الصراط المستقيم ، الشهادة بأنه عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتمان وما بعده ، تبين لك معنى قول : ((لا إله إلا الله)) وتبين لك خطأ المغرورين .
السابعة : التنبيه للشرط في حديث عتبان .
الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله .

الشرح :

السادسة : يقول : (أنك إذا جمعت بينه) بين حديث عباد ة ، ؛ لأن حديث عبادة فيه ، أن من شهد هذه الشهادة مشتملة على الخمس ((أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) فقد يظن بعض الناس أن مجرد التلفظ بها يكفي ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله إلى آخره ، لكن حديث عتبان

وحديث أنس يبين أنه لا يكفي مجرد التلفظ بها ، بل لابد من مواطة اللسان للقلب ولابد من تحقيق الإخلاص والسلامة من الشرك ، كما تقدم .

(تبين لك معنى قول : ((لا إله إلا الله)) وتبين لك خطأ المغرورين) المغروررون يظنون أنه يكفيهم أنهم يتكلموا بلا إله إلا الله ، لا هذه لابد من الإخلاص فيها ، ولابد من العمل بمقتضاها ، فمن الغرور ومن خدع الشيطان أن يظن الإنسان أنه يكفيه أن يقول : لا إله إلا الله ، ثم بعد ذلك يتبع خطوات الشيطان ، ويتبع هوى النفس الأمارة بالسوء .

السابعة : (التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان) ، ينبغي التنبيه للشرط ، الشيخ كأنه يقول : انتبه للشرط ، (يبتغي بذلك وجه الله) .

الثامنة : (كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله) أخذا من حديث أبي سعيد في قصة موسى ، يعني بعض الأنبياء يحتاج إلى التنبيه ، فموسى في سؤاله لم يعلم بهذا القدر من الفضل لكلمة التوحيد ن فبين الله له ذلك .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسماوات .

الحادية عشر : أن لهن عمارا .

الثانية عشر : إثبات الصفات خلافا للأشعرية .

الشرح :

التاسعة : (التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه) هذا مما سبق التنبيه عليه ، في اثناء الكلام .

العاشرة : (النص على أن الأرضين سبع كالسماوات) في الحديث : ((والأرضين السبع)) ، ففيه النص والتصريح بأن الأرضين سبع كالسماوات وهذا ثابت في القرآن ، ﴿ **الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن** ﴾ ولكن لا يلزم أن تكون مثل السماوات من كل وجه ، لا ، مثلهن في العدد ، لكن السماوات مترامية الرجاء متباعدة ، وكل سماء بينها وبين السماء الأخرى مسافات عظيمة كما جاء في حديث العباس ((بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام)) أما الأرض فما يلزم أن يكون بينها فجوات ، ما يلزم والله أعلم بحقيقة الحال ، لكن يعلم أن ليس أمر الأرضين في إنطابق بعضها على بعض أو تواليها أو الأبعاد التي بينها ، لا يلزم أن تكون مثل السماوات ، بل نعلم قطعا أنها ليست كالسماوات ، وإنما هي مثل السماوات في العدد . ﴿ **ومن الأرض مثلهن** ﴾ ، وفي الحديث هذا ((والأرضين السبع)) ، وفي الحديث الصحيح ((من اقطتتع شبرا من الأرض ظلما طوقه من سبع أرضين)) .

الحادية عشر : (أن لهن عمارا) لهن ، للسماوات والأرض ، أم للسماوات ؟ ظاهر الحديث أنهن للسماوات، ((لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري ، ....

والأرضين السبع)) وعبارة الشيخ : كأنها توهم أن (لهن) أي للسماوات السبع وللأرضين السبع لهن عمارهن ، والظاهر أن الحديث يدل على أن السماوات السبع هي التي لهن عمار ، لهن سكا ن هذا معلوم بنصوص كثيرة ، كما في حديث الإسراء ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام كلما جاء إلى سماء استفتح ، يعن لكل سماء خزان وفيها سكان ، إلى البيت المعمور في

السماء السابعة وما يدخله من الملائكة ، أما الأرضين الشبع فليس في الحديث دلالة على أن لهذه الطبقات سكان ، وإنما السكان على هذه الأرض .
الثانية عشر : (إثبات الصفات خلافا للأشعرية) من فوائد هذا الباب ، إثبات الصفات ، أي صفات ؟ نصوص الباب دلت على جملة من صفات الله ، دلت على إثبات الوجه في حديث عتبان ، وسينبه عليه الشيخ بخصوصه ، وفي حديث أبي سعيد إثبات صفة العلو وأنه تعالى في السماء كما تقدم ، وفي حديث أبي سعيد في قصة موسى ، وفي حديث أنس في إثبات الكلام لله ، أنه تعالى يقول ويتكلم ،((قال : يا موسى لو أن السماوات)) ((قال يا موسى : قل لا إله إلا الله)) . وفي حديث أنس ((يقول الله تعالى : يا ابن آدم)) الحديث ، وفهذه ثلاثة صفات واضحة من الأحاديث . (خلافا للأشعرية) الأشاعرة هم المنسبون إلى أبي الحسن الأشعري ، ومذهبهم أنهم يثبتون سبعة من الصفات على ما في ذلك من إثبات من هنات ومن مخالفات ، وينفون سائر الصفات ، هذا هو المذهب المشهور عند الأشاعرة ، فمن جملة الصفات التي ينفونها الوجه ، ومن جملة الصفات العلو ، ينفون حقيقة العلو ، وأما الكلام فإنهم يثبتونه ولكن لا على الوجه المعقول والمعلوم من دلالة النصوص ،يقول الشيخ (خلافا للأشعرية) الأشعرية نسبة إلى الأشعري ويقال الأشاعرة جمع أشعري
الثالثة عشر : أنك إذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله في حديث عتبان : ((فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله)) أنه ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .
الرابعة عشر : تأمل الجمع بين كوني عيسى ومحمد عبدي الله ورسوله .
الخامسة عشر : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

الشرح :

الثالثة عشر : (أنك إذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله في حديث ....) هذا المعنى تقدم ، يعني حديث أنس وحديث عتبان ، متوافقان في الدلالة ، كلاهما يدل على أن ليس المراد قولها باللسان ، إنما هو الإخلاص وترك الشرك .

الرابعة عشر : (تأمل الجمع) لماذا ؟ ما السر في أن الرسول جمع بين ذكره ، وكذر عيسى ؟ لعله سبق التنبيه على شيء مثل هذا ؛ لأن عيسى افترقت فيه الطوائف ، ونبينا عليه الصلاة والسلام افترقت فيه الأمة ، افترق فيه الناس منهم من كذبه ، ومنهم من لا يلتزم بشريعته ، ومنهم من يغلو فيه ويرفعه إلى منزلة الإلهية ويجعل له بعض خصائص الإلهية .

الخامسة عشر : (معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله) إذا قيل عيسى هو كلمة الله ، هذا حق له خصوصية في هذا ، وتقدم على أن السر في هذا أن خلقه ليس كخلق بني آدم ، بل خلق من أم بلا أب ، ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة قوله : ((على ما كان من العمل)) .

الشرح :

السادسة عشر : (معرفة كونه روحا منه) يعني روح من الأرواح التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، وقوله : ((روح منه)) فهي إضافة ، فيقال عيسى روح من الله ، وعيسى روح الله فيجوز هذا وهذا ، فإضافته إليه ، كما يقال : جبريل روح الله ، كما قال تعالى ﴿ **أرسلنا إليها روحا** ﴾ فهذه الإضافة من إضافة المخلوق إلى خالقه ، والمملوك إلى مالكه ، وفي هذا إضافة التشريف .

السابعة عشر : (معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار) تقدم أن الإيمان بالجنة والنار هو من الإيمان باليوم الآخر .

الثامنة عشر : (معرفة قوله : ((على ما كان من العمل))) تقدم معناه ، تقدم معنى قوله : ((على ما كان من العمل)) ، يعني فيه احتمالان :

الأول ، قيل : معناه أدخله الله الجنة على ما كان من عمله ، من صلاح أو فساد ، أو حسن أو سيئ فمآله إلى دخول الجنة ، فإن كان من المحسنين المتقين دخل الجنة من أول وهلة ، وإن كان من المسيئين فقد يتأخر دخوله الجنة ، لكن مآله إلى دخول الجنة ، ما دام موحدا ، فإما أن يدخلها من أول وهلة أو يدخلها بعد التمحيص .

والمعنى الثاني ، قيل أدخله الله الجنة وأنزله منها بحسب عمله ، وذلك باعتبار الدرجات .

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .

الشرح :

التاسعة عشر : (أن الميزان له كفتان) ، الميزان الذي توزن به العمال له كفتان ، والله أعلم بكيفية هذا الميزان وصفته ، لكن هذا مما يثبت ، وزن الأعمال ، والميزان ، وإنه ميزان توزن به الأعمال ، لكن ما كيفية هذا الميزان ؟ وكيف توزن به الأعمال ؟ هذا من الغيب الذي ليس لنا أن نتكلم فيه ولا نخوض فيه ؛ لأننا لا علم لنا به .

العشرون : (معرفة ذكر الوجه) إثبات الوجه ، يعني من فوائد هذا الباب إثبات الوجه لله ، وإثبات الوجه لله معلوم بنصوص القرآن ، كما قال تعالى : **﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾** إلى غير ذلك من الآيات ، فإثبات الوجه لله معلوم بالكتاب وبالسنة المتواترة .

نكتفي بهذا القدر ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

٣ ـ باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى : ﴿إن إبراهيم كان أمة لله حنيفا ولم يكن من المشركين ﴾ (١) ، وقال : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ (٢) ، وعن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير ، فقال : أبيكم رأى الكوكب الذي اقض البارحة ؟ فقلت : أنا ، ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ، ولكني لدغت ، قال : فماذا صنعت ؟ قلت : ارتقيت ، قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حديثكم ؟ ، قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة ، قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر على الأفق الآخر فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)) ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله شيئا ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :((ما الذي تخوضون فيه))

---

(١) النحل الآية [١٢٠] .
(٢) المؤمنون الآية [٥٩] .

فأخبره ، فقال : ((هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)) فقام عكاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : ((أنت منهم)) ، ثم قام رجل فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : ((سبقك بها عكاشة)) .

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه .

هذا هو الباب الثالث ، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله : (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) ، وهذه الترجمة مناسبة لما قبلها ، ومفسرة لما قبلها ، فإنه إذا علم حكم التوحيد وأنه أوجب الواجبات ، وأنه أصل دين الرسل ، وعلم ما له من الفضل ، فيحسن بعد ذلك أن يعلم أن التوحيد ليس على مرتبة واحدة ، وأن الموحدين ليسوا على مرتبة واحدة ، كما سبق التنبيه عليه . بين الناس الموحدين تفاضل لا يعلمه إلا الله .

فمنهم المحقق للتوحيد ، والمحققون للتوحيد أيضا هم متفاضلون ، الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، والكمل من المؤمنين ، كلهم من أهل تحقيق التوحيد ، وبعضهم أفضل من بعض ، فأكمل الناس توحيدا الأنبياء والمرسلون ، وأكملهم أولو العزم ، وأكملهم الخليلان محمد وإبراهيم عليهما وعلى سائر النبيين الصلاة والسلام ، وأكملهم توحيدا وإيمانا ، أكملهم سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وتحقيق التوحيد ، قال فيه أهل العلم معناه تخليص التوحيد وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر من البدع والمعاصي ، يعني تخليصه مما يناقض أصله ،

الشرك الأكبر يناقض أصل التوحيد ، أو يناقض كماله الواجب ، كالبدع

....

والمعاصي وكذلك الشرك الأصغر ، الشرك الأصغر والبدع والمعاصي تنافي كمال التوحيد الواجب ، فتحقيق التوحيد إذًا تخليصه مما ينافيه مطلقا ، مما ينافي أصله أو ينافي كماله الواجب . تخليصه من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والمعاصي . هذا معنى تحقيق التوحيد .

وليس كل موحد يقول لا إله إلا الله يكون محققا للتوحيد ، فإن الموحدين ثلاثة أصناف : منهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات .

فالظالم لنفسه توحيده ناقص ، والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم من أهل تحقيق التوحيد ولكن السابق بالخيرات أو السابقين بالخيرات أكمل توحيدا ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير** ﴾ .

يقول الشيخ ، رحمه الله : (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) أي ولا عذاب . إذًا من نجا من الحساب نجا من العذاب . أما من يحاسب ويناقش فلا بد أن يعذب ، كما في الحديث الصحيح : ((من نوقش الحساب عذب)) .

ثم ذكر الشيخ الدليل على هذه الترجمة ، هذه تحتاج إلى دليل ، يعني قول الشيخ (من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب) هذا يحتاج إلى دليل ، ولهذا أتبع الترجمة بذكر الأدلة ، وهذا منهج الشيخ رحمه الله . كل ما يذكر من القضايا يتبعها بذكر الأدلة ، فذكر آيتين وحديثا .

أما الآياتان : فقوله تعالى في إبراهيم : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين** ﴾ إبراهيم الخليل ، خليل الله ، قال تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلا** ﴾ .

....

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خليل الله أيضا ، كما أخبر صلى الله عليه وسلم : ((إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا)) ، إبراهيم عليه السلام هو أفضل الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، هو أبو الأنبياء ، فالأنبياء كلهم من بعده ، جميع الأنبياء من بعده هم من ذريته .

كما قال تعالى : ﴿ **وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب** ﴾ ، ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ هذا فيه ثناء من الله على إبراهيم ، أثنى عليه بأربع صفات : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ يعني قدوة وإماما في الخير . ﴿ **قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين** ﴾ .

وقد كان إماما وسأل ربه ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جعلك للناس إماما** ﴾ يعني جعل الله إبراهيم إماما لما ابتلاه بالكلمات وبالتكاليف ، فأتم كلمات الله التي ابتلي بها جعله الله إماما ، إماما يقتدى به ، حتى قال لنا الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بينا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تأمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء** ﴾ الآيات .

وقال بعض المفسرين : معنى أمة أنه كان وحده على الإيمان .

ومن كان وحده على الإيمان فهو بمثابة الأمة ، ولو كان وحده ، المستقيم على الحق لو لم يكن في الأرض إلا واحد ، وهو مؤمن بالله ، ومستقيم على هدى الله فهو أمة ، ولو كان وحده ، فليس العبرة كما سيأتي ، ليس العبرة بالكم والكثرة ، لا ، الكثرة لا وزن لها ، العبرة بالحق ولزوم الحق ، فمن كان على

....

الحق فهو الأمة وهو الجماعة .

﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله** ﴾ ، القنوت هو دوام الطاعة ، الدوام ، ولذلك سمي طول القيام قنوتا كما في قوله تعالى : ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾ ، قال تعالى : ﴿ **أمن هو قانتا أناء الليل سجدا وقائما** ﴾ القنوت فيه دوام ن ومن صفات أهل الإيمان القنوت ، ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات** ﴾ وشأن القانت أنه مثابر على وظائف ، على الوظائف الدينية والأعمال الشرعية ، ليس مثل من يقوم ويقعد ، يفعل العبادة ثم يفتر ويتهاون ، لا بل هو دائم ، مواصل ، مثل الذي يواصل السير لا يتوقف ، ما في توقف ، وهذا أدل ما يكون على الصدق ، الصدق في الإيمان والصدق في الرغبة ، فالانقطاع عن العمل الصالح دليل الضعف والفتور .

﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله** ﴾ ، قانت لله ، وهذا هو سر الكمال أن تكون العبادة لله ، وهذه المثابرة والمواصلة في السير لله .

﴿ **قانتا لله حنيفا** ﴾ حنيفا يعني مائل عن الباطل على الحق ، عن الشرك إلى التوحيد ، عن المعاصي إلى الطاعات ، حنيف ، وقد قال الله لنبيه : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم** ﴾ في نفس السورة ، بعدها بآية أو آيتين ، ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا** ﴾ ، فالحنيفية هي ملة إبراهيم ،

وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وهي أن تعبد الله مخلصا له الدين ، هذه هي الحنيفية ، والرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول في الحديث المشهور : ((بعثت بالحنيفية السمحاء)) .

قال : ﴿ **ولم يكن من المشركين** ﴾ فهو بريء من المشركين خالص منهم ، قد خلص من المشركين ، بترك الشرك كله وبا لبراءة من المشركين وشركهم ،

....

كما قال الله تعالى : ﴿ **وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه أنني براء مما تعبدون** ﴾ براء ، أعلنها ، تبرأ من كل معبود سوى الله ن وهذا معنى لا إله إلا الله ، فلم يكن من المشركين بوجه من الوجوه ، وهذا هو الدليل على تحقيق التوحيد ، فتحقيق التوحيد بالخلوص من الشرك كله .

وبهذا يظهر وجه الاستدلال والاستشهاد بهذه الآية ، فالشاهد منها قوله : ﴿ **ولم يكن من المشركين** ﴾ ، ولهذا ذكر الآية الثانية في صفة أولياء الله ، ﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون** ﴾ أثنى عليهم بالخشية والإشفاق ،﴿ إن **الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون** ﴾ ، أثنى عليهم بالخشية والإشفاق والإيمان بآيته ، ثم وصفهم بترك الشرك ، ﴿ **والذين هم بربهم لا يشركون** ﴾ **يقول العلماء : أن** النفي الفعل هو بمثابة النكرة بعد الفعل . والنكرة بعد الفعل تعم ، فمعناها أنهم لا يشركون شيئا من الشرك ، لا يشركون بالله ، بل هم موحدون كل التوحيد ، قد خلصوا من الشرك الأكبر والأصغر ، من هذا الوجه استدلال الشيخ بالآية على تحقيق التوحيد .

فتحقيق التوحيد يكون بالخلوص من الشرك الأكبر والأصغر ، ومعلوم أن الإصرار على المعاصي والبدع لابد أن يقترن بشيء من الشرك ، فالخلوص من الشرك كله يستلزم عدم الإصرار على شيء من المعاصي ، كما تقدم ، هذا ما يتعلق بالآيتين .

أما الحديث فهو حديث ابن عباس ، ولكن الشيخ ذكر سبب رواية حديث ابن عباس ، رواية سعيد ابن جبير ، الراوي لحديث ابن عباس هو سعيد بن جبير التابعي المشهور ، المفسر الذي اخذ عن بن عباس كثير من علمه .

....

يقول الشيخ : (عن حصين بن عبد الرحمن) ، هذا من تابعي التابعين ، (عن حصين بن عبد الرحمن ، قال : كنت عند سعيد بن جبير) هذا تلميذ إذًا تلميذ تلميذ بن عباس .

(فقال : إيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟) البارحة يعني الليلة الماضية ، انقض يعني رمي به معروف ، هذا شيء يشاهد بالعيان ، انقضاض الكواكب عندما يرمى بها ، وكأن سعيد ، كأن هذا الكوكب قد صار له ظهور وصار أنه غير عادي ، كأنه يلتفت الأنظار ، (فقال : إيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟) ، وألا لو كان كسائر ما يرمى به الكواكب لم يكن هناك موجب للسؤال ، لكن لعله كان حدثا نادرا .

(فقال حصين ، قلت : أ،ا) أنا رأيته ، ولكن خشي أن يظن أنه كان يصلي ، وفي هذا كما سيأتي في مسائل فيه دلالة على ورع السلف ، وبعدهم عن التمدح بما ليس فيهم ، الله أكبر ، (فقال : أما أني لم أكن في صلاة) لا يظن أحد أني قمت أصلى ، ما كنت أصلي ، (ولكني لدغت) كنت مستيقظ بسبب

ما حصل لي من اللدغة ، لسع بعض ذوات السموم من عقرب أو شيء من هذا القبيل ، (ولكني لدغت) ، قال له سعيد ، تحول السؤال عن الكوكب إلى موضوع آخر قال له سعيد : (فما صنعت ؟) لما لدغت ماذا صنعت .

(قال : قلت ارتقيت) ، وفي لفظ (أسترقيت) يعني التمست م ن يرقيني ، يقرا علي بعض التعاويذ الشرعية .

(قال : فما حملك على ذلك ؟) يعني ما الدليل على هذا الصنيع ، وفي هذا دلالة على عناية السلف بالدليل ، وهذا هو الواجب على المسلم ، أن يهتم بمعرفة الدليل ، ويسير طالب العلم الذي يحسن فهم الأدلة ، وإذا عرف بالدليل

....

عرفه ورجع إليه ، فإذا أستفتى عالم فينبغي أن يسأله عن الدليل ، فإما أن يذكر له دليل أو يذكر له توجيها إذا لم يكن هناك نص في المسائلة .

(قال : قلت حديث) حملني على ذلك ، (حديث حدثناه الشعبي) .

(عن بريدة بن الحصيب أنه قال :) والحديث مرفوع ، ولكن هنا جاء سياقه موقوفا ، (عن بريدة بن الحصيب الإسلمي أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة) هذا حديث مرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، (لا رقية إلا من عين) يعني من الإصابة بالعين ، أو (حمة) ، يعني لا رقية إلا مما كان أثر عن عين أو حمة .

(من عين) والعين المراد بها عين الحاسد ، والمرض الذي ينشأ عنها ، والمرض الذي ينشأ عنها يقال هذه عين ، فلان أصابته عين ، يعني عين حاسد ، العيان الذي يصيب الناس بعينه ، والعين حق ، وهي بقدر الله ، لا يخرج شيء عن قدر الله .

(أو حمة) والحمة هي السم .
ففي الحديث دلالة على جواز ، بل إن الرقية أنفع ما تكون مما يكون بسبب العين ، وبسبب ذوات السموم كالعقرب وغيرهما من ذوات الحمة ، (لا رقية إلا من عين أو حمة) ، يقول : فأنا عملت بهذا الحديث .
فقال له سعيد : (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) ، فصوبه أنه لم يكن تصرفه من رأيه المجرد ، بل أخذا بالدليل .
(ولكن) جاء بعدها ولكن ، هناك دلل يخالف هذا الحديث ، وذكر حديث ابن عباس الذي سمعتموه وهو بين أيديكم ، والحديث متفق عليه في (الصحيحين) (ولكن حدثنا ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ....

قال : ((عرضت علي الأمم))) عرضت على النبي الأمم ، يعني الأنبياء وأتباعهم فقط ، كأنه قال : عرض علي المؤمنون من الأمم أو أمم المؤمنين ؛ لأنه لم يذكر عرض الناس كلهم ، يعني أمم الأنبياء مؤمنهم وكافرهم ، لا إنما عرض عليه الأنبياء ، ومن آمن معهم ، ومتى كان هذا العرض ؟ قد روي أن هذا كان ليلة الإسراء ، روي هذا ولكن فيما يرى أنه لم يثبت فإن ثبت وجب التسليم .
فالحديث مجمل يحتمل أن يكون العرض ليلة الإسراء ويحتمل أن يكون العرض في منام ((عرضت عليَّ الأمم)) هذا تفصيل بعد إجمال ((فرأيت النبي)) هذا يقتضي عليه أنه عرض عليه جميع الأنبياء مع من آمن من أممهم ((فرأيت النبي ومعه الرهط)) الرهط : قليل من الناس جماعة دون العشرة ،

((والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد)) في هذا دلالة على قلة الأتباع .

نوح عليه السلام أمضى ألف سنة إلا خمسين عاما وهو يدعو قومه ، بنص القرآن ألف إلا خمسين عاما ، والنتيجة : وما آمن معه إلا قليل .

يقول في الحديث : ((ثم رفع لي سواد عظيم)) السواد : هو الشخص الذي لا يتحقق الإنسان من رؤيته من بعد ، سواد عظيم : يدل على الكثرة .

يقول : ((فظننت أنهم أمتي)) يعني مثلوا له ؛ لأن أمته حتى الآن لم توجد ولم تتكامل محمد عليه الصلاة والسلام ، لا يتكامل أتباع محمد ، لا يتكامل أعدادهم إلا عند قيام الساعة ، أجيال . ((فقيل لي هذا موسى وقومه)) هذا دلالة على فضل موسى وكثرة أتباعه فموسى هو أكثر الأنبياء أتباعا بعد محمد صلى الله عليه وسلم . قال : ((ثم نظرت فإذا سواد آخر عظيم فقيل لي هذه ....

أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)) . الله أكبر هنا الشاهد من الحديث : أمة محمد المؤمنون به صلى الله عليه الصلاة والسلام معهم سبعون ألف ، هؤلاء يتميزون بأنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كل هؤلاء الذين عرضوا على محمد صلى الله عليه وسلم كلهم سيدخلون الجنة بكثرتهم . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه يقول : ((أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة))

يقول : ثم نظر النبي عليه الصلاة والسلام فدخل المنزل ، ولله الحكمة البالغة ، فخاض الناس اهتموا بهذا الأمر ، من هؤلاء السبعون ؟ نعم من هذا الذي يهمل هذا الفضل العظيم ؟ من الذي لا ينشده وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ؟

قال بعضهم : لعلهم الذين صحبوا الرسول عليه الصلاة والسلام . نعم وصحب الرسول أهل للفضل هم خير هذه الأمة ، وقال بعضهم : لعلهم الذين ولدوا في الإسلام . هذه فضيلة أن يولد الإنسان في الإسلام وينشأ على الإسلام وعلى التوحيد ، فضيلة لكن ليس ذلك بلازم ، يعني لا يلزم من كون الإنسان ولد في الإسلام وعاش على الإسلام ومات على الإسلام أن يكون أفضل ممن كان على الشرك والكفر ثم أسلم ، ما يلزم ، الصحابة رضي الله عنهم السادة الفضلاء كانوا على دين قومهم ، كانوا مشركين ، أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، هؤلاء الكبار وغيرهم كانوا على دين قومهم فاستجابوا لدعوة الحق فتبوءوا المنازل العالية فكانوا أفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم .

وذكروا أشياء أخرى فخرج عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قالوا ، فقال : ((هم الذين لا يسترقون)) يعني لا يطلبون الرقية ، لا يطلبون ....

من أحد أن يرقيهم ، يعني تعال اقرأ عليَّ جائز هذا لكن هذا خلاف الأمر ((لا يسترقون)) ، والذي فعله حصين فيما يظهر أنه استرقى كما يظهر في اللفظ الآخر ، طلب من غيره ، ولهذا ذكر له سعيد بن الجبير هذا الحديث الذي يدل على خلاف صنيعه ، على خلاف ما صنعه حصين قال هناك شئ أفضل ، لو تركت الاسترقاء لو رقيت نفسك ، وقد روي هذا الحديث ــ أعني حديثنا هذا ــ أنهم الذين لا يرقون ، ولكن هذا اللفظ مضعف عند أهل الحديث وأن الصواب في الرواية أنهم لا يسترقون ولا يكتوون ، لا يكتوون من العلة والكي

ورد فيه أحاديث كثيرة ورد فيه النهي ورد فيه هذا الحديث ، ورد أن الكي أحد الثلاثة التي يكون فيها الشفاء : شربة عسل وكية نار .

المقصود أن الكي من أنواع العلاج والاسترقاء نوع من العلاج ولكن من الأمور التي تركها أفضل وهي جائزة ، لا إثم على من استرقى ولا على من اكتوا ولكن ترك ذلك أفضل . قال : ((ولا يتطيرون)) التطير : هو التشاؤم بما يشاهد من الطيور والحيوانات ، كما هي عادة أهل الجاهلية ، وهذا محرم ، التطير محرم لما سيأتي في باب ما جاء في التطير ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((لا عدوى ولا طيرة)) وقال : (والطيرة شرك)) .

لكن الاسترقاء والكي والتطير كلها اجتمعت في التعلق إما بأسباب موهومة أو بأسباب مرجوحة ، يعني تركها أفضل ، وأما التطير فهو التعلق بسبب وهمي لا حقيقة له ، وبترك ذلك يكون تحقيق التوكل .

((وعلى ربهم يتوكلون)) وليس المقصود أن التوكل لا يتحقق إلا بترك الأسباب ، لا . فعل الأسباب المشروعة التي لا كراهة فيها ليست محرمة ولا مكروهة ، الأخذ بالأسباب من غير اعتماد عليها لا ينافي التوكل ، ولا يناقض

....

التوكل ممارسة الأسباب .

إذًا التداوي لا بأس أن يتداوى الإنسان ، يشرب الدواء يتعاطى الأسباب المناسبة ، يتقي البرد بالملابس ، هذا لا ينافي التوكل أبدا .

فالأخذ بالأسباب المشروعة التي لا كراهة فيها ولا تحريم فيها لا ينافي التوكل ولا ينقص من منزلة العبد أبدا ، ((وعلى ربهم يتوكلون)) ولكن يظن بعض الناس أنه إذا ترك الاسترقاء أو ترك الكي أو شئ من هذا القبيل يصير من

السبعين ألف ، هذا يقول فيه أهل العلم : إن هذا فيه التنبيه بالأدنى على الأعلى ، إذا كانوا يتركون ما لا بأس به فما ظنك بالأمور العظيمة ، أترى من يترك الاسترقاء أو الكي يقدم على المحرمات ؟ يفرط في الواجبات ؟ هذا عنوان ، هذا فيه تنبيه بالأدنى على الأعلى .

إذًا هذا التعبير يصور لنا أنهم أعظم ما يكونون محافظة على الواجبات والفرائض والفضائل ، وأشد ما يكونون ابتعادا عن المحرمات والمكروهات والمشتبهات ، لكن هذا لا يمنع أنك أيضا تأخذ بصفاتهم بنصيب لكن لا تكن مغرورا تظن أنك إذا شاركتهم في هذه الجزئية تكون منهم ، لكن لا يمنع أن تشارك وأن تتشبه وأن تأخذ من كل فضيلة ما تيسر لك ، خذ لكن احذر أن تغتر .

((وعلى ربهم يتوكلون)) من كمال تحقيق التوحيد أنهم تركوا التعلق بالأسباب ، أو تركوا الأسباب المرجوحة ، أتراهم يعتمدون على الأسباب التي يمارسونها يعتمدون عليها ؟ لا ، هم أبعد ما يكونون عن الاعتماد على الأسباب ، أبعد ما يكونون عن الشرك الأصغر بأنواعه ، عن المعاصي عن الإصرار عليها .

....

((وعلى ربهم يتوكلون)) اعتماد تام على الله لا تتعلق قلوبهم إلا به سبحانه خوفا ورجاءً وحبا وإخباتا وتوكلا عليه واعتمادا عليه في جميع المطالب في تحصيل ما يطلبون ، ويحبون وفي دفع ما يكرهون يتوكلون توكل .

التوكل : هو صدق اعتماد القلب على الله في جميع المطالب طلبا أو دفعا .

((وعلى ربهم يتوكلون)) فقام عكّاشة بن محصن رضي الله عنه ــ سبحان الله همة عالية بسرعة بادر ــ يا رسول الله ادعوا الله أن يجعلني منهم ، فقال هنا في هذه الرواية ((أنت منهم)) في بعض الألفاظ ((اللهم فاجعله منهم)) فاز بلك الصحابي الجليل في فضيلة عظيمة ، عكاشة .

ومن أمارات هذا الفضل أنه قتل رضي الله عنه في بعض حروب الردة في قتال المسلمين لطليحة الأسدي عندما ادعى النبوة ، فقاتل رضي الله عنه أهل الردة وقتل في تلك الحروب ، وهذا مصداق خبر النبي صلى الله عليه وسلم ((أنت منهم)) فاز بها ، فقام آخر فقال : ادعو الله أن يجعلني منهم ، فقال : ((سبقك بها عكاشة)) هذا فيه تصريف ، صرفه بدل أن يقول له لا لست منهم ، وبدل أن يقول له أنت منهم والله أعلم ، قد لا يكون من هذا الشأن ، ليس مؤهلا لهذه المنزلة ، وربما هذا طريق ينفتح لو قال أنت منهم يقوم ثالث ، فالرسول سد الباب بقوله : ((سبقك بها عكاشة)) والصحابة أدباء بعد هذا الكلام أتظن أن يقوم آخر ، يقوم آخر ويقول ادعو الله أن يجعلني منهم وقد قال للرجل يبقك بها عكاشة ؟ لا .

ولا يفوتني أيضا فيما يتعلق بقوله ((معهم سبعون ألفا)) ورد في بعض روايات الحديث في غير الصحيحين ــ يعني فيما أظن أنه مع كل ألف ، هذه فيها إشارة تفتح الأمل ــ ((مع كل ألف سبعون ألفا)) ما أدري لو شفتوه في الشرح ممكن اقرؤوا ((مع كل ألف سبعون ألف)) كم الحساب ؟

[وروى الإمام أحمد والبيهقي في حديث أبي هرية رضي الله عنه ((فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفا)) قال الحافظ وسنده جيد]

الحمد لله هذه هي البشارة : سبعين ألف ، سووا لها عملية حسابية سبعين ألف ومع كل ألف سبعين ألف .

سبعين ألف في واحد وسبعين ، اضربوا :

٧٠٠٠٠ × ٧١ = ٥٠٦٠٠٠٠

وبسرعة يمكن أن يكونوا خمس مليون وستين ألفا . ❁

لعلنا انهينا من الباب ولكن تبقى مسائل ، وعلى كل حال إذا كان في رغبة وتوجه أن نقطع كثيرا لكن ما يمكن ، المهم نمشي بقدر ما يتيسر لنا والله المستعان ، هذا خير إن شاء الله . والسلام عليكم .

وبما أن الليلة القادمة ستكون الإجابة على الأسئلة لعلنا نؤجل أسئلة هذه الليلة إلى الليلة القادمة .

❁ وقد استدرك فضيلة الشيخ هذه العملية الحسابية السابقة في رده على بعض الأسئلة في اليوم الثاني بقوله : والضرب الذي ذكرناه البارحة كان فيه خطأ عندي ، كان الرقم الصحيح أربعة ملايين وتسعمائة ألف وسبعون ألف ، ما هو صح عندكم كده ، إي أربع أنا قلت البارحة خمس ملايين وستين والصحيح الآن أربع ملايين وتسعمائة ألف وسبعين ألف .

٧٠٠٠٠ × ٧١ = ٤٩٧٠٠٠٠

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه :

وفيه مسائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الشرح :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ، هذه المسائل المتعلقة بالباب الثالث (باب حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) :

المسألة الأولى : يعني الفائدة المستنبطة من هذا الباب تفاضل الناس في التوحيد ، الناس ليسوا في التوحيد على مرتبة واحدة كما تقدم ، فمنهم المحقق للتوحيد ومنهم من ليس كذلك ، وكل من الصنفين أيضا كل منهما متفاضل ، فأهل التحقيق ، أهل تحقيق التوحيد متفاضلون فبعضهم أكمل تحقيقا للتوحيد من بعض ، مراتب لا يعلم تفاوتها إلا الله .

وكذلك الصنف الآخر من لم يحقق التوحيد همم متفاوتون في نقص توحيدهم وفيما قصروا فيه مما ينقص كمال التوحيد الواجب .

الفائدة الثانية : يقول الشيخ (ما معنى تحقيق التوحيد) هذا فيه تنبيه ولفت نظر على طالب العلم وعلى المسلم إذا سمع أن كمال التوحيد بتحقيقه لا بد أن يسأل ما تحقيق التوحيد ؟ سبق ذكره أنه تخليص التوحيد مما ينافي أصله أو ينافي كماله الواجب .

إذًا تحقيقه تخليص التوحيد من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والمعاصي فتحقيق التوحيد يكون بذلك .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين .
الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الشرح :

هاتان فائدتان من فوائد هذا الباب :

ما جاء في الآية الأولى التي أثنى الله فيها على إبراهيم ، ومما أثنى الله على إبراهيم أنه لم يك من المشركين ، ففي هذا دلالة على بعده من الشرك ، لم يكن منهم في شئ وهذا يتضمن سلامته من الشرك كله وبراءته من الشرك وأهله ﴿ **ولم يك من المشركين** ﴾ وهذا يتضمن تحقيق التوحيد ، لا يستحق هذه البراءة إلا من حقق التوحيد وإبراهيم هو إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي أمر الله نبينه باتباع ملة إبراهيم ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين** ﴾ .

وكذلك في الآية الأخرى من سورة المؤمنون ، قال الله تعالى في ثنائه على الكمل من المؤمنين (على سادات الأولياء) أثنى عليهم بسلامتهم من الشرك ﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون** ﴾ فأثنى عليهم بالسلامة من الشرك كله ، وهذا وصف لهم بتحقيق التوحيد فإنه لا يحقق التوحيد إلا من سلم من الشرك كله .

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

الشرح :

هذه الخامسة مأخوذة من حديث ابن عباس في صفة السبعين ألف ، يقول عليه الصلاة والسلام : ((هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)) . يقول الشيخ : من فوائد هذا الحديث : (أن ترك الرقية والكي من ذلك) ، يعني ترك الرقية والكي من طرق العلاج أنها من تحقيق التوحيد ؛ لأن ذلك من كمال التوكل . من كمال التوكل ترك الأسباب المفضولة والمرجوحة .

وتعبير الشيخ في قوله : (ترك الرقية) ينبغي أن نفهمها على أن المراد ترك الاسترقاء ، يعني ترك الرقية من الغير ؛ لأ ن الحديث فيه ترك الاسترقاء لا ترك الرقية ، فلا ينافي كمال التوكل أن يرقي الإنسان نفسه أو أن يقبل الرقية من غيره دون طلب ، فالرسول صلى الله عليه وسلم رَقَى ورُقِي ، كان يرقي نفسه ، وكانت عائشة أم المؤمنين كذلك ترقيه في يديه ، وجبريل رقاه ، فهو رقى ورقي لكنه لم يسترقي .

إذًا قول الشيخ : (قول الرقية) يعني قول الاسترقاء ، هكذا يبدو لي .

تقدم أن الاسترقاء جائز لكن تركه أولى ، كذلك الكي مباح لكن تركه أكمل .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

الشرح :

السادسة : لأنه قال عليه الصلاة والسلام في آخرها : ((وعلى ربهم يتوكلون)) فالجامع لذلك هو التوكل ، هو صدق الاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه سبحانه وتعالى .

السابعة : هذا مستفاد من أن الصحابة لما أخبرهم الرسول بالسبعين الألف وما لهم من الفضل أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . خاضوا في السبب الذي نالوا به ذلك الفضل ، فهذا يدل على عمق علم الصحابة بأنهم لم ينالوا هذه المنزلة إلا بعمل بسبب مشروع سبب شرعي ، فثواب الدنيا والآخرة مرتب على الأسباب ، ومرد ذلك كله فضله سبحانه وتعالى ، فالله يؤتي فضله من يشاء ، فخاضوا فقالوا : (لعلهم الذين صحبوا رسول الله) ، الصحبة من أعظم الأسباب في تبوء المنازل العالية ، (لعلهم الذين ولدوا في الإسلام) لا شك أن النشأة على الدين وعلى الإسلام وعلى العبادة أنها من أعظم الأسباب كذلك ، من أعظم أسباب السعادة والفوز العظيم .

الثامنة : (حرصهم على الخير) لأنهم لما سمعوا بهذا الفضل اهتموا به ، خاضوا فيه لرجاء أن يكونوا من أولئك .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الشرح :

التاسعة : فضيلة ، الحديث ، حديث بن عباس قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : ((ثم رفع لي سواد عظيم)) ، سواد يعني جمع عظيم ، ولكنه لا يعرف أشخاص ولا يحصي عددهم ، ((فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)) ، فالشيخ يقول : (في هذا الحديث دلالة على فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية) فالمؤمنون من هذه الأمة المتبعون لنبيها أكثر من غيرهم من اتباع الأنبياء ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تابعا ، فهذه الكمية والكيفية ؛ لأن فيهم أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ففي هذا فضل هذه الأ مة على غيرها من الأمم ، في العدد وفي الصفة ، في الكمية والكيفية .

العاشرة : يقول : (فضيلة أصحاب موسى) ، وذلك بكثرتهم ؛ لأنه قال : ((ثم رأيت سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي : هذا موسى وقومه)) ، فدل ذلك على فضل موسى بكثرة التباع ، وفضيلة لأصحاب موسى بكثرتهم ، ففضلوا سائر الأمم بكثرة المؤمنين منهم ؛ لأن الذين عروا على الرسول صلى الله عليه وسلم هم الأنبياء ومن أمن معهم ، إذًا الذين عرضوا على الرسول من قوم موسى هم الذين اتبعوه ، آمنوا به واتبعوا ن وفي هذا فضيلة لموسى ولأصحاب موسى .

الحادية عشر ة : عرض الأمم عليه ، عليه الصلاة والسلام .
الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .
الثالثة عشر : قلة من استجاب لأنبياء .

الشرح :

الحادية عشر : هذه من فوائد هذه الباب ، (عرض الأمم عليه) صلى الله عليه وسلم ، هذه فائدة من العلم ، يجب أن نؤمن بهذا الخبر الصادق ، أن نؤمن بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، عرضت عليه الأمم ، كيف شاء الله ، عرضت عليه في الإسراء أو عرضت عليه مناما ورؤيا الأنبياء حق ، المهم أنها عرضت عليه ورآهم النبي عليه الصلاة والسلام ، وقل ما أخبر به من ذلك فهو حق على حقيقته ، وفي هذا العرض فوا ئد سيأتي ذكر بعضها ، وفي هذا فضيلة لنبينا صلة الله عليه وسلم حيث تعرض عليه الأمم ، فاطلع على أحوال أولئك الأنبياء وعلى نسب أتباعهم .

الثانية عشر : (أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها) ، كل نبي ، (يقول : ((فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ...))) إلى آخر الحديث فكل نبي يحشر مع من آمن به ، فكل نبي يحشر مه أمته أو مع أصحابه وحدهم .

الثالثة عشر : (قلة من استجاب لأنبياء) ، (كل أمة تحشر مع نبيها وحدها) يقول الشيخ في المسالة السابقة ، ومن الفوائد ، فوائد هذا الحديث ، وه ذا العرض قلة اتباع الأنبياء ، نعم إنهم قليل ، النبي معه الرجل والرجلان ، معه الرهط ، الرهط الجماعة دون العشرة ، والنبي وليس معه أحد ، تقدمت

الإشارة إلى ما أخبر الله به عن من آمن مع نوح ، مع طول مكثه في الدعوة ، يقول الله : ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾ .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد في القلة .

السادسة عشرة : (الرخصة في الرقية من العين والحمة) .

الشرح :

الرابعة عشر : (أن من لم يجبه أحد يأتي وحده) يوم القيامة .

الخامسة عشرة : (ثمرة هذا العلم) علمنا بقلة أتباع الأنبياء ، وكثرة الهالكين ، وكثرة المكذبين لهم ، هذا العلم ثمرة ، علمنا بقلة اتباع الأنبياء ، وقلة من استجاب لدعوتهم ، وكثرة من رد دعوتهم واعرض عنها ، هذا العلم له ثمرة ، وهو (عدم الاغترار في الكثرة ، وعدم الزهد في القلة) ، فلا يزهدن في الحق قلة أهله ، ولا تغتر بالباطل لكثرة أهله ، وهذه لفته عظيمة مهمة ، يجب أن تكون على بال المسلم في سيره في هذه الحياة ، أن لا يعتمد في الحكم على الأشياء بأنها حق أو باطل بقلة الاتباع ، أو كثرة الاتباع ، لا على العبد أن يئول على الدليل ، على معرفة ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا يهون من الحق قلة المتمسكين به ، ويشهد لهذا عبارة بعض السلف يقول : لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين ، كثيرا من الناس الآن ، كثير من الناس يذهب ضحية هذا التصرف الخاطئ يبر ر الباطل بكثرة المتبعين ، كل الناس هكذا يفعلون ، ويستدل بأن هذا الفعل وهذا القول صواب وأنه حلال وأنه لا شيء فيه ، كل الناس يفعلون ، ويستدل على حل

الشيء وعلى صلاحه وعلى أنه لا بأس به بكثرة المتلبسين به والعاملين به ، وينفر عن الحق لقلة من يقوم بهذا الشيء ويعمل به ويعتقده ، والله قد أماط هذه الشبهة وفندها ببيان أن أكثر الناس ضالون عن الهدى ، ﴿ **وإن تطع أكثر**

....

من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يأمنون** ﴾ ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ فأحذر أن تكون مع الكثرة الضالة ، فالكثرة لا يستدل بها على حق ولا على باطل ، والقلة كذلك ، يعني يلاحظ ذلك، المهم أن هذه ليست مقياسا ، لا بقلة ولا بكثرة ، المعول في معرفة الحق من الباطل هو الدليل من كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ثم بعد ذلك كثر القائل بذلك أو قلوا .

السادسة عشرة : (الرخصة في الرقية من العين والحمة) ، الرخصة ، يعني الرقية لا بأس بها ، من العين والحمة ، والرقية لا بأس بها من كل الأدواء والعلل ، ولكن أنفع ما تكون الرقية من الإصابة بـالعين والإصابة بالحمة ، اللدغة من ذوات السموم ، فهذا الحصر ليس حصرا لحكم الجواز ، بل هو حصر لمدى الفائدة ، والله أعلم ، يعني أنفع ما تكون الرقية من العين والحمة ، وإن كانت الرقية جائزة في غير ذلك .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .
الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه .
التاسعة عشرة : قوله : ((أنت منهم)) علم من أعلام النبوة .
العشرون : فضيلة عكاشة .
الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .
الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

الشرح :

السابعة عشرة : (عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني) .
هذا كلام سعيد بن الجبير رحمه الله ، وكلامه يدل على كمال علم السلف ؛ لأنه أثنى على حصين بن عبد الرحمن لما عول على الدليل فيما فعل ، فأثنى عليه وحمده (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) وبين أن هناك دليل يدل على منزلة أعلى وأكمل وهي ترك الاسترقاء ، ولا منافاة بين الحديثين ، بين قوله : ((لا رقية إلا من عين أو حمة)) وبين قوله : ((لا يسترقون)) فالحديث الأول لا ينافي الثاني أو الثاني لا ينافي الأول ، لا تعارض بينهما . فالحديث

الأول يدل على جواز الرقية وعلى جواز الاسترقاء ، جائزة الرقية ، لكن الحديث الثاني يدل على أن ترك الاسترقاء أفضل وأكمل في التوكل .

الثامنة عشرة : أخذا من قول الحصين بن عبد الرحمن (أما إني لم أكن في صلاة) .

التاسعة عشرة : لأن هذا من الإخبار بالغيب ، الرسول أخبر أن عكاشة منهم ((أنت منهم)) فهذا علم من أعلام النبوة . وأعلام نبوة نبينا كثيرة جدا ، ومن ....

أنواعها الإخبار عن المغيبات ، وقد وقع الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم فعكاشة ــ كما تقدمت الإشارة ــ قتل في بعض حروب الردة ، وذلك عنوان على حسن خاتمة رضي الله عنه ، ففي هذا مصداقا لما أخبر به عليه الصلاة والسلام .

الحادي والعشرون : (استعمال المعاريض) لأن الرسول لم يواجه الرجل ويقول له لست منهم إذا قدر أنه ليس من أهل هذه المنزلة ، ولم يفتح الباب حتى يؤدي إلى تسلسل هذا الطلب ، فاستعمل الكلام الذي فيه تصريف بطرقة التعريض لا بطريقة التصريح ((سبقك بها عكاشة)) ولم يقل أنت لست منهم، أو قال كفى هذا أو لا أدعو لأحد بعد عكاشة ، أو ما أشبه ذلك . بل قال : ((سبقك بها عكاشة)) فاكتفى الرجل تأدب ، ولم يقم بعد ذلك أحد تأدبوا ؛ لأن الرسول سد الباب .

الثانية والعشرون : هذا مأخوذ من نفس هذا الموقف حيث لم يواجه الرجل بنفي أن يكون منهم ، ولم يواجهه أيضا بالامتناع عن الدعاء له .

٤ ـ باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) وقال الخليل عليه السلام : ﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ (٢)
وفي الحديث : ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) فسئل عنه فقال : ((الرياء)) .
وعن بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار)) رواه البخاري .
ولمسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار)) .

الشرح :

هذا الباب الرابع ، يقول الشيخ رحمه الله : (باب الخوف من الشرك) .
باب وجوب الخوف من الشرك ، والخوف إنما يكون من الأمر الذي يخشى منه ، وهذا الباب مناسب لما قبله كل المناسبة ، فإن الخوف من الشرك هو من مقومات تحقيق التوحيد فمن تحقيق التوحيد الخوف من الشرك ، فإن أعظم الناس تحقيقا للتوحيد أخوف ما يكونون من الشرك .

(١) النساء الآية [٤٨] والآية [١١٦]
(٢) إبراهيم الآية [٣٥]

....

انظروا إلى خليل الله إبراهيم فمع أنه نبي معصوم وإمام رفع الله قدره وأكرمه بالخله ، مع ذلك يجد أن الشرك خطر فيلجأ إلى ربه يسأله أن يعصمه ويحفظه فيدعو ويقول : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾ ، جمادات لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ، ولكن قد عبدها المشركون الذين فسدت عقولهم وفطرهم ، فإبراهيم يجد أنه في ضرورة إلى عصمة ربه فيلجأ إليه ويقول : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾ ويؤيد هذا الدعاء بأن الذين ضلوا بهذه الأصنام كثير من الناس ﴿ **ربي إنهن أضللن كثيرا من الناس** ﴾ هذا يخيف .

الواقع أن الشعور بكثرة الهالكين وكثرة الضالين وكثرة من ضل بالأصنام يوجب للعاقل أن يخاف على نفسه ولا يعتمد ولا يتكل على ما عند ه من إيمان وما عنده من علم وما عنده من ذكاء وما عنده من عمل أبدا ، هؤلاء المشركون عندهم عقول لكنهم لا يعقلون بها ، عميت بصائرهم ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وآذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ وفي الآية الأخرى : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها** ﴾ .

مما يدل على وجوب الخوف من الشرك قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ فخص سبحانه وتعالى الشرك بعدم الغفران ، بنفي الغفران ، الشرك لا يغفر أن يشرك به ، ووعد بالغفران وعدا معلقا على المشيئة ما دون الشرك ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ولا ريب أن ذنبا هذه ذنبه وهذا حكمه لجدير بالحذر منه والخوف منه ، ذنب لا ترجى لصاحبه المغفرة ، هل هذا على الإطلاق ؟ الشرك لا يغفر ؟ لا في قيد ، إلا

بالتوبة ، لا ترجى له المغفرة إلا بالتوبة منه ، وما دون الشر ك ترجى له

....

المغفرة ولو من غير توبة لكن ذلك منوطا بالمشيئة .

إذًا هذه الآية في حق من ؟ في حق غير التائب ، هذه الآية ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ في حق من لم يتب ، وقوله : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ كذلك ، أما من تاب فإن الله يتوب عليه من أي ذنب الكفر والشرك وما دون الشرك ، فمن تاب تاب الله عليه كما قال سبحانه : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا** ﴾ .

وبهذا يتبين ، يحصل الجمع الآيتين ، ففي آية النساء خص بعدم المغفرة الشرك وقيد الغفران لما دون الشرك بالمشيئة ، خص وقيد ، وفي آية الزمر عم وأطلق ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا** ﴾ كلها عموم الشرك وغير الشرك بإطلاق دون تقييد بالمشيئة . إذًا آية النساء في حق من لم يتب ، في حق غير التائب ، وآية الزمر في حق من تاب .

والمراد بالشرك في الآية الأولى : الأظهر أن المراد الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ ، والشرك الأكبر يختص بثلاث خصائص :

١. أنه لا يُغفر ، كما في هذه الآية .

٢. أنه يحبط جميع الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ .

٣. الخاصية الثالثة أنه موجب للخلود في النار ، من مات على الشرك الأكبر

....

لم يتب منه فهو خالد مخلد في النار .

فهذه خصائص أو أحكام الشرك الأكبر ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ وهذا كله يوجب الخوف الشديد من الشرك ، يجب أن يخاف الإنسان على نفسه من جميع الذنوب لكن على المسلم أن يخاف وأن يحذر من جميع الذنوب لكن يجب أن يكون خوفه وحذره من الشرك الذي هو أظلم الظلم وأعظم الذنوب وأقبح القبائح ، ولا غرو لأنه اتخاذ ند لله وعدل لله .

فالمشرك قد عدل مع الله غيره ، كما قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ وشبه به غير فشبه المخلوق الناقص العاجز المربوب المدبر بالرب العظيم المالك لكل شئ ، وهذا أقبح ما يكون شرعا وعقلا ، تشبيه الناقص من كل وجه بالكامل من كل وجه ، تشبيه العبد المربوب المملوك بالرب المالك المدبر العظيم الذي له الملك كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله .

ومن الدليل على وجوب الخوف من الشرك ما أخبر الله به عن إبراهيم ــ كما سبقت الإشارة إلى هذا ــ وقال تعالى : عن خليل الله إبراهيم : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ربي إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه**

مني ﴾ . وكلما كان الإنسان أعلم بالله وأبصر بالله بدين الله كان أخوف من مساخط الله وأسباب عذابه .

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك ثلاثة أحاديث بعد الآيتين ، الحديث الأول الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره ، من رواية محمود بن لبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) فسئل عنه فقال : ((الرياء)) . ففيه التصريح بالخوف من النبي صلى الله عليه وسلم على

....

أمته من ذلك الشرك ، خاف على أمته الشرك الأصغر مما يدل على عظيم خطر الشرك وأنه لا يؤمن على المسلم وإن كان صالحا من ال صالحين . الرسول يخاطب أصحابه ويقول ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) وإذا كان الشرك الأصغر مخوفا فما الظن بالشرك الأكبر ؟ لا شك أنه أخطر . فالواجب على المسلم أن يخاف على نفسه من الشرك كله ، الشرك الأكبر والأصغر ، وأن يكون خوفه من الشرك الأكبر أعظم . ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) وفي الحديث دلالة على أن الشرك منه الأكبر ومنه الأصغر .

فالشرك الأكبر : هو عبادة غير الله مع الله ، فمن عبد مع الله غيره فقد أشرك بالله ، فصرف نوع من أنواع العبادة لغير الله شرك به ، من الدعاء أو الخوف أو الرجاء أو الذبح أو النذر ، فمن صرف منها سيئا لغير الله فقد أشرك الشرك الأكبر .

والشرك الأصغر : أنواع منه الرياء ــ كما في هذا الحديث ــ ومنه الحلف بغير الله ومنه قول الرجل : ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ولولا الله وفلان ، وما أشبه ذلك ، فهذه أنواع الشرك الأصغر .

وأما الشرك الخفي : فهو من الشرك الأصغر لكنه يسمى خفي لخفاء حكمه أو لكونه في ذاته خفيا ، لكونه أمرا (....) كالرياء ، فالرياء هو شرك أصغر وهو في نفس الوقت خفي لأنه ليس عملا ، بخلاف الحلف بغير الله شرك ظاهر بين ، يعني لأنه قول وكلام يسمع ، وقد يكون خفيا من حيث خفاء حكمه على كثير من الناس ، فإنه يخفى على كثير من الناس أن قول الرجل : لولا الله وأنت أو ما شاء الله وشئت أنه شرك .

....

فالشرك الخفي هو داخل في الشرك الأصغر وإن كان أكثر ما يطلق الشر ك الخفي على ما هو من الشرك الأصغر كيسير الرياء وكقول الرجل : لولا الله وأنت أو ما شاء الله وشئت .

فأما الشرك الأصغر فليس حكمه حكم الشرك الأكبر في الخاصية الثانية والثالثة في إحباط جميع الأعمال ، فالشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال لكنه يحبط العمل الذي قارنه ، فمن تصدق رياء أو صلى رياء فعمله حابط ؛ لأنه عمله لغير الله أو عمل عملا أشرك مع الله فيه غيره ، ولكن الحلف بغير الله لا يحبط صلاة الإنسان لأنه لا تعلق لشركه هذا بعمله المعين من صلاة أو صدقة . وأما الشرك الأكبر فإنه يحبط جميع الأعمال ، فالله لا يقبل عملا من مشرك ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ وليس الشرك الأصغر موجبا للخلود في النار .

فيجب الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر في هذين المعنيين وفي هاتين الخاصيتين كما تقدم . أما كونه لا يغفر فهذا محل تأمل وتدبر ، وبعض أهل العلم يقول : أن الشرك الأصغر لا يغفر لكنه قد تسقط المجازاة به والمجازاة عليه برجحان الحسنات العظيمة التي ترجح به ، ويحتمل أن يكون داخلا في عموم ﴿ **ويغفر لما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ وهذا عندي أظهر ، والله أعلم .

فإن الشرك إذا أطلق في القرآن في مثل هذ ه المواضع فإنه يتعلق بالشرك الأكبر ، ينصرف ، والمشركون ، إذا ذكر المشركين في قوله ﴿ **ولا تنكحوا المشركات** ﴾ ﴿**ولا تنكحوا المشركين** ﴾ ﴿ **قاتلوا المشركين** ﴾ كل هذه تنصرف المراد بها أهل الشرك الأكبر ، وهكذا قوله : ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة** ﴾ . المراد الشرك الأكبر .هذا والله أعلم

....

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :

فنواصل الكلام على أدلة الخوف من الشرك ، كما ذكوها الشيخ رحمه الله :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار)) في هذا الحديث دلالة على أن من مات على هذه الحال فلا بد له من دخول النار ، لا يقال إنه تحت المشيئة ، فهو متوعد بدخول النار ، وقد تقدم الإخبار من الله بأنه لا يغفر أن يشرك به ، واتخاذ الند مع الله : يعني عبادة غيره معه .

((من مات وهو يدعو لله ندا)) يدعو من دون الله ندا ، يعني جعل لله ندا أي مثلا وشبيها ، والكفء والند والسمي والمثل ألفاظ متقاربة ، والله تعالى لا ند

له ولا كفء له ولا سمي له ، فمن عبد مع الله غيره فقد اتخذ له ندا وقد دعا من دونه ندا والله تعالى قد أمرر بعبادته ونهى أن يجعل له ند من دونه ، كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من ا لسماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾ .

فأمر في أول الآية بعبادته تعالى وذكر الأدلة على استحقاقه للعبادة ثم نهى عن جعل الأنداد له ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾ .

الظاهر أن المراد بهذا الحديث الشرك الأكبر ، والشرك الأكبر قد نفى الله عنه الغفران ، وهو موجب لدخول النار ، بل والخلود في النار ، فقوله : ((من مات وهو يدعو لله ندا)) ، أيضا فيه دلالة على أن هذا الوعيد مرتب على الموت على الشرك ، أما من أشرك ثم تاب ، ومات على التوحيد ، لا يلحقه

....

هذا الوعيد ، إنما هذا الوعيد إنما يلحق المشرك الذي يموت على الشرك ، كما تقدم ، ((من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار)) ، فدل على حتمية دخول النار ، حتمية دخول النار في حق من مات على الشرك ، الشرك الأكبر ، وأما الشرك الأصغر فلا يستوجب دخول النار ، لا يستلزم دخول النار ، ولا يوجب الخلود فيها ، كما سبق التنبيه على ذلك ، وإن كان قدي سمى من أتى بشيء من الشرك الأصغر ، قد يقال أنه أتخذ من دون الله ندا ، يستشهد بذلك من قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، قال : ((أجعلتني لله ندا ، بل ما شاء الله وحده)) ، أجعلتني لله ندا وذلك بمسوية مشيئتي بمشيئة الله ، ما شاء الله وشئت ، والواجب أن يقول : ما شاء

الله ثم شئت ، والأفضل من هذا أن يقول : ما شاء الله ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

فنفي الغفران عن المشرك الذي مات على الشرك ن دل عليه القرآن في مواضع ، وأما أنه موجب للخلود في النار أيضا قد دل عليه القرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها** ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ **فمن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ .

وهكذا الحديث الآخر ، حديث جابر في الباب ، يقول الشيخ : (ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة))) يحتمل أن يراد بهذا نفي الشرك الأكبر، ((لا يشرك بالله شيئا)) ، يعني الشرك المطلق ، الشرك الأكبر ، فمن لقي الله لا يشرك هذا الشرك دخل الجنة ، ولو في المآل ، كما تقدم في حديث عبادة

....

((أدخله الله الجنة ع لى ما كان من العمل)) ، ويحتمل أن يراد بذلك نفي الشرك مطلقا ، فيدل على دخوله الجنة من أول وهلة ، ((فمن لقي الله لا يشرك بالله شيئا)) مطلقا ، شيء من الشرك ((دخل الجنة)) يعني دخل الجنة من أول وهلة ، وهذا يشبه قوله في حديث أنس في آخر الباب فضل التوحيد ((يا ابن لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) فكلام الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر بعضه بعضا ، وكلام الله وكلام رسوله يفسر بعضه بعضا .

(وقوله : ((ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار))) ، وهذا هو الشاهد ، الشاهد من هذ ا الحديث هو الجملة الثانية ، الشيخ أورده للاستدلال به على الخوف من الشرك ، ففي هذا وعيد لمن مات على الشرك ، ((من لقيه يشرك به دخل النار)) والأظهر أن هذا في الشرك الأكبر ، من لقي الله وهو يشرك به شرك أكبر دخل النار ، فيكون من جنس ((من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار)) تماما .

دخول خلود ، من لقي الله وهو يشرك به شيئا ، الشرك الأكبر دخل النار ولابد دخول خلود لأدلة الدالة على تخليد المشركين في النار ، وإن تضمن الشرك الكبر ، ففيه وعيد لمن لقي الله وهو يشرك به شركا ، فإنه متوعد بدخول النار ، حتى ولو كان شرك أ صغر ، ولكن الشرك الصغر كما تقدم بيانه لا يوجب الخلود في النار ، ولا يقتضي حتمية الدخول في النار ؛ لأنه كما سبق ترجيح أنه داخل في عموم ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ، حتى على رأي شيخ الإسلام ، وأن الشرك الأصغر يدخل في عموم نفي الغفران ، لكنه يقول : (أنه قد ينجو صاحبه من العذاب برجحان الحسنات) ، وهذا مآله إلى الغفران ....

فالشرك الأصغر لا يقتضي تحتم دخول النار ن ولهذا أقول : أن قوله : ((من لقيه يشرك به شيئا))) أما الشرك الأكبر فهذا على إطلاقه ، موجب لدخول النار والخلود فيها ، ولا ترجى له المغفرة ، حتى إن المشرك لا يدعى له بالمغفرة ، لا يدعى للمشرك ، ﴿ **ما كان للنبي والذين معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ وهذا يؤكد ما سبق من وجوب الخوف من الشرك ، فالذنب هذا شأن ، الشرك

ولا سيما الأكبر ، وإلا فجميع الشرك بل فجميع الذنوب يجب الخوف منها ، يجب الحذر من جميع الذنوب ، ولكن كلما كان الذنب أعظم وجب أن يكون الحذر منه أكثر ، والخوف منه أعظم .
إذًا أحق الذنوب بالخوف منه ، الشرك الأكبر ، الذي هو أعظم الظلم ، وأقبح القبائح ، وأعظم الذنوب ، فهو أحق بالخوف ، وهكذا الشرك الأصغر ، الرسول خاف وقال : ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) ، بل الذنوب كلها لا يصح أن يستسهل شيء منها ، بل على المسلم أن يكون حذرا من الذنوب ، حذرا لأنها من أسباب الهلاك ، ك ما يخاف الإنسان أسباب العلل والأمراض والآفات ، يخاف منها بطبعه فعليه أن يخاف من هذه الذنوب ؛ لأنها أخطر من علل الأبدان .
نسأل الله سبحانه وتعالى ، أن يجنبنا معاصيه ، وأن يعصمنا من الشرك كله ، الأصغر منه والأكبر .

وفيه مسائل :
الأولى : الخوف من الشرك .
الثانية : أن الرياء من الشرك .
الثالثة : أنه من الشرك الصغر .
الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الشرح :

المسالة الأولى : هذه محور الباب ومدار هذا الموضوع (الخوف من الشرك) يعني وجوب الخوف من الشرك .
الثانية : (أن الرياء من الشرك) بنص الحديث ، فسئل عنه فقال :((الرياء)).
الثالثة : (أنه من الشرك الصغر) ، والمقصود يسير الرياء ، قال أهل العلم يسير الرياء أما رياء المنافقين فهو الكفر البواح ، رياء المنافقين الذين يراءون في اصل الإيمان يظهرون الإيمان رياء ، ويراءون بالفرائض ، يؤدون الصلوات رياء ، يصلون الفرائض ، إذا كانوا مع الناس صلوا ، إذا غابوا لم يصلوا ، هذا رياء كفر يراءون الناس ﴿ **ولا يذكرون الله إلا قليلا** ﴾ لكن يسير الرياء هذا يكون من المسلم الموحد في بعض العمال ، في بعض التطوعات .
الرابعة : (أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين) أن الشرك الأصغر الذي هو الرياء أخوف ما يخاف منه على الصالحين ، الرجل وإن كان صالحا فإنه لا يأمن أن يدخل عليه الشيطان من هذا الباب ، وما أكثر ما يدخل الشيطان من هذا الباب ، الرياء ، شرك خفي كما تقدم ، شرك خفي ويتسرب إلى القلب فيحتاج المسلم إلى أن يدافعه ، وعليه أن يس ال ربه ويضرع غليه أن يعصمه من الرياء من الشرك كله ، ويستعيذ بالله من الشيطان وإذا عرض له وخطر بقلبه عليه أن يدافعه .
الخامسة : قرب الجنة والنار .
السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد .
السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شريئا دخل النار ولو كان من اعبد الناس .

الشرح :

الخامسة : (قرب الجنة والنار) ، يقول الشيخ من فوائد هذا الباب (قرب الجنة والنار) أخذا من حديث جابر : ((من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار)) .

السادسة : (الجمع بين قربهما في حديث واحد) ، الجنة والنار هما العظيمتان هما دار الجزاء ، هذه دار الطائعين ، وهذه دار العاصين ، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين ذكرهما في هذا الحديث ، وكثيرا ما يجمع الله في كتابه بين ذكر الجنة والنار في آية واحدة أو في آيات ، ترغيبا وترهيبا .

السابعة : (أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة) ، كما سبق تفصيله ، السلامة من الشرك الأكبر موجب للخروج من النار والدخول الجنة ، وأما النجاة من الشرك كله الأصغر والأكبر فإنه مقتضي لدخول الجنة دون عذاب ، يقول الشيخ : (ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من اعبد الناس) من مات على الشرك ، فلابد له من دخول النار والخلود فيها ولو كان عابد في الدنيا ، يعبد الله كثيرا ، لكنه يشرك به شيئا ويعبد مع الله غيره ، فعبادته لله غير معتد بها ولا معتبر بها ن بل وليست عبادة كما سبق في الكلام عن قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد .

الثامنة : المسالة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية من عبادة الأصنام .

التاسعة : اعتبار بحال الأكثر ، لقوله : ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ﴾ [١] .

---

(١) إبراهيم الآية [٣٦] .

الشرح :

الثامنة : (المسالة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية من عبادة الأصنام) هذه فائدة عظيمة وهي مسألة عظيمة أن الخليل إبراهيم إمام الحنفاء يخاف من عبادة الأصنام ، بدليل أنه يدعو ربه ، يقول : ﴿ **واجنبني** ﴾ . لولا خوفه لولا أنه يخاف على نفسه وعلى بنيه من الشرك ما كان منه هذا ا لتوجه ، هذا ينبئ عن خوف ، لو كان يشعر بأمن مطلق لما احتاج أن يقول : واجنبني وبني أن نعبد الأصنام .

فهذا يدل على عظم خطر الشرك حتى خافه إمام الحنفاء على نفسه وبنيه فتوجه إلى الله داعيا بقوله : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنلم** ﴾ .

التاسعة : كثرة الهالكين وكثرة الضالين هذه من دواعي الخوف ، إذا رأيت كثرة الهالكين فإنه يجب عليك أن تخشى على نفسك ولا تأمن ، فبدل أن تغتر بالكثرة وتنساق مع الباطل ، بدل ذلك كن حذرا ولتكن كثرة الهالكين باعثة على الخوف من أسباب الهلاك والضلال . يقول الشيخ : (اعتباره بالكثرة في قوله : ﴿ **ربي إنهن أضللن كثيرا من اللناس** ﴾) .

العاشرة : فيه تفسير ((لا إله إلا الله)) كما ذكره البخاري .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

الشرح :

العاشرة : (فيه تفسير لا إله إلا الله) كأن هذه مستفادة من حديث بن مسعود الذي رواه البخاري ((من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار)) فهذا

يتضمن أن لا إله إلا الله معناها ترك الشرك به سبحانه وإفراده بالعبادة فلا يجعل له ندا ، هذا معنى لا إله إلا الله .

فمعنى لا إله إلا الله إفراد الله بالعبادة وألا يكون له ند في عبادته . ففي حديث ابن مسعود تفسير لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) .

الحادية عشرة : (فضيلة من سلم من الشرك) مستفادة من الجملة الأولى في حديث جابر ((من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة)) فضيلة من سلم من الشرك ، ولا شك من سلم من الشرك الأكبر فقد أنعم الله عليه نعمة وجعله من أهل الأمن والهدى ، كما تقدم في قوله تعالى ﴿ **والذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن** ﴾ ومن سلم من الشرك كله فهذا قد أتم الله عليه النعمة وجعله من أهل الأمن التام والاهتداء التام .

٥ ــ باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أد عو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (١)
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له : ((إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ــ وفي رواية إلى أن يوحدوا الله ــ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)) . أخرجاه .

الشرح :

هذا هو الباب الخامس : (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) ، وهو مناسب كل المناسبة لما قبله ، وترتيب هذه الأبواب يدل على فقه الشيخ رحمه الله ، فذكر أولا الأدلة على وجوب التوحيد وعظم منزلته من الدين ، ثم ذكر الأدلة على فضله وعظيم ثوابه ، ثم ذكر في الباب الثالث ما يدل على تفاضل أهله ، وفي الباب الرابع ذكر ما يجب لمن من الله عليه بالتوحيد وتحقيق التوحيد أن يكمل ذلك بالخوف من الشرك الذي هو من أعظم الذنوب وضد

....

---

(١) يوسف الآية : [١٠٨]

التوحيد ، الشرك ضد التوحيد ، ثم ذكر هذا الباب تنبيها على من الله عليه بالتوحيد وأتم عليه هذه النعمة أنه عليه أن يدعو ولا يقصر هذا الخير على نفسه بل من تحقيق التوحيد أن تدعو إلى التوحيد لتنقذ غيرك أيضا ، لتنقذ غيرك من الشرك ، ولينعم غيرك بما أنعم الله به عليك من نعمة التوحيد .
وهذا من الدعوة بعد العلم والعمل ، فإن من علم وعمل فعليه أن يأمر وينهى ويدعو ، فالعلم أولا ثم العمل ثم الدعوة ، بل الدعوة داخلة في العمل ؛ لأن مما شرع الله به وجوبا واستحبابا الدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبهذا ترى مناسبة هذا الباب لما قبله .
(باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله) يعني هذا باب بيان مشروعية الدعاء ، ونقول مشروعية لأن الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله تكون واجبة وتكون مستحبة ، فهي من نوع الواجبات الكفائية ، الدعاء أو ا لدعوة إلى التوحيد وإلى سائر شرائع الإسلام ، الدعوة إلى ذلك واجب وجوبا كفائيا ، والواجب الكفائي أو الفرض الكفائي إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين وكان في حق الآخرين مستحبا ، فالدعوة إلى الله تكون واجبة وتكون مستحبة ، والكلام في حكم الدعوة إلى الله كالكلام في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من الدعوة إلى الله ، وقد أمر الله بالدعاء إلى سبيله ﴿ **أدعو إلى سبيل ربك** ﴾ وسبيل الله هو دينه الذي بعث به رسوله ، وأصل سبيل الله أصله شهادة أن لا إله إلا الله ، أصله التوحيد ، هذا أول الطريق ، أول الواجبات ، أصل الدين ÷و شهادة أن لا إله إلا الله ، ﴿ **أدعو إلى سبيل ربك** ﴾ فهذا أمر يتضمن إلى التوحيد أولا ، ثم الدعوة إلى الصلاة والزكاة ، ثم الدعوة إلى الصوم والحج ، إلى بر الوالدين

....

وصلة الأرحام ، إلى الجهاد في سبيل الله ، كلها دعوة ﴿ **أدعو إلى سبيل ربك** ﴾ لأن هذا كله داخل في سبيل الله ﴿ **أدعو إلى سبيل الله** ﴾ .

وسبيل الله هي سبيل الرسول وهي سبيل المؤمنين ، سبيل الله دينه الذي شرع وبعث به رسوله ، وهو سبيل الله ، ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو على الله على بصيرة** ﴾ ، فالدعوة إلى الله ، والدعوة إلى سبيل الله هي من سبيل الله أيضا ، لا يخفى أن الدعوة إلى سبيل الله هي من سبيل الله ، ﴿ **أدعو إلى سبيل ربك** ﴾ ، وهنا قال : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله** ﴾ ، فمن سبيل الله ، وسبيل الرسول ومن سبيل المؤمنين الدعوة إلى الله .

وقوله : (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) ، يساوي باب الدعاء إلى التوحيد ؛ لأن التوحيد هو معنى لا إله إلا الله ، فلا فرق بين الترجمتين إلا أن التعبير بلا إله إلا الله أكثر موافقة لألفاظ النصوص كحديث ابن ع باس الذي معنا ، وسائر الأحاديث فإن فيها ذكر الشهادة ، ((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله)) ، ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله)) ، ((من شهد أن لا إله إلا الله ..)) ، كلها فالشيخ استعمل اللفظ المطابق للنصوص ، صرح بالكلمة ، كلمة التوحيد ، (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) ثم ذكر الدليل على ذلك ، فذكر آية وحدثين .

أما الآية فقوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ **قل هذه سبيلي** ﴾ ، يأمر الله نبيه أن يقول للناس : هذه سبيلي واضحة بينة ، معلومة قد وضحها .

﴿**أدعو إلى الله** ﴾ ، يعني أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإلى طاعته سبحانه وتعالى ، وإلى الإيمان به ، كل هذا داخل في الدعوة إلى الله ، ﴿ **أدعو**

إلى الله ﴾ ، يعني أدعو إلى الإيمان بالله ، وإلى توحيد الله وعبادته وحده لا

....

شريك له ، وإلى طاعته في أوامره ونواهيه ، ﴿ **أدعو إلى الله** ﴾ ، وفي هذا يقول الشيخ في المسائل كما سيأتي ، في التنبيه على الإخلاص ، (فالداعي إلى الله إنما يريد من الناس أن يعبدوا الله ، وأن يطيعوا الله ، وأن يوحدوا الله ، وأن يؤمنوا به ، لا يريد غير ذلك ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا** ﴾) ، يقول الشيخ في المسائل كما سيأتي في التنبيه على الإخلاص : (فإن كثيرا من الناس وإن دعا إلى الله فإنه يدعوا إلى نفسه) ، يعني رياء وسمعة .

﴿ **قل هذه سبيلي أدعو على الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ أدعو على الله فيها أن من سبيل الله الدعوة إلى الله ، وقيد ذلك بالبصيرة فقال : ﴿ **على بصيرة** ﴾ أي على بينة ، وعلى علم ، وعلى هدى ، على بصيرة بخلاف من يدعو على جهالة ، وقلة علم ، ففيها دلالة على اعتبار العلم في الدعوة إلى الله ، فلا ينبغي أن يأمر الإنسان وينهى ويدعو إلا على علم ، على علم بما يأمر به وبما ينهى عنه ، يعلم أن هذا من الدين ، وأن هذا حلال ، وهذا حرام ،

﴿ **على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ ، يعني أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني على بصيرة ، ففي الآية دلالة على أن الدعوة إلى الله هو من سبيل الرسل وسبيل أتباعهم ، فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم أهل الدعوة إلى الله ، وهم أهل البصيرة ، هم أهل الدعوة وأهل البصيرة .

﴿ **قل هذه سبيلي أدعو على الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾، الدعوة إلى الله لها أساليب ، الدعوة إلى الله تكون بالأمر بما أمر الله به ، بالنهي عما نهى الله عنه ، بذكر ا لأدلة ، من نصوص الكتاب والسنة ، الدعوة إلى الله تكون

بالكتاب والسنة ، وبذكر الآيات الكونية ؛ لأن الله نبه على الأدلة الشرعية ، والأدلة الكونية

....

تكون بالطرق الثلاثة التي ذكر الله في الآية الأخرى ، ﴿ **أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .

﴿ **أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة** ﴾ ، والحكمة من معانيها أصلها وضع الأشياء في مواضعها ، يعني بالطرق المناسبة التي يحصل بها المقصود ، وتوصل إلى الغايات المنشودة ، ومن معاني الحكمة العلم ، فكل ما أنزله الله على نبيه فهو من الحكمة ؛ لهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ذلك مما أوحى إليك ربك** ﴾ بعد أوامر ونواهي سردها في سورة النساء ، ﴿ **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة** ﴾ ، ومن الحكمة ومن معاني الحكمة الفقه في الكتاب والسنة ، ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء** ﴾، ﴿ **ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ﴾ .

﴿**أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ الترغيب والترهيب والأمر والنهي كل هذا من الوعظ الذي يؤثر في القلوب .

المهم أن أبلغ وسائل الدعوة هو القرآن ، هو أبلغ ما يدعا به ﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾ ، التذكير بالقرآن ، يعني بنصوصه وببيان معانيه ، وبذكر الدلائل التي نبه عليها.

﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني** ﴾ ، وفي هذه الجملة وقفة ، في هذه الآية وفي هذه الجملة إعرابان طريقتان في الإعراب ، فقوله تعا لى : ﴿ **أدعو إلى الله** ﴾ ، قيل أن هذه جملة تامة ، ﴿ **أدعو إلى الله** ﴾ ثم قال :

﴿ **على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ ، فيكون على بصيرة جار ومجرور خبر مقدم ، وأنا مبتدأ مؤخر ، ومن اتبعني معطوف عليه ، فيكون الكلام جملتين ، الجملة الأولى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله** ﴾

....

الجملة الثانية : ﴿ **على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ .
والطريقة الثانية ، أن قوله ﴿ **أدعو** ﴾ هذا فعل وفاعل ، فاعل ضمير مستتر ، ﴿ **وعلى بصيرة** ﴾ جار ومجرور متعلق محذوف حال ، يعني ﴿ **أدعو إلى الله** ﴾ حال كوني ﴿ **على بصيرة** ﴾ ، يعني وأنا ﴿ **على بصيرة** ﴾ أدعو إلى الله وأنا على بصيرة ، ﴿ **أنا ومن اتبعني** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ومن اتبعني** ﴾ معطوف على الضمير المستتر في أدعو ، وعلى الوجه الأول ، ومن معطوف على الضمير المنفصل وهو أنا ، فعلى الإعراب الأول يكون الكلا م جملتين ، وعلى الإعراب الثاني يكون الكلام جملة واضحة ، وهذا هو الأنسب وهو الراجح ، فتدل الآية على أن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم أهل الدعوة ، وهم أهل البصيرة ، ﴿ **أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني على بصيرة** ﴾ يكون المعنى أدعو على الله أنا ومن اتبعني على بصيرة .
﴿ **وسبحان الله** ﴾ تنزيه ، سبحان في جميع المواضع تدل على التنزيه ، تنزيها لله ، سبحان الله ، تنزيها لله عن ماذا ؟ عن كل سوء ، وكل عيب ، وكل كذب وشرك ، ﴿ **سبحان الله عما يصفون** ﴾ ، ﴿ **سبحان عما يقول الظالمون علوا كبيرا** ﴾ ، ﴿ **سبحان الله عما يشركون** ﴾ .
ثم قال : ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ ، فيه براءة من المشركين وشركهم ، ومقاطعة للمشركين ، ما أنا منهم في شيء ، أنا بريء منهم ، وهم براء مني ،

فيه براءة فيه معنى ﴿ **إنا براء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم** ﴾ ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ ، والشاهد قوله : ﴿ **أدعو إلى الله** ﴾ فهي تدل على مشروعية الدعوة إلى الله ، بالدعوة إلى دينه إلى عبادته ، إلى طاعته ، إلى الإيمان به وأول ذلك هو الدعوة إلى التوحيد فما كان الرسل كلهم هكذا يبدءون

....

الدعوة ، دعوتهم يفتتحونها ويبدءونها بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فكل نبي يبدأ دعوته بقوله : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ .

ونبيا محمد صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله ، بدأ دعوته بماذا ؟ ، بدأ يقول للناس ، قولوا : لا إله إلا الله ، هذا أول ما بدأ به ، أول ما بدأ يقول للناس : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ قولوا : لا إله إلا الله تضلعوه حتى نفر المشركون ، ﴿ **انطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد** ﴾ ، قبلها : ﴿ **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشي ء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد** ﴾ فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى التوحيد حتى توفاه الله ، ويعلم الناس التوحيد ، ويبين لهم فضل التوحيد .

كما يدل على هذا حديث معاذ ، قاله معاذ بعد ماذا ؟ بعد الهجرة ، بعد إسلام كثير من الناس ، يعلمهم فضل التوحيد ، ولم يزل الرسول يذكر بعظم شأن التوحيد ، وفضل التوحيد .

فالتوحيد هو أول الأمر وأخره ، هو أصل الدين وقوام الدين ، هو قوام العبادات كلها ، فشرط كل عمل وكل عبادة شرطها الإخلاص ، والإخلاص هو مقتضى شهادة : أن لا إله إلا الله .

وبعد الآية ذكر الشيخ الحدثين ، أولها حديث معاذ ، ولعله يأتي الكلام عليه ، ولكن الشاهد ظاهر ، فغن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعث معاذ إلى اليمن داعية ، ومعلم ، وقاضي ، وهذا الحديث يدل على المقصود ، بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن ، وذلك في السنة العاشرة ، فإنه صلى الله عليه وسلم بعث معاذ إلى اليمن ولم يعد معاذ إلا بعد موت النبي صلى الله

....

عليه وسلم ، وبعث غيره بعث أبي موسى وبعث علي ، بعث عدد من الصحابة إلى اليمن د عاة ، ومعلمين ، وقضاة ، ويأخذون من الناس الزكاة ، من أسلم ، ويأخذون الجزية من أهل الذمة ، كل هذا .

ففي حديث معاذ رضي الله عنه هذا ، الذي يرويه ابن عباس ، قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ إلى اليمن ، فقال له : ((إنك تأتي قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة : أن لا إله إلا الله)) يعني فلتكن شهادة أن لا إله إلا الله أول شيء تدعوهم إليه وتطالبهم بالإقرار به ، وفي رواية : ((فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله)) ، ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة : أن لا إله إلا الله)) ففي الحديث دلالة على مشروعية الدعوة إلى التوحيد ، وهو معنى لا إله إلا الله ، وفيه دلالة على البداءة به في الدعوة ، رتب الدعوة هكذا ، فبدأ بالتوحيد ، وثنى بالصلاة ، وثلث بالزكاة ، ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة : أن لا إله إلا الله)) ، فرسم له التدرج في الدعوة ، وفيه كما سيأتي في المسائل البداءة بالأهم فالأهم ، الكافر ما نؤمره بالصلاة ، ولو صلى ما صح ، ولا نؤمره بالصيام ، ولو صام ما صح ، ولا نؤمره بحج ، نؤمره بأن يدخل في الإسلام ، ندعوه إلى شهادة أن لا إله إلا الله ،

ندعوه إلى ترك عبادة ما سوى الله ، ونبين في نفس الد عوة للكفار ، نبين كما سيأتي في الحديث التالي ، نبين أن الإسلام له حقوق ، وفيه واجبات ، وله آداب ، وله حدود ، فنبين لهم محاسن الدين ، لا نقول لهم : قل لا إله إلا الله وكفى ، لا ، نقول : الإسلام هذا هو دين الحق ، الإسلام هو دين الفطرة ، الإسلام فيه الدعوة إلى الفضائل والكمالات ، وهكذا ، ولكن المدخل هو شهادة : أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

....

ما يكفي أن تتخلق يا هذا ببعض أخلاقيات الإسلام ما يحلو لك ، ولا تكون مسلم لو تخلق الكافر بكل خلق فاضل ، صدق وأمانة وإحسان ورحمة ، وتجن القبائح الزنى والربا ، ولو فعل كل الأفاعيل ولم يدخل في الإسلام فكل ذلك لا ينفعه ، لا ينجيه من النار ، لابد من الدخول في الإسلام فشهادة أن لا إله إلا الله هي مفتاح الإسلام ومفتاح دار السلام ، شهادة أن لا إله إلا الله .

ولعله يأتي الكلام عن بقية حديث معاذ ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والهداية ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

....

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه
نواصل الكلام على حديث ابن عباس ، في قصة بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن .
لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن ، داعيا ومعلما وقاضيا أرشده ونبهه ، قال له : ((إنك تأتي قوما من أهل الكتاب)) ، الكتاب المراد بهم اليهود والنصارى ، هذا هو المراد بأهل الكتاب إذا ذكروا في القرآن ، وقد يراد بهم في بعض المواضع خصوص اليهود ، في بعض المواضع يراد بهم خصوص النصارى ، والذي يظهر أن المراد بهم هنا اليهود ؛ لأن اليهود هم الموجدون في اليمن ، لهم وجود قديم .
((إنك تأتي قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة : أن لا إله إلا الله)) ، فأمره بالدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، من أول وهلة ، أمره أن يدعو أولا إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وهذا هو الشاهد من الحديث ، وفي

هذا تظهر مطابقة الحديث للترجمة ، وفي رواية ((إلى أن يوحدوا الله)) ولا منافاة بين الروايتين ، فإن التوحيد هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

قال : ((فإن هم أطاعوك)) يعني إنقادوا لك ، بما دعوتم إليه من التوحيد ن فشهدوا أن لا إله إلا الله ، أي وأن محمد رسول الله ؛ لأنه لا تستقل إحدهما عن الأخرى ، ولا تكفي إحدهما عن الأخرى ، الشهادتين أصل واحد ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله)) هذا هو الأصل الأول الشهادتان ،

((فإن هم أطاعوك بذلك فأعلمهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة)) أعلمهم ، يعني أعلمهم آمرا لهم وداعيا لهم إلى الإيمان بهذه

....

الفريضة والقيام بها ، ((فأعلمهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات)) الصلوات الخمس هذه هي الركن الثاني من أر كان الإسلام ، ومبانيه العظام ، الصلوات الخمس أعظم واجبات الدين بعد التوحيد ، وهي عمود الإسلام ، والله قد جعل الالتزام بالتوحيد ، جعل التوحيد والالتزام بالصلاة والزكاة مناط للكف عن القتال ، كما قال تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلو سبيلهم** ﴾ يعني المشركين ، وقال تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم في الدين** ﴾ .

الصلوات الخمس هي أعظم الواجبات وألزمها لكل مكلف ، لكل مكلف ، الزكاة إنما تجب على بعض الناس على الأغنياء ، أما الصلاة فتجب على كل مسلم مكلف ، يعني عاقل بالغ ، تجب في أوقاتها ، تجب على المسلم في الحضر والسفر ، والصحة والمرض ، والغنى والفقر ، تجب على كلهم ، على

الرجال والنساء ، مدى العمر ، يعني في كل يوم وليلة ، فهي ألزم الواجبات ، وأدوم الواجبات .

قال : ((فإن هم أطاعوك لذلك)) واستجابوا والتزموا الصلاة ((فأعلمهم أن الله أفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)) وهذه هي الزكاة ، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام ، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله ، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الصلاة عبادة بدنية محضة ، الزكاة عبادة مالية ، فالزكاة حق المال ولما أمتنع بعض الناس ، امتنعت بعض القبائل عن أداء الزكاة بعدما مات النبي عليه الصلاة والسلام ، أمتنع بعض الناس عن أداءها ، فأعلن أبو بكر رضي الله عنه ، وتبعه الصحابة أعلنوا الحرب على ما نعي الزكاة ، وقال أبو بكر قولته : والله لو منعوني عقالا كانوا

....

يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، تحقيقا لقوله صلى الله عليه وسلم : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة)) .

صدقة ، الزكاة صدقة ن قال الله تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾ والمراد بالصدقات في الآية الزكاة ، والله قد بين أهل الزكاة في هذه الآية ، وهم ثمانية أصناف ، وذكر في الحديث أول تلك الأصناف وهم الفقراء ، فقال : ((تؤخذ من أغنياءهم)) الزكاة إنما تجب على الأغنياء ، على من ملك النصاب في الأموال الزكاوية ، الزكاة تجب في أربعة أنواع من المال :

في الأثمان وهي الذهب والفضة ومن قام مقامهما .

في الخارج من الأرض ، وهي الحبوب والثمار .

وفي بهيمة الأنعام ، وهي الإبل والبقر والغنم .
والصنف الرابع من الأموال الزكاوية ، عروض التجارة .
فمن ملك من هذه الأموال نصابا ، وحل عليه الحول ، وذلك في ثلاثة منها ، يشترط في وجوب الزكاة مضى الحول ، إلا في الخارج من الأرض ، فإن الزكاة تجب فيه يوم حصاده ، كما قال تعالى : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ .
((فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله أفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)) الزكاة شرعت ، الأصل أنها شرعت لمواساة الفقراء والمساكين وابن السبيل ، وذلك لسداد الديون للغارمين ، شرعت في هذه الأصناف ، ثمانية ، ولكن نص الرسول عليه الصلاة والسلام على الفقراء ؛ لأنهم أهم الأصناف ، وهم الذين بدأ الله بهم يف قوله : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾ فبدأ من أصناف أهل الزكاة بالفقراء .

....

((تؤخذ من أغنياءهم فترد في فقرائهم)) يعني في فقراء المسلمين ، أو في فقراء أهل البلد التي فيها المال .
قال : ((فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم)) يعني أحذر أن تأخذ منهم النفيس من أموالهم ، بل خذ من أوساط المال ، المصدق الذي يأخذ الزكاة عليه أن يأخذ من الوسط ، لا يأخذ من الرديء ، ولا يأخذ الجيد ، جيد المال وينتقيه ، لا ، يأخذ من الوسط ، عدل لا إفراط ولا تفريط . ((إياك)) هذا تحذير ، احذر ، أحذرك ، أحذرك كرائم أموالهم ، فليس للجابي أن يعمد إلى نفائس المال ويأخذها ، لا ، يأخذ من الوسط .

ومتى تجاوز الجابي للزكاة ما يجب عليه من العدل كان ظالما ، ومتعرض لدعوة المظلوم ن فمتى أخذ أكثر مما يجب كان ظالما ، فيكون معرض لنفسه لدعوة المظلوم ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، اتبع هذا التحذير من أخذ الكرائم اتبعه بقوله : ((واتق دعوة المظلوم)) اتقي اجتنب ، اجعل بينك وبين دعوة المظلوم وقاية من لزوم العدل ، والبعد عن الظلم ، ((اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)) فدعوة المظلوم مستجابة ، حتى وإن كان كافرا ، المظلوم دعوته مستجابة .

فالواجب الحذر من الظلم ، من ظلم العباد ، في دمائهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، والظلم يحرم حتى في حق الكافر ، لا يجوز لأحد أن يظلم الكافر ، يعتدي عليه ، من المعاهد معصوم الدم والمال ، لا يجوز الاعتداء عليه في دمه ولا ماله ، ((من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة)) .

المقصود أن هذا الحديث ، المقصود منه ، ما دل عليه من الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله ففي الحديث دلالة على مشروعية الدعوة إلى الله ((فأدعهم))

....

((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة : أن لا إله إلا الله)) فيه دلالة على أن التوحيد هو أول واجب ، وفي الحديث دلالة على البداءة بالتوحيد ، البداءة في الدعوة إلى التوحيد ، وفيه التدرج في ا لدعوة ، البداءة الأهم فالأهم ، فإنه أمر بالدعوة إلى التوحيد ، ثم إلى الصلاة ، ثم إلى الزكاة ، مرتبة .

وفي الحديث التنبيه على حال المدعو ، ينبغي للداعي إلى الله أن يعرف حال المدعو حتى يخاطبه بما يليق بحاله ن ويستعد أيضا لجداله إن كان يتوقع منه القتال يدل لهذا قوله صلى الله عليه وسلم : ((إنك تأتي قوم من أهل الكتاب))

وقد نبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المسائل على هذه الجوانب .

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خبير : ((لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه)) فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : ((أين علي بن أبي طالب ؟)) فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : ((أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم أدعهم إلى

الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا ، خير لك من حمر النعم)) يدوكون أي يخوضون .

الشرح :

هذا الحديث أيضا هو من أدلة الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وهو متضمن لقصة ، (يوم خيبر) المراد أيام غزوة خيبر ، وغزوة خيبر من الغزوات الكبيرة التي غزاها المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فنصرهم الله على اليهود ن فحاصرهم ، ثم فتح الله على أ يديهم ، وغنموا وسبوا .

يقول ، رضي الله عنه ، سهل بن سعد الساعدي : (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر) في يوم من الأيام ، من أيام تلك الغزوة ((لأعطين الراية غدا)) .

((لأعطين)) هذا فيه قسم ، أي والله لأعطين ، الام لام القسم ، ولهذا أكد الفعل ، بنون التوكيد الثقيلة ، والله ((لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله

....

ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه)) الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف من هو الرجل ، ولكن لحكمة أبه مه ، وفي هذا الإبهام تحريك لمشاعر الصحابة حتى يتطلعوا إلى هذه الفضيلة ، ولهم في هذا مثوبة من النار فإن محبة الإنسان للخير والفضل ، ورغبته فيه ، عمل صالح يؤجر عليه ويثاب ، فهي نية ، ثم إن في هذا إظهار لفضل المعني الموصوف بهذا

الوصف ، فيه إظهار لفضله ، وهذا أوقع بخلاف لو قال : لأعطين الراية غدا علي ، أو ما أشبه ذلك ، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بصفتين :
بأنه يحب الله ورسوله .
ويحبه الله ورسوله .
وهذا فضل عظيم ، يحب الله ورسوله ن ويحبه الله ورسوله ، وهذا ثابت لكل مؤمن ، فكل مؤمن فإنه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كل مؤمن هذه صفته ، فما هي الخصوصية إذًا ؟ الله تعالى يقول : ﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ والله تعالى يقول : ﴿ **أنه يحب المتقين** ﴾ ، ﴿ **يحب التوابين** ﴾ ، ﴿ **يحب التوابين** ﴾ ، ﴿ **يحب المقسطين** ﴾ وفي هذه النصوص من الكتاب والسنة دلالة على إثبات صفة المحبة لله حقيقة ، لكن محبة الله لا تماثل محبة المخلوق ن ولا يعلم كونها ، أقول إذًا : فما هي الخصوصية ؟ الخصوصية هي الشهادة لهذا الرجل بهذه الصفة ، فنحن نستطيع أن نقول : كل مؤمن فإنه يحب الله ورسوله ، ولكن لا نستطيع أن نحكم على شخص ونقول : هذا نشهد له بأنه يحب الله ورسوله ن ويحبه الله ورسوله ، هذا نوع شهادة ، لا نشهد ، ولكن بحكم عام ، نعم كل مؤمن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله .

....

إذًا الخصوصية في الشهادة لهذا الرجل ، بهذه الصفة ؛ ولهذا تطلعت النفوس ، النفوس الكبيرة ، تطلعت نفوس الصحابة إلى هذا الفضل ، لا رغبة في الإمارة والشهرة والدعاية ، أعوذ بالله ، بل رغبة في هذه المنزلة العالية عند الله ، وقد

جاء عن عمر رضي الله عنه ، قال : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ . ما احب الإمارة لإمارة للشهرة ، أحبها لهذا الفضل .

فتركهم الرسول ، ولم يخبر ، ليحدث ما حدث ، (فبات الناس يدركون) يدكون : يخضون (ليلتهم أيهم يعطاها) من ، لعله أنا ، لا لعله فلان ، اللهم اجعله أنا ، كل واحد يدعو يرجو ، فباتوا ، وهذا سعي منهم ، هذا تسبب منهم ، يدعون الله ، يرجون الله ، يتحرون ، يتوقعون ، يا ترى من يكون ؟ من هذا الرجل الذي سيعطيه الرسول الراية ، وهو بهذه المثابة ؟ .

ثم قال الرسول : ((يفتح الله عليه)) يفتح الله عليه ، يعطية الراية ، الراية معروفة العلم الذي يحمله القائد ليتبعه الجند من ورائه .

((لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه)) ففي هذا بشارة ، بشارة بالفتح ، وهذا أيضا مطلب للمسلمين ، ولكنهم كما سيأتينا في مسائل الشيخ ، لكنهم شغلوا عن البشارة بالفتح بهذا الفضل الذي يتنافسون فيه .

فلما أصبحوا جاءوا لل رسول ليسمعوا منه ، تعين الرجل الذي أخبر بأنه سيعطيه الراية ، ويكلفه بالقيادة ، من ؟ . (فقال : ((أين علي بن أبي طالب ؟)) لم يكن معهم ، ولم يكن حضر البارحة ؛ لأنه كان وجع يشتكي عينيه ، من رمد أصابه ، ((أين علي بن أبي طالب ؟)) .

(فقيل للنبي) عندهم خبرة بحاله ، (فقيل للنبي : إنه يشتكي عينيه فأرسلوا

....

إليه) فأرسلوا إليه وهذا بأمر الرسول ، وأظنه في بعض الروايات ، (فأرسل إليه) ، (فأرسلوا إليه فأتي به) فجئ به ، يقاد مأخوذ بيده ، فبصق النبي

صلى الله عليه وسلم في عينيه ، بصق تفل من ريقه الطيب ، ريقه المبارك ، (بصق في عينيه ودعا له ، فبرأ) ما قال : ثم برأ ، يعني بعد فترة بعد ساعتين ، فورا وهذا فيه معجزة ، وما أكثر الدلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم .

(كأن لم يكن به وجع) ، يعني عادت عيناه صحيحتين صافيتين كأن لم يصبه وجع ، كأن لم يكن به وجع .

فاز بها علي رضي الله عنه ، فاز بهذا الثناء العاطر ، فاز بهذه المنزلة ، (فأعطاه الراية تحقيقا لوعده) ، وقال له : أمضي ، ((أنفذ على رسلك)) يعني أمضي ، سر على مهل ، وتدبر وتريث رفقا بمن م عك ، ولتروي في تدبير الحرب .

((أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم)) بساحة القوم ، يعني قريبا منهم ، عند بابهم ، عند سورهم ، سور البلد .

((ثم أدعهم إلى الإسلام)) هذا هو الشاهد من الحديث ، أدعوهم إلى الإسلام ، والدعوة إلى الإسلام هي الدعوة أولا إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، ((أدعوهم إلى الإسلام)) ويطلق الإسلام أحيانا ويراد به أصله ، الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله ، كما في حديث معاذ رضي الله عنه ، الحديث المشهور الذي فيه الوصايا العديدة ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذرزة سنامه الجهاد)) .

((أدعوهم إلى الإسلام)) وهذا يدل على مشروعية الدعوة قبل القتال ، فمن لم

....

يكن دعي قبل ذلك ، فتجب دعوته ، ولا يجوز قتاله قبل الدعوة ، ولا يجوز قتال الكفار قبل دعوتهم إلى الإسلام ؛ لأن المقصود هو أن يدخلوا في الإسلام ، فإذا دعوا واستجابوا انتهى الأمر ، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي الأمراء الذين يبعثهم في السرايا ، يوصيهم إذا لقوا عدوهم أن يدعوهم أولا إلى الإسلام ، إلى الدخول في الإسلا م ، والدخول في الإسلام إنما يكون بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

أما من كان قد دعي قبل ذلك ، ولم يستجب فتستحب دعوته قبل القتال ، وإن قُتِلَوا بلا دعوة جاز ؛ لأنه قد أقيمت عليهم الحجة ، وقد أعذر عليهم ، وقد بلغوا .

((وأخبرهم)) أيضا ، من أساليب الدعوة التعريف بالإسلام ، كما سبقت الإشارة إلى هذا ، التعريف بمحاسن الإسلام ، من واجبات الدين من صلاة وزكاة وصوم وما فيه من صلة الأرحام وبر الوالدين ، والصدق والعفاف ، وما في الإسلام من تحريم القبائح من الزنى والربا وما أسبه ذلك .

((أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه)) فغن هذا مما يرغب في الإسلام ، ((أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه)) الإسلام ليس هو مجرد كلمة يقولها الإنسان بلسانه ، لا ، هو إيمان عقيدة عمل سلوك عبادة معاملة ، الإسلام ليس هو مجرد اسم ينتمي إليه الإنسان قو ل : أنا مسلم ، الإسلام كلمة عظيمة واسعة المدلول ، جميع ما في الكتاب والسنة من الشرائع والأحكام والعقائد كلها تندرج في مسمى الإسلام .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ، ترغيبا له في الدعوة ، ليحتسب ذلك : ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا)) حلف ، و فيه دلالة على جواز

....

الحلف على الفتى وعلى الخبر ، ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا)) ((يهدي الله بك)) ، ما قال : فوالله لأن تهدي أنت رجلا ، لا ، علي ما يهدي ، والرسول ما يهدي أحدا إلى الإسلام ، بمعنى أنه يدخله في الإسلام ، ويجعله يقبل الإسلام ، لا ، لكن كل ما هناك أن الداعي ، النبي أو غيره هو السبب ،((فوالله لأن يهدي الله بك)) والرسول صلى الله عليه وسلم لما خاطب الأنصار قال : ((ألم أتيكم ضلالا فهداكم الله بي ، ألم تكونوا متفرقين فألفكم الله بي ،)) فالرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يملك هداية القلوب ، ولا تأليف القلوب ، ﴿ **لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** ﴾ . إذًا الله تعالى هدى بنبيه من شاء ، وألف بنبيه قلوب المؤمنين .

((فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا)) تأكيد ، واحد ، ((خير لك من حمر النعم)) فكيف إذا هدى الله به العشرات ، والمئات ، والألوف ؟

((خير لك من حمر النعم)) حمر جمع حمراء ، والنعم هي الإبل ، وحمر النعم هي أنفس أموال العرب ، ((خير لك من حمر النعم)) خير لك من هذه الأموال النفيسة التي يتنافس الناس في تملكها وتحصيله والظفر بها ، ((خير لك من حمر النعم)) وهذا في الحقيقة ، خير من الدنيا وما فيها كلها ، ولكن هذا تعبير يناسب ذوق الناس ؛ لأن حمر النعم ، الإبل الحمر هذه أنفس أموال العرب ، فلهذا اعتبر بها النبي عليه الصلاة والسلام في بيان فضل من هدى الله على يده رجلا واحدا ، وأن ثوابه عظيم .

فيه مسائل :
الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم .
الثانية : التنبيه على الإخلاص ؛ لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه .
الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الشرح :

الأولى : (أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم) ، هذه واضحة من الآية ،(أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم) لقوله : ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ نص .

الثانية : (التنبيه على الإخلاص ؛ لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه) التنبيه إلى الإخلاص هذا مأخوذ من الآية ﴿ **أدعو إلى الله** ﴾ ، ومن قوله : ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ يقول الشيخ : (فإن كثيرا لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه) يدعو مثلا إلى الدين ، وإلى كذا ، ويأمر بالمعروف ؛ ولكنه يريد من هذا الشهرة السمعة ، أنه داعية ، أنه كذا ، أنه يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، يدعو إلى نفسه ، أعوذ بالله .

الثالثة : (أن البصيرة من الفرائض) ، البصيرة العلم ، البصيرة من الفرائض يجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يقيم به دينه ، ويجب على الداعية أن يتعلم حتى يعلم ما يدعو إليه ، فيكون عالما بما يأمر به عالما بما ينهى عنه .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد ، كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة .
الخامسة : أن من قبح الشرك كونه مسبة لله .
السادسة : وهي من أهمها ، إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك .
السابعة : كون التوحيد أول الواجبات .

الشرح :

الرابعة : (من دلائل حسن التوحيد ، كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة) التوحيد من مجاسنة أنه يتضمن تنزيه الله عن المسبة عن النقص ، نسبة الشركاء إليه ، والأنداد هذه مسبة ، فالتوحيد فيه تنزيه الله عن المسبة ، وهذا من محاسن التوحيد ، التوحيد يتضمن تمجيد الرب وتنزيهه وتعظيمه .

الخامسة : (أن من قبح الشرك كونه مسبة لله) هذه مقابلة للتي قبلها ، التوحيد تعظيم لله وتنزيهه له عن المسبة ، والشرك من قبحه أنه مسبة لله ، ولهذا كان الشرك أظلم الظلم ؛ لأنه ظلم لحقه سبحانه وتعالى ووضع لحقه سبحانه وتعالى ، وهو العبادة في غير موضعه .

السادسة : (وهي من أهمها ، إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك) مأخوذ من قوله : ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ فيها التنبيه على ما يجب على المسلم من البعد عن معاشرة المشركين ، والإقامة بين ظهرنيهم ؛ لأن الإقامة بين ظهرنيهم يؤدي إلى الشرك عاجلا أو أجلا .

السابعة : (كون التوحيد أول الواجبات) مستفاد من الحديث ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)) .

الثامنة : أن يبدأ به قبل كل شيء ، حتى الصلاة .
التاسعة : أن معنى ((أن يوحدوا الله)) معنى الشهادة : أن لا إله إلا الله .

الشرح :

الثامنة : (أن يبدأ به قبل كل شيء ، حتى الصلاة) يعني البداءة بالتوحيد في الدعوة ، وأنه يبدأ بالدعوة إلى التوحيد ، ولكن هذا بالنسبة لمن ؟ بالنسبة للكفار ، ولكن الإنسان الموحد الذي نرى انه مقصر في الصلاة ، ونأمره بالصلاة ، ونؤكد عليه الصلاة ، مع التعليم ، مع تعليم الناس التوحيد ، فإنه لابد ؛ لأن الناس وإن كانوا مسلمين يحتاجون إلى تفهيمهم التوحيد ، وتذكيرهم ، وبيان ما ينافي أصل التوحيد وكمال التوحيد ، لكن هذا الترتيب بالن سبة إلى الكفار ، الكافر هو الذي يبدأ بدعوته إلى التوحيد ، ولهذا المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلي ، ولكن عنده تقصير في أمور ، هذا نعلمه أيضا وننكر عليه ما يفعله من محرمات ، من ربا أو خمر أو مخدرات ، أو أعمال تخصه في هيئته كحلق اللحية ، ننكر عليه حلق اللحية ، نكر عليه الإسبال ، ولا نقول : إن هذا تشاغل بأمور ثانوية ، لا ، هذا من وضع الأمور في مواضعها ، فكلا نأمره بما أخل فيه . لكن الكافر أخل بالأمر الأعظم ، فنبدأ بدعوته ليدخل في الإسلام ، نبدأ بدعوته إلى التوحيد .

التاسعة : (أن معنى ((أن يوحدوا الله)) معنى الشهادة : أن لا إله إلا الله)
هذا مأخوذ من الرواية ، بعض الرواة يرويه ((إلى أن يوحدوا الله)) ،
((فليكن أول ما تدعوهم إليه)) إلى ((إلى أن يوحدوا الله)) لعل اللفظ هكذا ،
وهذا المعنى ((إلى أن يوحدوا الله)) شهادة أن لا إله إلا الله ؛ لأن التوحيد هو
معنى الشهادة .

العاشرة : أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم .

الشرح :

العاشرة : (أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها) هذا مطابق للحديث ، قد يكون من أهل الكتاب ولا يعرفها ، قد يكون الإنسان من أهل الكتاب ، كاليهود والنصارى ولا يعرفها ، وهذا هو الواقع ، وقد يكون الإنسان من أهل العلم أيضا ، يعني من المسلمين وهو لا يعرف معنى لا إله إلا الله ، أي الشهادة ، قد يكون الإنسان من أهل العلم وهذا كثير ، كثير من المنتسبين للإسلام ، والمنتسبين للعلم لا يعلمون معنى لا إله إلا الله وإن كانوا يقولونها ، كما أوضح ذلك الشيخ رحمه الله في كتابه المعروف بـــ(كشف الشبهات) .

الحادية عشرة : (التنبيه على التعليم بالتدريج) ، الرسول نبه إلى أسلوب من أساليب الدعوة والتربية ، وهو التعليم بالتدريج ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك بذلك فأعلمهم ...)) ففيه التنبيه إلى

التعليم بالتدريج ، التدرج في الدعوة ، وهذا منهج مهم في الدعوة إلى الله ، التدرج في الدعوة .
الثانية عشرة : (البداءة بالأهم فالأهم) فيه تنبيه كذلك على البداءة بالأهم فالأهم ، وهذا هو الأسلوب الصحيح ، أن يبدأ مع كل مدعو بالأهم في حقه فالأهم . وهذا كله من الحكمة في الدعوة ، التدرج من الحكمة في الدعوة ، البداءة بالأهم فالأهم هو من الحكمة في الدعوة .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كف العالم الشبه عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

السابعة عشرة : الإخبار بأنها لا تحجب .

الشرح :

الثالثة عشرة : (مصرف الزكاة) يعني مصرف الزكاة هي الأصناف الثمانية ، والحديث قد نص على أهم هذه الأصناف وهم الفقراء .
الرابعة عشرة : (كف العالم الشبه عن المتعلم) ، هذا كأنه مستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام : ((إنك تاتي قوم أهل كتاب)) فإنه بهذا يكشف عنه ما قد يشتبه عليه ويشكل عليه ، أنه نبهه أن أمامه أهل علم ، وأهل معرفة ، كذلك إذا كان هذا المبعوث يمكن أن تشكل عليه أشياء فينبغي لمن أرسله من أهل العلم ، وأهل الخبرة ، أن ينبهه إلى ما قد يشكل عليه كذلك ، كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : (النهي عن كرائم الأمو ال) ، أن هذا فيه إجحاف بحق الأغنياء ، كما أنه أخذ الرديء إجحاف بحق الفقراء ، والواجب هو أخذ الوسط

السادسة عشرة : (اتقاء دعوة المظلوم) ظاهر من الحديث .

السابعة عشرة : (الإخبار بأنها لا تحجب) .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

التاسعة عشرة : قوله : ((لأعطين الراية)) الخ ، علم من أعلام النبوة .

الشرح :

الثامنة عشرة : (من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء) ، هذه مسألة دقيقة ن يعني ليست ظا هرة ، هذه مسألة تتعلق بحديث سهل بن سعد في ما جرى للصحابة رضي الله عنهم ، في غزوة خيبر ، يقول : من دلائل (التوحيد ما جرى على سيد المرسلين) محمد بن عبد الله ، (وسادات الأولياء وهم أصحابه الذين معه من المشقة والجهد والجوع والوباء) ، يقول الشيخ : (هذا من أدلة التوحيد) نعم من أدلة التوحيد ، وقد عقد الشيخ في هذا الكتاب ، كتاب (التوحيد) أبوابا توضح هذا المعنى ، أبواب ن ولكن الآن الذي أمامنا ، أولا أنه قد حصل للصحابة في هذه

الغزوة مشقة وجهد وجوع ؛ لأنهم مكثوا مدة طويلة ، وهم محاصرين لليهود قبل الفتح ، فحصل عليه الجوع ، حتى وقعوا في الحمر ، فذبحوا الحمر ، الحمير ، وصاروا يطبخونها ، وصارت القدور تهدر وتغلي بلحم الحمر ، فنزلت التحريم ، تحريم الحمر في ذلك اليوم ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم منادي ينادي ، إن الله ورسوله ينهياكم عن لحوم الحمر الأهلية ، فإنها رجس ، وأمر بإراقة القدور ، أو بكسر القدور وإراقة ما فيها ، زجرا عن لحوم الحمر ، فحرمت من ذلك اليوم ، فالذي معنى الآن ، ما وجه دلالة هذا على التوحيد ؟ وجهه أنه إذا كان الرسول وهو خاتم الأنبياء ، وسيد ولد آدم ، ومعه سادات الأولياء من الصحابة أبو بكر وعمر وع ثمان وعلي وغيرهم ، ....

وغيرهم وجمهورهم من أهل بيعة الرضوان ؛ لأن غنائم خيبر قد وعد بها أهل بيعة الرضوان ، إذا كان هؤلاء قد حصل عليهم ما قد حصل من جوع ومشاق وأذى ، فهذا يدل على أنهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ؛ لأنهم عباد ليس لهم شيء من خصائص الربوبية والألوهية ، ويدل ذلك على بطلان الشرك بهم ، وصار فيه شيء من العبادة للرسول فضلا عن من دونه ، فما جرى عليهم من هذه المشاق يدل على انهم عباد مدبرون ، تجري عليهم أقدار الله ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، إذا نزلت بهم هذه الضرورات أنزلوا حوائجهم بالله ، وتوجهوا إليه ، وتضرعوا إليه ، واستغاثوا به ، إذا هم عباد ، الرسول عبد لا يعبد ، هو رسول مصدق لا يكذب ، والصحابة عباد صالحون أتقياء بررة ، ليس لأحد منهم شيء من خصائص الألهية فمن اعتقد فيهم ، شيء من خصائص الربوبيية ، وصرف لهم شيء من أنواع العبادة كان

مشركا بالله ، وكان منحرفا عن صراط الله ، ومخالف لطريق الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام .

التاسعة عشرة : (قوله : ((لأعطين الراية)) الخ ، علم من أعلام النبوة) ، أين العلم ؟ فإذا اخبر الرسول عن عزمه ، عازم على أن يعطي الراية ، العلم هنا في قوله : ((يفتح الله علي يديه)) الخبر غيبي ، ((يفتح الله على يديه)) هذا خبر بأمر غيبي فهذا دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم ، وقد وقع كما أخبر فقوله : ((لأعطين الراية غدا ..)) إلى آخر علم من أعلام النبوة ، بل وقوله : ((يحب الله ورسوله)) فيه أيضا إخبار بالغيب ، وشهادة لهذا الرجل المعين بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وهذا لا يملكه كل أحد ، وإنما يملكه الذي أطلعه الله على سريرة هذا العبد ، وعلى حقيقة حاله ومآله .

العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامها أيضا .

الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي الله عنه .

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم وشغلهم تلك الليلة عن بشارة الفتح .

الثالثة والعشرون : الإيمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ، ومنعها عمن سعى .

الشرح :

العشرون : (تفله في عينيه علم من أعلامها أيضا) ، هل التفل هو العلم ؟ لا العلم ما نتج ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، ولكن الشيخ اقتصاد في العبارة واكتفاء بدلالته ، تفله في عينيه ثم شفاءه بسبب ذلك علم أيضا ، أي دليل من أدلة نبوته صلى الله عليه وسلم .

الحادية والعشرون : يقول الشيخ : (في الحديث دلالة على فضيلة علي رضي الله عنه) على رضي الله عنه ، هو علي بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوج فضلى نساء العالمين فاطمة بنت محمد ، فالحديث فيه فضيلة ، وذلك لما وصفه به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ((يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله)) هذه شهادة من الرسول صلى الله عليه وسلم بأن علي يحب الله ورسوله ن ويحبه الله ورسوله ، ومن وجه أخر ، حيث اصطفاه لقيادة الجيش الزاحف لفتح خبير ، ثم حصول الفتح على يده ، كل ذلك فيه فضيلة له رضي الله عنه ، وفي هذا رد على النواصب الذين يبغضونه ويسبونه ، كالخوارج الذين يكفرونه ، يكفرون علي رضي الله عنه ، ففي الحديث رد عليهم .

الثانية والعشرون : (فضل الصحابة في دوكهم وشغلهم تلك الليلة عن بشارة

..

الفتح) ، وذلك لرغبتهم في الخير ، لدوكهم يف تلك الليلة كونهم صاروا يخوضون باحثين وطامعين في ذلك الفضل ، أيهم يعطاها ، وكلهم يرجو أن يعطاها ، حيث اشتغلوا بهذا الشأن وبطلب هذه الفضيلة عن بشارة الفتح ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بحصول الفتح قال : ((يفتح الله على يديه)) فاهتموا بما ينالون به المنزلة عند الله عن الفتح الذي يحبونه بطبعهم ، يحبون الفتح ﴿ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ﴾ فالنصر والفتح يحب بموجب الطبع .

الثالثة والعشرون : (الإيمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ، ومنعها عمن سعى) في الحديث دلالة على أن الأمور تجري بقدر ، فيجب الإيمان

بالقدر ، وأن ما قدره الله هو الذي يكون ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن أعمال العباد وحيل العباد وسعي الناس ، ما هي إلا أسباب ، قد يحصل مقتضاها ، وقد لا يحصل ، فالذين باتوا يدكون تلك الليلة ويرجون حصول هذه الفضيلة لم تحصل لهم ، هم سعوا إليها ، سعوا برغبتهم ، وبرجائهم ، وبحثهم ، سعوا لنيل هذه المنزلة ، أما علي رضي الله عنه فلم يسمع شيئا ، لم يدري عن شيء ، لم يدري عما قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، فحصل هذا المطلب ، وهذه المنزلة حصلت لمن لم يسعى لها وهو علي ، ولم تحصل لمن سعى لها ، وهم سائر الصحابة ، ومرد هذا القدر ، مرد هذا هو القدر ، ولهذا يقول الشيخ : (ففيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع ، ومنعها عمن سعى) فعلى العبد في مطالبه الدينية والدنيوية عليه أن يتعلق قلبه بربه وأن يؤمن بالقدر ، ولا يعتمد على ا لأسباب ، نعم يفعل الأسباب ، لكن لا يعتمد عليها .

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : ((على رسلك)) .

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

الشرح :

الرابعة والعشرون : (الأدب في قوله : ((على رسلك))) ينبغي للمجاهد وللقائد أن يسير بالجيش سيرا رفيقا لا يشق على أصحابه ، ويمكنه فيه التثبت والتروي ، بخلاف العجلة ، العجلة فيها مشقة على الجند ، ويفوت أيضا النظر والتروي ومعرفة المداخل ، ومعرفة الطرق التي يوصل منها إلى العدو ، فلهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((أنفذ على رسلك)) على مهلك .

الخامسة والعشرون : (الدعوة إلى الإسلام قبل القتال) لأنه أمره بالدعوة قبل كل شيء ، قبل أن يقاتل ، تقدم التفصيل في ذلك وأنها تجب دعوة الكفار قبل القتال إذا لم تسبق ، لم يسبق لهم دعوة ، فإن سبق لهم دعوة كانت دعوتهم قبل القتال مستحبة ، ويجوز قتالهم حينئذ ولو لم يدعوا ، يجوز أن يفجؤوا على غرة .

السادسة والعشرون : (أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا) يعني أن الدعوة مشروعة لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا ، اليهود كانوا قد دعوا قبل ذلك وقوتلوا ، قد أجلوا من المدينة ، ومع ذلك قال عليه الصلاة والسلام : ((أدعوهم إلى الإسلام)) ، ففي هذا دلالة على شرعية الدعوة ، دعوة الكفار ، وإن كانوا قد دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة ، لقوله : ((أخبرهم بما يجب عليهم)) .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام .

الشرح :

السابعة والعشرون : (الدعوة بالحكمة ، لقوله : ((أخبرهم بما يجب عليهم))) ، من فوائد هذا الحديث ، الدعوة بالحكمة ، والحكمة ...عليها الشاهد في مواضعها ، ومن الحكمة في الدعوة بيان محاسن الإسلام ، وما يتضمنه الإسلام من شرائع وأحكام وحكم ، وأخلاق وفضائل ، فهذا من

الحكمة في الدعوة ، يقول الشيخ : الحكمة في الدعوة لقوله : ((أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيهم))يعني هذا مما يرغب في الإسلام ويشجع على الإسلام ، فكثير من الناس يمنعه من الإسلام جهله بالإسلام ، كثير من الكفار ، يم نعهم من الدخول في الإسلام جهله بالإسلام ، ثم هو لا يسأل ولا يتعلم ، فإذا قيد له من يعلمه حقيقة الإسلام وما يشتمل عليه الإسلام من كمالات أقبل على الإسلام ودخله .

الثامنة والعشرون : (المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام) ، لقوله : ((أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيهم)) التوحيد عبادة الله وحده لا شريك له هي حقه على عباده ، ولكن في الإسلام حقوق لله ، وحقوق للعباد ، وكلها ترجع إلى حق الله ، فإن حقوق العباد ، أداء حقوق العباد هو مما أمر الله به ، فآية الحقوق العشرة التي سبقت الإشارة إليها في الباب الأول ، ذكر الله فيها بر الوالدين ، الإحسان إلى الوالدين صلة الأرحام الإحسان إلى اليتامى والجيران ، ابن السبيل ، والمماليك والأصحاب ، فلكل صنف من هؤلاء الأصناف حق ، وأداء هذه الحقوق حيث أمر الله بها ، هو

....

من حق الله تعالى ، فيجب على المسلم أن يعرف ما فرض الله عليه في الإسلام ليؤديه ، وما حرم عليه ليجتنبه ، فإن هذا من القيام بحقه سبحانه وتعالى ، الصلوات الخمس ،أعظم واجبات الدين بعد التوحيد ، فهي حقه سبحانه وتعالى ، حق لله على عباده ، كذلك الصوم ، صوم رمضان ، والحج كلها حقوق ، حقوق لله ، وإن كان بعدها يتعلق بها حق للعباد ، كالزكاة ،

فالزكاة هي حق لله ، فرضه على الأغنياء ، وهو حق للفقراء ؛ لأنهم هم المنتفعون به .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .
الثلاثون : الحلف على الفتيا .

الشرح :

التاسعة والعشرون : (ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد) قوله : ((فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرا لك من حمر النعم)) في الحديث دلالة على عظم ثواب من آمن على يديه ولو رجل واحد .

الثلاثون : (الحلف على الفتيا) جواز الحلف على الفتيا ، يجوز للمفتي إذا سئل وقال ، لو قيل له مثلا هل إعفاء اللحية واجب ؟ ، فيقول : أي والله ، هل حلقها حرام ؟ ، فيقول : نعم أي والله ، يقول مثلا هذه المعاملة حرام ؟ ، يقول : نعم أي والله حرام ، يقول : هذه حرام والله ، أو يبتدأ ويقول : والله إن الله حرم كذا ، والله إن الله حرم الخمر ، والله إن الله حرم الربا ، والله إنه تعالى فرض الحج إلى بيته على عباده ، هذه في الأحكام .

وفي الأخبار ، هل الله فوق العرش ؟ هل الله في العلو ؟ أي والله إنه في السماء فوق العرش ، فوق جميع المخلوقات ، نعم والله أنه ينزل إلى السماء الدنيا ، فالرسول عليه الصلاة والسلام هنا قال : ((فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرا لك من حمر النعم)) وهذا يقع من الرسول مرات ، كقوله : ((والذي نفسي بيده لو يعلم أحد أنه يجد خلقا سمينا وامرأتين حسنتين لشهد العشاء)) ((والذي نفسي بيده)) يقول صلى الله عليه وسلم ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار)) أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

....

في المسألة الحادية والعشرون : قلت أن الحديث بهذا الاعتبار فيه الرد على النواصب ، وفيه الرد على الجهمية أيضا ، الحديث فيه الرد النواصب الذين يبغضون عليا ويسبونه ، هذا الحديث فيه الدليل على فضله وعلى إيمانه رضي الله عنه ، وفيه الرد على الجهمية الذين ينفون الصفات عن الله فينفون عن الله المحبة ، فيقول : إنه تعالى لا يحب ولا يُحب ، وكل ما جاء في النصوص فليس على ظاهر ، فيؤولون المحبة من الله بالإنعام ، يقولون : يحب المؤمنين ، يعني ينعم عليهم ، ويفسرون محبة المؤمنين له بمحبة طاعته ، هكذا يقولون ، وهذا غلط ، والحق أن الله يُحِب ويُحَب ، يحب المؤمنين ، ويحب المقسطين ، ويحب حقيقة ولكن ليست محبته كمحبتنا ، ولا علمه كعلمنا ، ولا سمعه كسمعنا ، ففي الحديث الرد على النواصب كما تقدم ، وفيه الرد على الجهمية ، لقوله : ((يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)) .

٦ ــ باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ الآية [١] .
وقوله : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ﴾ [٢] .
وقوله : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ الآية [٣]
وقوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ الآية [٤] .
وفي (الصحيح) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل)) .
وشرح هذه الترجمة وما بعدها من الأبواب .

الشرح :

هذا الباب السادس ، يقول الشيخ ، رحمه الله : **(** باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله **)** هذا باب تفسير التوحيد ، يعني هذا باب يذكر فيه تفسير التوحيد ، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، يذكر فيه ما يوضح التوحيد ، ويوضح الشهادة .

---

(١) الإسراء الآية [٥٧] .
(٢) الزخرف الآيتان [٢٦ ــ ٢٧] .
(٣) التوبة الآية [٣١] .
(٤) البقرة الآية [١٦٥] .

....

والمراد بالتوحيد هنا هو توحيد العبادة ، هذا هو المقصود الأول ، وشهادة أن لا إله إلا الله تتضمن التوحيد ، كما تقدم ، فعطف لا إله إلا الله على التوحيد هو من عطف الدال على المدلول ، فشهادة أن لا إله إلا الله تدل على التوحيد ، والتوحيد مدلول .

(تفسير التوحيد ، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله) والمراد إيضاح المراد بالتوحيد ، وإيضاح معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، يعني إيضاحها بالقول والبيان والاستدلال ؛ لأن التفسير يكون بالكلام بشرح اللفظ ، وبذكر الدليل على المعنى ، الاستدلال ، ويكون التفسير بالتطبيق العملي ، وهذا هو المقصود ، ليس المقصود مجرد كلام ، فلابد من تحقيق ذلك في الواقع ، لا بد من تحقيق ذلك بالعمل .

وقد سبق في الباب الأول ، وفي الباب الثاني ما يبين معنى التوحيد ، ولكن الشيخ هنا أراد أن يزيد هذا الأمر بيانا ، وأن يبينه بذكر ضده ن فإن من طرق البيان ذكر الضد ، فيقال في البيت المشهور أو الحكمة :

يظهر حسنها الضد

وبضدها تتبين الأشياء

الصحة ضد المرض ، فتعرف حقيقة الصحة من معرفة العلة والمرض ومن معاناتها ، النور ضده الظلام ، فالشيخ في هذه الترجمة ، في هذا الباب ، قصد إلى بيان التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، بذكر ما ينافي ذلك ، ما ينافي التوحيد ، وما يتضمنه التوحيد ، ويتبين هذا من خلال ما ذكره من الآيات

والأحاديث ، فإنه استدل لهذه الترجمة أو فسر التوحيد والشهادة بأربع آيات وحديث .

....

الأولى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا** ﴾ ، قوله : ﴿ **أولئك** ﴾ إشارة إلى المدعوين من دون الله ، المذكرين في الآية قبلها ﴿ **قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا** ﴾ ، توبيخ ، أدعوهم فلا يستجيبوا لكم ، ولا يستطيعوا أن ينفعوكم .
﴿ **قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر** ﴾ كشفه ورفعه ، لا يملكون كشف الضر عنكم ، ما نزل بكم من الضر ، ﴿ **ولا تحويلا** ﴾ ولا تحويلا عنكم أو تغير حاله ، الضر من حال إلى حال ، يعني بالتخفيف ، لا يملكون كشفه ولا تخفيفه ولا تحويله من شخص إلى شخص أو جماعة إلى جماعة ، أو من وقت إلى وقت ، لا يملكون شيئا ، لا يملكون شيئا لا تقديم ولا تأخير .
ثم قال في وصف أولئك المدعوين المعبودين من دون الله : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب** ﴾ .
﴿ **أولئك** ﴾ إشارة إلى المدعوين .
﴿ **الذين يدعون** ﴾ يعني الذين يدعوهم المشركون ، يدعون ، الواو هذه تعود للمشركين ، وضمير المدعوين محذوف تقديره أولئك الذين يدعونهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، يعني أن هؤلاء المدعون من دون الله ، هم يبتغون إلى

ربهم الوسيلة ، هم يطلبون القرب من الله بالعمل الصالح ، ويتقربون إليه ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه .

ويوضح هذه الآية سبب النزول ، جاء عن ابن مسعود وغيره رضي الله عنه ، أن ناس كانوا يعبدون الجن ، فأسلم أولئك ، أسلم الجن وبقي أولئك على

....

عبادتهم ، الجن أسلموا ، من الذين قال الله فيهم : ﴿ **وإذا صرفنا إليك نفر من الجن** ﴾ الآيات ، وبقي هؤلاء على عبادتهم ، ونفس المعبودون ما حالهم ؟ ﴿ **يبتغون إلى ربهم الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ .

وقيل هذه الآية نزلت في الذين يعبدون الملائكة ، والذين يعبدون الأنبياء كالنصارى الذين يعبدون المسيح عليه السلام ، والذين يعبدون عزير كاليهود ، هؤلاء المدعون من الملائكة والأنبياء والصالحين ، هم يبتغون إلى ربهم الوسيلة .

وفي هذا إبطال لعبادة غير الله ، دلالة على بطلان عبادة أولئك ، فهل العابد الخائف الراجي ، هل يستحق أن يعبد ويدعا ويرجا ؟ ، لا .

ومعلوم أن هؤلاء كانوا يتخذون الملائكة والأنبياء والصالحين شفعاء ، يتخذونهم وسائط .

وبهذا يعلم أن اتخاذ الوسائط في العبادة ، أن هذا شرك منافي للتوحيد ، ومنافي لشهادة أن لا إله إلا الله ، فمن أتخذ واسطة بينه وبين الله في العبادة كان مشرك ، فهذا من الشرك المناقض للتوحيد ، اتخاذ الوسائط في العبادة كالذين قال الله فيهم : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى**

الله زلفى ﴾ ، وفي الآية الأخرى : **﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله ﴾** .

إذًا اتخاذ الوسائط شرك منافي للتوحيد ، إذًا التوحيد يقتضي التوجه إلى الله بالعبادة دون أن يتوسط أحد في ذلك .

نعم الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة في التبليغ ، في تبليغ شرع الله وأوامره ونواهيه ، فهذه واسطة لابد منها ، الواسطة في التبليغ .

....

لكن الواسطة الباطلة هي الواسطة في العبادة ، اتخاذ الوسائط في العبادة طلبا لشفاعته .

وهذه الأمور الثلاثة ، قوله : **﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾** أخذا العلماء من هذا أن التوحيد يقوم على هذه المقامات الثلاثة : المحبة والخوف والرجاء . وربما سميت أركان العبادة ، المحبة والخوف والرجاء .

فالمحبة : هي التي يتضمنها قوله تعالى **﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾** يتنافسون في التقرب إليه ، طلبا للقرب منه ، وهذا هو مقتضى المحبة .

ثم قال : **﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾** فهذه ثلاثة أشياء لابد منها .

وقال تعالى : **﴿ أولئك يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾** .

الآية الثانية ، قوله تعالى في شأن إبراهيم : **﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ﴾ فأعلن لأبيه وقومه براءته من كل**

ما يعبدون إلا ربه الذي فطره ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ إنكم وما تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ ﴿ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال أيسمعونكم إذا تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي ﴾ .

هذا هو مضمنون البراءة ، التبري يتضمن المقاطعة وعدم المحبة ، يتضمن البغض والعداوة ﴿ **فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾ .

....

وهنا قال : ﴿ **أنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني** ﴾ ، وهذه البراءة من جميع المعبدين إلا الله ، هذا هو معنى لا إله إلا الله ، فإن كلمة التوحيد كما تقدم مركبة من نفي وإثبات ، نفي إلهية ما سوى الله ، ولإثبات الإلهية لله وحده وكلمة إبراهيم هذه ، تتضمن كلمة لا إله إلا الله وتفسرها ، فيعلم من هذه الآية : أن التوحيد لابد فيه من البراءة من المشركين وشكرهم ومعبوداتهم ، وأن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن البراءة من كل ما يعبد من دون الله ، إذًا هذا من تفسيرها ، من تفسير التوحيد ، ومن تفسير شهادة أن لا إله إلا الله .

براءة ومعادة ، مقاطعة ، ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وجعلها كلمة باقية** ﴾ جعلها إبراهيم عليه السلام ، أي جعل هذه المقالة السابقة ﴿ **أنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني** ﴾ جعل هذه المقولة أو مضمونها ، جعلها كلمة باقية في عقبه ، وهي لا إله إلا الله ، جعلها لإبراهيم باقية في عقبه بوصيته بها ، بدعوته إليها ، وقيل المعنى جعلها الله كلمة باقية في عقبه ، فلا يزال في عقب إبراهيم من يوحد الله ، كما جعل النبوة والكتاب في ذريته ، جعل التوحيد في

ذريته ، فلا يزال في ذرية إبراهيم من يعبد الله وحده لا شريك ل ه ، وجعلها كلمة باقية ، ومن إبقائه تعالى لها في ذريته أن جعل الكتاب والنبوة في ذريته ففي ذرية إبراهيم الأنبياء من أولاد يعقوب موسى وعيسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحي كل هؤلاء من ذرية إبراهيم ، أقرءوا قوله تعالى : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحي وعيسى وإلياس كلا من الصالحين** ﴾ إلى آخر الآية ، كلهم من ذريته . ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون** ﴾ ، أي لعل الناس يرجعون

....

إلى هذه الكلمة . إذًا الدعوة إلى التوحيد باقية في ذرية إبراهيم .

الآية الثالثة ، قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** ﴾ هذا فيه إخبار عن أهل الكتاب ، ﴿ **أتخذوا أحبارهم** ﴾ يعني علماءهم ، ﴿ **ورهبانهم** ﴾ يعني عبادهم ، ﴿ **أربابا** ﴾ يعني آلهة ، اتخذوهم آلهة يعبدونهم من دون الله ، والمسيح ابن مريم كذلك عبدوه من دون الله .

اتخذوهم أربابا ، ما معنى اتخذوهم أربابا ؟ ، يعني اتخذوهم شركاء لله في الرزق والخلق والتدبير وخلق السماوات والأرض ؟ لا ، بل اتخذوهم آلهة مع الله ، يعبدونهم ، وبماذا كانوا يعبدونهم ؟ يصلون لهم ، ويذبحون على أقدامهم ؟ لا ، بل كانوا يطيعون ، يطيعون علماء السوء وأحبار السوء ، علماء السوء والضلال ، ورهبان السوء ، العباد ، يطيعونهم في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل ، يدل لذلك حديث عدي بن حاتم الذي رواه الترمذي وغيره وهو حديث مشهور ، وفيه أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي

يقرأ : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** ﴾ ، فقال عدي بن حاتم ــ وهو كان على النصرانية ــ : إنا لم نكن نعبدهم ، قال : ((أليسوا يحلون لكم الحرام ، فتحلونه ، ويحرمون عليكم الحلال ، فتحرموه ؟))
قال : بلى ، قال : ((فتلك عبادتهم)) ، وهذه العبادة ، هي العبادة بالطاعة ، فمن أنواع العبادة الطاعة ، فطاعة المخلوق في تحليل الحرام وتحريم الحلال شرك .

إذًا التوحيد ، نرجع إلى تفسير التوحيد ، إذًا التوحيد يقتضي إفراد الله بالتحليل والتحريم ، يعني إفراده تعالى بالإيمان بأنه تعالى هو الذي يحل ويحرم ، وطاعته في ذلك وطاعة الرسول ، طاعة الرسول هي عبادة لله ، طاعة

....

الرسول ، ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ فطاعة الله وطاعة رسوله متلازمتان لا تنفك أحدهما عن الأخرى .

وقد صرح القرآن بأن الطاعة في التحريم والتحليل شرك ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ ، ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشيطانين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ أطعتموهم في تحليل ما حرم الله إنكم لمشركون .
الطاعة في التحليل والتحريم ، فمن أطاع أحدا في تحليل ما حرم الله كالزنى والخمر ، أطاعه في تحليله فإنه بهذا يكون مشركا ، فإن استحلال الحرام كفر ، استحلال الحرام المعلوم تحريمه من دين الإسلام بالضرورة كفر ، استحلال الزنى واستحلال الربا ن يعني مطلقا ، هناك صور من صور الربا فيها اشتباه وفيها اختلاف ، ولكن استحلال الربا مطلقا ، تحريم الربا معلوم في الكتاب

والسنة وبإجماع المسلمين ، الذي يقول : لا ربا والإنسان حر يتصرف في ماله كيف شاء ، حر يكون بهذا مستحل لما حرم الله ، وتوعد عليه باغلظ وعيد .

فأهل الكتاب من شركهم ، الشرك في الطاعة ، من شركهم أنهم أطاعوا الأحبار والرهبان في التحليل والتحريم ، في تحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم الله ، وليس من ذلك ما يقع خطأ من المجتهدين ، من العلماء ، فإن العالم قد يجتهد ويرى هذا حلال وهو حرام خطأ ؛ لأنه ما بدا له الدليل ، أو ما فهم الدليل ، أو رأى ، وجد معارضا ، وهكذا المقلد الذي سأل العالم طالبا للحق ، وهو يعلم دينه واستقامته وتقواه ، فأفتاه إذا قدر أنه أخطأ ، فلا حرج على من يتق الله ، ﴿ **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسيرا** ﴾ ﴿ **اتقوا الله يجعل لكم**

....

فرقانا ﴾ .

لا يدخل في شرك الطاعة ، طاعة أهل العلم الموثقين في دينهم ، وعلمهم ، لا تدخل طاعتهم في ذلك ؛ لأنهم مجتهدون ((والمجتهد إن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد)) .

وأقرءوا معنى هذا التفصيل في كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، يظهر أنه نقله الشيخ عبد الرحمن بن حسن عندكم .

لكن بعض الناس ، نعوذ بالله ، بعض الناس وإن كان يعرف ، ولكن إن وجد من يفتيه خلاص ، على ذمة المفتي ما لي ... ، مع أنه متعمد قاصد ، والعياذ بالله ، متابعة الهوى ، يعرف فمن قلد العالم ، وهو يعتقد أنه مخطئ ، ولكن

موافقة لهواه ، فالعالم يكون معذورا في اجتهاده ، وهذا غير معذور في متابعته على خطئه .

الآية الرابعة ، قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله** ﴾ من الناس ، المراد المشركون الذين اتخذوا من دون الله أندادا من الملائكة والأنبياء والصالحين ، أو الأصنام أو الجن ، اتخذوا ﴿ **من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله** ﴾ وفي هذا ذم من الله لأولئك الذين أشركوا معه في المحبة ، وجعلوا له أندادا في المحبة ، ﴿ **يحبونهم كحب الله** ﴾ يعني يحبونهم كما يحبون الله ، اتخذوا من دون الله أندادا يسونهم بالله في المحبة ، فيحبونهم كحب الله ، قال الله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾ المؤمنون الموحدون يحبون ربهم أشد من حب المشركين لأندادهم ، أو أشد من حب المشركين لله ، ﴿ **والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾ .

وهذه الآية تدل على أن من أنواع الشرك ، الشرك في المحبة ، فمن أحب غير

....

الله محبة تتضمن تسويته بالله ، والمحبة التي هذه شأنها ، وهذه حقيقتها تستتبع أمور ، تستتبع الطاعة ، وتستتبع الذل لذلك المحبوب ، ولهذا المشركون يحبون أنداداهم ، يحبون أندادهم فلذلك يتقربون إليهم بأنواع القربات ، ويرجونهم ويخافونهم ، فالمحبة أصل تتبعها أحوال وأعمال .

وليس من الشرك في المحبة ن المحبة الطبيعية ، كمحبة الإنسان لولده وزوجته ووالديه ، ومحبة للمال ، والمحبة الطبيعية لا تضر ما لم يفرط الإنسان فيها ، حتى تفضي به إلى ، تحمله على ترك واجب أو فعل محرم ،

وقد يفرط الإنسان في المحبة الطبيعية حتى ينتهي به الإفراط إلى الشرك ، الشرك الأكبر .

وسيعقد الشيخ لهذه المعاني أبواب مستقلة ، فهناك باب لقول الله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا** ﴾ ذكر فيه آيات في المحبة ، وأحاديث ، وسيعقد باب في وسط الكتاب في طاعة المراء والعلماء في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل ، يقول : (باب من أطاع الأمراء والعلماء في تحريم ما أحل الله ، وتحريم ما أحل فقد اتخذ أربابا) ترجمة مستقلة ، وذكر يفها الآية ، وذكر فيها حديث عدي .

هذه أربعة آيات ، وكلها تفسر التوحيد ، فتبين أن التوحيد يتضمن ، يعني لابد فيه من ترك الشرك ، ومن الشرك اتخاذ الوسائط العبادة ، ويتضمن التو حيد وشهادة أن لا إله إلا الله البراءة من كل معبود سوى الله كما في كلمة إبراهيم عليه السلام ، ويتضمن إطاعته تعالى وحده ، وإفراده بالطاعة في التحليل والتحريم ، وأن الحكم له وحده ، فالحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، وقد ذم الله أهل الكتاب بانحرافهم عن هذا السبيل في قوله : ﴿ **قاتلوا الذين لا**

....

يأمنوا بالله ولا اليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ﴾ الآية ، فالحلال ما أحل ، والحرام ما حرم ، والدين ما شرع سبحانه وتعالى .

وفي الآية الرابعة ، أن من الشرك ، شرك المحبة ، أن التوحيد يتضمن محبة الله سبحانه وتعالى محبة فوق محبة كل أحد ، ومحبة ما يحب ، فمحبة ما يحب الله هو من توابع محبة الله ، محبة الرسول ، ومحبة المؤمنون ، ومحبة

الأعمال الصالحة ، وبغض ما يبغضه الله ، كل ذلك تابع لمحبته سبحانه وتعالى .

هذا ما يتصل بهذه الآيات ، وأما الحديث فلعله يأتي الكلام عليه إن شاء الله .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله : (وفي (الصحيح)) أي في (صحيح) مسلم ، عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل)) هذا الحديث مما يفسر أيضا التوحيد ، ويفسر شهادة أن لا إله إلا الله ، وذلك أنه قال فيه : ((وكفر بما يعبد من دون الله)) ، فشرط في عصمة الدم والمال ، الكفر بما يعبد من دون الله ، فلا يكفي مجرد التلفظ بكلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، ولا يكفي أن يفرد الإنسان الله بالعبادة ، التوحيد يقال فيه نعم ، التوحيد إفراد الله بالعبادة ، هذا من حيث العمل ، بأن لا يعبد الإنسان إلا الله ، لكن لابد من إفراده بالإلهية عقيدة ، وذلك بأنه هو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ، وأن كل معبود سواه باطل ، ذلك ﴿ **بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل**

....

وأن الله هو العلي الكبير ﴾ ، وهذا هو الذي عبر عنه بالكفر بما يعبد من دون الله ، يعني يحصل الكفر بما يعبد من دون الله ، باعتقاد بطلان هذه المعبودات ، بأنها معبودة بالباطل وبأنها لا تستحق العبادة ، وببغض هذه المعبودات ، وبالبراءة منها ، كما تقدم في قول الخليل ، هذا ما يتضمنه الكفر بما يعبد من دون الله ، الكفر بما يعبد من دون الله يتضمن هذه الأمور .

لا يكون الإنسان موحدا بمجرد أنه لا يعبد إلا الله ، لا يكون موحدا حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، والبراءة منها ومن عابديها ، وهذا القيد في الحقيقة هو مضمنون النفي ، لا إله إلا الله ، فهذا النفي يتضمن الكفر بما يعبد من دون الله ، كما إن الإثبات يتضمن الإيمان بالله ، ولهذا نقول أن كلمة التوحيد تتضمن الإيمان بالله ، والكفر بالطاغوت ، أي الكفر بما يعبد من دونه .

إذًا فقوله : ((وكفر بما يعبد من دون الله)) ، الظاهر لي أن التصريح بذلك تأكيد لمضمون النفي ، وإلا فكلمة التوحيد ، لا إله إلا الله ، تتضمن الكفر بالطاغوت ، الكفر بما يعبد من دون الله ، ولكن في هذا الحديث أختص بالتصريح ، وألا فسائر الأدلة إنما فيه ذكر لا إله إلا الله ، كقوله عليه الصلاة والسلام : ((أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)) ، والرسول صلى الله عليهم وسلم في دعوته يقول للكفار : ((قولوا : لا إله إلا الله تفلحون)) ، ففهم المشركون ، فهموا من كلمة التوحيد إبطال إلهتهم ، فلهذا امتنعوا ، وأبوا ، وكبر عليهم ما يدعون إليه ، ﴿ **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ .

....

فتبين مما تقدم أن التوحيد :

١ ــ يتضمن ترك الشرك ، ومن الشرك اتخاذ الوسائط في العبادة .

٢ ــ ويتضمن البراءة مما يعبد من دون الله .

٣ ــ ويتضمن إفراده تعالى بالطاعة ، وأن من الشرك ، الشرك في الطاعة ، وأن من الشرك ، الشرك في المحبة .

٤ ــ وأن التوحيد لا يتحقق إلا بالكفر بما يعبد من دون الله .

قال الشيخ بعد ذلك : (الحديث ((من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه))) . هذا هو معنى قوله في الأحاديث الأخرى : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك ، عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق ا لإسلام)) هنا قال : ((حرم ماله)) يعني من دخل في الإسلام حرم ماله ، فلا يجوز الاعتداء عليه في ماله ، ((وحرم دمه)) فلا يجوز الاعتداء عليه بالقتل . أما قبل ذلك ، فمن كان على الكفر وهو محارب فدمه وماله حلال للمسلم .

((حرم دمه وماله وحسابه على الله)) ، في هذا التنبيه على أن المعتبر هو ما يظهر للإنسان ، المعتبر في الدنيا هو ما يظهر للإنسان ن فمن أظهر الإسلام وأظهر البراءة من المشركين وشركهم ، وجب الكف عنه ، ووجب احترامه في دمه وماله وعرضه ، وأما باطنه فإلى الله ، ((حسابه على الله)) فالله هو الذي تولى من عباده السرائر ، فمن كان صادقا في توحيده وإيمانه ، كان من أهل كرامة الله ومثوبته ، وكان من المفلحين ، وما كان كاذبا فيما أظهره من الإسلام فهو المنافق ، المتوعد بالدرك الأسفل من النار إذا مات على نفاقه .

....

((فقد حرم دمه وماله وحسابه على الله)) .

بعد هذا قال الشيخ : (وشرح هذه الترجمة) الترجمة أي ترجمة ؟ قوله :
(باب تفسير التوحيد وشهادة لا إله إلا الله) شرح هذه الترجمة ، وما
تتضمنته من الأدلة ، شرحها شرحا وفيا ، (ما بعدها من الأبواب) إذا كل
الأبواب التالية هذه شرح لهذه الترجمة وإيضاحها .

فالأبواب الآتية فيها :

بيان الشرك ، بأنواعه ، الشرك الأكبر والأصغر . وبيان ما يؤدي إلى الشرك
من الوسائل ، وسائل الشرك . وما يقرب من الشرك ، كل هذا عبر أبواب
التوحيد ، ولهذا قال: (وشرح هذه التوجمة ما بعدها من الأبواب) فكل ما
يأتي من الأبواب ، فإنه يزيد التوحيد ، ويزيد الشهادة إيضاحا وبيانا .

فيه أكبر المسائل وأهمها ، وهي تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة وبينها بأمور واضحة :

منها آية الإسراء ، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

الشرح :

هذه المسالة الكبيرة ، (وهي تفسير التوحيد) هذه مسألة كبيرة ، يقول في هذا الباب فيه مسألة كبيرة ، وهي (تفسير التوحيد ، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله) .

(وقد بينها بأمور واضحة) قد بين معنى التوحيد وحقيقته ، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله .

بينها بأمور منها ما في (آية الإسراء وفيها الرد على الذين يعبدون الصالحين) وأن عبادة الصالحين واتخاذهم وسائط أن هذا عين الشرك الأكبر المنافي لأصل التوحيد ، المناقض لشهادة لا إله إلا الله .

ومنها آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم .
ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : ﴿ إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ﴾ فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذة الموالاة ، هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾

الشرح :

وهذا مما يبين أيضا معنى التوحيد وحقيقته ، معنى الشهادة ، ما يبينه أن من التوحيد إفراده تعالى بالطاعة ، وأن طاعة العلماء والأمراء والأحبار والرهبان في التحليل والتحريم ، كل ذلك شرك ، أهل الكتاب قد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، فأخبر أنهم عبدوهم ، اتخذوهم أرباب من دون الله ، وفي آخر الآية ، ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا** ﴾ ، يقول الشيخ : (وتفسيرها الذي لا إشكال فيه المراد بعبادتهم طاعتهم) طاعة الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم ، وتحريم ما أحل على ما جاء في حديث عدي بن حاتم .

﴿ **إلا الذي فطرني** ﴾ فتبرأ من جميع المعبدين واستثنى ربه . جعل الله هذه البراءة من المعبودين ، وهذه الموالاة لله رب العالمين جعلها ، جعل ذلك هو معنى لا إله إلا الله ، هو معنى الكلمة ، أو جعل هذه البراءة وهذه الموالاة هي

الكلمة الخالدة ، شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون** ﴾ .

ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ [١] ، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على انهم يحبون الله حبا عظيما ، ولم يدخلهم في الإسلام ، فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله ؟ ! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ، ولم يحب الله ؟ !

الشرح :

الله تعالى ذم المشركين أن سووا أندادهم بالله ، واتخذوا من دونه أنداد في المحبة يحبونهم كحب الله ، فهذا من الشرك المنافي للتوحيد .

يقول الشيخ : (فكيف بمن أحب الند ، أكبر من حب الله ؟ ! ، فكيف بمن لم يحب إلا الند ولم يحب الله ؟ !) الند المخلوق ، ولم يحب الله ، يكون أقبح الله ذم المشركين بأن سووا ، تسوية فقط ، سووا غير الله بالله في المحبة فقال : ﴿ **يحبونهم كحب الله** ﴾ أي كحبهم الله ، فدل ذلك على أنهم يحبون الله حبا عظيما ، ولم ينفعهم ذلك لما أشركوا به سبحانه وتعالى ، فكيف بحال من أحب الند أكبر من حبه لله ؟! ، أو أحب الند وحده ولم يحب الله ؟ ، لا شك أنه أقبح وأكفر .

---

(١) البقرة الآية [١٦٧] .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ((من قال : لا إله إلا الله وكفر بما وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابيه على الله)) وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يرحم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك ، الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

الشرح :

كذلك مما يبين التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، حديث أبي مالك الأشعري ، فإنه من أعظم أبلغ ما يبين معنى : لا إله إلا الله ، يقول الشيخ : (فإنه) يعني في الحديث ، (فإنه) الرسول صلى الله عليه وسلم ، (لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها) ، حتى ولو عرف معناها ، (بل ولا الإقرار بها بل ولا كونه لا يعبد إلا الله) كما تقدم ، (بل ولا يرحم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك) كله (الكفر بما يعبد من دون الله) كما هو نص الحديث ((وكفر بما يعبد من دون الله)) ولكن كما تقدم أن المؤول في هذا على الظاهر ، فإذا قال : لا إله إلا الله ، وقال : أنا أؤمن بالله ، وأكفر بما يعبد من دون الله ، وكل هذه المعبودات باطلة . حسبه ذلك ، هذا

الذي نملكه ، أما سريرته فإلى الله ، قد يقول هذا كله ، ويقول : لا إله إلا الله ويقول : أنا أكفر بما يعبد من دون الله ، وأبرأ من كل معبود سواه ، يقول هذا بلسانه ، وهو بخلاف ذلك ، فلا علينا ، علينا أن نكف ، حرم ماله ودمه .

....

لكن لو قال : لا إله إلا الله ، هذه المعبودات أنا لا أقول فيها شيء ، أنا لا أعبد إلا الله ، أما الناس ما أتعرض لهم ، ولا أقول إنهم كفار ، ولا أقول إن هذه المعبودات باطلة ، أنا ما لي دخل ، أنا لا أعبد إلا الله .

ما يكفي ، هذا أصل عظيم ، لابد من تكفير الكفار ، اليهود والنصارى الآن ، هذه محنة عظيمة الآن قائمة ، لا يكون الإنسان مسلما حتى يعتقد أن اليهود والنصارى على باطل وأنهم ليسوا على دينا صحيح ، بل هم على دين باطل إما منسوخ ، وإما مبتدع ، وأصل كفرهم تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، رسول الله إلى الناس كافة ، فلابد من اعتقاد كفرهم ، لابد ، فلا يجتمع أبدا الإسلام ولا النصرانية ، ولا إخاء ، ليس بيننا وبينهم إخاء ، فحذاري من الدعايات التي تقوم على مبدأ خبيث ، وهو التقريب بين النصرانية بالتعبير الصحيح الشرعي ، ما هو المسيحية ، التقريب بين النصرانية والإسلام ، واليهودية كذلك ، والتقريب بين اليهودية والإسلام ؛ لأن اليهود والنصارى أهل كتاب أبدا ، اليهود والنصارى حكمهم في الجملة واحد ، كلهم أهل كتاب ، أحكامهم في الإسلام متشابهة تماما ، وإن كان اليهود يختصون بزيادة العداوة ، والنصارى هم أقرب إلى المودة ، لكن هم أع داء ، وجميعا أحكامهم واحدة ، أقرءوا القرآن تجدونه كذلك ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي**

القوم الظالمين ﴾ ، ولما ذمهم وأمر بقاتلهم قال سبحانه : **﴿ قاتلوا الذين لا يأمنون بالله و لا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ﴾** من هم الذين أوتوا الكتاب ؟ اليهود والنصارى ، قال تعالى : **﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾**

....

اليهود والنصارى كلهم ممن يجب قتاله حتى يسلموا أو يعطوا الجزية .

قال بعدها **﴿ قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾** ولما ذمهم بتكذيب بعضهم بعضا ، قال : **﴿ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾** ، ولما حكى الله أمانيهم حكى عن الجميع ، **﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه ﴾** ، كلهم فاليهود والنصارى حكمهم في الإسلام واحد .

فلا بد من اعتقاد كفرهم فاليهود والنصارى كفار ، من مات منهم على كفره فهو من حطب جهنم ، من مات على النصرانية أو على اليهودية فهو كافر مستحق للخلود في النار **﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ﴾** .

تقدم ذكر لكم الحديث الثابت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أدخله النار أو كبه الله على وجهه في النار)) فلا بد من تحقيق هذا الأصل ، أصل الكفر بما يعبد من دون الله ، والكفر بما يعبد من دون الله يتضمن الكفر بعبادة ما يعبد من دون الله ، كما قال الله سبحانه وتعالى في سورة الكافرون : **﴿ قل**

يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدو ن ما أعبد .. ﴾ إلى آخرها ، فيه البراءة مما يعبد من دون الله ومن عبادتهم .

بعد هذا بابان ، بعد هذه الترجمة التي جعلها الشيخ أصل لما بعدها من الأبواب بدأ بذكر أبواب تتضمن أنواع الشرك ، فأول ذلك قوله رحمه الله : (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع ا لبلاء ودفعه) وبعده (باب ما جاء في الرقى والتمائم) . وهذان البابان بينهما تقارب في المعنى وفي الأدلة فأحب

....

أن أتكلم عنهما كلمة عامة نستعرض ما تيسر مما اشتمل عليه هذان البابان ثم نقرأ نص البابين ومسائلهما .

فالباب الأول يقول فيه الشيخ رحمه الله : (باب من الشرك لبس الحلقة) سواء كانت من حديد أو من صفر أو غير ذلك ، حلقة . (لبس الحلقة والخيط ونحوهما) وخص الشيخ الحلقة والخيط لورودهما في الحديث والآثار (لرفع البلاء) لبسها لهذه الغاية (لرفع البلاء أو دفعه) لكن لبس الحلقة للزينة ، أساور كما تلبس النساء ، أو مثل الساعة الآن لم تلبس لهذا المعنى ، لهذا قال الشيخ ، قيد (لرفع البلاء) يعني الضر الذي يصيب الإنسان ويتعرض له ، لرفعه بعد نزوله أو دفع قبل نزوله ، لبس الحلقة والخيط والتم يمة سواء كان هذا اللباس على الرأس أو الرقبة عام ، لبس الحلقة والخيط ونحوهما ، من تميمة أو ودعة ، لرفع البلاء أو دفعه ، فهذا من الشرك ، أي من الشرك الأصغر ، هذا هو الأصل في مثل هذا ، والشرك الأصغر قد يعظم في نفس صاحبه فينتهي إلى الشرك الأكبر ، ولكن الأصل في مثل هذا أنه من الشرك الأصغر ، ثم استدل الشيخ في هذا الباب بآية وحديثين وأثر .

أما الآية فهي قوله تعالى : ﴿ **قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله** ﴾ يكفيني الله ،الله حسبي ﴿ **قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون** ﴾

﴿ **قل أفرأيتم** ﴾ في هذا توبيخ للمشركين ، على تعلقهم بمعبوداتهم ، بحيث يدعونها ويرجونها ، وذلك ببيان أنها لا تكشف ضرا ، تجلب رحمة .

﴿ **هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته** ﴾ ، لا تمنع فضل الله ممن أراده ، ولا تكشف بأس الله عمن أنزله به ، هذه

....

المعبودات من الأصنام ، وغيرها من الأوثان هذا شأنها .

إذًا الله هو المتفرد بكشف الضر ، وجلب النفع ، وإنزال الرحمة ، ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده** ﴾ إذًا هذه المعبودات لا تكشف ضر ، ولا تجلب نفع ؛ لأنها عاجزة ناقصة مخلوقة ، لا تملك لغيرها ولا لنفسها نفعا ولا ضرا ، هذه الآية نزلت في شأن المشركين الشرك الأكبر الذين يعبدون مع الله غيره ويدعون هذه الأصنام ، ولكن الشيخ استدل بها أيضا على الشرك الأصغر ليبين أن الله تعالى هو المتفرد بجلب النفع ودفع الضر .

إذًا ما يعلق من تمائم ويلبس من حلق أو خيوط هذه لا تنفع ل تجلب نفعا وتدفع ضرا ولا ترفع بلاءً ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله** ﴾ عام فيشمل ما يتعلق به المشركون من الأصنام وما يتعلقون به من الأوثان مما يعبدونه من الأموات ومن الصالحين وغيرهم .

ويشمل ذلك ما يعتقده الجهال فيما يعلقونه من حروز وتمائم وودع وخرز .

وذكر الشيخ من أدلة هذه الترجمة حديث عمران بن حصين ، وحديث عقبة بن عامر ، وأثر حذيفة .

ففي حديث عمران بن حصين فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على الذي رأى في يده حلقة من صفر ، فقال : ((ما هذا ؟)) على وجه الإنكار ، قال : من الواهنة . قال : ((انزعها فإنك لا تزيدك إلا وهنا ، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا)) .

إذًا هذا دليل على أن لبس الحلقة لرفع البلاء أو لدفعه أنه حرام وأنه من أسباب حرمان الفلاح ((لو مت وهي عليك ما أفلحت)) فالفلاح هو الفوز والظفر

....

بالمطلوب والنجاة من المرهوب ، وفي هذا أبلغ تحذير ، فأنكر عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأغلظ له بالقول ، أنكر عليه بالقول ــ وبدا لي أن هذا الرجل بادر وقد ورد في بعض روايات الحديث أن الرجل هو عمران فلا بد أن عمران قد بادر فنزعها ــ قال : ((انزعها)) .

وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من تعاق تميمة)) تعلق : يعني علق تميمة على بدنه وتعلق بها قلبه ، علقها وتعلق بها قلبه ، علقها ببدنه وتعلق بها قلبه . ((تميمة)) : ما يعلق من الحروز ، سواءً كان من مكتوب ، سواء كان كتاب أو غير كتاب كالخرز والودع أو عظام . ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له)) دعاء عليه ، ((ومن تعلق ودعة فلا ودع له)) أي لا تركه في دعة وفي هناء من أمره ، بل أساره الله إلى القلق ((فلا ودع الله له)) وفي اللفظ الآخر ((من تعلق تميمة فقد أشرك)) وهذا تصريح بأن تعليق التميمة أنها شرك .

ويدل لهذا تماما ما جاء في الباب الذي بعده (باب ما جاء في الرقى والتمائم) وهو حديث بن مسعود : ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)) .
وفي حديث عقبة التصريح به أنه شرك وفي الدعاء بأن من تعلق تميمة أو ودعة . يدل ذلك على تحريم تعليق التمائم وأنه شرك .
وفي أثر حذيفة أنه رأى رجلا وفي يده خيط من الحمى فقطعه ، وتلا قوله تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ أنكر عليه لأنه علم أنه إنما علقه من أجل الحمى ، لكشف الحمى عنه ، فأنكر عليه بالفعل ، والمنكر ينكر بالقول وبالفعل بحسب الأحوال ، فمن كفاه الإنكار بالقول وقيل له انزعها ، فُعل معه ذلك ، ومن لم ينزجر إلا بالفعل ومن كان الإنكار عليه بالفعل لا

....

يؤدي إلى العناد والإصرار على المنكر أمكن أن ينكر عليه بالفعل . فالذي يقوم بالإنكار يلاحظ المصلحة وما يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة .
أما الباب الثاني فهو يدل أيضا على تحريم التمائم ، كما في حديث ابن مسعود وفي حديث رويفع ، الحديث الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله : ((يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا برئ منه)) .
والشاهد قوله : ((أو تقلد وترا)) .
وقبل ذلك في أول الباب ، في الصحيح ، (عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه ، قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأرسل رسولا) يعني بعث إنسانا وأمره بقطع ما يعلق على الإبل ــ العرب يعل قون هذه التعاويذ ، تعويذ يعلقونها على أنفسهم وعلى صبيانهم وعلى بهائمهم ، على

البهائم ــ (فأرسل الرسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر) خيط من الجلد الأصل أنه يستعمل في القوس يرمى به ، فالوتر : واحد من الأوتار . يقول : (ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة) مطلقا على الشك (إلا قطعت) .

والصواب أن ذلك عام لا يختص بالوتر .

(ألا يبقين في رقبة بعير قلادة إلا قطعت) يعني قلادة من أجل دفع العين أو دفع البلاء أو رفع الضر ، هذا هو المقصود ، أما لو كانت قلادة من أجل الزينة ، كمن يضع على دابته قلادة يزينها بها ، بل قد جاء تقليد الهدي بقلادة بالقلائد ، يعني تعليما لها بأنها هدي . فهذا من العام الذي أريد به الخصوص . (ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت) يعني مما يعلق

....

لدفع العين أو لدفع البلاء أو رفع الضر ، أما ما يعلق لغير ذلك كالزينة ، أو لشد شئ في الحيوان ، كما هذا هو الشأن في الإنسان ، لو الإنسان لبس شيئا للزينة أو شد على العضو خيط من أجل على الضغط كالعصابة على الرأس ، فهذا كله ليس منها ، هذا أسلوب علاجي معروف ، الشد من أنواع العلاج ، العصابة ، كل هذا لا يدخل فيها ، إنما المقصود من هذا كله ما يُعلق بناءً على اعتقاد تأثير هذا المعلق في دفع البلاء أو رفعه .

والشيخ أفرد الرقى والتمائم بباب عن لبس الحلقة والخيط ، ذلك أن لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه محرم مطلقا بدون تفصيل ، أما الرقى والتمائم ففيها تفصيل : الرقى منها ما هو جائز ، ((لا رقية إلا من عين أو حمة)) ولهذا قال الشيخ في نفس الباب : (والرقى هي التي تسمى العزائم وخص

منها الدليل ما خلا من الشرك) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لا بأس بالرقى ما لم تكن شرك)) .
إذًا الرقى المحرمة هي الرقى المشتملة على الشرك ، أو الرقى المجهولة التي لا يدرى ما حقيقتها . والتمائم فيها تفصيل : فالتمائم التي من القرآن فيها خلاف ، وقد ذكره الشيخ في الباب ، وذكر تفسير التم ائم أنه شئ يعلق على الصبيان لدفع العين فأما إذا كانت من القرآن ، يقول الشيخ : (أما إذا كانت من القرآن فرخص فيها بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيها) وممن منع التمائم التي من القرآن ابن مسعود رضي الله عنه .
أقول : إن الشيخ أفرد الرقى والتمائم بترجمة لأن فيها تف صيلا أما الحلق والخيوط والودع فليس فيها تفصيل ، فلهذا جزم في الباب الأول وقال : (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه) وجزم أن ذلك
....

من الشرك ، وذكر الأدلة على ذلك . أما في الباب الذي بعده قال : (باب ما جاء في الرقى والتمائم) يعني باب ما جاء في الرقى والتمائم ، باب ما جاء من النهي وما جاء فيها من الرخصة . وهذا مما يدل على فقه الشيخ ودقته في هذه التراجم وهذه العناوين ، فذكر أن الرقى والتمائم فيها تفصيل ، أ ما الرقى ففيها تفصيل فمنها ما هو جائز مباح ومشروع ومنها ما هو محرم ، وأما التمائم فمنها ما هو محرم قطعا ومنها ما فيه خلاف . وإن كان الصواب والراجح هو تحريم التمائم مطلقا وإن كانت من القرآن وذلك لثلاثة أسباب :

أولا : لعموم الأدلة ؛ لأن الأدلة الدالة على تحريم التمائم ليس فيها استثناء ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)) ، ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له)) ((من تعلق تميمة فقد أشرك)) .

وثانيا : أن تعليق التمائم من القرآن وسيلة لتعليق غيرها ، فما يدري لو قلنا بجواز تعليق التمائم من القرآن لم نستطع أن ننكر على من علق أي تميمة أو أي حجاب أو أي كتاب .

وثالثا : أن تعليق التمائم من القرآن يؤدي إلى امتهان القرآن ، فإن الذي يعلقها لا بد أن يدخل بها ــ عامدا أو ناسيا ــ أن يدخل بها الأمكنة محل قضاء الحاجة ، ويعلقها في داخل بدنه فتكون في مغابن البدن ، كثيرا ما يعلقها في رقبته وتكون تحت إبطه في الأماكن المستكرهة التي تنبعث منها الروائح الكريهة . فلهذا كان الراجح هو تحريم تعليق التمائم التي من القرآن ، أما التي من غير القرآن فإنها محرمة بالاتفاق . والله أعلم . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد . ونقرأ الأبواب إن شاء الله في الدرس القادم .

قال الشيخ ، رحمه الله :

٧ ــ باب من الشرك
لبس الحلقة أو الخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ﴾ الآية [١] .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، رأى رجلا في يده حلقة من صفر ، فقال : ((ما هذا ؟)) قال : من الواهنة ، فقال : ((انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا ، فإنك لو مت وهي عليك ، ما أفلحت أبدا)) رواه أحمد بسند لا بأس به .

وله عن عقبة بن عامر مرفوعا : ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)) وفي رواية : ((من تعلق تميمة فقد أشرك)) .

ولابن حاتم عن حذيفة ، أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون ﴾ [٢] .

الشرح :

تقدم الكلام على هذه الترجمة (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه) ، وأن مراد الشيخ ، (باب من الشرك) يعني الأصغر ، (لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه) .

(١) الزمر الآية [٣٨] .
(٢) يوسف الآية [١٠٦] .

....

واستدل الشيخ لمضمون هذه الترجمة ، بآية وحدثين وأثر ، كما سبق .

والآية وإن كانت نازلة في الشرك الأكبر ، في المشركين الذين يدعون الأصنام ، ويدعون آلهتهم من دون الله : ﴿ **قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله** ﴾ فالشيخ قدل استدل بها على الشرك الأصغر ، بجامع أنه تعلق بغير الله ، ورجاء للنفع ، واستدفاع للضر ، من جهة ما لا يملك شيء من ذلك ، فالمشركون يتعلقون بآلهتهم يرجونها ، وإن كانوا يقرون بأنها لا تنفع ولا تضر بل يتخذونها وسائط ، فقوله : ﴿ **إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره** ﴾ ﴿ **أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته** ﴾ استفهام فيه توبيخ وإنكار على المشركين ، وهو في نفس الوقت فيه تقرير المخاطبين بما يقرون به ، فإن الكفار يقرون بأن آلهتهم لا تكشف الضر ، ﴿ **هل هن كاشفات ضر** ﴾ ﴿ **أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته** ﴾ ، لكنهم يتعلقون بها على أنها وسائط .

حديث عمران بن حصين ، وحديث عقبة فهما الدلالة على تحريم لبس الحلقة ، ولبس التميمة ، وتعلق الودع ، والودع قالوا : أنه شيء يستخرج من البحر ، يعلقه الجهال ، كالخرز والخيوط ، وفي الرواية الثانية التصريح بأن هذا شرك ((من تعلق تميمة فقد أشرك)) .

وهكذا أثر حذيفة ، فيه أنه قطع خيط وتلا الآية : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون** ﴾ .

وكان التعلق بهذه الأشياء شرك ؛ لأن تعلي اقها يتضمن الاعتماد عليها ، والاعتماد عليها شرك ، الاعتماد على الأسباب الحقيقة شرك ؛ لأنه ينافي

التوكل على الله ، فالتعلق أو الاعتماد على السباب الحقيقة شرك ، فكيف

....

بالتعلق أو الاعتماد على أسباب وهمية ليست أسباب ؟ ! ،فالحلقة والخيط والودع والتميمة وتعليق الخرز ، وهذه كلها ليست أسبابا ، فيكون الاعتماد عليها أقبح من الاعتماد على السباب الصحيحة ، الأسباب الحقيقة ؛ لأن الله خلق الأسباب وجعل لها تأثير في مسبباتها .

فلبس هذه الأشياء تعليقها مع الاعتماد عليها ، بل لا يكون تعليقها إلا مع الاعتماد عليه الذين يعلقون هذه المتعلقات يعتمدون عليها ، فلهذا كان تعليقها شرك .

فالواجب تجنب هذه الأشياء ، والاكتفاء بالأسباب الحقيقة ، الأسباب الشرعية والأسباب الكونية ، فيه أسباب كونيۃ ، وأسباب شرعية ، والتعلق بالأسباب الوهمية هذه من شأن أهل الخرافة ، من جهل الجهال والسذج ، يتعلقون بما ليس بسبب .

وتعاطي الأسباب الكونية والشرعية يجب أن يكون مقرون بالتوكل ، مقرونا بالتوكل على الله سبحانه وتعالى .

إذًا فتعليق هذه الأشياء لا يجوز بحال ، إلا ما سيذكره المؤلف في الباب التالي في التمائم التي من القرآن على ما في ذلك من خلاف ، وسبق القول فيها أيضا

وفيه مسائل :

الأولى : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما .

الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح ، فيه شاهد لكلام الصحابة : إن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر ، لقوله : ((لا تزيدك إلا وهنا)) .

الشرح :

الأولى : (التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما) التغليظ هذا مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم : ((إنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا)) هذا فيه تغليظ وتهديد ووعيد شديد ، يدل على أن ذلك من المنكرات العظيمة ((إنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا)) أما من تاب ، تاب الله عليه .

الثانية : (أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح ، فيه شاهد لكلام الصحابة : إن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر) يقول إن قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي كان في يده حلقة من صفر : ((إنك لو مت وهي عليك ما افلحت أبدا)) يقوا : فيه شاهد عن ما جاء من الصحابة أن الشرك الصغر أكبر من الكبائر ، الشرك وإن كان أكثر الناس يتهاون فيه ويجهل قبحه ، فهو أقبح القبائح ؛ لأنه شرك ، يقول : فيه شاهد عن ما جاء عن الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

الثالثة : يقول الشيخ : (أنه لم يعذر بالجهالة) ؛ لأن الرسول قال له ذلك ، وإن كان قد لبسها جاهلا لم يعلم النهي ، وهذه المسألة عندنا تحتاج إلى تفصيل ، أنه لم يعذر بالجهالة وأنه يستحق هذا الوعيد وإن كان جاهلا ، فهذا فيه نظر ....

النصوص تفسر بعضها بعضا ، فالذي يظهر أن هذا الوعيد ، يعني مرتب ما لو أصر على تعليقها أو لبسها بعد علمه بالنهي والتحريم ، كسائر الذنوب ، إنما يستحق العذاب من قامت عليه الحجة ، لقوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ ، وإن مراد الشيخ ، والله أعلم ، أنه لم يعذر بالجهل ، بل أنكر عليه ، وقال : ((أنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا)) فهذا صحيح لا إشكال فيه ؛ لأن الجهل لا يمنع من الإنكار ، كون الفاعل للمنكر جاهلا هذا لا يمنع من الإنكار عليه ، بحسب الحال إما بالرفق واللين أو بالشدة والتغليظ ، الرسول عليه الصلاة والسلام إنما أغلظ عليه بالقول ، تنفيرا له عن هذا الفعل ، ((انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا)) ضعفا وعلة ، اتخاذها هو من مرض الواهنة ، وهو عرق يأخذ في الكتف والعضد ، وقال : ((إنها لا تزيدك إلا وهنا)) لا تنفعك تزيدك بلاء ، وهو التعلق بغير الله ، ورجاء النفع من غير الله ، هذا أقبح وأخطر ، هذا مرض قلبي ، والمرض القلبي الذي نقص به الدين ، هذا أقبح وأخطر وأضر على العبد من ا لمرض الجسدي ، ((إنها لا تزيدك إلا وهنا)) فأنكر عليه وأغلظ عليه ، وإن كان جاهلا .

ما احتاج إن تقول له : اترك هذا حرام ، هذا خطر ، هذا من كبائر الذنوب .

الرابعة : (أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر ، لقوله : ((لا تزيد إلا وهنا)) يقول من فوائد هذا الحديث : أن لبس الحلقة أو الحلقة الملبوسة لا تنفع في

العاجلة ، بل تضر ، يمكن أن يعاقب الإنسان فيزيده الله علة إلى علته ، ومرضا إلى مرضه ، زيادة على مرض قلبه بالتعلق بها والاعتماد عليها ، بل تضر.

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .
السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئا وكل إليه .
السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .
الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى كذلك .
التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .

الخامسة : (إنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك) الإنكار بالتغليظ هذا أسلوب من أساليب الإنكار ، الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك ، وهذا قد تختلف فيه الأحوال ، كما سبقت الإشارة ، أن إنكار المنكر يختلف باعتبار المنكر والمنكر عليه والفعل المنكر ، فقد يكون من الحكمة التغليظ ، وقد يكون من الحكمة الإنكار بالفعل ، وقد يكون من الحكمة الرفق واللين ، فلعل الرسول أغلظ لعمران ؛ لأنه من فضلاء الصحابة ، من الناس الذين ينبغي أن يكونوا أبعد من غيرهم عن هذه الأشياء ، يعني مثلا إذا وقعت المخالفة والتقصير من طالب علم ، هذا ليس كالإنسان العادي من سائر الناس ، هذا يستوجب من الإنكار عليه أعظم من غيره .

السابعة : (التصريح بأن من تعلق شيئا وكل إليه ، والتصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك) وفي هذا أبلغ تحذير عن تعليق التمائم ، من تعلق شيئا وكل إليه ، وكله الله إليه ، وتخلى الله عنه ، ومن وكله الله إلى نفسه وحيلته فهو مخذول ومغلوب .

الثامنة : (أن تعليق الخيط من الحمى كذلك) أي بسب الحمى ، أو من الحمى ، هو من ذلك ، أي من الشرك الأصغر أو من نوع تعليق التمائم ، بدليل الآية

....

التاسعة : (تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة) يقول أن حذيفة لما قطع الخيط من يد الرجل تلا قوله تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ وفيه أن الصحابة كانوا يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر يستدلون بها على تحريم الشرك الصغر ؛ لأن الكل فيه تعلق بغير الله .

كما جاء عن ابن عباس في آية البقرة ، وهي قوله تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾ ، قال : (هو الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على صفات سواء في ظلمة الليل) ، أخفى من دبيب النمل ، وذكر من نماذج الشرك الأصغر ، الشرك الخفي ، قول الرجل : هذا من الله ومنك ، ولولا الله وأنت ، ولولا كليب هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص .

والشيخ قد عقد بابا بهذا الآية ، ترجمة له بهذه الآية (باب قول الله تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾) وذكر فيها أثر ابن عباس .

فقول ابن عباس : هو الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل . هذا فيه الاستدلال بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر ، من جنس استدلال حذيفة ، رضي الله عنه .

العاشرة : أن تعليق الودع لدفع العين من ذلك .
الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة ، أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة ، فلا ودع الله له ، أي لا ترك الله له .

الشرح :

العاشرة : (أن تعليق الودع عن العين من ذلك) الودع وهو شيء يستخرج من البحر ، وهو يشبه أجسام ملساء كأنها عظام ، يعلقها الجهال كذلك لدفع العين ، يقول : (أن تعليق الودع لدفع العين من ذلك) يعني من قبيل تعليق التمائم ، وأنه من الشرك الصغر .

الحادية عشرة : (الدعاء على من تعلق تميمة ، أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة ، فلا ودع الله له ، أي لا ترك الله له) فيه الدعاء لحديث عقبة بن عامر : ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له)) هذا دعاء عليه بأن لا يتم الله له مطلوبه ، وقوله : ((من تعلق ودعة فلا ودع الله له)) كذلك دعاء عليه ، بأن لا يترك الله له خيرا ولا أمرا يحبه ، ((فلا ودع الله له)) ((فلا أتم الله له)) هذا أسلوب دعاء .

٨ ــ باب ما جاء في الرقى والتمائم

في (الصحيح) عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت .

الشرح :

سبق التنبيه على أن هذه الترجمة تختلف عن الترجمة السابقة ، فالأولى صرح فيها الشيخ بأن لبس الحلقة والخيط من الشرك ، أما هذه فلم يصرح فيها أبهمها وأجمل (باب من الشرك) وذلك لأن الرقى فيها تفصيل منها ما هو جائز ، ومنها ما هو شرك ، وكذلك التمائم في بعضها تفصيل ، وهي التمائم من القرآن ، ومن أجل ذلك غير الشيخ أسلوبه في العنوان ، عنوان هذا الباب ، جعله مخالف للباب المتقدم .

هذا الحديث فيه الأمر بقطع ما يعلق بناء على اعتقاد جلب النفع ورفع الضر ، من وتر أو غيره على الصحيح ، وفيه دلالة على أنه ينبغي لولي الأمر أن يرسل من ينكر المنكر بالقول أو بالفعل ، (أرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير) يعني أمره بأن يبلغ الناس ، أو أن يفعل هو ذلك الرسول بنفسه ، أن لا يترك على بعير من الإبل ، إبل الجيش أو من حوله ، (أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت) يدل على تحريم تعليق الخيوط أو الأوتار ، خيط من قطن أو من جلد أو من أي نوع كان ، تعليق شيء من ذلك لدفع البلاء ، لدفع العين أو رفع العلة المرض ، سواء كان على حيوان أو إنسان .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)) رواه أحمد وأبو داود .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا : ((من تعلق شيء وكل إليه)) رواه أحمد والترمذي .

ثم قال الشيخ :

التمائم : شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه .

الرقى : هي التي تسمى العزائم ، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمى .

والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته .

الشرح :

كذلك هذا حديث عبد الله بن مسعود ، وحديث عبد الله بن عكيم ، يدل على ما تقدم ، لكن حديث بن مسعود فيه ((أن الرقى والتمائم والتولة شرك)) وفسر الشيخ الرقى وفسر التمائم ، وبين ما فيها من التفصيل .

فأما الرقى ، يقول : (هي التي تسمى العزائم) يعني يسميها الناس العزائم ، يسمونها عزيمة .

يقول : (وخص منها الدليل ما خلا من الشرك) الحديث يدل على تحريم الرقى وأن الرقى شرك ن ولكن هذا ليس على العموم ، بل يستثنى من هذا

....

العموم الرقى التي لا شرك فيها ، لأدلة الدالة على إباحة الرقية الخالية عن الشرك ، وذلك كما في حديث بريدة بن الحصين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لا رقية إلا من عين أو حمة)) ، قد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث في (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب)

وهكذا ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لا بأس بالرقى ما لم تكن شرك))

إذًا الرقى منها ما هو شرك ، ومنها ما هو جائز مباح ، والرسول صلى الله عليه وسلم رقى ورُقِي ، رقى نفسه ورقته عائشة ، ورقاه جبريل ، فلا بأس بالرقى ما لم تكن شركا .

تكون شركا إذا كانت بأسماء مجهولة أو بأسماء شياطين ، أو بأسماء من يتعلق بهم المشركون ، يعني من الرقية أن تقول : باسم الله أرقيك من كل شيء فيك ، من شر عين كل حاسد ، الله يشفيك ، هذه رقية صحيحة شرعية .

لكن لو قال في رقيته : باسم كذا ، وهذا اسم فلان أو فلان من الأولياء ، أو باسم مبهم ، لا يعرف ، أو عبر بعبارة غير مفهومة ، فإن هذا منكر .

فلابد من التحقق أنها رقية بالآيات القرآنية ، والأدعية الشرعية المأثورة أو المباحة على الأكثر .

وفسر الشيخ ، وقال : (التمائم : شيء يعلق على الأولاد ، يزعمون أنه يدفع العين) . وهذا ليس في الحقيقة هذا تفسير خاص بما يعلق على الأولاد ، لكن هذا هو الكثير المعروف عند العرب ، أن التمائم يعلقونها على الصغار ، أو أن الشيخ لاحظ ما كان سائدا بين الناس ، من تعليق الحروز على الأطفال ، وهذا كثير ، تجد الناس يهتمون بأولادهم لدفع العين عنهم ، يعلقون الحروز ، ....

الحجب كتب يكتبونها ، أو يعلقون عليهم شيء من التمائم ، حديدة ، حلقة ، خرز ، ودع .

(لكن إذا كان المعلق من القرآن) ففيه خلاف ، (فرخص فيه بعض السلف) كما جاء عن عبد الله بن عمر بن العاص .

(وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهي عنه) جعل التمائم من القرآن من جملة المنهي عنه ، ومن من لم يرخص الحبر العالم الكبير عبد الله بن مسعود ، من علماء الصحابة .

وسبق بيان أن هذا هو الراجح ، يعني القول بالمنع ، أي بمنع التمائم وتحريم تعليق التمائم وإن كانت من القرآن ، هو القول الراجح ، ورجح هذا في أمور سبق ذكرها .

يقول الشيخ : (والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته) إذًا هو درج من السحر ، يسمى في هذا الوقت يسمى عطف ، فيه سحر صرف ، وسحر عطف .

سحر عطف يعني في تحبيب الرجل إلى المرأة أو تحبيب المرأة إلى الرجل ، قد يفعل هذا بين زوجين ، قد يفعل هذا لزوجين فيكون الأمر أسهل ، وقد يفعل هذا لرجل مع امرأة أجنبية ، والجمع بينهما على حرام ، وهذا باطل ، قد يقول بعض الناس : أن تحبيب الرجل إلى امرأته ، وتحبيب المرأة إلى زوجها ، أن هذا شيء مطلوب .

ومن دروب السحر ما يفرق بين الزوجين ، وهو الذي قلت عنه ، أنه يسميه العامة الصرف ، وهذا هو الذي ذكره الله في القرآن ﴿ **فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه** ﴾ هذا نوع من السحر ، وهذا حرام لكونه

....

سحرا ، ولما يشتمل عليه من التفريق بين الزوجين ، وهذا ضد المقصود الشرعي ، فإن من مقاصد الشريعة التأليف بين الزوجين ، وتآلف الزوجين ، واستمرار الحياة الزوجية ، ولهذا كان تخبيب المرأة وإفسادها وتمكينها على زوجها ، من المنكرات .

فأقول : أن التولة ، أنها حرام ، وشرك كما في الحديث ، وإن كانت تحبيب للزوجين ؛ لأن هذا الحب الذي ينشأ عن السحر ، ليس حبا حقيقيا نابع عن

عقل وفكر واختيار ، بل هذا تأثير ناشئ عن هذا العمل السحري الشيطاني ولهذا لا يكون حبا معتدلا متزنا ، بل يكون الحب الذي ينشأ عن عمل السحر عن التولة ، يكون فيه إفراط بحيث أن يتعلق الرجل بالمرأة ، ويفرط فيحبها ويفتتن بها ويفتضح ، حتى أنه ربما يفتضح بين الناس ، بكثرة ذكره لها ، وكلامه فيها ، وعدم صبره عنها ، وهكذا المرأة .

إذًا هذا التحبيب ، ليس التحبيب الذي ينشأ عن النظر والاختيار ، والنظر إلى المحاسن ، بل هذا تأليف شيطاني ، فلا يأول عليه ولا يغتر به .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا رويفع لعل الحياة تطول بك فاخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو أستجنى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمدا برئ منه))

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : ((من قطع تيميه من إنسان كان كعدل رقبة)) رواه وكيع .

الشرح :

هذا الحديث الأول ، حديث رويفع الذي رواه الإمام أحمد ، فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : ((يا رويفع لعل الحياة تطول بك)) هذا رجاء من الرسول أن الحياة ستمتد ، ويطول عمر رويفع ، وفعلا قد طال عمره ، كما توقع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا أسلوب ، وإن كان من أسلوب الرجاء فهو خبر ، كما قال عليه الصلاة والسلام : ((لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) .

قال : ((فاخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو أستجنى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمدا برئ منه)) ، وفي هذا وعيد شديد على من فعل شيء من هذه الثلاثة .

((من عقد لحيته)) ، عقد اللحية فتلها ، أو عقدها العقد المعروف ، إن كانت طويلة يعقدها ، أو يفتلها ويجعلها من نوع الضفائر ، قيل أن هذا ما يفعله بعض الأعاجم تكبرا وتعظما ، يجعل للحيته هيئة تختلف عن سائر الناس ، فيجعل لها مظهر ، مظهر كبر وتعاضم .

((أو تقلد وترا)) تعلق يعني علقه ، وتعلق قلبه به ، رجاء نفعه أو دفعه للضر ، كما تقدم .

....

((أو أستنجى برجيع دابة أو العظم)) روث الدابة . ((فإن محمد برئ منه)) فيدل الحديث أن كلا من هذه الأمور الثلاثة حرام :

عقد اللحية ، وتقلد الوتر لجلب النفع أو دفع الضر ، أو الاستنجاء بالروث أو العظم . وقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة

النهي عن ذلك ، كما في حديث سلمان الذي رواه مسلم قال : نهانا رسول صلى الله عليه وسلم أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيع أو عظم .

وفي حديث رويفع ما يدل على أن ذلك من كبائر الذنوب لقوله : ((فإن محمد برئ منه)) فالعمل الذي يتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه ، ليس من صغائر الذنوب ، بل هو من كبرائها .

والشاهد من الحديث قوله : ((أو تقلد وترا)) .

وفي أثر سعيد بن جبير قال : ((من قطع تيميه من إنسان كان كعدل رقبة)) هذا من قول سعيد ، وهذا لا مجال للرأي فيه ، فإنه من حكم الرفع ، ولكنه يكون من قبيل المرسل ؛ لأن سعيد بن جبير تابعي ، فهو كلام في حكم المرفوع ، ولكنه مرسل ، ولكن الشيخ استشهد به ، ولم يعتمد عليه ، فهو يؤكد ما سبق من تحريم تعليق التمائم ، ووجوب إنكارها ، بالقول أو بالفعل .

(قوله : كان عدل رقبة) ، يعني كان كعدل عتق رقبة ، (من قطع تيميه من إنسان كان كعدل رقبة) ، يعني قطعه لها يعدل أجر عتق الرقبة ، ومعلوم ما في عتق الرقاب من الفضل .

وله عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن .

الشرح :

إبراهيم ، هو إبراهيم النخعي ، وقوله : (كانوا) يعني أصحاب ابن مسعود ، (كانوا يكرهون التمائم من القرآن وغير القرآن) وهذا هو أشار إليه الشيخ في الكلام السابق ، (إما إذا كانت التمائم من القرآن ، فرخص فيها بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيها ، منهم بن مسعود رضي الله عنه) فإبراهيم هنا يقول : (كانوا) يعني أصحاب بن مسعود ، (كانوا يكرهون التمائم من القرآن وغير القرآن) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .
الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ، ليس من ذلك .

الشرح :

الأولى : (تفسير الرقى والتمائم) قد بينها الشيخ في قوله : (الرقى هي التي العزائم ، والتمائم شيء يعلق على الأولاد يزعمون أنه يدفع العين) صرح .
الثانية : (تفسير التولة) كل هذا صرح الشيخ ببيانه .
الثالثة : (أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء) لا هذا ما هو واضح ، أن هذه الثلاث الرقى والتمائم والتولة كلها من الشرك من غير استثناء هذا ما هو مستقيم ، هذا ليس بظاهر ، فإنه قد سبق استثناء ما خرص فيه من الرقية ، تقدم قول الشيخ : (وخص منها الدليل ما خلا من الشرك) هذا في الرقى ، فالرقى شرك إلا أن تكون بالأدعية والتعاويذ الشرعية ، والتمائم إذا كانت من القرآن فقد رخص فيها بعض السلف ، فلا يستقيم هذا الإطلاق أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء ، ليس بظاهر ولا يستقيم مع ما تقدم .
الرابعة : (أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ، ليس من ذلك) حتى هذا يخالف قوله : (من غير استثناء) .

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد أختلف العلماء ، هل هي من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك .

الشرح :

الخامسة : (أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد أختلف العلماء ، هل هي من ذلك أم لا ؟) هذا كله مما تقدم .

السادسة : (أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك) تعليق الأوتار على الدواب كذلك ، لا فرق بين تعليق التمائم والأوتار ، سواء على الإنسان أو على الدابة ، أو على السيارة مثلا ، بعض الناس بعضهم يعلق أظنه أشياء تعرفونها أكثر مني ، بعضهم يعلق حدوة يجعلها في مؤخرة السيارة ، وأشياء أخرى يعلقنها ، فلا فرق بين تعليق على الدابة أو على الإنسان أو مثلا على السيارة ، أو تعليق شيء في البيت ، لو علق شيئا يزعم أنه يطرد الشياطين ، يعلق عظم كما يقال : أن تعليق جلد الذئب ، هو من هذا النوع ، تعليق جلد الذئب بدعوى أنه يطرد الجن ، هو من نوع تعليق التمائم أو عظم الذئب أو غيره ، بل وتعليق ا لآيات القرآنية في البيت ، هذا ممنوع ، تعليقها على الجدران ، لكن باعتبار أخر إن كانت زينة ففيها امتهان لكتاب الله ، وإن كانت عبادة في بدعة ، وإن كانت لدفع الشياطين والشرور والبلاء فهو من نوع تعليق التميمة .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وترا .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .
التاسعة : أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ؛ لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود .

الشرح :

السابعة : (الوعيد الشديد على من تعلق وترا) مستفاد من حديث رويفع ، ((فإن محمد برئ منه)) يشير ، يعني هذه الفائدة مأخوذة من هذا الحديث .

الثامنة : (فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان) مأخوذ من قول سعيد : من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة .

التاسعة : (أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ؛ لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود) إبراهيم ما يعني الصحابة عندما قال (كانوا) هو لا يعني الصحابة إنما يريد أصحاب عبد الله بن مسعود ، فلا يخالف ما قاله الشيخ : (فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه) ؛ لأن إبراهيم إنما يريد بعض السلف ، لا يريد بقوله : (كانوا) جميع السلف من الصحابة والتابعين ، إنما يريد أصحاب عبد الله بن مسعود . والله أعلم .

قال شيخ الإسلام ، محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى :

٩ ـــ باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى ﴾ (١)
وعن أبي واقد الليثي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات مناط ، فمررنا بسدرة ، قلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم ، والذي نفسي بيده ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ (٢) ، لتركبن سنن من كان قبلكم)) رواه الترمذي وصححه .

الشرح:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، على آله وصحبه ، **ومن** اهتدى بهداه .

يقول الشيخ ، رحمه الله : (بابٌ) بالتنوين ،(باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما) يعني وما أشبههم بما يتبرك به المشركون والجاهلون ، كالقبور ونحوهم من قبر أو عين ، يعني فقد أشرك ، (من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما) أي فقد أشرك .

التبرك أو البركة : هي كثرة الخير ونماء الخير ، كثرة الخير ونماءه هذا هو

(١) النجم الآية [١٩] .
(٢) الأعراف الآية [١٣٨] .

....

أصل البركة . والله تعالى هو ذو البركة الذاتية ، فهو سبحانه وتعالى المتبارك يعني هو الذي تبارك ، واسمه تبارك ﴿ **تبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ ﴿ **تبارك اسم ربك** ﴾ فهو ذو البركة التي لا نهاية له .

وهو الذي يمنح البركة ، ويجعل البركة فيمن شاء ، وفيما شاء .

وهو الذي يبارك ، ومن جعل الله فيه البركة فهو مبارك ، فلا يقال : تبارك إلا في الله ، لا يقال : تبارك كذا في الأشياء ؛ لأن هذا يدل على البركة الذاتية ، تبارك يعني تعالى وتقدس وكثر خيره سبحانه وتعالى ، وكمل في صفاته ونعوت جلاله ، فالله تعالى يبارك ، والعبد مبارك .

(والتبرك) والتبرك هو تفعل ظاهر من البركة ، وهو طلب البركة ، التبرك هو طلب البركة والتماسها من الشيء .

فالتبرك مثلا بالأشجار ، طلب البركة منها ، التبرك بالحجر طلب البركة من الحجر .

وهذا التبرك الذي هو طلب البركة ، فيه تفصيل ، فالتبرك الذي هو طلب البركة التي جعلها الله في الذات المباركة هذا جائز أو مشروع ، كان الصحابة رضي الله عنه بآثار النبي ، بثيابه ، وبوضوءه ، وبشعره صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه مبلوك ، بل ذاته صلى الله عليه وسلم هي أبرك ذوات المخلوقين ، ذات مباركة ، فكان الصحابة يتبركون ويستشفون بآثاره عليه الصلاة والسلام فهذا من التبرك الجائز ، يعني طلب البركة ، التي جعلها الله في العين المباركة ، هذا جائز ، طلبها على الوجه المشروع .

كذلك ماء زمزم ، فالتبرك به ، بمعنى الاستشفاء به ، وتحري ما جعل الله فيه من البركة ، هذا مشروع .

....

فهذا خارج عن ما نحن فيه ، فالشيخ ما يقصد هذا لكن لابد من التنبيه على هذا ، الشيخ يقصد تبرك المشركين بما لم يجعل الله فيه بركة أو التبرك بما فيه بركة ، ولكن على غير الوجه المشروع . من تبرك بشجر أو حجر ونحوه . فطلب البركة وتحريها مما لم يجعل الله فيه بركة ، شجرة من الأشجار ، من أشجار الصحراء نخلة أو ثمرة ، هذه شجرة ليس لها خصوصية ، إن كانت من الشجر الذي جعل الله فيه منفعة ينتفع به على وجه ، كالدواء يتداوى بها ، لكن تلتمس فيها البركة الخفية ، بمجرد الملابسة ، والعكوف عندها ، والتعلق بها ، والتعليق عليها ، لا ، هذا عين الباطل .

الحجر كذلك ، طريقة المشركين ينصبون التماثيل ، الأصنام يتبركون بها ، حجر من سائر الأحجار يعجبهم فيعتقد فيه البركة ، فيجلس عنده ويلامسه ويتمسح ، كل هذا من التبرك الباطل ، فإما أن يكون شركا أو يكون وسيلة إلى الشرك .

فمن اعتقد البركة فيما لم يجعله الله فيه ، فهو مبطل ، ثم إن اعتقد أن هذه الشجرة وذلك الحجر ، يمنح بذاته ، يمنح البركة لمن يعكف عنده ويجلس عنده ، ويلتمس منه البركة إن كان يعتقد أنه يمنح البركة ، فهذا من نوع الشرك ، فقد أشرك في الربوبية ، إذا جعل للمخلوق فعلا وتأثيرا دون مشيئة الله ، وجعل ذلك شريكا لله ينفع ويضر .

وإن اعتقد أنه مبارك ، ويعتقد أن ملامسته فيها بركة ، وأن الله جعل فيها بركة ، يعتقد أن الله جعل في هذا الجسم ، في هذا الشجر أو الحجر بركة ، فهو يتمسح بها ، فهذا منكر باطل ؛ لأن هذا الصنيع مبني على اعتقاد باطل ، تبرك بما لم يجعل الله فيه بركة ، وليس له خصوصية ، فهو اعتقاد مناقض

....

للواقع ، والتماس هذه البركة بالتمسح ، باللمس ، وتعليق الشيء عليه ، على أساس أنه شيء مبارك ، هذه وسيلة من وسائل الشرك ، وسيلة .

أما إذا كان يتقرب لهذه الشجرة أو هذا الحجر بشيء من أنواع العبادة ، لاعتقاده أنه يمنح البركة ، أنه شيء يقبل التقرب إليه ، والعكوف عنده ، فهذا من الشرك الأكبر ، وهذه هي طريقة المشركين .

إذًا التبرك قد يكون :

شركا أكبر في العبادة . أو شرك أكبر في الربوبية .

فإن كان يعتقد أن هذا الجماد ، هذا الشجر أو الحجر يمنح البركة ، وأنه يملك يعني يمنح البركة لمن يلامسه وأن له تصرف ، فهذا الشرك الأكبر في الربوبية .

وإن كان التبرك بالتقرب إليه بنوع من أنواع العبادة لالتماس البركة ، فهذا الشرك في العبدة .

والمشركون الذين كانوا يعبدون الأصنام يجمعون بين هذين الأمرين ، ولكن يغلب عليهم التبرك الذي يكون بالتقرب إلى ذلك الصنم أو الوثن .

ولهذا استدل الشيخ لهذه الترجمة بآية وحديث .

أما الآية ، فقوله تعالى : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذًا قسمة ضيزى** ﴾ الات ، والعزى ، ومناة ، ثلاثة أصنام هي أشهر أصنام العرب ، ولهم أصنام أخرى كثيرة ، ومن أشهرها ود ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، وسواع ، الأصنام الموروثة عن قوم نوح .
فهذه الأصنام الثلاثة ، الات هذه صنم ثقيف بالطائف ، وقرأ الآت بالتشديد ، وقرأ الات بالتخفيف .

....

فعلى قراءة التشديد ، يفسر بالرجل الذي كان يلت السويق للحاج ، فلما مات عكفوا على قبره ، يلتمسون البركة ، ويلتمسون النفع ، ويتقربون إليه بأنواع العبادة .
وأما على قراءة التخفيف ، فالات فسرت بالصخرة التي كان يلت عليها السويق إذًا بينهما ارتباط ، الآت هو الرجل ، والات هي الصخرة ، فالمشركون صاروا يتبركون بالصخرة ، واتخذوها وثنا لهم ، وكذلك القبر .
العزى : هذه صنم قريش ، كانت بين مكة والطائف ، في وادي نخلة ، وهي عبارة عن شجر ، ثلاث ثمرات .
ومناة : هذه صنم للأوس والخزرج ، وهو بين مكة والمدينة ، بمكان يقال له : قديت . كان الأوس والخزرج يهلون ، يحرمون من عند هذا الصنم .
هذه ثلاثة أصنام مشهورة ، والله ذكرها في هذه الآية جميعا ، وفي الآية التوبيخ من الله لأولئك المشركين : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى** ﴾ ، يعني أغفلتم وجهلتم وضللتم ، فرأيتم الات والعزى والم ناة الثلاثة الأخرى ، يعني رأيتموها إلهة ، أو تستحق العبادة ، هذه غاية الجهل والضلال

، جمادات شجر ، كالعزى ، وحجر كالات ، وصنم لعله نوع تمثال مناة ، هذه اتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله ، حتى أنهم اشتقوا هذه الأسماء من أسماء الله ، يعني قال بعض المفسرين : أنهم اشتقوا للات هذا الاسم من اسم الإله ، الإله اشتقوا لها اللات ، واشتقوا العزى من العزيز ، مناة من المنان ، فجمعوا بين أنواعا من الإلحاد ، الحاد يف أسماء الله ، والحاد في عبادة الله حيث عبدوها من دون الله .

إذًا كان المشركون يتبركون ، وبهذا تظهر المناسبة ، كانوا يتبركون بهذه

....

الأصنام يعكفون عندها ، يطلبون أن تبارك عليهم ، على أموالهم ، على أنفسهم ، على أمورهم ، يطلبون منها البركة ، فكانوا بهذا مشركين الشرك الأكبر ؛ لأنهم عبدوها من دون الله طلبا لبركتها .

﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى** ﴾ ، وما أكثر الأصنام قديما وحديثا .

ومثل هؤلاء الذين يتخذون الأضرحة ، آلهة من دون الله ، أضرحة الموتى يعبدونهم من دون الله ، كما صنع ثقيف بقر ذلك الرجل ، فالقبور التي في العالم الإسلامي عليها القباب ، والستور والزينات ، وتذبح عندها القرابين ، وتصب عليها العطور والاطياب ، هذا كله من نوع التبرك بالأشجار والحجار ، من جنسه ، تبرك طلبا للبركة ، وهؤلاء يعتقدون أن هذه القبور أو أصحاب هذه القبور تمنحهم البركة ، ويتقربون إليها بأنواع القربا ت ، فيقعون في الشرك الأكبر بهذا التبرك .

(وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين) خرجوا من مكة بعدما فتح الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، بعدما فتح الله عليهم مكة ، وأسلم من أسلم وخضع من خضع من قريش ومن معهم ، خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر شوال إلى حنين ، موضع معروف بين مكة والطائف ، ليلقى هوازن ؛ لأنه علم أنه قد اجتمعوا لحربه ، فخرج إليهم صلى الله عليه وسلم ، فجرت موقعة بينهم ، بين المسلمين وبين المشركين في حنين ، وهي موقعة عظيمة جاء ذكرها في القرآن ، ﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين** ﴾ يوم حنين ، يوم معروف مشهور ، مثل يوم خيبر ويوم بدر ﴿ **إذا أعجبتكم كثرتكم** ....

فلم تغني عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ فهي موقعة حصل على المسلمين فيها أول الأمر هزيمة ، بسبب ما وقع من بعضهم من الاعجاب ، ﴿ **إذا اعجبتكم كثرتكم فلم تغني عنكم شيئا** ﴾ .

يقول أبو واقد ، خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى حنين ، (ونحن حدثاء) يعني نفسه ومن أسلم بعد الفتح ، يسمون مسلمو الفتح ، أسلموا بعد الفتح .

(ونحن حدثاء عهد بكفر) حدثاء جمع حديث ، يعني عهدنا بالكفر قريب ، والذي عهده بالكفر قريب يكون ضعيف الإيمان ، وضعيف البصيرة ، فيتعرض للزلل والجهل ، هذا ذكره تمهيد لما وقع منهم من المقالة ، (ونحن حدثاء عهد بكفر) .

(وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم) يعني كأنهم مروا على سدرة من تلك السدر ، وللمشركين سدرة ، شجرة ، السدرة معروفة ، واحدة السدر ، لهم سدرة .

(يعكفون عندها) يعني يقيمون عندها ، يقيمون إقامة عبادة ، ما هي إقامة عادية ، يقيمون عنده ا لاستظلال ، لا ، الاستظلال أمر عادي ، لكنهم يعكفون عندها عكوف عبادة .

(وينطونة بها أسلحتهم) يعني يعلقون بها أسلحتهم ، ما هو تعليق عادي ، يرفعون عليها الأسلحة حتى ما تسقط ، تعليق عادي ، لا ، تعليق تبرك ، يرون أنهم إذا علقوا بها أسلحتهم تصبح أسلحتهم ماضية وتكون مسددة ، تصيب الهدف ، إذا علقوها تكتسب البركة .

....

يقول أبو واقد رضي الله عنه : (فمررنا بسدرة ، قلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط) تحركت فيهم رواسب الجاهلية ، (اجعل لنا ذات أنواط) الآن هم قد أسلموا ، وآمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنقادوا لأمره عليه الصلاة والسلام ، أصبحوا لا يتصرفون من عندهم ، أصبحوا يستمعون الأمر ، يستمعون الأوامر ، يتلقونها من نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ما راحوا يتخذون سدرة من تصرف أنفسهم ، لا ، وقفوا ينتظرون الأمر ، فقالوا : (يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط) اجعل لنا سدرة ذات أنواط ، يعني معاليق نتبرك بها .

(كما لهم) يعني كما لأولئك المشركين ذات أنواط ، يريدون سدرة إسلامية ، يعني سدرة ذات أنواط تكون في الإسلام . ظنا منهم أنه يمكن يك ون هذا ، جهلا منهم .

(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، لما قالوا له ذلك ، كبر ، (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الله أكبر)) متعجا ، ومنكرا ، متعجب من مقالتهم تلك ؛ لأنها مقالة منكرة ، وهي عجيبة لنكرها ؛ لأن الشيء يتعجب من فظاعته ، ويتعجب من كماله وحسنة ، يتعجب يأتي في هذا وهذا ، ((الله أكبر))) ثم أيضا من التطابق بين ما وقع ، وبين ما مضى ، أيضا هذا مسار عجب يفسره قوله عليه الصلاة والسلام ، يفسر مسار هذا التعجب بقوله : ((قلتم ، والذي نفسي بيده)) والذي نفسي بيده قسم ، يقسم بالله ، وهذا م ن نوع ما تقدم ، ((فوالله لئن يهدي الله بكم رجلا)) فيه الحلف على الفتيا ، ((قلتم ، والذي نفسي بيده)) يعني والله الذي نفسي بيده ، هو المتصرف فيها ، وهو مالكها ، وكثيرا ما يقسم الرسول هذا القسم ، كثيرا ما يقول : ((والذي ....

نفسي بيده)) كما يقول : ((ومقلوب القلوب)) سبحانه وتعالى .

((قلت والذي نفسي بيده ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾)) فسبه النبي صلى الله عليه وسلم مقالة الذين قالوا : اجعل لنا ذات انواط بمقالة بني إسرائيل ، مقالة بني إسرائيل قصها الله علينا بقوله : ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم** ﴾ بالضبط الصورة متشابهة ، يعني مر هؤلاء على سدرة للمشركين فحنوا إلى عادات

الجاهلية ، بنو إسرائيل ، ما أجعلهم ، لما رأوا هؤلاء يعكفون على أصنام لهم ﴿ **قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة** ﴾ فأنكر عليهم موسى وأغلظ الإنكار ، ﴿ **قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين** ﴾ ، فبين لهم بطلان هذه الآلهة ، وعابهم بالجهل ، وبين لهم أن ما فيه هؤلاء مآله إلى الدمار ، إلى التبار ، وأن عملهم باطل حابط ، وأنه إنما يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، ﴿ **قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين** ﴾ فالرسول عليه الصلاة والسلام أنكر عليهم وأغلظ في الإنكار ، ((الله أكبر ، قلت ، والذي نفسي بيده ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ **أجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾ .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لتركبن سنن من كان قبلكم)) لتركبن ، هذا بمعنى أنكم ستتبعون ، السنن هو الطريق ، أو السنن جمع سنة ، وهي الطريقة ، لتركبن يعني بالاتباع ، كقوله : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) هذا بمعناه ، وهذه المقالة ، هي من ركوب السنن ، ((الله أكبر إنها ....

السنن)) ، الطرق التي يقتفي فيها الناس بعضهم بعضا ، هذه الطرق التي يقلد فيها اللاحق الآخر السابق ، ((قلت ، والذي نفسي بيده ...)) إلى آخر الحديث والشاهد من الحديث ظاهر أن التبرك بالأشجار ، والعكوف عندها طلبا للبركة منها ، وتعليق السلاح أو الثياب أو غ يرها ، طلبا للبركة ، أن هذا من صنع المشركين ، وأنه منكر ، فقد أنكر الرسول عليه الصلاة والسلام من طلب ذلك ، مع أنه لم يفعل ، أنكر عليهم وأغلظ في النكير ، فعلم أن التبرك

بالأشجار ونحوها أنه منكر باطل ، وأنه من سبيل المشركين ، وأنه من جنس مقالة بني إسرائيل ، بنو إسرائيل طلبت من موسى أن يجعل لهم إلها ، ﴿ **اجعل لنا إلها** ﴾ يريدون ، وفعلا سبحان الله ، أمر بني إسرائيل عجيب ، لما غاب عنهم موسى ، وحانت الفرصة للسامري ضحك عليهم وجعل لهم إلها ، ﴿ **فقالوا هذا إلهكم** ﴾ اتخذوا إلها ﴿ **هذا إلهكم وإله موسى فنسي** ﴾ ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار** ﴾ اتخذوه ماذا ؟ اتخذوه إلها ، فكفروا بذلك ، فقد أنكر عليهم نبي الله هارون ؛ لكنهم لم ينتهوا ، فكفروا بذلك ، حتى رجع موسى ، وأنكر عليهم ، وأغلظ في الإنكار ، كما قص الله ، ثم تاب من تاب منهم ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم** ﴾ الدليل على بطلان إلهيته وفساد عقولهم ﴿ **ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا** ﴾ بعد ما رجع موسى سقط في أيديهم ، وندموا وأدركوا ضلالهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا ﴿ **قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ فتاب من تاب منهم ، فتاب الله عليهم ، وهذا مذكور في مواضع ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذ قال لموسى لقومه يا قوم إنكم**

....

ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

والحديث ظاهر الدلالة على المطلوب ، وهو أن التبرك بالأشجار ، الحديث في ذكر الشجر ، ولكن التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها ، التبرك بها شرك ، (باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما فقد أشرك) .

وفيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك ، لظنهم أنه يحبه .

الشرح :

الأولى : (تفسير آية النجم) سبق ذكر ما يوضح المطلوب ، والله أعلم .

الثانية : (معرفة صورة الأمر الذي طلبوا) الذي طلبوه أن يجعل لهم سدرة يعلقون بها أسلحتهم على عادة المشركين ، هذا هو الأمر الذي طلبوه .

الثالثة : (كونهم لم يفعلوا) ما فعلوا هم طلبوا ، مثل بني إسرائيل ، بنو إسرائيل في الأول لم يفعلوا ، فلهذا في الأول لم يكفروا ، ولكن بنو إسرائيل أخيرا لما آلهوا العجل ، ﴿ **وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم** ﴾ كفروا .

الرابعة : (كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك ، لظنهم أنه يحبه) هم بحكم أنهم مسلمون ، يعني قصدوا الطاعة ، يعني التقرب إلى الله بذلك ، ظنوا أن اتخاذهم سدرة يعكفون عندها ، ويضعون أسلحتهم ، أن الله يحب ذلك ، أن هذا يمكن أن يكون من الإسلام .

الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

الشرح :

الخامسة : يقول : (أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل) وهم أصحاب الرسول ، والرسول بين أظهرهم ، فغيرهم من الناس ممن جاء بعد ، وبعد عهدهم بعهد النبوة ، أو بعدوا عن عهد النبوة ، فهم أولى بالجهل كما هو الواقع ، لقد عظم الجهل بهذا الأمر حتى اتخ ذت القبور والأضرحة أوثانا تعبد من دون الله في العالم الإسلامي ، العالم الإسلامي الآن ، كثير من المسلمون هم يعيشون حياة الشرك الوثنية ، يعبدون الأوثان ، يعبدون القبور من دون الله ، يدعونها ، يستغيثون بها ، ويذبحون لها ، فالعالم الإسلامي في مصر والشام وفي اليمن وفي إيران وفي بكستان ، وفي الأقطار ، ولكن احمدوا الله على هذا ، أنتم في بيئة طاهرة طيبة ، ولله الحمد ، عصمها الله من هذه الوثنيات ، وهذا من آثار دعوة التجديد إلى التوحيد ، دعوة المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فنسأل الله أن يحفظ هذه البلاد ، وأن يطهرها من كل الشرور ، وأن يطهر بلاد المسلمين مما شاع فيها من أنواع الفساد من الشرك وما دونه .

السادسة : (أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم) أن للصحابة لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم ، ومع ذلك الرسول اغلظ لهم في الإنكار .

السابعة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم في الأمر ، بل رد عليهم بقوله : ((الله اكبر إنها السنن ، لتتبعن سنن من كان قبلكم)) فغلظ الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود ، أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى ﴿ أجعل لنا إلها ﴾ .
التاسعة : أن نفي هذا ، من معنى لا إله إلا الله ، مع دقته وخفائه على أولئك .
العاشرة : أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة .
الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا .

الشرح :

السابعة : (أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم في الأمر) أي في هذا الأمر الذي طلبوه ، بل أغلظ عليهم (وقال : ((الله اكبر إنها السنن)) هذه واحدة ، ((قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى)) ، ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) فأغلظ لهم بالإنكار بهذه الثلاث ، لم يعذرهم بجهلهم بل أنكر عليهم ، تقدم البارحة أن الجهل لا يكون عذرا عن الإنكار ، يعني الجاهل ، هل يعذر عن الإنكار ، يعني ما ينكر عليه لجهله ؟ ، الجاهل لا يعذر عن الإنكار بمعنى أنه لا ينكر عليه لكونه جاهل ، لا ، ينكر عليه بالطريقة المناسبة للإنكار ، فالرسول لم يعذرهم ، بل أنكر عليهم ، وأغلظ عليهم في الإنكار ، وإن لم يكونوا مأخذين عند الله ومستوجبين للعقاب ، لا ما يستلزم ، ولكن هذا منكر ، مثلا بالمناسبة ، أفرض الصائم إذا نسي وصار يأكل ، تنكر عليه أم لا تنكر ؟ تنكر عليه ، لا تأكل أنت صائم أنت في رمضان ، تنكر ، خلاف ما يظن بعض الناس دعه خليه ناسي ، أنكر عليه بالتنبيه .

....

الثامنة : (الأمر الكبير ، وهو المقصود ، أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى ﴿ أجعل لنا إلها ﴾) من فوائد هذا الحديث التنبيه ، وهو أمر عظيم ، أن طلبهم هذا من جنس طلب بني إسرائيل ، بنو إسرائيل طلبوا لهم إلها ، يريدون لهم معبودا ، فطلب من طلب من الصحابة أن يجعل لهم أنواط من جنس طلب بني إسرائيل ، فهم طلبوا أن يجعل لهم سدرة يعكفون عندها ، ويعلقون بها أسلحتهم ، ويتبركون بها على طريقة المشركين .

التاسعة : يقول : (أن نفي هذا) نفي التعلق بالأشجار والأحجار طلبا لبركتها (أن نفي ذلك من معنى لا إله إلا الله) ؛ لأن التبرك بها نوع تأليه ، فنفيه من معنى لا إله إلا الله ، فلا إله إلا الله تنفي التأله لغير الله بوجه من الوجوه .

العاشرة : (أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة) يعني تعظيما لأمر ، حلف ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة مثل ما تقدم ، ((والله لئن يهدي الله)) يعني حلف للتأكيد لزيادة الترغيب في الدعوة ن وهنا لزيادة التنفير ، هنا حلف لزيادة التنفير عن ذلك المطلوب المنكر .

الحادية عشرة : يقول الشيخ : في الحديث دلالة على (أن الشرك فيه أكبر وأصغر) لأنه علل ذلك بقوله : (لأنهم لم يرتدوا بذلك) كأن هذه المسألة تلمح على أن الذي طلبوه من نوع الشرك الأصغر ، هذا احتمال ، من نوع الشرك الأصغر ، وهذا محتمل ، عندي أنه ليس بالبين ، وكما تقدم تفصيل في التبرك بالأشياء :

فيه تبرك جائز أو مشروع .

وتبرك هو وسيلة من الشرك ، ويمكن أن يعتبر شرك أصغر .

وتبرك هو شرك أكبر .

الثانية عشرة : قولهم : ونحن حدثاء عهد بكفر ، فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .
الثالثة عشرة : ذكر التكبير عند التعجب ، خلافا لمن كرهه .
الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الشرح :

الثانية عشرة : (ونحن حدثاء عهد بكفر ، فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك) يعني قول أبو واقد : (ونحن حدثاء) يعني نفسه ومن معه ، من مسلمة الفتح ، كما ذكرت .

الثالثة عشرة : فيه دلالة على جواز (التكبير عند التعجب خلافا لمن كرهه) فإذا عجب الإنسان من شيء يستحسنه أو عجب من فظاعة أمر ينكره ، فيجوز له أن يكبر ، بل لعله يستحب له أن يكبر ، وهذا أسلوب ، وكثيرا يقول التسبيح والتكبير ، الرسول كثيرا ما يقول : ((سبحان الله)) أو يقول : ((الله أكبر))٩ كما هنا ، تعظيم لله سبحانه وتعالى عن هذا الأمر المنكر .

الرابعة عشرة : يعني الحديث فيه دلالة على (سد الذرائع) فإن مثلا التبرك بما لم يجعل الله فيه بركة وسيلة إلى الشرك ، كما تقدم ، يعني التبرك بالتمسح هذا منكر ، وهو وسيلة إلى المنكر ، وسد الذرائع قاعدة شرعية ، يعني سد الذرائع إلى المزكر ، فالوسائل إلى الحق حق ، الوسائل إلى الفضائل مستحبة ، الوسائل التي تقرب ، أما الوسائل إلى الحرام محرمة ، الوسائل مقربة ، هذه سد الذرائع ، وهناك أشياء كثيرة حرمت سدا للذريعة ، كما سيأتي ، والله الذي حرم الشرك ، جعله أعظم الذنوب ، سد كل طريق يوصل إليه .

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

الشرح :

الخامسة عشرة : (النهي عن التشبه بأهل الجاهلية) لقوله : ((قلتم ، والذي نفسي بيده ، كما قالت بنو إسرائيل)) فكان قولهم هذا مشبها لقوله : بني إسرائيل ، وقول بني إسرائيل كلام باطل صادر عن جهلهم ، فه م من أهل الجاهلية في ذلك ، ما صدر عنهم هذا القول إلا عن الجهل ، ففيه النهي عن التشبه بأهل الجاهلية في أقوالهم ، فنحن منهيون عن التشبه بأهل الكتاب ، أهل الكتاب من أهل الجاهلية ، أهل الكتاب الذين انحرفوا عن طريق الرسل هم من أهل الجاهلية ، والعرب الذين كانوا قبل مبعث النبي عليه الصلاة والسلام هم أيضا أهل الجاهلية ، وكانوا على جاهلية ، فنهينا عن التشبه بأهل الجاهلية في أمورهم المنكرة التي جاء الإسلام بإبطالها ، أما ما كان من الأمور التي أقرها الإسلام فليست من الجاهلية في شيء ، بل هي من الهدى والعلم الصحيح .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .
السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : ((إنها السنن)) .
الثامنة عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة ، لكونه وقع كما أخبر
التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا .

الشرح :

السادسة عشرة : يقول في الحديث دلالة على (الغضب عند التعليم) إذا اقتضى الأمر ذلك ، كما إذا أخطأ من ، أو وقع في الزلل من يكون ممن لا يتوقع منه ذلك ، أو كان الخطأ كبير ، الغضب عند التعليم فيه إظهار فداحة الأمر وقبح المنكر فيه تنفير وتعظيم من شأن ما وقع ، والذي حصل من الخطأ لا يضره ، ولكن يكون أبلغ في التعليم وفي الإنكار ؛ لأن هذا غير عقوبة الغالط ، فأنهم وإن كان وقع منهم عن جهل ، لكن الرسول أغلظ في القول وغضب عند وقوع مثل هذا ، عند قولهم : اجعل لنا ذات أنواط ، كما غضب موسى عليه السلام ، موسى غضب على بني إسرائيل ، ماذا قال لهم ؟ قال هم : ﴿ **إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين** ﴾ فموقف النبي عليه الصلاة والسلام من جنس موقف موسى .

السابعة عشرة : يقول : (القاعدة الكلية) مستفادة من (قوله : ((إنها السنن))) وذلك أن هذه الأمة تتبع الأمم الماضية ، ويقع ويجري في هذه

الأمة من الانحرافات ومن المقالات ومن الفرقة ، نظير ما وقع في الأمم الماضية ، على حد قوله صلى الله عليه وسلم : ((لتتبع سنن من كان قبلكم)) وهذا إخبار ليس فيه التقرير ، ليس تقريرا إنما فيه إخبار عن الواقع ، عما

....

سيقع ، فهي قاعدة كلية ، ولهذا أكدها بقوله : ((حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) كما في حديث أبي سعيد ، هنا قال : ((إنها السنن)) يعني طرق مسلوكة لابد أن يتم هذا الأمر ، وأن تجري هذه السنن في هذه الأمة ، ((إنها السنن)) ثم بين أنهم بهذا قد اتبعوا بني إسرائيل في قولهم : ﴿ **اجعل لنا إلها** ﴾

الثامنة عشرة : ما وقع من الصحابة في قولهم اجعل لنا ذات أنواط (أن هذا علم من أعلام النبوة) يعني دليل من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ووجه ذلك أنه (وقع كما أخبر) فعلا ولا يزال هذا الدليل يشهده الناس بحسب علمهم ، وبحسب معرفتهم للواقع ، فكما شهد المسلم شيئا مما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام أزداد إيمانا ، وقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مثل ما قال في باب من أبواب التوحيد ذكر حديث أبي مالك الأشعري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركهن ، الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة)) ، وفعلا هذه الخصال لا تخلو منها الأمة .

التاسعة عشرة :هذه فائدة عظيمة ، وهي (أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا) فهو لنا ، بمعنى أن فيه تحذير لنا من سلوك سبيلهم ، يعني الله تعالى ما ذكر من أحوال وأوصاف اليهود ، وما كان منهم ،

وما قالوا ، لمجرد التاريخ ، يعني نعرف الذي صار في الماضي ، لا ، هذا لنا ، ذمه لليهود والنصارى بأقوالهم وأفعالهم المنكرة فيه تحذير لنا ، ذم لهم وتحذير لنا ، وذم لكل من أشبههم .

العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر ، أما ((من ربك ؟)) ، فواضح ، وأما ((من نبيك ؟)) فمن إخباره بأنباء الغيب ، وأما ((ما دينك ؟)) ، فمن قولهم : ﴿ اجعل لنا إلها ﴾ ...ألخ .
الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .
الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم : ونحن حدثاء عهد بكفر .

الشرح :

العشرون : هذه فائدة جيدة عظيمة ، وهي أن (من المتقرر عندهم) عند الصحابة ، (أن العبادات مبناها على الأمر) العبادة شرطها أن تكون مأمورا بها ، شرطها موافقتها لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالعبادة يشترط فيها شرطان : الإخلاص والمتابعة ، المتابعة هي التي يعبر عنها أحيانا بموافقة الأمر . يقول : (من المتقرر عندهم أن العبادة مبناها على الأمر) لابد أن تكون ، كما تعلمون فيما يقال في تفسير شهادة أن محمد رسول الله ، وأن معناها تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ، بهذه المناسبة أذكر قول ابن القيم :

وعــبادة الرحــمــن غــايــة حــبــه
مــع ذل عــابده هــما قــطــبان
وعــليــهــما فــلــك العــبادة دائــر
مــا دار حتى قــامت القــطــبان
ومــــداره بالأمــر أمــر رســولــه

....

لا بالهــوى والنــفــس والشيطان

من المتقرر عند الصحابة أن عبادة مبناها على الأمر .

يقول ، يعني من مجموع ما تقدم من هذه المسائلة وما قبلها ، يعلم أن الحديث قد تضمن مسائل القبر ، ومسائل القبر ثلاث ، المسائل التي يسأل عنها الميت في قبره ، فيقال له : من ربك ؟ ، وما دينك ؟ ، ومن نبيك ؟ ، هذه مسائل القبر ، هذه أصول بنى عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كتابه المبارك ، كتابه المشهور (الأصول الثلاثة) .

يقول : (أما ((من ربك ؟)) ، فواضح) ظاهر مستفاد من قول الرسول : ((الله أكبر)) ، ومن قوله : ((والذي نفسي بيده))، يقول هذه المسألة الأولى من مسائل القبر ، من ربك ؟ .

(وأما ((من نبيك ؟)) فمن إخباره بأنباء الغيب) كما تقدم ، يعني هذه الفائدة قد تقدمت ، ولكن الشيخ أراد أن يبين أن الحديث قد دل على مسائل القبر .

(وأما ((ما دينك ؟))) ،هذه هي المسألة الثالثة ، فمن قوله عنة قوم موسى : ﴿ **اجعل لنا إلها** ﴾ ،بل ومن قول الصحابة : اجعل لنا ذات أنواط ؛ لأن هذا طلب للدين ، يطلبون شيئا يتدينون به ، ولكنهم غالطون ، هو معنى قوله :

(إن العبادة مبناها على الأمر) إذا لابد من عبادة ، فهذه مسائل القبر ، من ربك ؟ ، وما دينك ؟ ، ومن نبيك ؟ صلى الله عليه وسلم .

الحادية والعشرون : (أن سنة أهل الكتاب) سنة أهل الكتاب اليهود والنصارى ، طريقتهم ، سنتهم طريقتهم وسيرتهم (مذمومة كسنة المشركين) يعني كونهم أهل كتاب هذا ما يطهرهم ، كونهم أهل كتاب ما يبرر أفعالهم وأقوالهم ، أكثر أقوالهم وأعمالهم مخالفة للدين الحق ، مذم ومة اليهود والنصارى ذمهم الله في آيات كثيرة ، ذمهم وتوعدهم **﴿ قالت اليهود**

....

والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ يزكون أنفسهم **﴿ قل فلما يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر مما خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾** .

الثانية والعشرون : هذه فائدة ظاهرة ومحسوسة و معروفة من الواقع (أن المنتقل من الباطل) (لا يؤمن أن يكون في قلبه) تعلق بهذا الباطل ، المنتقل من الباطل لا يؤمن عليه أن يبقى في قلبه شيء ، ينبه بهذا أبو واقد بقوله : (ونحن حدثاء عهد بكفر) ومن أجل هذه الحداثة ، وهذا القرب من عهد الكفر قالوا ما قالوا ، فهو ذكرها كما تقدم ، لتعليل ما حصل ، لماذا قالوا ما قالوا ؟ لأنهم حدثاء عهد بكفر .

١٠ ـ باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ [١] .
وقوله : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [٢] .
عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : ((لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الأرض)) رواه مسلم .
وعن طارق بن شهاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب)) ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ ، قال : ((مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا ، فقالوا لأحدهما : قرب ، قال : ليس عندي شيء أقرب ، قالوا : قرب ولو ذباب ، فقرب ذباب ، فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة))

الشرح :

يقول الشيخ ، رحمه الله : (باب ما جاء في الذبح لغير الله) يعني من النهي

---

(١) الأنعام الآيتان [١٦٣ ــ ١٦٤] .
(٢) الكوثر الآية [٢] .

....

والوعيد .

(باب ما جاء في الذبح) يعني في حكم الذبح (لغير الله) والمراد بالذبح لغير الله ، ذبح أي مذبوح ، ذبح ما يذبح من بهمية الأنعام وغيرها على وجه التقرب بإراقة الدم تعظيما ، ونحتاج إلى هذا التقيد على وجه التقرب بإراقة تعظيما للمذبوح له ، لنخرج الذبح تكريما بتقديم الطعام واللحم الطيب كما يذبح للضيف ، فما يذبح للضيف يقال : أنه ذبح له ، ذبح لفلان ذبيحة ، ذبح له تكريما بتقديم الطعام واللحم لا تقربا وتعظيما بإراقة الدم ، فمقصود الأول هو التقرب والتعظيم ، والعبادة لهذا المذبوح له ، وأما الثاني فلا ، تكريم له باللحم ، وهذا لا يقصد من مثلا مما يذبح على وجه التقرب يقصد منه اللحم ، ﴿ **لا ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى** ﴾ ، لهذا الأضحية لا يجوز أن تشتري لحم وتتصدق ، لو اشترى الإنسان لحم وتصدق بأيام الأضحية ، لم يكن مضحيا .

وذكر الشيخ في هذا الباب آيتين وحديثين .

أما الآيتين فالأولى : وقوله تعالى : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر لغيره من سائر أمته ،﴿ **قل إن صلاتي ونسكي** ﴾ صلاتي الصلاة المعروفة ، مشتملة على القيام ، والقعود ، والركوع ، والسجود ، والقر اءة ، والتسبيح ، ﴿ **قل إن صلاتي** ﴾ كلها ، صلاتي ، وربما شملت أيضا الصلاة التي هي الدعاء ، الصلاة بمعنييها .

﴿ **قل إن صلاتي ونسكي** ﴾ النسك هو الذبيحة ، يعني ما يذبح قربان ، هذا
....

هو النسك ، وإن كان النسك في الأصل يطلق على كل عبادة ، العبادات هي أنساك ، والرجل الناسك هو العابد ، والمتنسك هو المتعبد ، ولكن غلب إطلاق اسم النسك ، والانساك ، والمناسك على أعمال الحج ، ومن أعمال الحج ذبح الهدي ، وذبح الفدية ، إذا وجبت وإذا حصل موجبها ، وكذلك الأضحية لغير الحاج كلها داخلة في النسك ، أنواع من القربات ، وقرن النسك بالصلاة مما يدل على عظم شأن التقرب إلى الله بذبح القرابين ، وإنما شرع الله التقرب إليه بالهدي ، والأضحية ، والفدية ، وما أشبه ذلك ، وذلك يكون من بهيمة الأنعام ، فالنسك الذي شرعه الله ، هو هذه الأنواع :

الهدي ما يهدى إلى الحرم ، والأضحية من عموم المسلمين ، كذلك الفدية ، كذلك هدي مثلا الإحصار ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ ، ومن ذلك هدي التمتع ، كل ذلك يجب أن يكون من بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم .

﴿ **قل إن صلاتي ومحياي ومماتي** ﴾ عموما المسلم شأنه أن تكون أعماله كلها لله ، فهو يحيا لله ، ويريد الحياة لله ، ويموت لله ، كما يموت المجاهد يموت في سبيل الله .

﴿ **لا شريك له** ﴾ ، هذا نفي للشريك ، فتضمنت الآية معنى لا إله إلا الله ، فقوله : ﴿ **لا شريك له** ﴾ فهذا هو مضمون ومدلول النفي في كلمة التوحيد ، وقوله : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله** ﴾ هذا جانب الإثبات ، فالآية اشتملت على ماذا ؟ على معنى لا إله إلا الله ، بما فيها من نفي وإثبات ، إلا أن معنى الإثبات مقدم في الآية على معنى النفي ، كما تقدمت الإشارة لمثل

هذا في قوله : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾ .

....

وهكذا قوله تعالى : ﴿ **اعبدوا الله ولا تركوا به شيئا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنا أول المسلمين** ﴾ قال المفسرون : أنه أول المسلمين من هذه الأمة ، وإلا فالمسلمون كثير قبله ، الأنبياء واتباعهم كلهم على الإسلام .

وقوله تعالى : ﴿ **فصل لربك وأنحر** ﴾ أمر من الله لنبيه ، بأن يصلي له لا لغير ، وأن يذبح وينحر ، وأن ينحر لربه كذلك ، ﴿ **فصلي لربك** ﴾ يعني صلي لله ، الذي نفسك بيده ، وهو مالك أمرك ، وهو المنعم عليك ، وهو الذي يربيك ، وهو إلهك ، ﴿ **فصلي لربك وانحر** ﴾ أي صلى لربك ، اذبح لربك ، فيدل على أن الذبح والنحر والصلاة كل ذلك إنما يكون لله ، كقوله : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي** ﴾ فتشابهت الآيتان .

ودلت الآيتان على أن الذبح والنحر ، أن ذلك عبادة ، الذبح وا لنحر على وجه التقرب بإراقة الدم هذا عبادة ؛ لأن الله أمر به ، وكل ما أمر الله به فهو عبادة ، وهو يحبه ، وكل ما نهى عنه فتركه عبادة .

وإذا كان الذبح عبادة ، الذبح عبادة نوع من أنواع العبادات ، فصرفه لغيره شرك ، فاستفدنا ، أو أفادتنا الآيتان على أن الذبح لله عبادة وقربة وعمل صالح ، وأن الذبح لغيره شرك ، وعمل حابط ، وهو كفر مخرج عن ملة الإسلام ، من ذبح لغير الله فقد أشرك وكفر ؛ لأنه عبد مع الله غيره وصرف له نوع من أنواع العبادة ، وهو الذبح .

إذا الآيتان تدلان على أن الذبح لله عمل صالح ، وهو عبادة له من أفضل العبادات ، وأن الذبح لغيره شرك ، ولهذا قال : ﴿ **لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ .

....

أما حديث علي رضي الله عنه ، فيقول فيه رضي الله عنه : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات) يعني بأربع جمل ن الكلمة في رواية العرب هي الجملة أو الجمل الكثيرة ، ليست الكلمة المفردة هذا اصطلاح نحوي ، إطلاق الكلمة على اللفظ المفرد ، هذا اصطلاح النحاة ، بأربع كلمات : ((لعن الله من ذبح لغير الله)) وهذا هو الشاهد ، هذا هو الشاهد من الحديث ، هي في الجملة الأولى ، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، ويكون من الرب قولا وفعلا ، والله تعالى ذكر اللعن في مواضع ، اللعن منه على من شاء ، كما قال تعالى في قاتل المؤمن عمدا : ﴿ **فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** ﴾ ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((لعن الله من ذبح لغير الله)) يحتمل والله أعلم أنه إخبار عن لعن الله وطرده لمن ذبح لغير الله ، ويحتمل أن يكون دعاء من النبي لمن فعل ذلك ، دعاء عليه بأن يلعنه الله وأن يطرده عن رحمته .

((لعن الله من ذبح لغير الله)) يدل هذا على تحريم الذبح لغير الله ، وأنه من كبائر الذنوب ، بل من مجموع الأدلة نعلم أنه شرك ؛ لأنه صرف للعبادة لغيره ، العبادة محض حقه سبحانه وتعالى ، فالذبح لغير معصية ، بل هي معصية كبيرة بل إنه شرك ، أعني الذبح لغير الله .

الثانية من الكلمات ((لعن الله من لعن والديه)) وفي هذا دلالة على تحريم لعن الوالدين ، بل هو من أكبر الذنوب ، بل هو من أكبر الكبائر ، وهو ضرب من العقوق ، لعن الوالدين عقوق ، وسبهما ولو دون اللعن عقوق ، نهرهما عقوق ، ولعن الوالدين يكون على وجهين :
يكون على صفة المواجهة ، كأن يقول سفيه لوالده : لعنك الله ، فهذا لعن فيه
....

مواجهة .
ولعن يكون بالتسبب ، وهذا هو الذي نص عليه الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر ، حيث قال : ((من الكبائر أن يسب الرجل والديه)) قالوا : وكيف يسب الرجل والديه ؟ ، قال : ((يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه ، فيسبهما)) يعني معناه ما الذي حصل ، هو ما سب أبويه لكنه تسبب ، يلعن أباء وأمهات الناس فيلعنون الناس أباه وأمه ، إذا قال هذا لشخص كما تلهج به ألسنة الجهلة والسفهاء ، يقول : لعنة الله على والديك ، قال : لعنة الله على والديك أنت ، هكذا تسمعون .
فهذا الأول تسبب في لعن والديه فحلت عليه لعنة الله ، مجرد تسبب ، أعوذ بالله ، مجرد تسبب ، فكيف إذا لعنهما مواجهة ، هذا أقبح ، مواجهة يواجههم باللعن ، كما يكون مع الأجنبي ، فهذه الخصلة المنكرة الثا نية ، لعن الوالدين ، وفي الحديث دلالة على أن هذا من كبائر الذنوب ، وقد صرح النبي عليه الصلاة والسلام أن هذا من كبائر الذنوب ، ((لعن الله من لعن والديه)) وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الذبح لغير الله ، ولعن الوالدين ، قرن بينهما ، وهو نظير قوله عليه الصلاة والسلام : ((إلا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟))

قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : ((الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين)) وكان متكئ فجلس فقال : ((إلا وقول الزور إلا وشهادة الزور)) ما زال يكررها حتى ــ يقول الصحابي ــ حتى قلنا : ليته سكت .

المر الثالث ، أو الخصلة الثالثة ، في قوله : ((لعن الله من آوى محدثا)) أيضا إيواء المحدث ، أي الذي أحدث حدثا ، أحدث جريمة قتل ، أو سرقة ، أو زنى ، أو أحدث بدعة في الدين ، ثم أريد أخذه لإقامة الحد عليه ، ولتطبيق

....

ما يشرع في حقه من العقاب ، فهذا الذي استحق العقوبة الشرعية لا يجوز لأحد أن يحول دونها ، وأن يأوي هذا الذي أحدث الحدث ، من أواه فهو ملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني مثلا إنسان قتل ، فلما طلبه ، ولي الأمر طلبه وبعث في أثره يطلبه ، فيذهب هذا إلى شخص يحميه ن يقول : أنا بوجهك ، أنا بوجه فلان ، ما يجوز لفلان أن يتوجه له ، يعني ما يجوز له أن يحميه ، ما هو فقط يتوجه ، إذا توجه وطلب من الأولياء أن يتنازلون ويسمحون بطيب نفس ، هذا له أن يفعل ، له أن يشفع في القصاص ، أنتبه ، أما الحدود فلا ، الحدود التي لله ، لا ، إذا بلغت الحدود السلطان ، فلعن الله الشافع والمشفع له ، الذي قبل الشفاعة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة : ((أتشفع في حد من حدود الله)) ، فالذي يأوي المحدث هذا ، يأويه يحميه يجيره هذا هو الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في هذا الحديث ، ((لعن الله من آوى محدثا)) ، وبعضهم يرويه محدَثا بفتح الدال اسم مفعول ، والمراد بالمحدَث البدعة في الدين ،

((إن شر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)) ، وإيواء المحدث أو إيواء البدعة يكون باعتنقائها والدعوة إليها ، وحماية أهلها .
الأمر الرابع ، قوله : ((لعن الله من غير منار الأرض)) ، منار الأرض هي معالمها ، والمقصود بها هنا هي المراسيم التي تفصل بين حقوق الجيران ، حدود ، الحدود العلامات التي تميز ما لهذا ، وما لهذا ، وتغيرها يؤدي إلى الظلم ، وذلك بأن يدخل من أرض ه ذا على أرض ذاك ، فيغتصب من هذا لذاك ، يغتصب من أرض هذا لذاك ، عندما يقدم الحد إلى جهة صاحب هذه الأرض ، إذا قدمه إلى ما يقدم إليه ويقرب إليه الحد ، يخرج من أرضه بقدر

....

تقريب الحد ، يخرج من أرضه ، إذا غيرها المغير يأتي المالك ويشرع في البناء ، ويبني ولا ينتبه تماما ، فينظر إليه الحد فيبني عليه على أن هذا هو حد أرضه ، فإذا أرضه قد سرقت ، سرقة ، كل واحد بقدره ، فقد يكون السارق أحيانا شبر ، وأحيانا ذراع ، وأحيانا متر ، وأحيانا أكثر من ذلك بكثير .
هذه هي الخصال الأربع ، والشاهد هو في الكلمة الأولى ، فهذه كلها من كبائر الذنوب : لعن الوالدين ، ولعن من آوى محدثا ، ولعن من غير منار الأرض وأما الأول فهو من كبائر الذنوب ، بل هو أكبر الكبائر ، وهو الشرك .
وذكر الشيخ ، رحمه الله الحديث الثاني حديث طارق بن شهاب ، والحديث مختلف في رفعه ووقفه ، ولكن الشيخ ذكره للاستشهاد ، وإلا الأصل في الباب الآيتان والحديث الأول ، هما الأصل في هذا الباب ،
(عن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((دخل الجنة رجل في ذُباب)) دخل الجنة رجل في شأن ذُباب ، أو بسبب

ترك ذُباب ، أو بسبب ترك تقريب ذُباب ، ((ودخل النار رجل في ذُباب)) يعني بشأن تقريب ذُباب ، أو بسبب ذُباب ، فتكون في سببية ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((دخلت النار امرأة في هرة)) أي بسبب هرة ، ((حبستها لا هي أطعمتها ولا سقتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)) .
(قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟) يعني أمر غريب ، إنه جدير بالاستفهام
(قال : ((مر رجلان على قوم لهم صنم)) صنم ما نحت على شكل صورة ، صورة إنسان أو حيوان أو غير ذلك فذلك الصنم ، والوثن أعم منه ، فما ينحت على شكل صورة هو صنم ووثن ، لهم صنم ، أصنام هذه هي التي أضلت كثيرا من الناس ، ﴿ **رب إنهن أضللن كثيرا من الناس** ﴾ .

....

يقول : ((لا يجوزه أحد)) لا يتعداه أحد ، ويمر به مجتازا حتى يقرب له شيئا ، وضعوا صنمهم في الطريق ، والمهم أنهم يفرضون على المارة أن يعظموا صنمهم ، وأن يتقربوا لصنمهم ، يفرضون على من يمر أن يعبد صنمهم ويتقرب إليه ، أما لو أنهم وقفوا في الطريق وقالوا : إما تقرب إليه أو تسلم فلوس ؟ يعني ضريبة لتجتاز ، فالذي يسلم فلوس ليجتاز ما تقرب للصنم ، هؤلاء صاروا كقطاع طريق ، ما تمر إلا لما تسلم مبلغ من المال ، مبلغ من المال ضريبة ، لا تقربا لصنمهم .
((لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا)) فمر رجل ، فقالوا له : ((قرب ، قال : ليس عندي شيء أقرب)) تأملوا ليس عندي شيء أقرب ، هذه تدل على أن الرجل ما عنده مانع عنده استعداد نفسي ، هو إن كان مسلما ليس من أهل الإيمان الراسخ وأهل البصيرة ، لا ، ((ما عندي شيء أقربه)) هكذا لو ابتلي

الإنسان بشيء ، يعتذر ويقول : ما عندي شيء !! ، اللهم أن يفعل ذلك تقية ، خوفا من شر ، يقول : ما عندي شيء أقرب ، قالوا له : ما دام ما عنك شيء
((فقالوا : قرب ولو ذُباب)) المهم إنك تخضع لصنمهم .
((قرب ولو ذُباب ، فقرب ذُباب)) ، ما صار عنده مانع .
((فقرب ذُباب فخلوا سبيله)) تركوه يسير في طريقه .
فمات ((فدخل النار)) استوجب النار ، استوجب النار بصنيعه ذلك ، وهو قبل ذلك كان مسلما .
وجاء آخر ((فقالوا له : قرب)) انظروا الفرق بين الموقفين ، بين موقف الرجل ، بين موقفه في أول الكلام وآخره .
((فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل)) ما احتاج ، يعني لم
....

يقولوا له : قرب ولو ذُباب ، لأنه سد الطريق عليهم ، ما في أمل ، ((ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه)) ففاز ، فاز بالجنة ، ((فدخل الجنة)) بإيمانه وتوحيده .
والشاهد من الحديث أن التقرب لغير الله شر ك مهما كان الشيء المتقرب به ، يعني مثلا كما سبق التنبيه ، أنه شرع في الإسلام التقرب بأي حيوان ؟ بهمية النعام ، فلا يشرع في الإسلام مثلا أن تذبح عصفور ، وتقول : هذا اذبحه قربة لله تعالى ، لا ، هذه إذا صنعته فقد تقربت بما لم يشرعه الله ، يكون فقد في هذه العبادة شرط الأمر والمتابعة ، لكن مع أن هذا لا يشرع ، فلو ذبح إنسان عصفورا يتقرب به إلى غير الله ، إلى صنم أو نحوه ، كان شرك ، وهذا الذي حصل للرجل الأول ، قرب ذُبابا فخلوا سبيله فدخل النار .

فالتقرب إلى الله بإراقة الدم تعظيما ، هذا عبادة وقد شرعها الله في أوق ات مخصوصة ، ومن أجناس مخصوصة ، وعلى وجه مخصوص .

هذا هو ما يتعلق بهذا الحديث ، ويأتي في المسائل بعض التنبهات ، المهم أن التقرب إلى الله بذبح ، والدم ، عبادة ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي وممحياي ومماتي لله** ﴾ ﴿ **صلي لربك وانحر** ﴾ لكن هذه العبادة لها شروط ، ولها مواقيت ، ولها صفة ، فلا تتقرب إلى الله في أي وقت ، يعني الإنسان مثلا ما ضحى ، فات الربعة أيام وما ضحى ، يذبح يقول : أتقرب إلى الله ، لا ، نقول فاتت الأضحية ، فالهدي له وقت ، هدي التمتع والإقران ، الضحية لها وقت محدود .

قال الشيخ ، رحمه الله :

فيه مسائل :

الأولى : تفسير : ﴿ إن صلاتي ونسكي ﴾ .

الثانية : تفسير : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ .

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

الشرح :

الأولى : (تفسير : ﴿ **إن صلاتي ونسكي** ﴾) .

الثانية : (تفسير : ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾) .

تقدم الكلام على هاتين الآيتين وبيان أنهما يدلان على أن الذبح والنحر على وجه القربة ، أنه عبادة لله ، ولعظيم شأن هذه العبادة قرنت بالصلاة ، فالنسك الذي هو الذبح أو النحر ، تقربا إلى الله ن هو قارن بالصلاة ، وقد شرع الله في عيد الضحى الصلاة ، صلاة العيد ، وذبح الأضاحي ، وجاز بأن يذبحون الهدايا ، والأمر بالصلاة عام ، ﴿ **فصل لربك** ﴾ يشمل الصلوات الخمس ، وغيرها من النوافل ، ومنها صلاة العيد ،.

الثالثة : (البداءة بلعنة من ذبح لغير الله) دليل على أنه أقبح هذه الذنوب ، وهذه الكبائر ، الذبح لغير الله أكبر من لعن الوالدين ، ومن إيواء المحدث ، ومن تغير منار الأرض ، كما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم في حديث : ((إلا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟)) ، قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : ((الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين)) .

الخامسة : لعن من آواى مُحدثا ، وهو الرجل يُحدث شيئا يجب فيه حق لله ، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غير منار الأرض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعين ، ولعن أهل المعصية على سبيل العموم .

الشرح :

الخامسة : (لعن من آواى مُحدثا ، وهو الرجل يُحدث شيئا يجب فيه حق لله ، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك) تقدم بيان هذا وأن المراد أن يحول الإنسان

دون إقامة ما يجب من الحدود ، ومن أداء الحقوق ، فالذي يآوي المحدث معارض لشرع الله ، ومضاد لمن يريد أن يقيم شرعه ، بتنفيذ الحدود .

السادسة : (لعن من غير منار الأرض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير) تقدم .

السابعة : هذه مسائلة (الفرق بين لعن المعين ، ولعن أهل المعصية على سبيل العموم) فالمذكور في هذا الحديث هو من نوع اللعن ا لعام ((لعن الله من ذبح لغير الله)) ، هذا عام ليس فيه معين فلان ، ((لعن الله من لعن والديه)) كل هذا من اللعن العام ، وهذا أكثر ما ورد في الكتاب والسنة ، كله من نوع اللعن العام ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ((لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده)) ، وهكذا قوله صلى الله عليه وسلم : ((لعن الله آكل الربا وموكِله ، وكتابه ، وشاهداه وكلهم سواء)) إلى غير ذلك مما ورد لعنه على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما لعن المعين فهو كأن تقول ، لسارق رأيته : لعنك الله ، أو لعنة الله على هذا ، بحجة أنه سارق ،
....

قد لعن الرسول صلى الله عليه وسلم السارق ، أو تجد شارب خمر فتلعنه ، تواجهه تقول : لعنك الله ، أو تقول : هذا لعنه الله ، أو تقول : هذا ملعون ، هذا من قبيل لعن المعين ، فنعم ورد السارق ، ولعن الشارب على سبيل العموم ، وهذا لا يسوغ لعن المعين ، وقد جيء برجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، شرب الخمر ، فجيء به فجلد ، وجيء به فجلد ، فقال بعض الصحابة : لعن الله هذا ، ما أكثر ما يؤتى به ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((لا تلعنه ، إنه يحب الله ورسوله)) فأنكر عليه الصلاة والسلام لعن المعين

، وإن كان شارب الخمر ملعونا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذًا لا يجوز لعن أهل المعاصي على سبيل التعين ، كالسارق المعين ، والشارب المعين ، والمرابي المعين ، ما يجوز أن تلعنه بعينه ؛ لأنه يجوز أن الله قد يمن عليه بالتوبة ، ما يدريك ؟ ، فلا يقع عليه الوعيد ، وقد يكون له من الحسنات ، ما يمنع من وقوع العذاب عليه كذلك ، إذًا الواجب أن يلزم الإنسان طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيلعن أهل المعاصي على سبيل العموم ، يلعن من لعنه الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما قال بن مسعود لما أنكرت عليه امرأة ، قوله : ((لعن الله الواشمة والمستوشمة ، والواصلة والموصولة ..)) فقالت له : لما تلعن ؟ ، فقال : ما لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا كله على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .
التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصا من شرهم .
العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ، ولم يوافقهم على طالبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر .
الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم ؛ لأنه لو كان كافرا لم يقل : ((دخل النار في ذباب)) .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : ((الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك)) .
الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب ، هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

الشرح :

الثامنة : يقول : (هذه القصة العظيمة) وإنها لعجيبة ، جديرة ، ولهذا استفهم الصحابة وقالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ ، ((دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب)) .

التاسعة : يقول من فوائد هذا الحديث ، أن من فعل الشرك ولو لم يقصده ، فإن فعله للشرك يوجب دخول النار ، (كونه دخل النار بسبب ذلك الذُباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصا من شرهم) ، يعني كأنه مكره وتقدم أن الرجل لم يظهر الامتناع في البداية ، بل ((قال : ليس عندي شيء أقربه ، فقالوا له : قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلو سبيله فدخل النار)) نعم لم يقصده ابتداء ، ولكن لما طلبوا وخاف منهم أجابهم إلى ما طلبوا فخلو سبيله ، فأستوجب بذلك

....

دخول النار ، وإذا كان مكرها ولم يقصده أصلا ، وفعله تخلصا من شرهم كما قال الشيخ ، فإنه يأتي سؤال : كيف يدخل النار بتقريب ذباب قد أكره عليه ولم يعذر بالإكراه ؟ ، نقول : إن العذر بالإكراه هو من خصائص هذه الأمة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا**

من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ فالمكره على الكفر إذا تكلم بكلمة الكفر أو فعل ما ظاهره كفر إذا فعل ذلك مكرها ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإنه لا يكفر لهذه الآية ﴿ **من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ أما الأمم الماضية ، فالذي يظهر والله أعلم أنهم لا يعذرون بالإكراه ، وقد استدل على هذا بما جاء في قصة أهل الكهف ، وذلك في قوله : ﴿ **إنهم يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذًا أبدا** ﴾ فنفى الفلاح عنهم مع إكراههم في العود فبي ملتهم ﴿ **إنهم يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ول ن تفلحوا إذًا أبدا** ﴾ .

العاشرة : يقول الشيخ من فوائد الحديث (معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين) يعني معرفة قدر الشرك ، يعني قدر خطره ، وقدر قبحه ، يعرفون أن الشرك عظيم ، ظلم عظيم ، فلم يستهن به ، فالشرك هو ذنب عظيم ، هو أكبر من جميع الذنوب ، ومن اجل ذلك صبر هذا الرجل على القتل ، ولم يجيبهم إلى ما طلبوا ، مع انهم يقول الشيخ : (مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر) وهل هم يستطيعوا أن يطلبوا منه غير هذا ؟ ! العمل الباطن هذا لا يقدر أحد على الوصل إليه ولا الإكراه عليه ، أبدا ، ولهذا لا يعذر الإنسان بالموافقة الباطنة ، بالموافقة على الشرك في الباطن ﴿ **ولكن من شرح**

....

بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ ، لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر ؛ لأنهم لا يملكون منه إلا هذا ، قالوا له : قرب ولو ذبابا ، يريدون أنهم لو قرب ذبابا ، ولو مجاملة لهم اكتفوا منه بذلك ، ولا يستطيعون أن يحصلوا منه إلا على ذلك ومع ذلك لم يجيبهم بل صبر على القتل ،

استعظاما واستقباحا للشرك ولأنه كما تقدم لا يعذر بالإكراه لو أجابهم إلى ما طلبوا متعذرا بالإكراه ، لم يكن معذورا ، لما تقدم أن العذر بالإكراه من خصائص هذه الأمة .

الحادية عشرة : (أن الذي دخل النار مسلم ؛ لأنه لو كان كافرا لم يقل : ((دخل النار في ذُباب))) هذا واضح ، لابد أنه كان قبل ذلك مسلما ، أما لو كان كافرا من قبل ما قال : ((دخل النار رجل في ذبلب)) فهو مستوجب لدخول النار قبل ذلك ، قرب ذباب أو لم يقرب .

الثانية عشرة : يقول الشيخ : (فيه شاهد للحديث الصحيح : ((الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك))) قريبة والنار مثل ذلك ، يعني أن الجنة قد تجب للإنسان بعمل يسير ، وبكلمة لا يلقي لها بال ، والنار كذلك قد تجب للإنسان بعمل يسير أو بكلمة يقولها ، كما في الحديث الصحيح : ((إن العبد يتكلم بكلمة من رضوان الله لا يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه)) أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، كلمة واحدة توبق الإنسان أو تعتق الإنسان ، تعتقه أو توبقه ، وهذا لا يعني أن هذه الحسنة توجب دخوله الجنة ، ولوز ترك كل الواجبات وفعل كل المحرمات ، لا ، ولكن هذه الحسنة تكون سببا لتوفيقه بحيث توج ب

....

له دخول الجنة ، ومن وجب له دخول الجنة ، فلابد أن يوفق للأعمال الصالحة ، ومن وجب له دخول النار ، فلابد أن يخذل ، والعياذ بالله ، حتى لا يوفق لفعل الحسنات ، ولا لتجنب المحرمات ، ليتحقق ما سبق به علم الله وكتابه .

الثالثة عشرة : يقول الشيخ في الحديث دلالة على أن (عمل القلب ، هو المقصود الأعظم) صحيح أن عمل القلب هو المقصود ، ليست العبرة بالأعمال الظاهرة ، العمال الظاهرة إذا لم تقم على عمل باطن ، أي على عمل القلب فإنها تصير صور و مظاهر لا تنفع صاحبها ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم وإنما ينظر على قلوبكم)) يقول : (المقصود عمل القلب حتى عند عبدة الأوثان) هم يريدون في الواقع ، هم يريدون الموافقة الباطنة ، لكنهم لا يستطيعون أن يعرفوا من الموافق له م في الباطن ، ومن لم يوافق ، هم يقصدون المقصود الأعظم عمل القلب ، حتى عند عبدة الأوثان ، هم لا يريدون من يوافقهم ظاهرا ، هم يريدون من يوافقهم ظاهرا وباطنا ، ولكن الإطلاع على عمل القلب مستحيل ، بالنسبة لقدرة المخلوق ، القلوب إنما يعلم ما تنطوي عليه علام الغيوب سبحانه وتعالى .

١١ ــ باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقوله تعالى : ﴿ لا تقم فيه أبدا ﴾ [١] .

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟)) ، قالوا : لا ، قال : ((فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟)) ، قالوا : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم)) رواه أبو داود ، وإسناده على شرطهما .

الشرح :

يقول الشيخ ، رحمه الله : (باب لا يذبحُ) أو (لا يذبح) ، لا يذبحُ نفي ، لا يذبح نهي ، (لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) هذا الباب مناسب للذي قبله ، فإنه إذا علم أن الذبح لله عبادة ، وقربة من أجل القربات ، فإنه مما ينبغي أن يعلم أنه لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ، ينبغي أن يعلم المسلم متى يذبح ؟ ، وأين يذبح ؟ ، وكيف يذبح ؟ .

متى يذبح الأضحية ؟ يذبحها في وقتها ، ألا ترون أنه لو ذبح المضحي قبل الصلاة ، لم تجزئه أضحيته ، وتكون شاته شاة لحم ، إذًا فالذبح لله له وقت ، والذبح له صفة .

وللذبح كذلك أمكنة مخصوصة ، للهدي له مكان يذبح هناك في الحرم .

....

---

(١) التوبة الآية [١٠٨] .

(باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) ، فهذا المكان يجب اجتنابه ، لا يجوز أن يذبح لله هديا أو أضحية أو عقيقة بمكان يذبح فيه لغير الله ؛ لأن ذلم يتضمن التشبه بالمشركين ، فإنه إذا ذبح المسلم لله يف ذلك المكان الذي يذبح فيه لغير الله ، يكون مشابها لهم ، ويظن أنه يذبح لغير الله ، فبعدا عن مشركة المشركين ، وسدا لذريعة الشرك ، وسدا وقطعا للقدوة السيئة ؛ لأنه إذا رأي الإنسان يذبح في ذلك المكان الذي يعرف انه مكان للذبح المشركين ، فإنه قد يغتر به من لا يعرف حقيقة الحال ، وذكر الشيخ في هذا الباب آية وحديث .

أما الآية ، فقوله تعالى : ﴿ **لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ ينهى الله تعالى نبيه أن يصلي في لذلك المسجد الذي بني على المعصية ، ويعرف بمسجد الضرار ، وقبل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجدا** ﴾ جماعة من المنافقين اتخذوا مسجدا ، ﴿ **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا** ﴾ مضارة للمسلمين ، ضرارا وكفر وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، ﴿ **وليحلفن إن أرادنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون** ﴾ فهؤلاء المنافقون بنوا مسجد ، وزعموا أنهم بنوه لضعفة المسلمين في أيام الشتاء ، يصلوا فيه ؛ لأنه مهيأ ، وطلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام أن يصلي فيه ، وكان بصدد غزوة تبوك ، فقال : ((نحن على سفر فإذا رجعنا إن شاء الله صلينا فيه)) أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع من غزوة تبوك ، وقبل أن يصل إلى المدينة ، نزل عليه الوحي ، ببيان حقيقة هذا المسجد ، ثم قال سبحانه : ﴿ **لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ .

....

وهذا المسجد ، قال جماعة من المفسرين من السلف أنه مسجد قباء ، وقيل ك أنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت في حديث صحيح عند مسلم أنه اختلف رجلان في ذلك المسجد ، في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : إنه مسجد قباء ، وقال الآخر : إنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : ((إنه مسجدي)) ، وهذا نص في أن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

ويقول ابن كثير ، رحمه الله : أنه لا منافاة بين القولين ، فكلا من المسجدين أسس على التقوى .

هذا حق فإذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى ، فمسجد النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهذا الوصف ، ومسجد النبي هو الذي لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ، أما مسجد قباء فكان عليه الصلاة والسلام يزوره ويصلي فيه ، يعني يزوره بين حين وآخر ، ويصلي فيه ، أما مسجده فهو الذي يصلي به في سائر الأيام حتى مرض صلى الله عليه وسلم ، وعجز عن الصلاة في المسجد ، حتى صلى به أخر صلاة صلى بالمسلمين ، وهو مريض صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ **لا تقم فيه أبدا** ﴾ الشاهد أن الله تعالى نهي نبيه أن يصلي في ذلك المسجد الذي أعد للمعصية ، فدل ذلك على أن الأمكنة المعدة للمعصية لا تجوز العبادة فيها ، مثل المسجد الذي بني لمضرة أهل مسجد آخر ، فلا يجوز أن يصلى فيه ؛ لأنه مؤسس على المعصية ، المسجد الذي بني على قبر لا تصح الصلاة

فيه ، ومن هذا الجنس الذبح بمكان مخصص للذبح لغير الله ، وبهذا تظهر
....

مناسبة الآية للترجمة ، فكأن الشيخ يقول : كما نهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي في المكان المعد لمعصية الله ، فمثل ذلك الذبح بمكان يذبح فيه لغير الله ، وهو استدلال ظاهر .

(عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة) نذر أوجب ، النذر هو أن يوجب الإنسان على نفسه ، ما لم يجب عليه في أصل الشرع ، كأن يقول : لله علي أن أصوم شهرا ، لله علي أحج ، لله علي أن أصلي كذا ، فيوجب على نفسه ، والأصل أن من أوجب على نفسه ونذر الطاعة ، من أوجب على نفسه طاعة وجب عليه لما سيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم : ((من نذر أن يطيع الله فليطع)) .

نذر رجل أن ينحر إبل بمكان اسمه بوانة ، مكان خصه ذلك الرجل أن ينحر فيه ، (فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟))) يعني هل هذا المكان ، بوانة ، هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ ، (قالوا : لا ، قال : ((فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟)) ، قالوا : لا) الوثن اسم لكل ما يعبد من حجر أو شجر أو صنم أو قبر ، والصنم ما كان منحوت على شكل تمثال كما تقدم ، فالوثن أعم من الصنم ، والعيد هو ما يعود ويتكرر ، كالاجتماع العام الذي يتخذ له مكان وزمان معين ، فيسمى عيدا ؛ لأنه يعود وأطلق على الزمان وعلى الأعمال ، مثل كما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام في الجمعة أنه قال : ((إن الله قد جعل لنا الجمعة عيدا)) ، وقال ابن عباس

رضي الله عنه : شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني شهدت الصلاة ، اجتماع ، والعمل فسمى الصلاة والاجتماع عليها عيدا .

....

المقصود أن الرسول عليه الصلاة والسلام استفسر من هذا الرجل ، فلما قالوا له : لم يكن فيها وثن ولا عيد ، (قال له : ((أوف بنذرك))) انحر هذه الإبل في ذلك المكان ثم بين السر في سؤاله فقال : ((فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم)) لا نذر في معصية الله ، يعني لا نذر يلزم ولا يصح ، ولا نذر يلزم ولا يصح فيما لا يملك ابن آدم ، فلو نذر الإنسان نذر أن يشرب خمرا ، أو نذر أن يذبح عند القبر الفلاني ، أو نذر أن يصلي عند القبر ، فكل هذا من نذر المعصية ، الذي لا يجوز الوفاء به ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((من نذر أن يعصي الله ، فلا يعصه)) ، وقال هنا : ((فإنه لا نذر في معصية الله ، ولا نذ ر فيما لا يملك ابن آدم)) ، وقوله : ((ولا نذر فيما لا يملك ابن آدم)) المراد نذر معين ، لا يصح أن ينذر الإنسان شيء معين لا يملكه ، كأن يقول : لله علي أن اعتق عبد فلان ، عبد معين ، هذا لا يلزم ، أما لو نذر شيئا في ذمته ، كأن يقول : لله علي أن أتصدق ، أو لله علي أن اعتق رقبة ، وهو لا يملكها ، فإن هذا نذر صحيح ولازم له وإن كان لا يملك الرقبة ، فعليه أن يشتري رقبة ويعتقها وفاء لنذره .
والشاهد من الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما استفسر عن المكان هل كان فيه ما هو معصية من عيد أو وثن من أوثان الجاهلية أ و أعيادهم ، فلما قالوا : إنه لا يوجد شيء من ذلك ، قال له : ((فأوف النذر)) فرتب المر بالوفاء ، وفاء النذر ، رتبه على خلو المكان عن المعصية ، فدل ذلك على أنه

لو كان فيه وثن أو كان فيه عيد فإنه لا يجوز الوفاء به ، وأن النذر ، نذر الذبح في هذا المكان نذر معصية ، من قصد الذبح في هذا المكان الذي هو من أعياد الجاهلية ، أو فيه وثن من أوثانهم ، فإنه نذر معصية لا يجوز الوفاء به.

....

أما إذا كان المكان خاليا ، فغن كان هذا المكان له فضيلة خاصة ، فإنه يجب ويتعين الوفاء بهذا المكان ، كمن نذر أن ينحر هديا في الحرم ، فإنه يجب عليه أن يوفي هناك ، ولا يجزئه أن يذبح في غير الحرم ، لا يجزئه ؛ لأن الحرم له خصوصية .

أما لو نذر أن يذبح بمكان ليس له خصوصية شرعية ، وليس فيه مانع شرعي ، فإنه يخير إن شاء ذبح في ذلك المكان ، وإن شاء ذبح في غيره .

كما قال أهل العلم : أن من نذر أن يصلي في مسجد غير المساجد الثلاثة ، فيجزئه أن يصلي في أي مسجد ؛ لأنه لا فضل لبعضها على بعضهم ، ما عدا المساجد الثلاثة ، فلا فضل لبعضها على بعض ، فيجزئ من نذر الصلاة في مسجد أن يصلي في أي مسجد .

كذلك من نذر أن يذبح في مكان كذا ، فيجزئه أن يذبح في أي مكان ؛ لأنه لا خصوصية لهذا البلدة .

والحديث ظاهر الدلالة على مضمون الترجمة ، وأنه لا يحل الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله ، أو في مكان قد أعد لمعصية الله .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ﴿ لا تقم فيه أبدا ﴾ .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض ، وكذلك الطاعة .

الشرح :

الأولى : (تفسير قوله : ﴿ **لا تقم فيه أبدا** ﴾) ، تقدم أن هذه الآية نزلت في مسجد ضرار .

الثانية : يقول من فوائد الآية والحديث : (أن المعصية قد تؤثر في الأرض ، وكذلك الطاعة) نعم قد تؤثر كما في الأمكنة المعدة لمعصية الله ، هذه تؤثر منعا ، وتوجب أن يكون هذا المكان محل سخط ؛ لأنه مكان معصية ، وكذلك الطاعة الأمكنة المعدة لطاعة الله ، هذه أمكنة طيبة ، فأين المسجد المعد لطاعة الله وعبادته ، من الملهى ، أو من المسجد المبني على قبر لعبادة غير الله ، من المسجد الذي قصد منه مضارة المسلمين ، ولكن إذا زالت معالم الطاعة أو معالم المعصية ، فإن المكان يعود إلى ما كان عليه ، إلا الأمكنة المخصوصة بالوحي ، كالمساجد الثلاثة هذه لا تزول فضيلتها ، والمشاعر أمكنة مخصوصة ، وقد علقت بها أحكام شرعية ثابتة متعلقة بهذه الأمكنة على وجه الخصوص ، لكن مسجد لو هجر هذا المسجد ، ونقل إلى موضع آخر ، أمكن تحويل هذا المسجد إلى منزل ومسكن يسكن فيه الناس أو شارع أو متسع

فيزول حكم المسجد عليه ، كما ثبت حكم المسجد عندما بني المسجد ، فيتغير حكم الأرض بتغير حكم ما يبنى عليها .

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال .
الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك .

الشرح :

الثالثة : يقول من فوائد الحديث (رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال) وهذا مستفاد من سؤال الرسول : ((هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ؟)) فإنه قبل السؤال كان موضوع محتما ، بوانة لا نذري قد تكون فيما يسوغ فيه الذبح ، ويحتمل أن لا يسوغ فيه ذلك ، فسأل فبالاستفسار زال الإشكال ، وهذا هو وجه قول الشيخ رحمه الله : (رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال) فمن البين أن ما كان فيه وثن أو ما كان فيه عيد من أعياد الجاهلية ، أنه لا يجوز التعبد فيه لله ، ولا يجوز الذبح فيه لله ، وبالاستفسار اتضح حكم نذر هذا الرجل ، اتضح حكمه ، ولهذا قال له بعد هذا الاستفسار : ((فأوف بنذرك)) .

الرابعة : (استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك) المفتي إذا سئل عن أمر ، وفيه احتمال ينبغي له أن يسأل حتى يوقع الفتوى موقعها ، وترك السؤال وترك الاستفسار مما يوقع في الخطأ ، وهذا من أهم ما ينبغي للمفتي أن يسأل عما يختلف حكمه ، إذا كان المسئول عنه يختلف حكمه فعليه أن يسأل ، أما

إذا كان الأمر لا يختلف حكمه ، فلا موجب للاستفسار ، ولهذا قال :إذا احتاج إلى ذلك ، إذا كان هناك احتمال فينبغي له أن يسأل ، أما إذا كان الأمر متعين ولا مجال للاحتمال ، فلا يلزم الاستفسار لأن الاستفسار حينئذ لا معنى له .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع
السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .
السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .
الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة ؛ لأنه نذر معصية .
التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده .
العاشرة : لا نذر في معصية .
الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

الشرح :

الخامسة : (أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع) نعم لا بأس به ، نقول : جائز ولكنه لا يلزم ، لا يتعين ، تخصيص البقعة بالن ذر لا بأس به إذا خلا من الموانع ، إذا لم يكن به مانع شرعي ، فلا بأس من الوفاء بالنذر في ذلك المكان ، لا بأس به ، لكنه لا يتعين ، لا يجب ؛ لأن هذا المكان

تخصيصه ليس بطاعة ، ونذر غير الطاعة لا يجب ، ولهذا قال الشيخ : (أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع) .
السادسة والسابعة : هاتان مسألتان دل عليهما الحديث دلالة ظاهرة ، يقول الشيخ : المنع منه المنع من الوفاء بالنذر في المكان المعين (إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية أو عيد من أعيادهم ولو بعد زواله) لقوله : ((هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية هل كان فيه عيد من أعيادهم)) ، يقول الشيخ : ولو بعد زواله . أما إذا كانت معالم الوثن ومعالم العيد ومظاهر أفعال الجاهلية قائمة فهذا بين ، أما إذا زالت المعالم وطمست الآثار فهذا محل نظر ؛ لأنه قد

....

جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يبنى ما كان الآت ، طاغوت ثقيف بالطائف ، أمر أن يبنى مكانها مسجدا ، ولعل الجمع بين هذا وذاك أنه إذا زالت مظاهر الجاهلية زولا تاما ، زال حكم المنع ، فيجوز أن يتخذ مسجد ويصلى فيه ويعبد الله فيه ، ولو كانت هذه البقعة في زمن من الأزمان كان فيها وثن ، لكنه قد زالت معالمه وزالت آثاره ، فإن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الآت في الطائف أرسل إليها المغيرة بن شعبة وأبا سفيان فهدماها وأمر أن يبنى مكانها مسجدا .
الثامنة : (أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة ؛ لأنه نذر معصية) كما تقدم .
التاسعة : (الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده) الحديث دال على هذا ، فهو من أدلة تحريم التشبه بالمشركين في أعيادهم ومناسبتهم ، وأعمالهم ، فهذا الحديث هو من أدلة تحريم التشبه بالمشركين ، وكذلك التشبه

بأهل الكتاب جميعا ، اليهود والنصارى يحرم التشبه بهم ، فضلا عن مشاركتهم .

الحادية عشرة : (لا نذر لابن آدم فيما لا يملك) مما هو معين أما نذر ما لا يملك ، نذر شيء في ذمته فإنه يصح ، ولو لم يكن مملوكا له عند النذر .

١٢ ـ باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ (١) وقوله : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾ (٢)

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه))

الشرح :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، يقول الشيخ رحمه الله :

(باب من الشرك النذر لغير الله) يعني هذا باب بيان أن من الشرك ، أي الشرك الأكبر ، النذر لغير الله . ثم استدل لهذا بآيتين وحديث .

(١) الإنسان الآية : [٧]
(٢) البقرة الآية : [٢٧٠]

النذر : تقدم أنه إلزام المكلف نفسه ما لم يجب عليه بأصل الشرع ، أن يوجب المكلف على نفسه ما لم يجب عليه بأصل الشرع ، أو بتعبير أدق : أن يلتزم المكلف ما لم يجب عليه بأصل الشرع . فإن وجوب النذر ليس بالتزام المكلف بل بالشرع ، وجوب النذر بالشرع بأمر الله ، للحديث الآتي .

والنذر تارة يكون مطلقا وتارة كون مشروطا :

فالمطلق : كأن يقول المسلم : لله علي أن أصوم لله خمسة أيام ، ابتداءً يريد أن يلزم نفسه لأنه ما يعزم على الصيام فيلزم نفسه .

والمشروط : أن يقول : إن شفى الله مريضي فعلي كذا وكذا ، علي صيام شهر ، أو علي أن أتصدق بألف ريال أو ما أشبه ذلك .

....

والمسلم لا ينذر إلا لله ، يقول : لله علي ، وعباد الأصنام وعباد الأولياء ، عباد الأضرحة ينذرون لأوليائهم ، ينذرون لهم يقول : لفلان كذا .

فالقبوريون ينذرون للأضرحة أموال وذبائح ، ينذرونها وفي هذا تعظيم لها .

فالنذر لله إن كان طاعة وجب الوفاء به مطلقا على الصحيح لقوله صلى الله عليه وسلم : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه)) في حديث عائشة .

وإن كان معصية فلا يجوز الوفاء به ، كمن قال : لله علي أن أصلي عند قبر فلان ، لله علي : ينذر لله . والصلاة عند القبر معصية فمن أوجب لنفسه ذلك فهو نذر معصية لا يجوز الوفاء به .

والنذر يتضمن تعظيم المنذور له ، فيه تعظيم للمنذور له ، والمنذور نفسه ، العمل المنذور الأصل أن يكون مما يحبه المنذور له ، فمثلا إذا نذر المسلم

وقال : لله علي أن أصوم ــ الصيام مشروع ومحبوب لله ــ لله علي أن أصلي ركعتين ، لله علي أن أتصدق بألف درهم . هذا كله نذر طاعة .
والجاهل الذي ينذر المعصية ويقول : لله علي أن أصلي عند القبر الفلاني . هذا يريد أن يتقرب إلى الله لكنه جاهل في التزامه بذلك ، يظن أن هذا مما يحب الله وهو مما نهى الله ورسوله عنه .
فمن نذر أن يطيع الله وجب عليه الوفاء به ؛ لأن الطاعة عبادة ، فمن نذر عبادة مشروعة ، فمن نذر لله عبادة مشروعة ، الطاعة إما واجبة وإما مستحبة أما الواجب فهذا مفروغ منه ، والنذر ليس فيه إلا التأكيد ، لكن يأتي السؤال الذي طرح في الليلة الماضية : هل عقد النذر عبادة ؟
عقد النذر ليس بعبادة بمعني أننا لا نقول : يشرع للإنسان أن ينذر يستحب أن ينذر الإنسان أو يجب أن ينذر ، العبادة إما واجبة وإما مستحبة ، والنذر عقد ....

النذر ليس بواجب أو مستحب بل هو إما محرم أو مكروه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : ((النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل)) .
فعقد النذر ليس بعبادة لكن يؤول إلى العبادة ، فالذي يقول لله علي أن أصوم يؤول نذره إلى العبادة الصيام ، لله علي أن أصلي ركعتين مآله إلى العبادة ، ولهذا نقول عقد النذر ابتداء النذر هذا مكروه منهي عنه ، أما الوفاء بالنذر فهو واجب ، نذر الطاعة واجب ، وقد أثنى الله على الذين يوفون بالنذر في الآية الأولى ، قال تعالى في صفة عباده : ﴿ **عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر** ﴾ فذكر من أو لصفاتهم التي أثنى بها عليهم أنهم يوفون بالنذر ، لا كمن ينذر ثم يتراجع ويتقاعص ويخلف .

وآكد النذر ، يعني من حيث وجوب الوفاء ، هو النذر المشروط ، فمن نذر لله وشرط حصول أمر يطلبه من الله ، فإذا حصل لـــه ذلك المطلوب وجب عليه الوفاء ، وإذا لم يوفي بنذره كان مخلفا لوعده ، وقد ذم الله فريقا من المنافقين وقال : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلو به** ﴾

ولكن على الإنسان ألا ينذر ، إذا أراد أن يفعل خير فليفعله بدون أن يلزم نفسه لعله يضعف عزمه فيبخل ويتراجع ويلتمس الطرق التي يتخلص فيها من ذلك النذر ، كما يقع من كثير من الناس .

إذًا النذر عبادة باعتبار المآل وباعتبار ما يتضمنه من تعظيم المنذور له ، فلهذا يطلق بعض أهل العلم أن النذر عبادة ، وإذًا فالنذر لغيره شرك ، فالذي يقول : علي أن أذبح للسيد فلان ، أن يذبح له ، هذا ينذر عبادة لذلك الميت ، ينذر أن يذبح له ، ينذر أن يتقرب له ، والذبح لغير الله ــ كما تقم ــ تقربا وتعظيما

....

شرك ، فهو نذر للشرك ، من نذور المشركين أن ينذر للضريح الزيت والشمع ، الزيت لإضاءة ما يوقد على الضريح من السرج ، والشمع كذلك يشعل للاستصباح ، فهذا من التقرب للأموات ، فبدل إنه يذبح بدون نذر لا ، يلزم نفسه فهو بهذا النذر مشرك لأنه ألزم نفسه بالتقرب إلى غير الله ، ألزم نفسه بعبادة غير الله ، والذي قول : لله علي أن أصوم ، لله علي أن أتصدق له ، هذا عابد لله يريد تعظيم الله ويريد التقرب إليه فهو موحد ، فإذا أوفى بنذره كان محمودا ومأجورا على وفائه بالنذر ، وقد قرن الله النذر بالإنفاق في الآية الثانية ، في قوله تعالى : ﴿ **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله**

يعلمه ﴾ ، يعلم ما يعمله العباد من أعمال ظاهرة أو باطنة ويعلم الصادق من الكاذب والمخلص من غيره ، فإن الله يعلم .

فيعلم سبحانه وتعالى ما يعمله العباد وما يقصده العباد بأعمالهم ، وفي هذا وعد ووعيد ، وعد للمنفقين والموفين بالنذر والمخلصين الصادقين ، ووعيد لمن قصر ولم يخلص ومن بخل أو لم يوف فإن الله يعلمه **﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾**

يقول الشيخ : (باب من الشرك النذر لغير الله) ثم ذكر الآيتين ، يوفون بالنذر ، هذا ثناء من الله ، فدل على أن الوفاء بالنذر من أعمال عباد الرحمن ومما مدح الله به عباده **﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾** .

قال رحمه الله : (وفي الصحيح) أي في صحيح البخاري كما قاله في الشرح ، (عن عائشة رضي الله عنها) أم المؤمنين (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من نذر أن يطع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا

....

يعصيه))) هذا أصل في باب النذور ، هذا هو الدليل على وجوب الدليل على الوفاء بالنذر ، أما قوله تعالى **﴿ يوفون بالنذر ﴾** فليس فيها دلالة على الوجوب ، إنما فيها دلالة على فضل الوفاء بالنذر ، وإنما الدليل على وجوب الوفاء بالنذر هذا ، فهذا الحديث الدليل على وجوب الوفاء بالنذر : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه)).

فالوفاء بالنذر واجب بأمر الله ورسوله ، ((فليطعه)) وقد ذهب أكثر أهل العلم على وجوب الوفاء بنذر الطاعة مطلقا ، وهذا هو الصواب ، أي طاع ة

يلتزم بها العبد فإنه يجب الوفاء بها ، من صلاة أو صدقة أو صيام أو حج أو اعتكاف ، لكن على المسلم أن يحذر من أن يلزم نفسه ، بما لعله لا يقوى عليه ، فيحرج نفسه ، يعرض نفسه للحرج ، وهذا النذر الذي يجب الوفاء به ، يقول أهل العلم ، هو نذر التبرر ، الذي يقصد به البر ، ويقصد به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، سواء أكان مطلقا أو مشروطا ، كما سبق ، وأما نذر يسمى عند أهل العلم نذر اللجاة والغضب ، فإنه لا يجب الوفاء به ، بل يخير بين الكفارة وفعل المنذور ، كالذي ينذر من أجل أن يلزم نفسه بأمر ، كمن يقول : إن لم أفعل كذا فعلي عشر حجج ، إن لم أفعل كذا فعلي صيام شهر ، يريد أن يضغط على نفسه ، أو يقول ، يمنع نفسه ، كما يفعل بعض الناس ، يريد أن يلزم نفسه بالترك ، فيقول : إن فعلت كذا ، فعلي صيام أسبوع أو شهر ، وقد ينشأ هذا عن معاندة وعن انفعال وغضب ، يعني إن كلمت فلان ، يغاضب ، إن كلمت فلان فعلي أن أتصدق بمالي ، فعلي أن أطلق كل عبيدي ، هذا اسمه نذر اللجاة والغضب .

ونذر اللجاة والغضب كفارته ، كفارة يمين ، يخير إما أن يفعل المنذور به ،

....

وأما أن يكفر لكفارة يمين ؛ لأن ليس المقصود منه التبرر ، المقصود منه الإلزام فمعناه معنى اليمين .

قال في الحديث : ((ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)) كما تقدم ذكر المثال ، نذر ما يظنه طاعة وهو معصية ، هاذ لا يجوز الوفاء به ، كمن قال : لله على أن أصلي عند قبر فلان ، أو أن أذبح عند قبر فلان ، أو أن أدعو عند قبر فلان ، كل هذا من الأمور المحرمة ، وكل هذا من وسائل الشرك ، فلا

يجوز الوفاء به ، ولكن هل عليه كفارة ؟ هل يجب عليه أن يكفر ؟ فيه قولان لأهل العلم : والراجح وجوب الكفارة لحديث عائشة ، كما ذكر عندكم في شرح الباب السابق ، ((لا نذر في معصية ، وكفارته كفارة يمين)) وهذا فيما إذا كان المحرم هو نفس المنذور كما في الأمثلة السابقة .

أما إذا كان نفس النذر معصية ، كالنذر للمخلوق الذي هو الشرك ، النذر للمخلوق ، فهذا لا حرمة له ، كالحلف بالمخلوق ، الحلف بالمخلوق لا حرمة له ولا كفارة فيه ، من يحلف بالنبي أو بالسيد فلان ، أو يحلف بحياة فلان ، أو بشرف فلان ، هذا لا حرمة له ، ولا كفارة فيه ؛ لأنه نفسه معصية ، ونفس الحلف هذا معصية ، فإذا كان النذر في حد ذاته ، يعني من النوع المنذور له ، يعني النذر لله ، والمنذور معصية ، فهذا الذي نقول : لا يجوز الوفاء به ، وكفارته كفارة يمين ، كما لو قال إنسان : والله لأشربن الخمر ، يحلف ، حرام عليه الوفاء ، هنا يحرم الوفاء بهذا النذر ، يجب الحنث في هذه اليمين ، لا يجوز له أن يوفي بيمنه ، بل يحرم عليه ، يجب أن يكفر عن يمينه ولا يجوز له الوفاء ، بل يجب عليه الحنث ، كذلك من نذر لله ، ما لا يحل له فعله ، فإنه لا يجوز له الوفاء ؛ لأنه نذر معصية .

....

أما إذا كان النذر أيضا لغير الله ، فهذا لا حرمة له بوجه ، فلا يجوز الوفاء به ، ولا اللكفارة فيه ، كالحلف بالمخلوق ، الحلف بالمخلوق لا حرمة له ولا تنعقد ، لا تنعقد يمين ولا حرمة لها ؛ لأن الكفارة تتعلق بانتهاك حرمة المحلوف به ولا يخفي الفرق بين من نذر للمخلوق ، فالنذر للمخلوق شرك ، من نذر يتقرب إلى السيد إلى لقبر إلى الصنم ، لكن الذي نذر أن يتقرب إلى الله ، كما

في الأمثلة هذا معصية ، وليس بشرك ؛ لأنه نذر لله أن يصلي عند القبر الفلاني ، أو أن يذبح عنده أو أن يدعو عنده ، والدعاء عند القبر ، يدعو الله عن القبر ، هذا وسيلة من وسائل الشرك ، بخلاف دعاء الميت .

قال الشيخ ، رحمه الله :

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيه شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

الشرح :

الأولى : (وجوب الوفاء بالنذر) هذا مستفاد من حديث عائشة .

الثانية : (إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيه شرك) إذا ثبت النذر عبادة لله ، سبق توجيه كون النذر عبادة لله ، فصرفه لغيره شرك .

الثالثة : (أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به) بل يحرم ، حرام فعل نذر المعصية ، فالنذر لا يبرر فعل المعصية .

١٣ ـ باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقوله تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ (١) .
وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك)) رواه مسلم .

الشرح :

يقول الشيخ ، رحمه الله : (باب من الشرك الاستعاذة بغير الله) يعني هذا باب بيان أن من الشرك الاستعاذة بغير الله ، والذي يظهر أنه مثل الذي قبله ، أي من الشرك الأكبر ، الاستعاذة بغير الله .

الاستعاذة : طلب العياذ ـــ السين والتاء للطلب في أكثر الأفعال .

والعياذ : يكون في دفع الشر ، يكون مقصود العياذ والمستعيذ في دفع الشر .

واللياذ : يكون في طلب الخير .

والاستعانة : طلب العون في دفع الشر أو جلب الخير .

ومعنى الاستعاذة : يعني الالتجاء والاعتصام ، فمعنى أعوذ بالله يعني ألتجئ وأعتصم بك يا الله ، وقد أمرنا الله تعالى بالاستعاذة به من الشيطان في مواضع كثيرة من القرآن ، ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان**

---

(١) الجن الآية [٦] .

....

الرجيم ﴾ ، يعني إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقال سبحانه : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ .

وقد أنزل الله تعالى سورتين تضمنتا الاستعاذة به والأمر بالعياذة به سبحانه وتعالى من جميع الشرور ، عموما وخصوصا ﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ..** ﴾ إلى آخر السورة ، ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس ..** ﴾ إلى آخر السورة ، فأمر الله نبيه ، وأمته تبع له صلى الله عليه وسلم ، أمره بهذه العياذات ، أن يتعوذ به سبحانه وتعالى من هذه الشرور ﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق** ﴾ فدل ذلك على أن الاستعاذة به سبحانه وتعالى عبادة مأمور بها ، وقد شرع لنا التعوذ به في مواضع وفي مناسبات كثيرة : عند وسواس الشيطان ونزغة ال شيطان ، عند كذلك دخول الخلاء ((أعوذ بالله من الخبث والخبائث)) ، عند دخول المسجد ، عند إتيان الأهل ، في مواطن .

فالمقصود أن الاستعاذة والتعوذ عبادة ، فالاستعاذة به سبحانه وتعالى عبادة ، والاستعاذة إذًا بغيره شرك ، ومن الدليل على هذا أن الله تعالى ذم الإنس الذين كانوا يستعيذون بالجن ، كما في الآية من السورة ، سورة الجن ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا** ﴾ .

كان أهل الجاهلية إذا نزلوا منزلا يقولون : (نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه) فلما رآهم الجن يخافونهم ويلتجئون إليهم ويسألونهم العياذ أخافوهم حتى

(زادوهم رهقا) أي خوفا وزعرا ، زادوهم : الضمير الأول لمن ؟ للجن ، ....

والثاني للإنس ، أي زاد الجن الإنس رهقا أي خوفا ورهبة منهم ، يعني لما رأوهم يلجئون إليهم زادوا في إزعاجهم وفي تخويفهم حتى يزدادون لجوءً إليهم فزادوهم رهقا . وقال بعض المفسرين : (فزادوهم رهقا) أي زاد الإنس الجن رهقا أي طغيانا وكبرا . فالاستعاذة بالموتى وبالغائبين هذا هو الشرك . يبقى الاستعاذة بالحاضر القادر ، هل يجوز القول : أعوذ بك يا فلان من شر هذا العدو ؟ الظاهر والله أعلم أنه يجوز وأن الاستعاذة من جنس الاستعانة ومن جنس الاستجارة ومن جنس الاستغاثة . الاستعانة والاستغاثة والاستجارة ، تقول : أستجير بك يا فلان ، أجرني من هذا العدو ، أجرني من هذا السبع ، أجرني يا فلان .

للحي الحاضر القادر كالاستعانة فإنه وإن كانت الاستعانة هي عبادة لله ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ والاستعانة بالمخلوق بما لا يقدر عليه شرك ، كاستعانة المشركين بأصنامهم وبآلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وأما الاستعانة بالحاضر المخلوق القادر بما يقدر عليه فذلك من الأمر الجائز الذي يكون مشروعا أحيانا بحسب الحال ، يعني تكون الإعانة به مشروعة ، بل والاستعانة على فعل الخير ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ .

وتجدون في باب من كتاب التوحيد في وسط كتاب التوحيد : (باب قول الله تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا** ﴾ . ذكر الشيخ في آخر الباب أثر عن إبراهيم النخعي أنه رحمه الله يكره أن يقول : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله

ثم بك . يعني أعوذ بالله ثم بك . ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا** ﴾ .

....

أما الحديث فهو عن خولة بنت حكيم الأنصارية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك)) رواه مسلم .

((من نزل منزلا)) هذا يشمل منازل في الحضر والسفر ، ((فقال)) يعني بعدما نزل أو عندما ينزل ((أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)) هذا بديل عن استعاذة أهل الجاهلية . فقال ((أعوذ بكلمات الله التامات)) وهذا من الاستعاذة بصفات الله ، والله تعالى هو المعاذ وهو الذي يعيذ عبادة يعيذ المستعيذين به ، والاستعاذة بصفاته هي من الاستعاذة به ، وقد جاءت الاستعاذة بالصفات في مواضع كما هنا ، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم : ((أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك)) وكما في قوله: ((أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد))

فالاستعاذة بصفات الله من الاستعاذة بالله .

... ليست من الاستعاذة المشروعة ، وقد استدل أهل السنة بمثل هذا الحديث ، وقد جاء التعوذ بكلمة الله في غير هذا الحديث ، استدلوا به على أن كلام الله ليس بمخلوق خلافا للجهمية والمعتزلة ، كما سيذكر الشيخ في المسائل .

((أعوذ بكلمات الله التامات)) كلمات الله نوعان : كلمات شرعية وهي آيات القرآن ، وكلمات كونية وهي التي يكون بها الأشياء ويدبر بها أمر العالم ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ .
قوله : تامات ، يعني كاملات لا نقص فيها ولا عيب ، كلمات تامات ، وتامات في مضمونها ، وذلك بكمال الصدق والعدل يبين ذلك قوله تعالى : ﴿ **وتمت**
....

كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾ ، وفي رواية ﴿ **وتمت كلمَةُ ربك صدقا وعدلا** ﴾ .
((أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)) هذا هو المستعاذ منه ، من شر ما خلق ، يعني من شر ما خلق مما فيه شر ، فكأن هذا من العام المخصوص ، العام الذي ليس على عمومه ، من شر ما خلق ، أي من شر كل ذي شر ، وهذا نظير قول الله تعالى : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق** ﴾ .
والشر فسره العلماء بأنه هو الأم وما يفضي إلى ألم ، هذا هو الشر ، وشر الشر هو المعاصي فإنها تفضي إلى أعظم الآلام وهو العذاب في النار .
يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث : ((من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله من شر ما خلق ، لم يضره شيء)) هذا هو الجزاء ، لم يضره شيء ، هذا يتضمن الوعد بالسلامة من الشرور المحتملة ، لم يضره شيء .
والضرر هو الذي فيه الخطر ، وفيه النقص على من يصبه ، بخلاف الأذى ، فالأذى أمره سهل ، فليس كل أذى يضر ، إنما الشيء الذي يحاذره الإنسان وهو الذي يتقى هو الشر ، يعني الضرر ، أما الأذى فلا تتأتى السلامة منه ، لم يضره شيء ، حتى ولو أصابه ما يؤذيه فإنه لا يضره ، فهذا وعد بنفي الضرر ((لن يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك)) ، هذا فضل عظيم ،

لكن شرط ذلك أن يكون العياذ ، الالتجاء والاعتصام صادر من توجه صادق إلى الله سبحانه وتعالى ، ليس فقط تعوذ باللسان ، ولكن تعوذ بالقلب وباللسان ، مع الإيمان بوعد الله ، والتصديق بهذا الثواب ، وبهذا الأثر العظيم ، ((حتى يرحل من منزله ذلك)) ، والله أعلم .

قال الشيخ :

فيه مسائل :

الأولى : تفسير سورة الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ؛ لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر ، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

الشرح :

الأولى : (تفسير سورة الجن) سبق بيان ما نزلت فيه ، ومعنى ﴿ **فزادوهم رهقا** ﴾ .

الثانية : (كونه من الشرك) يعني من فوائد هذا الباب أن الاستعاذة بغير الله من الشرك ، لما علم انه عبادة .

الثالثة : يقول : الاستدلال على أن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، يدل لهذا الحديث فإن أهل العلم يستدلون بهذه الآية على أن كلام الله وكلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بغير الله شرك، والشريعة لا تأتي بالشرك .
الرابعة : (فضيلة هذا الدعاء) مستفاد من قوله : ((لا يضره شيئا حتى يرحل من منزله ذلك)) فضيلة مع أنه لفظ بسيط ميسير ، مع اختصاره ((أعو ذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق))
الخامسة : هذه فائدة مستفادة لعلها من الآية (أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية) أو دفع مضرة دنيوية ، لا يدل على شرعيته ، لا يدل على

....

أنه ليس من الشرك ، يعني بدليل أن الإنس الذين يستعيذون بالجن قد يحصل لهم شيئا من مطلوبهم ، وهذا كثير ، حتى الذين يأتون عند القبور ويدعون الله ، قد يحصل لهم بعض مطلوبهم فيظنون أن هذا بسبب هذا القبر ، فلا يدل على أن هذا العمل صحيح ، ولا على انه ليس من الشرك ، فأحكام الفعال لا يستدل عليها بنتائجها ، وقد يفتن الإنسان فيعطى مطلوبه ، والعمل الذي عمله ليس شرعيا ، وقد يكون ما حصل له ليس هو بسبب ما صنع ، ولكن يظن ذلك كما نبه على ذلك أهل العلم قد يأتي الإنسان عند قبر ويدعو بحرارة وصدق ، يدعو ربه بحرارة وصدق ن فيؤتى سؤله بسبب ما قام بقلبه من التوجه ، لا بسبب دعائه عند هذا القبر ، فيظن الجاهل أنه إنما استجيب دعاؤه لوجوده وحصوله في ذلك الموضع .
والله أعلم وصلى الله على عبده ورسوله .

١٤ باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين . وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾ (١) وقوله : ﴿ فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ﴾ (٢) وقوله : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ (٣) وقوله ﴿ أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلهم خلفاء الأرض ءإله مع الله ﴾ (٤)

(١) يونس الآيتين : [١٠٦ ، ١٠٧]
(٢) العنكبوت الآية : [١٧]
(٣) الأحقاف الآيتين : [٥ ، ٦]
(٤) النمل الآية : [٦٢]

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل)) .

الشرح :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، يقول الشيخ رحمه الله : (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) ، يعني هذا باب بيان أن من الشرك ــ أي الشرك الأكبر ــ أن يستغيث العبد أو الإنسان بغير الله أو يدعو غيره .

....

الاستغاثة : طلب الغوث ، وهو كشف الشدة ، ولا تكون من الكروب ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ﴾ فالله تعالى هو الذي يغيث المستغيثين ويجيب المضطرين ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ .

والدعاء : هو الطلب ، طلب النفع أو دفع الضر ، يعني طلب دفع الضر ، فتكون العلاقة بين الاستغاثة وبين الدعاء العموم والخصوص ، يعني الاستغاثة أعم من الدعاء ، فكل استغاثة هي دعاء ، فيها طلب الغوث ، طلب كشف الكربة وكشف الشدة . وليس كل دعاء استغاثة ، الدعاء يكون استغاثة ، ويكون استعانة ، ويكون استنصار ، ويكون استرزاق طلب الرزق ، ويكون استشفاء طلب الشفاء . الدعاء واسع .

قال العلماء : إن الدعاء نوعان : دعاء مسألة ، ودعاء عبادة .

فدعاء المسالة هو المعنى الذي تقدم ، طلب الإنسان ما ينفعه أو طلب دفع ما يضره ، يسأل كأن يقول : اللهم اغفري ، اللهم ارزقني ، اللهم انصرني على من عاداني ، اللهم ارزقني ذرية صالحة ، اللهم يسري أموري . كل هذا دعاء مسألة ، اللهم أعذني من الشيطان ، أعذني من شر كل ذي شر .

ودعاء عبادة : هو كل ما يتقرب به إلى الله طلبا لمثوبته ، رجاء ثوابه ، من صلاة وصدقة وصوم وحج وذكر وتلاوة قرآن ، كل هذا يدخل في الدعاء ، دعاء العبادة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : إن دعاء المسالة يتضمن دعاء العبادة ، ودعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة . لأن العابد هو طالب لنفع وطالب لدفع ضر ، يصلي يرجو رحمة الله ويخاف عقابه ، يصوم رجاء ثواب الله ورجاء النجاة من النار ، وهذا في كل الأعمال الدعاء ، والآيات القرآنية في الدعاء كثيرة

....

جدا ، الله ذكر الدعاء في آيات كثيرة أمرا وثناءً على الداعين ﴿ **أولئك يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا** ﴾ فأثنى عليهم بالدعاء ﴿ **يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين** ﴾ وأمر بالدعاء في قوله : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ .

ونهى عن دعاء غيره في آيات كثيرة كما ذكر بعضها في الباب ، ومن الآيات الواردة في دعاء الله ﴿ **أم من يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ ، ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذ سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وقال ربكم ادعوني استجب لكم** ﴾ فأمر سبحانه وتعالى بدعائه وتوعد المستكبرين عن عبادته ومن ذلك من يستكبر

عن دعاء الله ولا يرى به حاجة إلى أن يدعو ربه ، مستكبر عن عبادة الله إما أن لا يدعو إلا آلهته الباطلة أو لا يدعو شيئا ، مغرور بنفسه وبما أوتي من حول وقوة ، فلا يتوجه إلى الله ولا يرجوه و لا يخافه ، لكن كل من يرجو ربه ويخافه لا بد أن يدعو .

فالمعرض عن دعاء الله مستكبر ، وفي الحديث ((من لا يسأل الله يغضب عليه)) الذي يعرض يتعمد الإعراض عن الدعاء مذموم ، حقيق بأن يحل عليه غضب الله ، بل المؤمن إذا نزلت به حاجة صغيرة أو كبيرة ، أنزلها به ربه ، لا يعتمد على حوله ولا على قوته ولا على حيلته ولا أسبابه أبدا ، بل في جميع أموره يتوجه إلى ربه وإن أخذ بالأسباب ، ولهذا جاء في الحديث ((ليسأل أحدكم ربه حتى شسع نعله إذا انقطع)) يعني اللهم اصلح لي شأني ، إذا تعطلت عليك السيارة عطل كبير أو صغير سل ربك التيسير ، سل ربك أن يصلح لك شأنك ؛ لأن الأمر كله له والملك كله بيده والخير كله بيده ، فتوجه

....

إلى ربك في جميع مطالبك ، جميع حوائج الدنيا والآخرة ﴿ **من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة** ﴾ أنزل حوائجك بمن ؟ بمن له الدنيا والآخرة ، له ما في السماوات وما في الأرض رب كل شئ ومليكه ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع .

إذًا الدعاء عبادة ، دعاء المسألة السؤال التضرع وطلب الحوائج هذا عبادة ، وإذا كان كذلك فصرف العبادة لغيره شرك ، وهذا هو المقصود ، هذا هو الذي قصد إليه المؤلف بالترجمة (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) يستغيث بالأموات أو الغائبين من الملائكة والأنبياء أو بالأصنام

المنحوته على صور الصالحين أو غيرهم ، يستغيث بالأموات يدعوهم يرجوهم ، هذا استغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .
إذًا الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ، في حدود ما يقدر عليه هذا جائز ، كما جاء في قصة موسى ﴿ **فاستغاثه الذي من شيعته** ﴾ الإسرائيلي الذي كان بينه وبين القبطي من قوم فرعون كان بينهما اقتتال ، فلما مر بهما موسى استغاثه الذي من شيعته من بني إسرائيل على عدوه ﴿ **فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه** ﴾ أغاث الذي من شيعته وقتل الذي من عدوه ، فهذه استغاثة بالمخلوق بما يقدر عليه فهذا جائز ، كالاستعانة كما تقدم ، الاستعانة ، والاستغاثة ، والاستنصار ﴿ **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ فيجوز أم تقول : انصرني يا فلان انصروني على هذا العدو . استنصار .

....

الحي الحاضر القادر ، أما الاستغاثة بالأموات كما يفعل المشركون القبوريون الذين يعبدون الموتى ، يعبدون الصالحين أو من يدعى لهم الصلاح ، بعض هذه القبور التي يتعلق بها القبوريون منها ما هي قبور صالحين ، قبور حقيقية لصالحين ، ومنها ما هي قبور لمجهولين ومنها ما ه ي قبور لفاسقين ادعي لهم الصلاح ، ومنها ما هي قبور وهمية منصوبة ومزعومة لبعض الصالحين .
كقبر الحسين بمصر ، حقق العلماء أن هذا قبر مزعوم ، الحسين لم يدفن رأسه ولا جسده هناك .

فالاستغاثة بالملائكة ، بالأنبياء بالصالحين ، المراد الاستغاثة بهم بأولئك هم أموات أو الاستغاثة بالأصنام المنصوبة على صور وهيئات وأشكال ، هذا سبيل المشركين ، كل هذا من الشرك ، هذا دين المشركين .

المشركون الأولون من سائر الأمم الهالكة شركهم قائم على هذا ، على عبادة غير الله بأنواع العبادات ومنها الاستغاثة ومنها الدعاء ، فهم يستغيثون بآلهته م لكن كان المشركون الأولون يدعون أصنامهم ويستغيثون بمعبوداتهم من دون الله في حال الرخاء ، أما في الشدائد فلا ، إذا ركبوا البحر وطلطمت الأمواج وسارت السفينة تتأرجح وتطرب ﴿ **وأحاط بهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ نسوا آلهتهم ورجعوا إلى فطرتهم ، هذه حال المشركين الذين أخبر الله عنهم وذكرهم في القرآن كثيرا وصفا لحالهم وذما لهم وبيانا لتناقضهم ، أما المشركون في الأعصار المتأخرة ولا سيما المحسوبين على الإسلام ، من المنتسبين إلى الإسلام من القبوريين سواءً كانوا ممن ينتسب للسنة أو ينتسب للشيعة الرافضة وغير الرافضة من أولئك القبوريين يدعون من يغلون فيهم في

....

الرخاء وفي الشدة ويزداد شركهم ويشتد شركهم وتعلقهم في الشدة ، إذا مسهم الضر واشتدت عليهم الكروب استغاثوا ، الرافضي يقول : يا علي ، يا حسين ، يا فلان يا فلان من الأئمة رحمهم الله ، وهؤلاء الأئمة علي وذريته برءاء من الرافضة ، الرافضة الذين يدعون لهم ما ليس لهم ، يدعون فيهم ما ليس لهم ، وكذلك المشركون في مختلف البلاد غير الرافضة .

كعباد البدوي بمصر ، وعباد الحسين بمصر وغير مصر ، وفي العالم الإسلامي أسماء كثيرة ، قبور كثيرة وأضرحة يتعلق بهم أولئك المشركون ، في اليمن في حضرموت ، في العراق ، في العالم الإسلامي ، في الباكستان ، في الأفغان ، قبور مزارات وأضرحة تقصد للدعاء ، لدعاء من فيها أو لـلدعاء عندها والطواف حولها .

فالمقصود أن من الشرك الأصغر الاستغاثة بأولئك الغائبين أو الأموات أو الجمادات ، وقد نهى الله تعالى نبيه عن أن يدعو غيره في آيات كثيرة ، كما قال تعالى ــ وهي الآية الأولى عندكم ــ ﴿ **ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين** ﴾ هذا نهي من الله تعالى لنبيه عن أن يدعو غيره ، ينهاه عن الإشراك به ، قال قبلها ﴿ **قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين** ﴾ ﴿ **وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدعو من دون الله ملا ينفعك** ﴾ لا تدعو لا تتوجه بالدعاء ، لا دعاء المسألة ولا دعاء العبادة .

ولكن إطلاق الدعاء على دعاء المسألة أكثر ﴿ **ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك** ﴾ لا تدعو من لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا .

....

إذًا الذي لا يملك نفعا ولا ضرا لا يُرجى ولا يُخاف ، إذًا فلا يُدعى . فهؤلاء الذين يدعون غير الله يدعون ما لا يملك نفعا ولا ضرا ، لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ، ولا يملك لعابديه . والذي يستحق أن يعبد هو الذي يملك النفع والضر ، وليس ذلك إلا الله تعالى . فإن فعلت الدعاء ، إن فعلت بأن

دعوت غير الله مما لا ينفع ولا يضر فإنك إذًا من الظالمين ــ يعني من المشركين ، والظلم أكثر ما يطلق في القرآن عن الشرك ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ .

﴿ **فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين** ﴾ ، ثم بين سبحانه وتعالى أنه النافع الضار وأنه الذي يكشف الضر ويجلب النفع ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله** ﴾ ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، وهذه الآية نظيرها قوله تعالى : ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم** ﴾ فنهى سبحانه وتعالى عن دعاء من لا ينفع ولا يضر وبين أن ذلك شرك ، ثم بين من يستحق الدعاء ، من إلى يستحق أن يقصد بالدعاء والخوف والرجاء ؟ هو الله الذي لا يكشف الضر سواه ، ولا يرد أحد خيرا أعطاه سبحانه ﴿ **وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** ﴾ .

ودلالة الآية على الترجمة واضحة أن دعاء غير الله شرك وظلم (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) فمن دعا من لا ينفع ولا يضر ، وهذا شأن كل مخلوق ، الله يقول لنبيه ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا**

....

إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون** ﴾ .

فابتغوا عند الله الرزق لا عند غيره ، ابتغوا الرزق عنده وحده ، لا تطلبوا الرزق من سواه فهو الرزاق ، فكل هذه المعبودات لا تملك شيئا من السماوات والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون** ﴾ لا تملك شيئا ، هذا الميت لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا حتى وإن كان الرسول عليه الصلاة والسلام أو غيره من الرسل . الرسول ميت وإن كانت لـــه حياة خاصة هي أكمل شئ من الحياة البرزخية ، الحياة في البرزخ لكن الحياة المحسوسة المعروفة حياة الدنيا هذه قد فارقها ، بقوله تعالى : ﴿ **إنك ميت وإنكم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ .

﴿ **فابتغوا عند الله الرزق** ﴾ وهذه الآية جاءت في قصة إبراهيم ، ﴿ **وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله** ﴾ آيات من سورة العنكبوت وفيها هذه الآية ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له** ﴾ ابتغوا عنده اطلبوا الرزق .

ثم قال ك ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه** ﴾ : اقصدوه بالعبادة وأنواعها ، وعطف العبادة على قوله (فابتغوا) كأنه من عطف العام على الخاص .

﴿ **واشكروا له** ﴾ اشكروه على نعمه ، وشكره يكون بطاعته و استعمال نعمه فيما يحب ويرضى ، إذًا فطلب الرزق منه هذا من الدعاء ، من دعاء المسألة وهو عبادة . وطلب الرزق من غيره من الأموات والغائبين والجمادات هذا عين الشرك به . لكن طلب الرزق من مخلوق قادر ، تقول : أعطني كذا ، أعطني مما أعطاك الله ﴿ **فآتوهم من مال الله الذي آتاكم** ﴾ هذا من طلب

....

المخلوق ما يقدر عليه ، والمخلوق يوصف بالرَزق يرزق مما رزقه الله والله تعالى خير الرازقين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم** ﴾ ارزقوهم : أعطوهم . فالمعطي رازق ، لكن الرازق مطلقا هو الله ، والمخلوق إذا أعطى إنما يعطي مما أعطاه الله ، بل المخلوق لا يعطي إلا أن يجعل الله في قلبه إرادة العطاء .

وإذًا إذا أحسن إليك مخلوق بعطاء ، أعطاك فاشكر ربك أولا قبل أن تشكره ، وإن كان شكر المحسن مشروع ومحمود ، وكفر الإحسان قبيح مذموم ، لكن لا تقف عند هذا السبب عند المخلوق بل اشكر ربك فإنه الذي ساق إليك هذا الرزق على يد هذا الإنسان وألقى في روعه بأن يحسن إليك وهو الذي رزقه وأعطاه ما أعطاك .

إذًا الله هو الرزاق وهو الرازق على الحقيقة هو الرازق ، فكل رزق يكون للعباد فهو منه ، فهو الرزاق ، من أسمائه الرزاق ومن أسمائه الرازق فهو خير الرازقين ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون** ﴾

والآية الثالثة قوله تعالى : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ وفي هذا ذم لمن يدعو الأموات والغائبين لمن يدعو غير الله ويرجوه ويخافه ، ذم له بالضلال بل بغاية الضلال ، فقوله تعالى : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو** ﴾ (من) اسم استفهام استنكاري يفسر بالنفي ، معناه لا أحد أضل . إذا ذُكر الضالون فأضلهم من يدعو من دون الله من لا يستجيب له ـــ إي والله الحمد لله على نعمة الإسلام .

....

أجهل الناس وأسفه الناس وأضل الناس من يأتي لجماد صنم يرجوه ويخافه ويدعوه ويستغيث به ، وهكذا من يأتي لميت أو لا يأتي إليه بل يستغيث به وهو غائب بعيد عنه ، كما يفعل عباد القبور يدعون أوليائهم من قرب ومن بعد . الرافضة يستغيثون بمعظميهم بمن يغلون فيهم من أهل البيت عند أضرحتهم المزعومة وهم بعيدون عنهم ، كما يدعو المسلم ربه في غيبته وحضوره ، يدعو ربه سواء كان غائبا منفردا أو كان بين الناس يدعو ربه . أولئك يستغيثون بمعبوديه ، بمؤلهيهم ، يدعونهم وأين هم ؟

المؤمن الموحد الذي سلم الله فطرته من أن تتعفن بالخرافة إذا رأى أولئك يضحك عليهم من وجه ويأسى عليهم من وجه ، سبحان الله الذي مسخ هذه العقول ، ويحمد ربه كذلك ، لا بد أن تعرف نعمة الله عليك ـــ الحمد لله على نعمة الإسلام وعلى نعمة التوحيد ،أعوذ بالله ـــ ناس عندهم عقول وعندهم ذكاء يتصرفون ويديرون شركات ويديرون أعمال ويديرون تجارات ، يحذقون الدنيا ، ومع ذلك يطأطئون رؤوسهم عند هذه القبور وهذه الجمادات . لا إله إلا الله .

انظر إلى قوم إبراهيم عندهم أصنام منحوتة ولعلها من خشب أو من خزف من طين ، يأتون إليها ويرجونها ويخافونها ويتبركون بها ، إبراهيم قال : ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم بعد تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إ ليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ هذا الصنم الكبير هو الذي يُسأل ! كلها جمادات .

....

فعلى العبد ألا يعتمد على عقله بل عليه أن يسأل ربه أن يثبته على التوحيد وألا يزيغ قلبه عن التوحيد وألا يزيغ قلبه عن الإيمان ، هؤلاء المشركون يدعون جمادات يدعون أموات ! ﴿ **ومن أضل** ﴾ إي والله ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة** ﴾ لو وقفوا عند هذا الميت أو عند هذا الجماد غلي يوم القيامة يدعونه ما أجاب ، الميت لا يجيب حتى ولو سمع ؛ لأن الأموات قد يسمعون بعض ما يُتكلم به وما يُخاطب به ، قد يسمعون ، كما خاطب ا لنبي صلى الله عليه وسلم قتلى بدر من صناديد المشركين ، وقال عليه الصلاة والسلام لما وبخهم وقال : ((هل وجدتم ما وعد ربكم حقا إني وجدت ما وعد ربي حقا)) فلما سئل عن ذلك قال : ((ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون)) .

قال الله :﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة** ﴾ لا يستجيب أبدا ، طال الدعاء أو رُفع الصوت ، صَوَّت أو لا تصوِّت ، طوّل أو لا تطوّل ، لا جواب لا جواب أبدا ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون** ﴾

إن كان هذا المشرك يدعو الملائكة فالملائكة عند ربهم يعبدونه ويطيعونه ويقومون بما أمروا به لا يدرون عن عابديهم ، عن أولئك الذين يعبدوهم ، ما سمعوا بهم ولا دروا عنهم .

وإن كانوا أمواتا كذلك وهم عن دعائهم غافلون ، ومن المصيبة أنهم يوم القيامة ، يعني من الفضيحة ومن الخزي أنهم يو م القيامة يكفرون بعبادتهم ، ﴿ **وإذا حشر الناس** ﴾ يعني يوم القيامة حشروا وجمعوا واجتمع العابدون

والمعبودون من دون الله ، جُمعوا ، والتابعون والمتبوعون ، إذا حشر الناس

....

كانوا لهم أعداءً ، يعني أولئك المعبودون يصيرون أعداءً لعابديهم ، فإن كانت الملائكة والأنبياء فهم أعداء لهم كذلك في الدنيا وفي الآخرة ، هم أعداء لهم ؛ لأن في الدنيا الملائكة يبغضون المشركين وهم أعداء للمشركين ، وكذلك النبيون أعداء للمشركين ، أما يوم القيامة حتى الذين كانوا يرضون بعبادتهم من دون الله ﴿ **إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب** ﴾ الأتباع كالمستضعفين يتبرأ منهم المستكبرون ، المتبعون ، الطواغيت الذين يرضون بعبادتهم من دون الله ، أو يدعون إلى عبادتهم كفرعون وأشباهه ، يتبرءون ، وتتقلب العلاقات ، والمحبات ، تنقلب إلى عداوة ، انتهى ، تنقلب إلى عداوة ، ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، أبدا ما كنت تعبدوننا ، أما الأنبياء والصالحون فهم يتبرءون منهم وحق لهم ، ﴿ **ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهولاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادة الملائكة . وفي الآية الأخرى ﴿ **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا** ﴾ بورا أي هلكى ، فسمى عبادتهم ، كما سيأتي في المسائل إن شاء الله ، فسمى دعاءهم لهم عبادة ، ويوم القيامة ، ﴿ **حتى إذا**

حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ بعبادتهم كافرين وهي دعائهم إياهم ، كما ذكر في صدر الآية الأولى .

والآية الرابعة قوله تعالى : ﴿ **أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**

....

ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليل ما تذكرون ﴾ ، هذه الآية جارية على نسق آيات قبلها وبعدها ، بدأت بقوله تعالى ﴿ **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أم ما يشركون** ﴾ بديهي أن الله خير مما يشركون ، الله هو مالك الملك ، وهو على كل شيء قدير ، وهو رب كل شيء ومليكه ، وهو الذي يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويعز ويذل ، وهو على كل شيء قدير ، أما ما يشركون فهي تملك لنفسها ، معبودات لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرا ، إذًا من هو الخير ؟ ، الله ، ﴿ **ءالله خير أم ما يشركون** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **أم من خلق السماوات والأرض** ﴾ أي من يشركون خير أم من خلق السماوات والأرض ؟ ، يعني ما يشركون خير أم من خلق السماوات والأرض ؟ ، ﴿ **وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله** ﴾ يعني أمعبود مما يؤله من دون الله ، فعل هذا مع الله ؟ ، وهم يقرون ، أولئك المشركون يقرون أنه لم يفعل هذا إلا الله ، لم يفعله معه شيء من معبوادتهم ، ﴿ **ءإله مع الله** ﴾ فعل ما ذكر ، من خلق السماوات والأرض وإنزال الغيث وإنبات الحدائق ، وهكذا التي بعدها إلى قوله : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ يعني ما يشركون ، ما يعبده المشركون من دون الله خير أم من يجيب المضطر إذا دعاه يهما خير ؟ الذي لا يجيب من دعاه ولا يكشف ضرا ، أم الذي يجيب المضر إذا دعاه

ويكشف السوء ؟ ، ما الجواب ؟ ، كل عاقل يعرف أن الذي يجيب المضطر ويكشف السوء ويخلق الناس ، ويجعل الأجيال فيحي ويموت أن هذا خير ، ﴿ **ءإله مع الله قليلا ما تذكرون** ﴾ .

وأخيرا يذكر الشيخ حديث (وروى الطبراني بإسناده) عن عبادة بن الصامت

....

رضي الله عنه ، أن الصحابة قالوا أو بعض الصحابة أو أن أبا بكر قال : (قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق) أنه كان منافق يؤذي المؤمنين ، (كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم) قيل : أنه أبو بكر ، (قوموا بنا نستغيث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق) ، وفسر أو جاء في بعض روايات هذا الحديث أنه عبد الله بن أبي ، وعبد الله بن أبي رأس المنافقين ، وهو حقيق بهذه الصفة ، أنه يؤذي المؤمنين ، هو رأس المؤمنين ، وهو الذي قام بالأذى للرسول الله صلى الله عليه وسلم في أهله ، حين حمل كبر الإفك الذي رميت به عائشة أم المؤمنين الطاهرة المطهرة ، ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبه شرا لكم بل هو خيرا لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ فسر بعبد الله بن أبي المنافق ، فهذا هو المنافق الذي كان يؤذي المؤمنين ، فقد قال من قال ، هو أبو بكر كما جاء ، قال : (قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق) ، فإنه قادر عليه الصلاة والسلام على أن يغيثهم منه ، يقتله ، يحبسه ، يؤدبه ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو الإمام المطاع ، هو الإمام المطاع صلى الله عليه وسلم ، فجاءوا إلى الرسول ، وقالوا : أغثنا من

هذا المنافق ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((أنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله عز وجل)) ، فبين أن الله هو المستغاث به ، وأن على العباد أن يتوجهوا بطلب الغوث منه .

وإذا استغاثوا بمن يقدر على غوثهم ، فليعلم أن هذا المخلوق ما هو إلا سبب ، فإن حصل على يده غوث فهو من الله ، إذا حصل على يد هذا المخلوق غوث

....

في حدود قدرته ، وما أوتي من أسباب ، فالغوث في الحقيقة كان من الله .

قد يقع الإنسان في شدة وفي كربة ، يستولي عليه عدو لص يأسره ، فيستغيث بإنسان قريب منه ، فيهب لنصرته ، ويفك أسره ويقاوم عدوه ، نعم أغاثه ، نعم من الذي أغاثه على الحقيقة ؟ ، هو الله تعالى ، فعلي المسلم أن ينزل حاجته بربه ، وإذا نزلت به شدة فليستغث بالله ، وإن أخذ بالأسباب واستنصر بمن ينصره على عدوه ، واستعان بمن يمكن أن يعينه على أمر من الأمور ، تقدم أن الاستعانة تكون مشروعة ، الاستعانة على فعل الخير ، ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ .

فالرسول صلى الله عليه وسلم ،أرشده إلى ما هو ، يعني قوله : ((لا يستغاث بي)) نبههم إلى من هو أحق بأن يستغاث به ، فندبهم إلى ما هو الأفضل والأكمل ، يعني نبههم إلى المستغاث به على الحقيقة ، ومن هو الذي يملك الغوث على الحقيقة ، وأرشدهم إلى ما هو أكمل ، ثم إن قوله : ((أنه لا يستغاث بي)) فيه تجانب تواضعه ، فيه دلالة على تواضعه صلى الله عليه وسلم ، لربه واعترافا بأن الغوث حتى وإن جرى على يده عليه الصلاة والسلام ، فالله هو الذي يغيث ، وهو المستغاث به سبحانه وتعالى .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله .

قال المؤلف ، رحمه الله تعالى :

فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾ .

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر .

الشرح :

الأولى :(أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص)

سبق التنبيه على هذه المسالة ، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة ، والدعاء دعاء :

دعاء مسالة طلب . ودعاء عبادة ، والأكثر في القرآن هو الأول كما نبه عليه الشارح .

الثانية : (تفسير قوله : **﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾**)

فيها نهي الرسول ، ونهي سائر الأمة ، بل نهي الناس كلهم عن دعاء غير الله

؛ لأنه تعالى هو النافع الضار ، أما غيره فلا ينفع ولا يضر إلا ما شاء الله ، ومن دعا غير الله كان من الظالمين أي المشركين .
الثالثة: (أن هذا هو الشرك الأكبر) أن دعاء غير الله من الشرك الأكبر بدليل قوله تعالى : ﴿ **إنك إذًا لمن الظالمين** ﴾ .

الرابعة : أن أصلح الناس لو لم يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين .
الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .

الشرح :
الرابعة : (أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين) أن اصلح الناس لو يفعل الشرك إرضاء لغيره كان من الظالمين ؛ لأن الخطاب للرسول ، الرسول هو أصلح الناس ، فلو فعله إرضاء لقومه ، مجا ملة لهم ، كان من الظالمين ، قال تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولا تكنن من الخاسرين** ﴾ ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولو أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا** ﴾ فحكم الله تعالى ليس فيه محاباة ، فالشرك هو أعظم الذنوب ، فمن أشرك بالله كان الظالمين المستوجبين لعذاب الجحيم ، حتى قال سبحانه وتعالى في الملائكة : ﴿ **ومن يقل منهم إني إلها من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** ﴾ .

الخامسة : (تفسير الآية التي بعدها) ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** ﴾ ، وهي تدل على تفرده سبحانه وتعالى بكشف الضر ، وجلب النفع ، فهو الذي يعطي ويمنع ، فالخير بيده والملك بيده ، فهو المتفرد بالعطاء والمنع ، والنفع والضر، ﴿ **يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو العليم الحكيم** ﴾ .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه .

الشرح :

السادسة : (كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفواً) الشرك لا ينفع حتى النفع العادي لا ينفع ، ومع ذلك فهو كفر فصار الشرك ، شر خالص ، الشرك عبادة غير الله شر خالص ، ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لم ينفعك** ﴾ فدل ذلك على أن ما يعبد من دون الله لا ينفع داعيه ، لا ينفع من يدعونه من دون الله .

السابعة : (تفسير الآية الثالثة) الآية الثالثة : ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له** ﴾ فيه الأمر بطلب الرزق عند الله لا عند غيره ، لا عند سواه ، وفيها الأمر بعبادته وشكره ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون** ﴾ .

الثامنة : (أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله) ؛ لأنه هو الذي بيده الخير وبيده الملك ، وأذمة الأمور بيده ، فلا يطلب الرزق إلا من الله ؛ لأنه الرزاق ، وهو خير الرازقين ، فتقول : اللهم ارزقني علما نافعا ، وارزقني مالا حلالا ، وارزقني أهلا وأولادا صالحين ، سل ربك فهو الكريم الجواد ، وهو الذي بيده الخير ، وبيده العطاء والمنع .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .
العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله .
الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه .
الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

الشرح :

التاسعة : (تفسير الآية الرابعة) الآية الرابعة ﴿ **ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له** ﴾ وسبق بيان أن هذا الاستفهام ، استفهام إنكاري يفيد النفي ، فالمعنى لا أحد أضل ، إذًا نستفيد من هذا أن المشركين الذين يدعون الأموات والأحجار والأشجار أنهم أضل الناس ، لا أضل بعدهم .
العاشرة : (أنه لا أضل ممن دعا غير الله) هذا من صريح الآية .

الحادية عشرة : (أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه) هذا المعبود من دون الله المضل لمن اتبعه ، أو لمن عبده هو غافل عنه ، ﴿ **وهم عن دعائهم غافلون** ﴾ وهذا لاج في جهله يطلب منهم الحوائج ويخاط بهم ، وهم عنه بمعزل .

الثانية عشرة : (أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له) ....الناس وكانوا لهم أعداء ، ولماذا صار أولئك المعبودون بالباطل ، لماذا صاروا أعداء ؟ بسبب دعائهم ، بسبب دعاء المشركين لهم ، صار المعبودون ، صاروا أعداء لأولئك العابدين .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس .

الشرح :

الثالثة عشرة : (تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو) ﴿ **إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ فسمى دعاء الأموات والجمادات سماها عبادة ، ﴿ **كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ .

الرابعة عشرة : (كفر المدعو بتلك العبادة) جحده لها ، يقول : أبدا لم تعبدوني ولا أعتد بك ﴿ **إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ وتفسير الآيات الأخرى ﴿ **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله**

فيقول أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ..﴾ الآية ، وغير ذلك .

الخامسة عشرة : (أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس) سبب كونه أضل الناس ؛ لأنه يدعو من لا يستجيب له على يوم القيامة ، لو تأتي إنسان يطرق باب بيت خال ليس فيه حس ، ويحتمل ، يطرقه ، هذا جاهل يطرق باب بين لا إنس ولا ساكن ولا مجيب ، ومع ذلك يقف عند الباب طويلا سفيه ، بين خلاء تنادي !! ، فكيف بمن يدعو من لا يستجيب له على يوم القيامة ؟ ! ، هذا هو سبب كون المشرك هو أضل الناس ، أنه يدعو من لا يستجيب له ، لو دعاه إلى يوم القيامة ما استجاب له ﴿ **وهم عن دعائهم غافلون** ﴾

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .

الشرح :

السادسة عشرة : (تفسير الآية الخامسة) لعلها ، يحتمل أنها ﴿ **أم من يجيب المضطر** ﴾ وتصير ست لو عددناها بالتفصيل لأن يونس فيها آيتان والعنكبوت فيها آية والأحقاف آيتان ، المقصود أنه يريد قول الله تعالى : ﴿ **أم من يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ وقد تقدم الكلام عليها وأنها تابعة لما قبلها في ذكر دلائل

قدرة الرب تعالى وربوبيته وبطلان دعاء غير الله وأنه تعالى خير مما يشركون به .

السابعة عشرة : يقول : من فوائد هذا الباب (الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان انه لا يجيب المضطر إلا الله) يقرون بهذا بدليل قوله تعالى : ﴿ **أم من يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ يعني ما يشركون به مع الله خير أم من يجيب المضطر إذا دعاه ، وهم يعرفون أنه لا يجيب المضطر سواه سبحانه وتعالى بدليل أنهم إذا ركبوا البحر ﴿ **وأحاط بهم الموج من كل مكان دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ .

إذًا فإذا وقعوا في ضرورة وإذا كانوا في رخاء ا سترخوا ، إذا كانوا في ضرورة أخلصوا الدين لله وإذا كانوا في رخاء أخلدوا إلى الشرك ، يشركون في الرخاء ويؤمنون في الشدة .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأدب مع الله .

الشرح :

الثامنة عشرة : هذا مأخوذ من الحديث الذي رواه الطبراني ، يدل على حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد حتى وجه أصحابه إلى ألا يقولوا نستغيث بك ، وألا يعبروا هذا التعبير إلا مع الله فيقولوا : اللهم إنا نستغيث بك اللهم أغثنا . وإن كانت الاستغاثة بالمخلوق الحاضر القادر ليست شركا ،

لكن مع ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام سدد بذريعة الغلو ، قال : ((إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله)) .

يقول المصنف : (وفيه التأدب مع الله) التأدب والتواضع فأرسل أصحابه إلى ما هو الأفضل والأكمل في حقهم وبين أنه لا يستغاث به ((إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله)) .

١٥ ـ بـــاب

قول الله تعالى : ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا

(١) الأعراف الآيتين : [١٩١ ، ١٩٢]

يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ (١)

الشرح :

يقول الشيخ رحمه الله : (باب قول الله تعالى : **﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ﴾** ، وقال تعالى : **﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾** .

هذه أول ترجمة من هذا النوع ، وهو الترجمة بالآية ، يعني جعل الآية هي عنوان الباب ، وفي كتاب التوحيد تراجم كثيرة من هذا النوع ، لا يجعل للباب عنوانا ، باب من الشرك كذا ، باب كذا ، لا .. يقول باب قول الله تعالى .

ويؤخذ العنوان من مضمون الأدلة من مضمون أدلة الباب من مضمون نصوص الباب ، باب قول الله تعالى : **﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾** فنقول مثلا المعنى الذي نقتبصه من أدلة هذا الباب هو بطلان

....

الشرك به ، الشرك بالله ، باب بيان بطلان الشرك بالله ، أو باب ذكر أدلة إبطال الشرك ، هذا هو المعنى المستفاد من جملة الباب ، الآن هذا هو المستفاد من الباب ، بيان بطلان الشرك وذكر الأدلة على بطلانه .

---

(٢) فاطر الآيتين : [١٣ ، ١٤]

الآية الأولى ، يقول الله تعالى : ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئا** ﴾ في هذا الاستفهام توبيخ ، هذا استفهام توبيخ للمشركين ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون** ﴾ جهل فاضح ، وضلال مبين وعمى أن يسوى المخلوق بالخالق ، والعاجز بالقادر ، و العبد بالمالك ، العبد المملوك بالمالك ، جهل وضلال وسفه ، من يفعل هذا إلا من هو من أضل خلق الله ، وهو كذلك ، المشركون هم أضل الناس ، هل يستوي الخالق لكل شيء ، القادر على كل شيء ، بمن لا يخلق ، وهو نفسه مخلوق مدبر ، يتصرف فيه ، ﴿ **أمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون** ﴾ وهنا يقول : ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئا** ﴾ يعني أيشركون بالله ، ويعدلون بالله ما لا يخلق شيئا ، ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون** ﴾ عجزة ، عاجز لا يستطيع ، هؤلاء المعبدون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم مخلقو ن ، لا يستطيعون نصر عابديهم ، لا يستطيعون لعابديهم نصرا ، ولا هم ينصرون ، يجعل هؤلاء شركاء لرب السماوات والأرض ، الخالق لكل شيء ، القادر على نصرة أوليائه ، سبحانه وتعالى ، لا ريب أن هذا من أدل دليل على بطلان الشرك ، وان التوحيد هو الحق ، فعبادة الله وحده لا شريك له حق ؛ لأنه هو النافع الضار ، المالك ؛ لأنه خالق كل شيء ، وهو على كل شيء قدير . وكذلك دعاء المخلوق المربوب المدبر المملوك العاجز ، هذا ضلال وسفه وجهل وظلم ، فهو أظلم .

....

والآية الأخرى من سورة فاطر ، ﴿ **ذلكم الله ربكم له الملك** ﴾ هذه جاءت بعد آيات تضمنت دلائل قدرته ، أولها ﴿ **والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا**

فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ ﴿ **والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا تستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشركون** ﴾ هذا كله من بعد

﴿ **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى** ﴾ جاء بعدها ﴿ **ذالكم الله ربكم له الملك** ﴾ الفاعل والمنعم ، الفاعل لهذه المخلوقات ، والمنعم بهذه النعم ، الله ربك ﴿ **ذالكم الله ربكم** ﴾ ﴿ **ذالكم ربكم له الملك** ﴾ له الملك كله ، ملك السماوات والأرض ، وما فيهن ، ومن فيهن ، وما بينهما ، هذا هو الإله الحق ، لكن ما حال هذه المعبودات ؟ ، سبحان الله ، يعني موازنة بين ما بينهما أعظم تباين .

﴿ **والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير** ﴾ القطمير هو اللفافة الرقيقة ، القشرة الرقيقة التي تكون على النواة ، نواة التمر عليها غطاء صغير رقيق تافه ، يقول الله في معبودات المشركين ﴿ **والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير** ﴾ الله له الملك كله ، أما هذه المعبودات لا تملك شيئا ، ﴿ **ما يملكون من قطمير** ﴾ حتى القطمير لا تملكه هذه المعبودات ، ﴿ **لا يملكون من قطمير** ﴾ فشتان بين من لا يملك شيئا ، بل هو مملوك ، ومن هو مالك لكل شيء .

﴿ **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة** ....

يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ مثل الآية السابقة :

أولا : أنهم لا يملكون شيا ، ما يملكون شيء ، وهذا المعنى يأتي في القرآن كثير ، ﴿ **قل أدعو الذين زعمتهم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض** ﴾ .

﴿ **إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم** ﴾ أيضا لا يسمعون ، إذا دعوتهم ، يعني هذه الأصنام بين أمرين :

إما أن يكونوا غائبين ، كالملائكة ، لا يسمعون دعاء من يدعوهم من دون الله وإما أن تكون هذه المعبودات جمادات ، أحجار أو أشجار أو تماثيل أو أصنام فهي لا تسمع .

﴿ **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم** ﴾ كما قال تعالى في الآية السابقة : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة** ﴾ وهنا قال : ﴿ **ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم** ﴾ يعني يكونون ضدا ، يكونون لهم أعداء ﴿ **وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ كما سبق ، ﴿ **ويم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ الله الخبير هو الذي عنده علم الغيب ، وهو الذي ينبأ ، ونبئه صدق ، وهو الخبير الذي لا تخفى عليه خائفة .

إذًا دلالة الآيتين على بطلان ما يعبد من دون الله ، ناصعة ؛ لأنها تضمنت بيان حال هذه المعبودات : لا تخلق وهي مخلوقة ، لا تنصر وهم يحتاجون إلى من ينصرهم ، هذه المخلوقات هل تنصر أحدا ؟ ، هل تنصر ع ابديها ؟ ، لكنها أيضا تحتاج إلى من ينصرها ، ولهذا قال قوم إبراهيم : ﴿ **وانصروا آلهتكم** ﴾ انصروها ، الآلهة تنصر ؟! ، ﴿ **وانصروا آلهتكم** ﴾ .

....

لقائل يقول : ما معنى ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ ؟ ، قال المفسرون معناها : أن تنصروا دين الله ، تنصروا دينه بالدفع عنه ، ببيانه ، بالدعوة إليه ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ ، نصرنا لله ، ليس كنصر المخلوق للمخلوق العاجز الذي يحتاج إلى من يعينه وينصره على من عداه ، أما نصر العباد لله فما هو إلا بنصر دينه ، بالجهاد في سبيله ، الدعوة إليه .

وفي الآية الثانية ، بيان أيضا عيوب هذه المعبودات ، لا تملك شيئا ، لا تسمع من يدعوها ، لا تجيب ولا تستجيب ، تتبرأ من عابديها ﴿ **وهم يكفرون بشرككم** ﴾ هذا كله هو الدليل على بطلان إلهية هذه المعبودات ، والقرآن مملوء من ذكر الأدلة على بطلان ما يعبد من دون الله ، حتى قوله تعالى فيما تقدم ﴿ **ولا تدعو من دون الله من لا ينفعك ولا يضرك** ﴾ فيها أن من يدعو من دون الله لا ينفع ولا يضر ، وحينئذ فلا يكون مستحقا للعبادة ، وإنما يستحق العبادة من يملك النفع والضر ، والعطاء والمنع ، ولهذا يذكر في أسماء الله أنه النافع الضار ، هو النافع الضار ؛ لأنه تعالى بيده الخير ، وبيده كل شيء بيده الملك .

وفي (الصحيح) عن أنس قال : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته ، فقال : ((كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟)) ، فنزلت : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [١] .

الشرح :

حديث أنس رضي الله عنه ، (قال رضي الله عنه : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد) يعني يوم واقعة أحد ، شج النبي يعني جرح في رأسه أو في وجهه ، (شج النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته) شُج مبني للمفعول ، ولكن من الذي شجه ؟ المشركون ، المشركون يطلبون شخص النبي ، يطلبون الانتقام منه ، والفتك فيه ، يريدون قتله لو قدروا ، فحصل على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة بعض الجراحات، شج صلى الله عليه وسلم ، جرح وورد أنه سقط في حفرة ، وهشمت ، يعني بيضة الدرع هشمت على رأسه حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر ، المغفر الذي هو غطاء الرأس ، غطاء الرأس من الدرع يسمى المغفر ، دخلت حلقتان من حلق المغفر في رأسه صلى الله عليه وسلم ، (كسرت رباعيته) وهي السن التي تكون بجانب الثنايا ، فأول الأسنان الثنايا ، وتليها الرباعيات وهي أربع ، فالثنايا أربع ، والرباعيات أربع ، تليها من بعدها ، (كسرت رباعيته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟))) يعني هذا استفهام فيه استبعاد أن يفلحوا ، استبعاد هدايتهم ، ((كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟)) ، وهو يدعوهم إلى الله ، يريد أن يدخلهم الجنة ، يريد أن يدخلوا الجنة وأن ينجوا من النار ((كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟)) ، وهو يدعوهم إلى ربهم ،

---

(١) آل عمران الآية [١٢٩] .

....

فانزل الله عليه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ ، يعني كيف عند حدك ، الرسول حده الدعوة إلى الله ، والبلاغ المبين ، وليس إليه أن يهتدي المدعون ، ليس عليه أن يجعلهم قابلين للدعوة ، هذا لله وحده كما سيأتي ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ ، ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ تأديب من الله لنبيه أن لا يتدخل باستبعاد الفلاح لأحد من أولئك ا لكفار ، فهو تعالى أعلم بخلقه ، وهو تعالى على كل شيء قدير ، ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : ((اللهم العن فلانا وفلانا)) بعدما يقول : ((سمع الله لمن حمده)) فأنزل الله ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ ، وفي رواية ((يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، فنزلت ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ .

الشرح :

هذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما (قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر) يقول : ((سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد)) ، ثم يقول : : ((اللهم العن فلانا وفلانا)) وفي رواية ((يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، فلنزل الله : **﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾**) سمعه يقنت في صلاة الفجر ، وهذا قنوت النوازل ، ليس قنوتا دائما في صلاة الفجر ، بل هذا قنوت نوازل بسبب ما حصل على المسلمين في وقعة أحد من الهزيمة ، ومن القتل ، فقد قتل من الصحابة عدد كثير ذكروا أنهم سبعون ، فابن عمر أنه سمع أن النبي عليه الصلاة والسلام في الركعة الأخيرة من الفجر إذا قال : ((سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد)) ، فإنه يدعو ، يقول : ((اللهم العن فلانا وفلانا)) وسماهم في الرواية الأخرى ، فأنزل الله **﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾** هذا نفس الكلام عن الآية **﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾** يعني ليس

عليك إلا البلاغ ، ليس عليك إلا أن تهدي أحدا أو تحرم أحدا من الهداية ، إن الله وحده هو أعلم بالمهتدين ، وهو على كل شيء .

وقد ثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام قنت شهرا ، يدعو على قبائل من ....

العرب ، ررع وزكوان وقصية ، ويدعو كذلك للمستضعفين بمكة، وهنا فيه أنه قنت يدعو على أولئك ، وهؤلاء الثلاثة كانوا من صناديد الكفر ، كانوا ولكنهم تابوا فتاب الله عليهم ، يقول : ((سمع الله لمن حمد)) ، يعني سمع واستجاب لمن حمده ، ((ربنا ولك الحمد)) أي يا ربنا استجب ولكم الحمد ، فيشرع للمصلي الإمام والمنفرد أما المأموم فيقول : ربنا ولك الحمد ، لقوله عليه الصلاة والسلام : ((إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد)) ، في الحديث يقول : أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، قال وهو في الصلاة ، في الركعة الخيرة بعدما رفع رأسه ، يقول : ((اللهم العن فلانا وفلانا)) هذا دعاء من الرسول عليهم باللعن ، وهذا الدعاء لعن من الرسول لهم ، فإذا قلت أو قال شخص لشخص : اللهم العنه أو قال : لعنه الله ، فكله لعن ، يعني يلام عليه الفاعل ويذم به .

وسبق الكلام في اللعن ، وأن معناه الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، وأنه يكون من الرب قولا وفعلا ، وأما من الناس فيكون قولا ؛ لأن لا أحد يقدر على إبعاد أحدا من رحمة الله .

الرسول عليه الصلاة والسلام ، يدعو على أولئك ، فالله أنزل عليه هذه الآية ، مبينا أن الأمر له وحده ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ ، فكيف بغير الرسول ؟ إذا كان الرسول ليس له من الأمر شيء ، أفيكون لغيره ؟ هذا لا يكون ، وفي

هذا أعظم رد على ملاحدة الصوفية الذين يجعلون لأولياء قدرة على التصرف في الوجود ، بل أكبر من ذلك ، قولهم : أن الكتب ــ وهو أكبر العارفين بزعمهم ــ ، هذا يدبر أمر العالم ، أقول : أن هذا يدل على بطلان مذهب الصوفية ، واعتقادهم في الأولياء ، وفي من يظنونه أو يعدونه وليا وقد يكون

....

عدوا . إذا كان الرسول ليس له من الأمر شيء ، فكيف بمن دونه ؟ فليس لأبي بكر من الأمر شيء ، وليس لعمر ، ولا لعثمان ، ولا لعلي ، ولا لغيرهم ، بطريق الأولى .

وهؤلاء الثلاثة سيأتي أن الله تاب عليهم ، فأسلموا فظهر مصداق ، وظهر معنى قوله تعالى ﴿ **ليس لك من المر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبه فإنهم ظالمون** ﴾ .

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : ﴿ أنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [١] ، قال : ((يا معشر قريش ــ أو كلمة نحوها ــ اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا)) .

الشرح :

هذا الحديث في (الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه : ﴿ **أنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ هذه الآية فيها أمر من الله لنبيه أن ينذر عشيرته ، وعشيرة الرجل هم بنو أبيه ، أو هم قبيلته ، هم قراباته الأدنون ، ﴿ **أنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، هم قريش ، هم عشيرته وإن كان أخص الناس به من قريش بن هاشم ، فعشيرته بنو هاشم ، ولكن هنا المراد بعشيرته قبيلته الكبيرة ، قبيلته الكبيرة ، ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، فقال عليه الصلاة والسلام ، وكما جاء في الرواية الأخرى ، أتى

---

(١) الشعراء الآية [٢١٤] .

إلى الصفا ونادى ، نادهم حتى تجمعوا قال : ((يا معشر قريش ــ أو كلمة نحو قوله : يا معشر قريش ــ اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا)) يعني أنقذوا أنفسكم بالإيمان ، والتوحيد ، والإخلاص ، والعمل الصالح ((اشتروا أنفسكم)) شراء الناس ما هو بالدراهم ، لا ، بل بالإيمان والعمل الصالح ، تحقيق التوحيد .

....

((اشتروا أنفسكم)) و علل ذلك بقوله : ((لا أغني)) يعني فإني لا أغني لا تتكلوا على صلتكم بي فلا أحد يغني من الله شيئا ، ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) فيه تبري ، يتبرأ منهم يقول : ((لا أغني من الله لك شيئا)) لكن أنقذوا أنفسكم ، اشتروا أنفسكم ، بالإيمان ، بالعمل الصالح ، بالتقوى ، بالبر ، بالإحسان .

((لا أغني عنكم من الله شيئا)) ، وقال مثل ذلك خصوصا ، هذه كلمة عامة ((يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا)) هذه كلمة عامة لسائر فروع قريش ، وأفخاد قريش ، وفي الحديث الآخر أنه ناداهم فخدا فخدا ، ((يا عباس بن عبد المطلب)) عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا أغني عنك من الله شيئا ، ((يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا)) ، نعم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يملك نجاة أحد من النار ، ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) يعني اشتروا أنفسكم من النار أنقذوها ، فإني لا أغني عنكم لا تتكلوا ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئا ، وهكذا يخاطب عمه وعمته وابنته ، لكن قال لأبنته : ((سليني من مالي)) هذا

هو المقدور لي ، ((سليني من مالي ما شئت)) فهذا مقدور لي و لا باس بسؤالي ذلك ، أما النجاة من النار فليس ذلك لي ن ((لا أغني عنك)) حتى فاطمة ، ((لا أغني عنك من الله شيئا)) أما المال سليني من مالي ما شئت ، ((لا أغني عنك من الله شيئا)) ، ولعله يأتي الكلام .

على العموم ، وجه الاستدلال بهذه الأحاديث واحد ، فهذه الأحاديث كلها تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر لا يملك لغيره نفعا ولا ضرا .

....

شج وكسرت رباعيته وأذي ، لو كان يملك من الأمر شيئا بدون أمر الله ، لدفع عن نفسه ، ولما أصابه ما أصاب ، هل الذي أصابه كان باختيار الرسول ؟ هل كان باختياره ؟ لا لم يكن باختياره ، فكونه تعرض له هذه العوارض ، هذا دليل على بشريته ، وبطلان تأهليه ، فليس هو بإله ، بل هو بشر ، يمرض تصيبه المصائب يجرح ، بل جنس الأنبياء يجوز عليهم القتل ، بل قتل كثيرا من الأنبياء ، ﴿ **وكأن من نبي قتل** ﴾ ، وقال الله في محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزئ الله الشاكرين** ﴾ .

يدعو ولا يستجاب له ، هذا دليل على انه لا يملك ، وليس له من الأمر شيئا ، بل جاءت الآية نصا ﴿ **ليس لك من الأمر شيئا** ﴾ ، في حديث أبي هريرة بيان أن الرسول لا يملك نجاة أحد من النار ، لا يغني عن أحد ، لا يقي أحد النار ، فدل ذلك على أن محمد صلى الله عليه وسلم ليس بإله لا يملك له ولا لغيره نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، فالغلو فيه ، وصرف ما هو ما هو من

خصائص الرب وحقوقه إليه ، شرك به سبحانه وتعالى ، فالرسول لا يخلق وهو مخلوق ، لا يستطيع ، هو فقير إلى نصرة الله سبحانه وتعالى ، يستنصر ربه ، وينصره أصحابه ، مدد من الله **﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾** يدعو ولا يستجاب له ، يقول لعشيرته : ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) كل ذلك يدل على بشريته ، وعلى أن الأمر كله لله ، وليس له من المر شيء ، صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا أبلغ رد على من يألهه ويغلو فيه ويصرف له ما هو من خصائص الرب سبحانه وتعالى ، صلى الله وسلم وبارك عليه .

قال الشيخ ، رحمه الله :

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد .

الشرح :

يقول الشيخ : المسالة الأولى :(تفسير الآيتين) ، لا شك أن من أهم ما تضمنه هذا الباب فهم الآيتين ، الآية الأعراف ، والآية فاطر ، وفي كلا منهما دلالة على بطلان الآلهة الباطلة ، بطلان الشرك بالله ن وعبادة غيره ؛ لأن كلا من هذه المعبودات لا تخلق شيئا وهي مخلوقة ، ولا تستطيع لعابديها نصرا ، ولا تنصر نفسها ، ولا تملك شيئا ، ولا تسمع من يدعوها إلى آخر ما ذك ر في الآيتين .

المسألة الثانية : (قصة أحد) ، وقعة أحد ، وغزوة أحد من الأحداث العظيمة ، ومن كبريات ما وقع بين حزب الرحمن ، وحزب الشيطان ، غزوة أحد موقعة عظيمة ، فيها عبر وآيات أمتحن فيها المؤمنون ، ومحق الله فيها

الكافرين ، وأنزل الله فيها قرآن كثيرا في سورة (آل عمران) بدءا بقوله تعالى : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال** ﴾ .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين ، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار .

الشرح :

الثالثة : يقول أيضا ، من فوائد حديث ابن عمر : (قنوت سيد المرسلين) سيد الأنبياء ، (وخلفه سادات يؤمنون الأولياء) ، محمد صلى الله عليه وسلم هو سيد النبيين والمرسلين ، وأصحابه هم سادات الأولياء ، فهم أفضل الناس بعد الأنبياء ، لا كان ولا يكون مثلهم ، هكذا يقول شيخ الإسلام ، لا كان ولا يكون مثلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول (وخلفه سادات الأولياء يؤمنون) كأنه ينبه إلى أنه مشهد رائع وهائل ، سيد الأنبياء يقنت ، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون ، والقنوت معروف ، المراد به ، الأصل أنه الدوام ، دوام الطاعة ، ويطلق على طول القيام ، ومن هذا سمي الدعاء قنوت ؛ لأن فيه طول قيام نسبي ، طول قيام لا كما يفعل من يقنت ، سواء كان في النوازل

أو في غيرها ، يفرطون في الإطالة ، كان دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام جمل محدودة ليس ؛ لأن من هديه عليه الصلاة والسلام الدعاء بالجوامع ، والشيخ ينبه بهذا إلى ما سيأتي بأن النبي عليه الصلاة والسلام قنت ، وسادات الأولياء يؤمنون خلفه ، ومع ذلك لم يستجب عليه ؛ لأنه قنت يدعو على فلان وفلان بأسمائهم كما مر ، ومع ذلك لم يستجب له ، أنزل الله : ﴿ **ليس لك من الأمر شيئا** ﴾ يريد الشيخ بهذا أن يؤكد ، وهذا هو المقصود ، أن يؤكد أن الملائكة والأنبياء والأولياء كلهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ، إلا ما شاء الله ، فالأمر لله ، ليس للرسول صلى الله عليه وسلم منه شيء ، ﴿ **ليس لك من الأمر شيئا** ﴾ ، فضلا عمن دونه ، وإذا كان الأمر كذلك بطل

....

التعلق بهم ، وبطل تأليههم من دون الله ، كما يصنع أهل الغلو ، يغلون في الأنبياء ، يغلون في الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي الصالحين ، حتى أفضى الأمر بأولئك ، أي أهل الغلو ، أفضى بهم إلى أن يغلو في من ليس من الصالحين ، فيمن لا يعرف بصلاح ، أو من يعرف بالفسوق بدعوى أنه صالح ، فإذا كان هذا الرسول يدعو سيد الأنبياء ، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون ، ومع ذلك لم يستجب لهم ،إذًا فكيف يدعون مع الله ؟ هم يدعون الله ، يدعونه يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، وقد لا يستجاب لهم ، فكيف يدعون مع الله ؟ ويصرف لهم ما هو محض حقه سبحانه وتعالى ، وهو العبادة ، فالعبادة كلها لله ، لا يصلح شيئا منها لغيره .

الرابعة : كذلك مما يزيد هذا المعنى المتقدم (أن المدعو عليهم كفار) ومع ذلك لم يستجب للرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة فيهم ، لم يستجب

للرسول فيهم وهم كفار ، المتبادر إلى الأذهان أن هؤلاء أحرى ، بأن يجيب الله نبيه فيهلكهم كافرين ولا يتوب عليهم ، ولكن الله تاب عليهم فأسلموا الثلاثة ، صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، الثلاثة تاب الله عليهم ، وقد نبه تعالى إلى هذا بقوله : ﴿ **أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ .

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار ، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم

الشرح :

الخامسة : أيضا مما يستوجبون به غضب الله ، ويستوجبون به غضب المؤمنين ، ويستوجبون به هذا الدعاء وهذا القنوت ، (أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار) يعني ليسوا كفار فقط ، كفار لهم نكاية بالمؤمنين ، وأذى بالغ في الرسول فعلوا أشياء ما فعلها غيرهم من الكفار ، شجوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكسروا رباعيته ، كما تقدم في حديث أنس ،

ومثلوا بالقتلى من المسلمين كما مثل بحمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، والتمثيل هو قطع أطراف القتيل ، يعني زيادة في التعبير عن الحنق ، وزيادة في الأذى ، كالأذن ، تقطيع أطراف المقتول ، والرسول صلى الله عليه وسلم

كان ينهى عن المثلى ، ينهى أصحابه ، ((اغزوا ولا تغلوا و لا تغدروا ولا تمثلوا)) يعني ما يجوز للمسلمين إذا قاتلوا الكفار يذهبون يمثلون بهم يقطعون أنوفهم وأطرافهم ، أبادا ، هذا فعل أهل الجهل أي معنى لتقطيع أطراف الميت ، مات انتهى الأمر ، المهم أن هؤلاء الكفار أيضا مثلوا ببعض قتلى المسلمين ، (وهم بنو عمهم) أيضا ففيها والعياذ بالله قطيعة ، قطيعة رحم ، يعني حرب للإسلام وأهله ، وقطيعة رحم ، كل هذه من أفاعيل أولئك الكفار ، ومع ذلك تاب الله على من شاء منهم .

مع أنهم بنو عمهم

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك ، ﴿ ليس لك من الأمر شيئا ﴾ .

السابعة : قوله : ﴿ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت في المنازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم

العاشرة : لعن المعين في القنوت .

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ .

الشرح :

السادسة :هذه أيضا تؤكد المعنى السابق ، يعني لما قنت النبي ودعا عليهم ولعنهم ، أنزل الله ﴿ **ليس لك من الأمر شيئا** ﴾ ، يعني أدعو وبلغ رسالة ربك ، ولا تزد ، ﴿ **ما على الرسول إلا البلاغ** ﴾ إن عليك إلا البلاغ ﴿ **فهل على الرسل إلا البلاغ المبين** ﴾ أما هداية الخلق فذلك إلى الله وحده .

السابعة (قوله : ﴿ **أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ فتاب عليهم فآمنوا) علم هذا تاريخا ، علم أنهم آمنوا ، وهذا دليل على أن الله تاب عليهم ، تاب عليهم أولا بالتوفيق ، بأن وفقهم لقبول الإيمان ، ومن تاب ، تاب الله عليه ، والتوبة تجب ما كان قبلها .

الثامنة : من فوائد الحديث مشروعية (القنوت في المنازل) حدث على المسلمين نازلة ومصيبة فادحة ، عظيمة ، فيشرع القنوت ، والنبي صلى الله عليه وسلم قنت فترة من الزمان ، قنت شهرا ، يدعو على أحياء من العرب ، ويدعو للمستضعفين .

التاسعة : (تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم) يجوز ....

لك إذا دعوت على أحد يسوغ لك الدعاء ، أو دعوت لأحد يجوز لك أن تسمى ، فيجوز لك أن تقول : اللهم اغفر لفلان ابن فلان ، اللهم ارحم فلان ، اللهم اغفر لوالد فلان ، يجوز ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سماهم ، سواء كان دعاء له ، أو دعاء عليه ، وهكذا الرسول عليه الصلاة والسلام ، لما دعا للمستضعفين ، سمى منهم من سمى ، الوليد بن ..، وفلان بن فلان ، سمى بعض أسماء .

العاشرة : (لعن المعين في القنوت) سبق ذكر هذه المسألة ، والذي يظهر جواز لعن المعين من الكفار ، لا من عصاة المؤمنين .
الحادية عشرة : (قصته صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾) هذه تتعلق بحديث أبي هريرة في آخر الباب ، قصته مذكورة في رواية أبي هريرة وغيرها ، أنه لما نزلت عليه هذه الآية ، صعد الصفا ونادى قريش ، حتى اجتمعوا ، فناداهم فخدا فخدا ، وناداهم إجمالا : ((يا معشر قريش)) وسمى منهم ، ((يا بني عبد مناف ...)) يا بني فلان ، وسمى أعيانا منهم ، كعمه وعمته ، كلهم يقول لهم ك ((أنقذوا أنفسكم م ن النار لا أغني عنكم من الله شيئا اشتروا أنفسكم)) لا أغنى عنكم من الله شيئا ، اشتروا أنفسكم ، اشتروها بالإيمان ، بالتوحيد ، اعتقوها من عذاب الله ، بالإيمان ، ((إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) هذه هي قصته ، كما جاءت في حديث أبي هريرة وغيره .

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ، بحيث فعل ما نسب إليه بسببه إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .
الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : ((لا أغني عنك من الله شيئا)) حتى سيد المرسلين أنه لا يغني عن سيدة نساء العالمين ، وأمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

الشرح :

الثانية عشرة : يقول من فوائد القصة : (جد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر) يعني جده في الدعوة إلى الله ، وفي نذارة عشيرته ، وغيرهم جده في هذا الأمر حتى فعل ما فعل ، مما (نسب بسببه إلى الجنون) ، معناها أنه بالغ ، وألح ، وكرر ، وخرج على مؤلوف قومه ، حتى قالوا : ﴿ **إنه معلم مجنون** ﴾ فأكذبهم الله بقوله : ﴿ **فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون** ﴾ ، ﴿ **نون والقلم وما يستطيرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون** ﴾ ، وكأن ا لشيخ يشير إلى موقف بعض عشيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وشرهم أبو لهب ، فإنه قد سخر من النبي عليه الصلاة والسلام ، وسفهه ، لما جمعهم ، وقال القولة المشهورة : ألهذا جمعتنا ، فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يزل يدعو وينذر ويجاهد حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم ، اللهم صل وسلم عليه .

الثالثة عشرة : هذه فائدة عظيمة ، وهي المقصود يقول : أن الرسول قال (للأبعد والأقرب) للأبعد من عشيرته يعني ، في هذا المقام ، ولأقرب منهم ، حتى قال لفاطمة ، كلهم قال لهم : ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) فإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو الرسول يقول لأخص

....

الناس به ، وأقرب الناس إليه ، ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) ، فما الظن بمن هو دونه من سائر الصالحين ؟ ، فما الظن بمن ليس من الصالحين ؟ ومن علم ذلك ، وعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقا ، هو الصادق ، فيجوز أن يقال أن الرسول قال هذا على غير حقيقة ؟ ، أو قاله

تواضعا ؟ لا هذا خبر عن حقيقة ، ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) ، بلا شك أنهم إذا لم يسلموا ، من لم يسلم لا يغني الرسو ل صلى الله عليه وسلم شيئا ؛ لأن الكافر لا تنتفع فيه الشفاعة ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ ، أما من دخل في الإسلام فيمكن أن يشفع له الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما أخبر أنه يشفع لأهل الكبائر من أهل التوحيد ، لكن هو الآن يخاطب الكفار ، ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) يعني لا يملك نجاة أحد ، حتى من يشفع له ، غاية الأمر أنه يشفع ، والشافع كما سبقت الإشارة إلى هذا لا يملك ، الشافع عند الله ليس له شيء من الملك ، فهذه الكلمة ماضية ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) يعني بنجاتهم من النار ، أو بنجاتكم من النار ، أنقذوا أنفسكم من النار .

يقول الشيخ : من تأمل ذلك ، وعلم أن الرسول لا يقول إلا حقا ، نظر فيما عليه خواص الناس ، من المنتسبين للعلم ، وممن يشار إليهم ويصفون بالعلم ، ومع ذلك يقع منهم الغلو في الرسول ، فيطلبون من الرسول ن ويطلبون من الصالحين مالا يقدر عليه إلا الله ، من تأمل هذا وهذا تبين له غربة الدين ، (قلوب خواص الناس الآن) يعني من التعلق بالرسول ، وبالصالحين ، يعني ما وقع في قلوبهم من الغلو ، (تبين له التوحيد) وأن التوحيد هو التوجه إلى الله بالخوف والرجاء ، والتوكل ، التوجه إليه بكل أنواع العبادة ، إيمانا بأن الله

....

تعالى وحده هو المالك لكل شيء ، وهو الذي له الأمر بيده الخير ، وبيده الملك ، وهو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه .

بعد هذا مِعلوم أنه لا يمكن أن نقرأ الباب الأتي ، فأذكر الآية الأولى التي ترجم لها الشيخ من الباب التالي ، ومن الباب الذي بعد باب الشفاعة ، الأول باب قول الله تعالى : ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير** ﴾ ، والباب الذي بعد باب الشفلعة ، باب قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ هذان البابان مع الباب الذي فات ، كلها مضمنوها مؤداها واحد ، كلها محورها إقامة البرهان على بطلان الشرك ، والتعلق بالصالحين ، فالترجمة السابقة فيها عموم ، باب قول الله تعالى : ﴿ **أيشركون مِالا يخلق شيئا وهم يخلقون** ﴾ هذا معنى عام يشمل كل المعبودات ، الملائكة ، والأنبياء ، والصالحون ، والجمادات ، والأصنام ، وغيرها كلها ، ففي هذه الآية والآية الأخرى ، وأمثالها ونحوهما ، دلالة على بطلان كل ما يعبد من دون الله ، فإن هذه الصفات منطبقة على كل ما يعبد ، لا يخلق وهو مخلوق ، ولا ينصر عابديه ، بل لا يملك لنفسه نصرا ، لا يستطيع نصرا ولا أنفسهم ينصرون .

أما قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم** ﴾ ، والمراد الملائكة ، ومعنى فزع عن قلوبهم يعني أزيل عنهم الفزع ؛ لأنهم إذا سمعوا كلام الله صعقوا ، من الفزع ، ثم يزول عنهم الفزع ، فمعنى ﴿ **فزع عن قلوبهم** ﴾ يعني أزيل عنها الفزع ، إذًا الملائكة تعرض لهم العوارض كما هو الشأن في سادات البشر من الأنبياء والصالحين ، تعرض لهم العوارض ، الملائكة يغشى عليهم يصيبهم الفزع ، ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم** ﴾ ، يعني أزيل عنها الفزع ، ....

﴿ قالوا ماذا قال ربكم ﴾ يسأل بعضهم بعضا ، ويسألون جبريل ، فيقولون : **﴿ قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾** ، إذا ففي هذا برهان على بطلان إلهية الملائكة ، الإله ما يصيبه النقص ، ولا يلحقه الأذى ، ولا يحلقه الضرر ، لا يلحقه الغشي ، إذًا الملائكة مخلوقون ، مربوبون عبيد ، عباد ، **﴿عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾** ، إذا الآية فيها رد على من يعبد الملائكة ، وفيها رد على من يعبد غيرهم ، ممن هو دونهم ؛ لأنه إذا بطلت إلهية الملائكة ، فبطلان إلهية من دونهم بطريق أولى ، من يعرض له الفزع والصعق لا يصلح للإلهية ، كما سبق الاستدلال بما حصل للرسول من الشج ، وكسر الرباعية ، وما حصل من تسلط العدو عليه وعلى المسلمين ، سبق الاستدلال بذلك على انهم بشر لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، وإن الأمر كله لله .

وهكذا قوله تعالى في الباب الآخر : **﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾** ، أيضا المقصود من هذا هو تقرير المعنى المتقدم ، وهو أن الرسول ليس له من الأمر شيء ، الرسول بشر أكرمه الله بالنبوة والرسالة ، **﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي ﴾** أما الإلهية فلله وحده ، هو الإله الحق ، ومما لا يدخل تحت قدرة النبي الهداية ، هداية القلوب بالتوفيق إلى قبول الحق ، هذا ليس إلا لله ، ولهذا الرسول يجاهد وينادي ويكرر ، ويكرر الدعوة وكثير من الكفار لا يستجيب ولا يهتدي ، خذ مثال عم ا لرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي نزلت فيه شأنه الآية ، لا شك أن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه كان حريص على هداية الخلق ، لكنه على هداية عمه أحرص ، قريبه عمه الذي ينصره ويدافع عنه ، قام مقام أبويه ، واكثر يدافع عنه ،

....

والرسول يجاهد معه ليقبل الحق ، حتى عند آخر رمق يدعوه ، ولكن لم يحصل المطلوب ، لم يهتدِ أبو طالب ، لم يهتدِ ، مع حرص النبي صلى الله عليه وسلم الشديد ، ومواصلته دعوته ، فأنزل الله تسرية ، لما مات أبو طالب أنزل الله في شأنه ، ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ هو رسول الله لا يملك هداية أحد ، ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ الرسول يحب أبا طالب المحبة الطبيعية ، وبغض الكافر لا ينافي المحبة الطبيعية ، فيمكن أن تجتمع المحبة الطبيعية ، والبغض الإيماني البغض في الله ، يمكن أن يجتمعا ، ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ الهداية الخاصة ، هداية التوفيق ، أما هداية الدلالة والإرشاد ، فهذه عامة ، وهي مما يقدر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ فعلم من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم عبد ، عبد الله ورسوله ، لا يملك هداية أحد ، وإنما يملك ذلك الله وحده لا شريك له ، إذًا لا يصلح له شأن ، لا يصلح للرسول صلى الله عليه وسلم شيئا من خصائص الإلهية ، فكيف بمن دونه ، إذًا هذه ثلاثة أبواب كلها ، مرماها واحد ومدارها واحد ، وهو إبطال الشرك ، ذكر الدليل على بطلان الشرك ، بطلان إلهية ما سوى الله ، كل مخلوق لا يصلح إلها ، وهذا هو تحقيق لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، لا إله بحق إلا الله ، كل معبود سوى الله فهو باطل على حد قوله تعالى : ﴿ **ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير** ﴾ .

وفي الختام نسأل الله سبحانه وتعالى للجميع التوفيق وصلاح الأحوال ، ونسأله تعالى أن يعلمنا وإياكم ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن لا يجعل ما علمنا

علينا وبالا ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي الذين قاموا بتنظيم هذه

....

الدورة وغيرها ، أن يجزيهم عن إخوانهم خيرا ، ويجزي كل من له دور ، والذين شاركوا أيضا في الحضور ، إن الحضور أيضا مع ما يقصد به من الفائدة فإنه من التعاون ، فإنه إذا حصلت المشاركة بالحضور والاستماع كان في هذا إقامة لهذه الدورة وأمثالها ، فإنها لا تقوم الدروس العلمية إلا بالطلاب ، الحضور ، وطريق العلم طريق طويل ليس له حد ينتهي إليه ، فعلى طلاب العلم أن يواصلوا المسيرة ، وان يسلكوا الطرق المتعددة ، فهناك طرق للتحصيل كثيرة ، لا تنحصر ، مثل هذه الدورة ما هي إلا كم ا يقال قناة من القنوات ، وطريق من الطرق ، وإلا فالطرق كثيرة ، فمن تهيأت له الدراسة المنهجية يدرس ، يمكن أن أيضا يستفيد منها كثيرا ، فالدراسات المنهجية في المعاهد ، وفي غيرها وفي الكليات علوم نافعة ، لا يستهان بها ، حتى وإن كانت مرتبة ولها نظام ووقت ، ومقرر ات ، فالجاد يمكن أن يستثمر هذا الترتيب ، وهذا التنظيم ، ويستفيد ، ولا تكون الدراسة لمجرد الامتحان واجتياز المرحلة بل للتحصيل ، فالكثير من العلم الآن اصبح لا يتيسر إلا من هذه الطرق ، فينبغي للطالب أن يسلك في طلب العلم كل ما أمكنه ، وكذلك من أوسع الطرق القراءة ، قراءة الكتب الجيدة لأهل العلم ، الموثقين المعروفين ، وما أشكل يمكن أن يسال عنه ، وكذلك حضور حلق المشايخ هنا وهناك ، وهناك الأشرطة لكبار أهل العلم الموثقين المعروفين ، بالعلم ، مثل دروس الشيخ محمد ، دروس الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، مسجلة ،

والجادون يستفيدون منها كثيرا ، ويستفيد منها طلبة العلم ، وكبار طلبة العلم ، وكذلك أشرطة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، وفق الله الجميع وغيرهم .
هذا وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :
فلا يخفى أن الأمة في ضرورة إلى مثل هذه الاجتماعات ، والدورات كما يسمونها العلمية ، وذلك لمسيس الحاج ة إلى التزود من العلم الشرعي ، علم الكتاب والسنة ، وهذه الجلسات طريق من جملة الطرق التي يتوصل بها إلى هذه الغاية ، طريق العلم ممدود وطويل ، ليس له حد ينتهي إليه ، فالمسلم ينبغي له أن يكون دائما يطلب العلم ويتفقه في دين الله ، محتسبا قوله صلى الله عليه وسلم : ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)) ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** ﴾ ، قال بعض المفسرين : الحكمة هي الفقه في الكتاب والسنة ، والفقه في الكتاب والسنة هو أعظم حظ يؤتاه الإنسان في هذه الدنيا . نسأله تعالى أن يعلمنا بما ينفعنا ، كما في الحديث المشهور في فضل العلم : ((فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر)) . فهو ميراث الأنبياء .
فعلم الكتاب والسنة هو ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ، فينبغي للمسلم أن يدأب في هذا الطريق ولا يكتفي منه باليسير ، بل ينبغي أن يكون منهوما في طلب العلم النافع الصحيح أعظم من نهم طلاب المال في طلبهم للمال .
فسلوا الله تعالى أن يجزي القائمين على هذه النشاطات المباركة ، يجزيهم خيرا فإن القيام بهذه الأعمال وهذه الاجتماعات من التعاون على البر والتقوى ، كل بحسب حاله ، التعاون على البر والتقوى في تحصيل العلم وفي العمل الصالح

، وكم من أمر ، بل كثير من الأمور الخيرة لا تتم بالجهود الفردية إنما تتم بعد توفيق الله بالتعاون الذي أمر به الله سبحانه وتعالى .

فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الموفقين المتعاونين على الخير .

هذه واحدة أما الثانية ، فتمهيدًا لشروعنا فيما انتهينا عنده أو في أبواب التوحيد اللاحقة نريد أن نستذكر ما تقدم . فيبدو أنه قد مضى عشرون بابا أو أكثر .

بدأ الشيخ رحمه الله ، الشيخ محمد المجدد رحمه الله ، بدأ كتابه ــ كما علم ــ ببيان منزلة التوحيد وأنه أصل دين الرسل ، والغاية من خلق الثقلين ، و أنه حق الله على عباده ، حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وهو أصل دين الرسل ، التوحيد هو أصل دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، كلهم جاءوا يدعون الناس إلى التوحيد ﴿ **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون** ﴾

ثم ذكر الشيخ ، رحمه الله ، ما يدل على فضل التوحيد ، وأنه أعظم ثوابا ، وأعظم تكفيرا للسيئات من سائر الأعمال ولهذا أصل التوحيد يمنع من الخلود في النار ، وكماله وتحقيقه يعصم من دخول النار ((إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهه)) ، وفي الحديث القدسي : ((يا ابن آدم لو آتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا أتيتك بقرابها مغفرة)) .

ثم هذا التوحيد أصله في القلوب ، أصله في القلب إيمانا بوحدانيته تعالى في ربوبيته وألهيته ، وأسمائه وصفاته ، وح با وتعظيما وتوكلا وخوفا ورجاء ، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح ، وذلك بالقيام بالعبودية لله .

فالتوحيد ، التوحيد العلمي ، التوحيد العملي .

التوحيد العلمي : هو الاعتقاد ، وهو الإيمان ، اعتقاد تفرد الرب سبحانه وتعالى في ربوبيته وألهيته وأسمائه وصفاته ، وذلك با لإيمان بانه لا رب غيره ، ولا إله سواه ، فهو الإله الحق ، وهو رب كل شيء ومليكه ، وهو الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص .

والتوحيد العملي : بالتوجه إليه وحده ، بإرادة وقصدا وطاعة وإنابة ، التوحيد العملي هو التوحيد في الإرادة والقصد والعمل ، وهو الذي يعبر عنه بإفراد الله بالعبادة ، إفراده بالعبادة أي تخصيصه بالعبادة ، وصرف جميع أنواع العبادة له وحده لا شريك له .

هذا التوحيد الناس ليسوا فيه على حد سواء ، بينهم من التفاضل مالا يعلمه إلا الله ، وأكمل الناس توحيدا هم الأنبياء ، وأكملهم أولو العزم من الرسل ، وأكملهم الخليلان إبراهيم ومحمد ، عليهما وعلى سائر النبيين والمرسلين الصلاة والسلام ، هم أكمل الناس توحيدا .

فالتوحيد في القلوب مثله مثل النور ، وماذا بين الأنوار من تفاوت !! ، وماذا بين السراج ، الضئيل القليل وبين ضوء الشمس !! ، توحيد ، ولهذا الشيخ عقد الباب الثالث لبيان أن من الناس من يكون محققا للتوحيد (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) ، وليس كل موحد يكون محققا للتوحيد ، وإذا كان التوحيد أفضل الحسنات ، وأعظم الحسنات ، وأوجب الواجبات ، فضده هو اعظم الذنوب ، وضده الشرك ، فالشرك هو أعظم الذنوب ، ولهذا الشيخ ، رحمه الله عقد بابا لبيان هذا الأمر ، الترجمة بعنوان (الخوف من الشرك) وهو الباب الرابع ، الخوف من الشرك ، خطر الشرك أعظم خطر ، ذكر الأدلة على ذلك ، ثم اتبع ذلك بما يجب على من مَنَ الله عليه بالعلم ، ومن عليه بالتوحيد ، يجب عليه أن يقوم بالدعوة إلى الله ، وهذه وظيفة الرسل

واتباعهم ، يدعون إلى توحيد الله ، يدعون إلى توحيد الله ، وإلى طاعة الله ، وإلى عبادة الله ، وإخلاص الدين له (باب الدعاء على شهادة : أن لا إله إلا الله) .

فالرسل من أولهم إلى آخرهم جاءوا بالدعوة ، هم أئمة الدعاة ، هم الدعاة إلى الله ، وهكذا اتباع الرسل ، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى ، يقول لنبيه : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ .قد ذكر الشيخ في نفس الباب هذه الآية ، استدل بها ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ذكر حديث ابن عباس في بعث معاذ رضي الله عنه ، وحديث سالم بن سعد في قصة خيبر ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((لأعطين الراية غدا ، رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله)) .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله باب ، عنون له بقوله : (باب تفسير التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله) يعني لابد من معرفة معنى لا إله إلا الله ، لابد من معرفة التوحيد ، ما هو التوحيد ؟ ، وذكر ما يدل على ذلك من الآيات وذكر الحديث الصحيح الذي رواه مسلم ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقو لوا لا إله إلا الله)) ، يقول صلى الله عليه وسلم : ((من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)) ، من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، لابد من هذا الشرط فلو أن إنسان قال : أنا لا أعبد إلا الله ، ولكن ما أقول في هؤلاء المشركين شيئا ، يعني لا يعنيني أمرهم ولا أقول فيهم بشيء . قلنا : لا لابد أن تقر بان عملهم هذا شرك ، وأن عبادتهم لغير الله باطلة ، وأن هذه

المعبودات باطلة ، ((وكفر بما يعبد من دون الله)) ، كما قال تعالى : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ .

قال الشيخ في آخر هذا الباب ، (باب تفسير التوحيد) ، يقول : وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب . إذا جميع أبواب التوحيد ، شرح ، فيه تفسير للتوحيد ، كل الأبواب التي جاءت من بعد فيها تفسير للتوحيد ، وتفسير للشهادة ، يعني من وجوه متنوعة ومختلفة .

والشيء يبين بذكر حقيقته ، وبذكر ضده ، فإنه كما قيل :

والضـــد يـــظـــهر حسنـــه الضـــد

وبـــضـــدهـــا تـــتـــبـــين الأشـــياء

ولهذا أتبع هذه الترجمة ، بتراجم متعددة ، بين فيها رحمه الله ، أنواع م ن الشرك ، الذي ينافي أصل التوحيد ، أو ينافي كماله الواجب ، من لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه ، قال : (باب من الشرك) ذكر حكم الرقى والتمائم ، وذكر التبرك بالحجار والأشجار ، (باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما) أي فقد أشرك ، (باب ما جاء في الذبح لغير الله) ، (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) ، (باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ، والنذر لغير الله) والاستغاثة والدعاء ، باب من الشرك من يستعيذ بغير الله أو يدعو غيره ، ذكر الأدلة على هذا كله .

ثم اتبع هذه الأبواب ، عقد تراجم تتضمن الأد لة على بطلان الشرك ، أدلة على بطلان الشرك بأنواعه ، الشرك بالملائكة ، أو الشرك بالأنبياء ؛ لأن الشرك أنواع ، فيه الشرك بالملائكة ، ما الشرك بالملائكة ؟ ، يعني عبادة الملائكة ، الشرك بالأنبياء ، كذلك عبادة الأنبياء ، هذا كله شرك ، كما قال

تعالى : ﴿ **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** ﴾ .

فذكر في (باب قوله تعالى : ﴿ **يشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون** ﴾) ما يدل على بطلان الشرك عموما ، والشرك بالأنبياء خصوصا ، وذلك ببيان حال النبي صلى الله عليه وسلم ، وحال أصحابه ، و أنهم عباد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ، بل هم يحتاجون ، مفتقرون على الله في جلب المنافع ، ودفع المضار ، لهذا أنزل الله على نبيه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيئا أو يعذبهم أو يتوب عليهم فإنهم ظالمون** ﴾ ، الآيات كما تقدم .

وهكذا الشرك بالملائكة ، عقد له ترجمة ، (باب قول الله تعالى : ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير** ﴾) ، إذا كان الملائكة يعرض لهم الفزع والصعق ، أفيجوز في عقل أن يكونوا آلهة ؟ لا ، يلحقهم الفزع ، يفزعون ويصعقون لسماع كلام الله ، تعظيما له وهيبة ، إذا قضى الله الأمر ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعا لقوله ، إذا أراد الله أن يوحي بالأمر ، تكلم بالوحي ، فأخذت السماوات منه رجفة ، أو قال رعدا شديدا .

إذًا الملائكة عباد ، كما وصفهم الله : ﴿ **بل عباد مكرمون لا يسبقونهم بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ ، عباد ليسوا آلهة ، بل يتبرءون من عابديهم ﴿ **يوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة ءهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ ، يتبرءون من عابديهم ، ﴿ **أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ يعبدون الشيطان ، الذين يعبدون الملائكة هم في الحقيقة يعبدون

الشيطان ، فالملائكة يتبرءون منهم ، وعبادة الشيطان هي أصل الشرك ، عبادة الشيطان هي أصل الشرك كله .

نعم الملائكة يشفعون ، لكن إنما يشفعون إذا أذن الله لهم ، ﴿ **وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء الله ويرضى** ﴾ ولهذا اتبع الشيخ (باب قول الله تعالى : ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم** ﴾) ، اتبعه بـــ (باب الشفاعة) في الحقيقة تناسب عجيب ، هذا كله مما مضي القول فيه ، ومررنا عليه فيما سبق ، الملائكة يشفعون ، بل وشفاعة الملائكة ، وشفاعة الأ نبياء ليست من جنس شفاعة المخلوق عند المخلوق ، الذي يفرض تقريبا ، يفرض تقريبا إرادته عند المشفوع عنده ، وإلا لم يكن بطريقة مباشرة ، لا ، لكن المشفوع عنده من الخلق ، يضر لقبول الشفاعة ، يداري من له منزلة عنده ، أما الله تعالى فالأمر كله له ، هو الذي يأذن بالشفاعة ، ويلقي في قلب الشافع كذلك الرغبة في الشفاعة ، فيكرم الشافع بالشفاعة ، ويغفر للمشفوع بسبب شفاعة الشافع ، فمرد الشفاعة إذن كلها إلى الله ، هو مالكها ، ﴿ **أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك ا لسماوات والأرض** ﴾ له ملك السماوات والأرض ، فلا أحد يشفع عنده إلا بأذنه ، وهذا المعنى جاء في آية الكرسي ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له في السماوات وما في الأرض** ﴾ فيها إثبات كما ملكه ، ثم قال : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه** ﴾ فلكمال ملكه فلا أحد يشفع عنده إلا بأذنه ، إذا الشفعاء عند الله ليسوا شركاء ، فالشفاعة التي يطلبها المشركون باطلة ، ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ .

هذه جملة الأبواب التي قرأنا ، ولعل الباب كذلك الذي بعده ، الظاهر أننا أخذنا باب قول الله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ ، هذا متتم لجنس الأبواب السابقة ، يعني في هذه الترجمة ، وفي هذا الباب إقامة الدليل على بطلان إلهية الأنبياء ، وأن الأنبياء ليسوا بآلهة ، الرسول ليس بإله ، ولهذا لا يملك إلا ما ملكه الله ، لا يملك هداية أحد من الخلق ، لا يملك : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ ، نعم هو يهدي الناس كلهم بالدعوة والبيان والتوجيه ، ولكن هداية التوفيق ، وإلقاء القبول في القلب ، وإلهام الرشد ، هذا ليس إلا إلى الله ، وأدل شيء على هذا ا، الرسول كان حربصا على هداية الخلق جميعا ، ولكنه أيضا يعز عليه عمه ، وهو حرص على هدايته ، ولهذا لم يزل يدعوه إلى آخر رمق ، حتى جاءه وهو محتضر كما في القصة ، ((يا عم : قل لا إله إلا الله)) فلم يزل يدعوه ، ولكن سبقت شقوته ، فمات على الشرك ، هو على ملة عبد المطلب ، ولحرص الرسول على نجاته وعده أن يستغفر له ، حتى نهاه الله سبحانه وتعالى ، ولم يزل الرسول يرد أن ينفع عمه بشيء ، ولكنه لم ينفعه في تخليصه من العذاب ، نعم نفعه كما صح بذلك الحديث ، نفعه بان خفف عنه عذابه ، حتى كان ، أعوذ بالله من النار ، حتى كان في ضحضاح من النار ، يغلي منه دمائه ، أو كما جاء في الحديث ، هذه حال أ خف أهل النار عذابا ، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أن أهون أهل النار عذابا ، من يكون له نعلان من نار يغلي منهما دمائه)) ، اللهم أنجنا من النار ، نعوذ بالله من النار .

بقي ، يعني في هذه المقدمات ، نقطة أجنبية عن الموضوع أو ليست أجنبية ، يعني رأيت أن أتحدث معكم فيها ، ألا وهي قضية هذه الأحداث التي تردد أصدائها في العالم القريب والبعيد ، أحداث التفجير ، وقد كفيت ، وكفنا أهل

العلم القول في هذا ، لكن لبعض الأمور رأيت أن أتحدث معكم بمناسبة أول لقاء في هذه الدورة ، مناسبة .

هذه الأعمال ، التي تعرف بالتفجيرات ، وبالتفجير ، هذه الأعمال من يمكن أن يمارسها ويزاولها ، ويقوم بها ، أنا أتحدث عن هذا الجنس ، جنس هذه الأعمال ، لا أخص واحدا من واحد ، هذه الأعمال التي نسأل الله أن يجنب بلادنا الفتن والقلاقل وأن يحفظ علينا إيماننا وأمننا ، وأن يجمع كلمتنا على الحق ، وان يحبط كيد أعدائنا في الداخل أو الخارج ، هذه الأعمال من يفترض أن يقوم بها ؟ يفترض أن يقوم بها بعض أعداء الله الكفار أو المنافقين ؛ لأن أعداء الله إما كفار ظاهرون معلنون لكفرهم ، أو كفار هم منافقون ، وهؤلاء ليس غريبا منهم أن يكيدوا للأمة الإسلامية ، ولاثي ما هذه البلاد ؛ لأن هذه البلاد هي ، يعني حكومة وشعبا ، هي خير بلاد الله ، بل هذه البلاد من حيث الجغرافيا ، كما لا يخفى هي أرض الجزيرة ، منبع الإسلام ، ومعرج الإسلام ، هي مصدر الإسلام ، ومعرج الإسلام ، فهي معقل الإسلام الأول والأخر ، هي محفوظة بحفظ الله ، ولكن هذا لا ينفي أن تمر بامتحان وأن تتعرض لفتن ، ولكنها محفوظة بحفظ الله ، والله يحبط كيد من أرادها بسوء ، كفار المنافقون هذا بديهي أنه لا يستغرب أنهم يمارسون هذه العمال ، وما هو أشد منها ، فمن يمكن أن يمارس مثل هذه الأعمال ، من في قلوبهم حقد ، ولو كانوا مسلمين ، من في قلوبهم حقد وحسد ، حقد يأكل قلوبهم ، وحسد ، حقد على الدولة ، أو حقد على نفس الأمة ، لزعزعة أمنها ؛ لأنهم لكم حاسدون على ما أنتم فيه من نعمة الأمن ، ونعمة الخير ، وعقيدة التوحيد ، يعني أعداء هذه العقيدة ، عقيدة التوحيد في قلوبهم حقد على هذه البلا د لما تميزت به من دعوة التوحيد التي قام بها في العصور المتقدمة في القرن الثاني عشر قام بها الإمام المجدد ،

رحمه الله ، صاحب هذا الكتاب الذي نحن بصدده ، فلهذه الدعوة السلفية ولمن يحملها في هذه البلاد لهم خصوم ، ولهم أعداء يغيظهم أن تهنأ هذه البلاد وان تستقر ، ولهم أساليب في الكيد لها ، يكيدونها بأنواع من المكائد ، لكن منها الخفي ، ومنها الظاهر ، يعني أنواع من المكايد ، ومنها المكائد التي تزعزع أمن البلاد ، وتزعج أهلها ، أعداء من أعداء الدعوة السلفية ، دعوة التوحيد ، فلهذه الدعوة أعداء ، وهم كثيرون ، ومنهم ا لمجاهرون ، ومنهم المتسترون ، وقد يمارس هذا الفعل جهال ضلال متأولون ، ليسوا من هؤلاء ، ولا أولئك ، ليسوا من الكفار أو المنافقين ، وليسوا من أعداء الدعوة السلفية ، ولكنهم جهال ضلال متأولون مضللون ، وبكل وعلى كل حال فالعمل إجرام ، العمل إجرام على كل تقدير ، أ ما الصنف الأول والثاني فلا يخفى أنهم ليس هذا غريب منهم ؛ لأن هذا هو الأصل فيهم العداوة والحقد ، ولا أحد كما يقال يتعاطف مع أولئك ، لكم من المؤسف أنه يوجد من يتعاطف مع الصنف الثالث ، ومن يتعاطف معهم هو ضال في هذا التعاطف ، فهذا العمل لا يجوز التهوين من شانه ؛ لأن فساده عريض ، ولا التهاون في الضرب على أيدي من يمارسه أو يحركه ، فالعمل عملا إجرامي ، يتضمن ، يعني مخالف لموجب الشريعة ، شريعة الإسلام ، وإن صدر بأي قياس ، وبأي شبيهة ، هو باطل ؛ لأنه يتضمن إزهاق النفوس المعصومة من معاهدين فضلا عن المسلمين ؛ لأن هذه العلميات لا تقتصر على من يدعى أنها تستهدفه ، أو أنه هدف لها ، بل تتناول كما هو الواقع ، فهذه العمليات المنكرة يترتب عليها العدوان على النفوس المعصومة ، إما بعهد أو بإسلام ، ولا يخفى ما ورد في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على حرمة الدماء ، وحرمة الأموال أ يضا ، فإنها تتضمن أيضا ، يعني عدوان على الأموال ، عدوان على النفس ، وعدوان على الأموال ،

عدوان على الأنفس المعصومة ، وعدوان على الأموال ، ويتبع ذلك أيضا الإساءة إلى كثير ممن يمكن أن يؤخذ بجريرتهم ، بالشبهة ؛ لأن هذا يقتضي تحريا ، ويقتضي تتبعا ، وهذا قد ينجم عنه أشياء غير مقصودة .

هذا العمل بالنسبة للصنف الثالث الذي ذكرته ، سببه كما أشرت الجهل ، وقرناء السوء من الجاهلين أو المنافقين ، فقد يلتصق ببعض الأغرار ، من يكون من المنافقين فيلبس عليهم ، ليوقعهم في الفخ ، وليتخذهم آداة لتحقيق مأربه وهو بعيد ، قرناء السوء ، أو قرناء السوء من منافقين أو جهال ضالين لم يستبصروا بنور العلم الشرعي ، يتبع ذلك الاستبداد بالرأي ، والإعجاب بالرأي ، وهذه كارثة أن يكون الإنسان معجبا برأيه مع القصور ، وهذا يتضمن أن يكون الشخص المعجب برأيه جاهلا مركبا ، يعني لا يدري ولا يدري انه لا يدري ، بل يعتقد في نفسه العلم ، ويعتقد في نفسه الحكمة ، وهو جاهل ضال .

هذه فيما يخص الصنف الثالث كما ذكرت ، هذه هي الأسباب المباشرة لتصرفهم المنكر بالنسبة إلى الصنف الثالث ، وجهلهم وتأويلهم وإعجابهم برأيهم ، لا يسوغ تصرفهم ، ولا يوجب التغاضي عند إنزال العقو بة الرادعة التي تقطع دابر الفساد ، أما ما لهم عند الله ن فالله تعالى من وراء القصد ، وليس لنا أن نتدخل في أمر عاقبتهم ، فأمر عاقبتهم وجزائهم عند الله ، هذا مفوض إلى علام الغيوب ، لكن الشأن فيما يستوجبه فعلهم في هذه الدنيا ، في تقيم وحكم فعلهم في الدنيا ، أحكام الدنيا ، الدنيا لها أحكام ، والآخرة لها أحكام ، فأحكام الدنيا تجري على الظواهر ، وتترتب على الأفعال الظاهرة بحسب أبعادها وأثارها ، من المفاسد ، فلهذه الأفعال أسباب ، هذه أسباب ، هذه هي الأسباب المباشرة ، أخص بالحديث الصنف الثالث ، أما الأول والثاني فلا

يحتاج ، فالسبب الحقد والعداوة للإسلام ، والعداوة المبنية على الأغراض الخبيثة ، لكن بالنسبة لمن يمارس هذا بحجة كذا أو كذا ، بحجة العداوة للكفار ، يجب علينا أن نبغض الكفار ، بعيدهم وقريبهم ولكن الذي أوجب علينا بغض الكفار وعداوتهم ، جعل للكفار أحكام ، هذا ا لكافر المعاهد ، وهذا الكافر الحربي ، وهذا كذا ، وهذا كذا ، وهذا الذمي الذي تعقد له الذمة ، والكافر المقيم ، مقيم على أساس عهد ، عهد طيب ، فبغض الكفار إذًا هذا لا يسوغ استحلال دمائهم وأموالهم ، المعصومين منها ، لا يسوغ ، فالذي أحب أن أنبه عليه في هذا المقام أن لا يكون هناك تعاطف مع أولئك يتضمن التهوين من فعلتهم ، بالنسبة للحدث الأول فقد عرف أهله ، ويظهر أنهم من الصنف الثالث كما ذكرت ، هذا هو ظاهر حالهم ، وقد قدموا على ما قدموا ونسأل الله أن يكونوا قد ماتوا على توبة وأنهم أبصروا خطئهم وجهلهم ، وأما الحدث الثا ني فلا يزال مجهولا ولا يصح أن يربط الحدث الثاني بالأول ، وأن يدعى أو أن يظن أن مرتكبيه أنهم من المنتسبين مثلا للسنة ، أو من المدعين مثلا ، أو الفاعلين له باسم الغيرة والبغض للكفار ، لا ، قد يكون من مارسه من
الأصناف الأولى ، أما من كافر أو منافق ، وأما ممن يريد يعني زعزعة المن حقدا على الدولة ، أو حقدا على الأمة بشكل عام .

أقول : لا يصح التعاطف مع أولئك من التهوين من فعلهم ، أو بالتعاطف معهم بالتهاون في العقاب الذي يرجى أن يقطع دابر الفساد ، ووجود المنكرات في الأمة كما قد يبرر بعض الناس ، هذا الفعل ، وفرق أر يد أن أنبه أنه فيه فرق بين الأسباب المؤدية إلى هذا ، وبين المسوغ ، فهذه الأعمال ليس لها مسوغ شرعي ، ولكن لها أسباب ، فوجود المنكرات التي في الأمة ، هذه لا تسوغ إنكارها بأي طريق وبأي أسلوب ، لا ، المنكرات في الأمة تنكر بالطرق

الشرعية الصحية ، التي تحقق المصالح وتدرأ الفساد ، أما علاج المنكر بمنكر ، فهذا من فعل الجهلة والحمقاء والضلال .

وقد تختلط الدوافع ، يختلط الحقد بالجهل بالهوى ، والشيطان من وراء ذلك ، يزين للإنسان الفعل ، حتى يرى الإنسان السيئة حسنة ، ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فيراه حسنا** ﴾ أهل البدع يرون بد عهم أعمالا صالحة ، وكذلك من يرتكبون في إنكار المنكر أساليب هي منكرة في الشرع ، ويستحسنون ذلك ، هي يلتحقون بهذا ؛ لأنهم قد رأوا وزين لهم الشيطان السيئة حسنة ، زين لهم سوء عملهم ، فرأوه حسنا ، فعلينا نحن جميعا أيها الأحباب أن ننكر المنكر ، ومهما كان مرتكبه ، ولو حسنت نية فاعله ، المنكر منكر ، هو منكر ، كما قلت لك أهل البدع يأتون بدعهم باسم أنهم يتقربون على الله ، ويريدون الخير ، ولكن كم من مريد للخير لم يدركه ولم يصيبه ، فحسن النية ، أولا أن النية شيء غيبي بين العبد وربه ، ولكن على تقدير حسن النية ، فحسن النية لا تبرر ولا تسوغ العمل المنكر في الشرع ، فنحن نبرأ إلى الله من هذا الصنيع ، ونرى أنه عمل منكر ، وأن من ارتكبه مستحق للعقاب الرادع ، وعلى الإنسان أن ينصف ، وان يقتدي بأهل العلم ، الموثقون ، الذين يوثق بعلمهم ودينهم ، ومن المؤسف كما أشرت أن بعض من يمارس هذ ه الأعمال ، ومن يتعاطف معهم مصاب بالإعجاب بالرأي ، والاستبداد بالرأي ، وهذا يوجب له أن لا يستمد العلم من أهله ، ولا يرجع إلى أهله ، وهذه كارثة ، أن يستبد الإنسان برأيه ، وأن يعجب بنفسه ، وأن يعجب بعلمه ، وتنقطع صلته ، بأهل العلم الموثقين المشهود لهم بالعلم والدين والتقوى .

واكتفي أيها الأحباب بهذه اللفتة ، وكما قلت في البداية أني لم يكن من عادتي الدخول في مثل هذه القضايا إلا عند المناسبة ، عند الاقتضاء ، ولكني رأيت

أن هذا اللقاء يقتضي الحديث عن هذه القضية ، قضية الساعة ، والقضية العامة التي خطرها عظيم ، وشرها مستطير ، فلا يتهاون بشأنها ، ولا يهون من شأنها ، البتة ، فأؤكد على هذا الأمر ، وعلينا أن نلجأ إلى الله بأن يمن علينا بالبصيرة في ديننا ، وأن يصرف عنا الفتن ، ما ظهر منها ، وما بطن ، وأن يحمي هذه البلاد من شر أعدائها ، وأن يوفق ولاة أمرنا للقيام بما أوجب الله عليهم ، وأن يوفق سائر الأمة لإقامة دين الله ، وأن يطهر هذه البلاد من المنكرات ، الظاهرة ، وأن يحقق بمنه وكرمه ، يحقق الصلاح والإصلاح ، وأن يعزنا ، وأن يعز الإسلام والمسلمين ، في هذه البلاد وفي غيرها ، وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه ، والداعين ، وأن يرزقنا الاستقامة على دينه حتى نلقاه ، هذا وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

١٩ ــ باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾ [١] .

(١) النساء الآية [١٧٠] .

ففي (الصحيح) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ (١) ، قال : هذه أسماء صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحي الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم عُبِدتْ .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف ، لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

الشرح :

الحمد لله ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، ومن اهتدى بهداه أما بعد :

يقول الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله : (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) ، يعني هذا باب ذكر ما ورد من الأثار التي تدل على سبب كفر بني آدم ، يعني سبب حدوث الكفر ، وترك الذين الحق ، أن سبب حدوث الكفر في بني آدم وتركهم للدين الحق ،

....

هو الغلو في الصالحين ، كان الناس على التوحيد ، قرون ، كانوا على التوحيد ، وعلى الدين الحق منذ أن أهبط الله آدم عليه السلام ن فكان هو وذريته على التوحيد ، حتى حدث الشرك ، حدث الشرك في قوم نوح ، حدث الشرك فكفر

(٢) نوح الآية [٢٣] .

الناس بذلك ، بسبب الشرك الذي وقعوا فيه ن وتركوا الدين الحق الذي هو التوحيد ، وما سبب ذلك ؟ سببه الغلو في الصالحين .

والغلو : هو مجاوزة الحد في الشيء ، المبالغ ة والإفراط ، هذا هو أصل معناها ، الإفراط والتجاوز ضد التقصير والاستقامة فضيلة ، الاستقامة فضيلة بين رذيلتين ، رذيلة الغلو والإفراط ، ورذيلة التقصير والجفاء ، في كل الأمور إنما يؤتى الإنسان منة هذين البابين : باب الإفراط ، أو باب التفريط وصلة الله بين ذلك ، بين الغالي فيه والجافي عنه .

والغلو في الصالحين هو مجاوزة الحد في حبهم ، وتعظيمهم ، وفي منزلتهم ، في الاعتقاد في فضلهم ، تجاوز الحد في ذلك ، هو الغلو ، اعتقاد فضلهم حق ، محبتهم وتعظيمهم حق ، ولكن المبالغة والإفراط في ذلك ، هو الغلو ، وهذا يكون بإعطائهم ما لا يستحقون ، برفعهم عن منزلتهم التي يستحقونها ، فرفع النبي إلى منزلة الألوهية ، وإعطائه شيء من خصائص الإلهية ، أو رفع العبد الصالح عن منزلته ، بإعطائه شيء من خصائص النبوة ، أو من خصائص الإلهية ، كل ذلك من الغلو في الصالحين .

والناس في الصالحين فريقان :

المفرطون الغالون فيهم .

أو المقصرون في حقهم ، وذلك بتنقصهم وجحد فضلهم ، وفضائلهم ، وبمعاداتهم ، معاداة الصالحين ، كل هذا من الجفاء ، ومن التفريط .

....

وكلا من الغلو والتفريط على مراتب متفاوتة قد يكون معصية ، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب ، وقد يكون كفرا ، بحسبه . وسيتبين تفصيل ذلك في

هذا الباب ، وفي الأبواب التي بعده ، أربعة أبواب بعضها يكمل بعضا . هذا سبب كفر بني آدم .

يقول الله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقو لوا على الله إلا الحق** ﴾ ، هذا نهى من الله لأهل الكتاب ، وهم النصارى ؛ لأنهم هم المعروفون بالغلو ، وهو يشمل أيضا اليهود ، ولكن المقصود هم النصارى ، لقوله تعالى : ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لا يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون** ﴾ ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم** ﴾ لا تفرطوا في دينكم ، لا تبالغوا في دينكم ، وذلك بالابتداع فيه ، والزيادة عليه ، والغلو في أنبيائكم ، وصالحيكم ، ومن ذلك الغلو في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، فقد على النصارى فيه ، فقالوا : إنه إله مع الله ، وقالوا : إنه ابن الله ، وقالوا فيه وفي أمه : إنهما إلهان من دون الله ، ولهذا يقول الله لعيسى عليه السلام ، يوم القيامة ﴿ **إذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب** ﴾ ، ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائي اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ ، وفي هذا النهي لأهل الكتاب عن الغلو في الدين ، نهي لهذه الأمة ، فليس هذا النهي خاصا بأهل الكتاب ، ....

وإن كان لفظه ورد في أهل الكتاب ، وتوجه الخطاب لأهل الكتاب ، فإن حكمه يشمل هذه الأمة .

﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق** ﴾ ، لا تفتروا على الله الكذب ، والغلو في الدين هو افتراء للكذب على الله ، ﴿ **ولا تقولوا على الله إلا الحق** ﴾ ، وفي الآية الأخرى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ .

يقول الشيخ بعد ذلك : (وفي (الصحيح) أي صحيح البخاري ، رحمه الله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا** ﴾) هذه الآية هي من سورة نوح ، وقوله تعالى : ﴿ **وقالوا** ﴾ يعني قوم نوح ، يوصي بعضهم بعضا ، الكبراء يحذرون الاتباع ، يقول : ﴿ **لا تذرن آلهتكم** ﴾ لا تطيعوا نوحا الذي ينهاكم عن عبادة آلهتكم ، لا تتركوها ، تمسكوا بعبادتها ، ﴿ **لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا** ﴾ إذًا هذه أصنام ، هذه أصنام قوم نوح ، وجاء في أثر ابن عباس في (صحيح البخاري) أن هذه الأصنام التي كانت في قوم نوح ، كانت في قبائل العرب من بعد ، يعني بقيت حتى ورثها العرب ، واستخرجها عمرو بن لحي الذي غير دين إبراهيم ، دله الشيطان على تلك الأصنام ، فأستخرجها وأثارها ، ودفعها إلى العرب ، إلى قبائل من العرب ، بينها ابن عباس في ذلك الأثر .

فود كان ......في دومة الجندل ، وسواع لهزيل ، ويغوث لمراد ، في قبائل

....

ذكرها ، ثم قال : (وهذه أسماء) ود ، وسواع ..إلى آخره ، (أسماء لقوم صالحين من قوم نوح) ، أسماء لرجال صالحين من قوم نوح ، هذا أصل هذه الأسماء ، أصلها أسماء لرجال صالحين من قوم نوح .

(فلما هلكوا) لما ماتوا ، لما مات أولئك أسفوا عليهم ، وحزنوا عليهم ، (فأوحي الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا) ، يعني صوروهم وانصبوا صورهم في مجالسهم للذكرى ، كما يقال : للذكرى ، فأصل الذكرى بالتماثيل هذا أصلها قديم ، مثل الذين يصورون صور أنفسهم وأولادهم ومن يعظمونه ويحبونه ن ويقولون : للذكرى ، هذا لا يجوز ، لا يجوز أن تصور ، فتجمع بين التصوير ، ومشابهة المشركين في ما قصدوا إليه من اتخاذ الصور للذكرى ، اتخاذ الصور للذكرى لا يجوز ، بل إذا كان عنك صور ، صورتها لسبب أو لأخر ، فلا تستبقيها باسم الذكرى ن بل أتلفها ، أتلف الصور ، ففعل أولئك ، فعلوا ونصبوا لهم أنصابا في مجالسهم ، وهذا يعني في بداية الأمر كان المقصد أن يتذكروا سيرهم ، وأن يشاهدوا صورهم ؛ لأنهم يحبونهم لصلاحهم ، وهذا يقتضي أن يترددوا عليهم ، هذا هو المدخل الأول ، هذا من صور الغ لو في الصالحين ، ولكنه ليس بشرك ، بل هو الوسيلة الآن ، هذه وسيلة تصوير الصالحين وسيلة إلى الشرك بهم ، ووضع تماثيلهم في المجالس كذلك خطوة أخرى ، خطوة أخرى ارتياد صورهم ، والوقوف عندها ، والنظر فيها كذلك خطوة ثالثة التعبد بذلك ، وهذا كله من البدع في الدين ، ومن الغلو في الصالحين ، ما صنع قوم نوح ، وهكذا

من سار على طريقتهم بعد ذلك ، فلم تزل صورة الغلو في الصالحين ، لم تزل تكرر إلى اليوم ، عبر السنين ، فتنة ، هذا سبب حدوث الشرك .

....

(فلما هلك أولئك) يعني الجيل الأول ، الذين وضعوا تلك التماثيل ، وتلك الأنصاب في مجالس الصالحين ، لما هلك ذلك الجيل ، أوحى الشيطان على من بعدهم ، (فلما هلك أولئك) يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (لما هلك أولئك ونُسِيَ العلم) ، نسي الناس لماذا وضعت هذه التماثيل ؟ ، ونسي الناس ما كانوا عليه من التوحيد .

(نُسِيَ العلم عُبِدتْ) ، وذلك بوحي من الشيطان بأن قال لهم : هذه التماثيل إنما كان أسلافكم يستسقون بها ، ويقصدونها ، ويعبدونها . فعبدوها ، فمن ذلك العهد حدث الشرك ، فأرسل الله أول رسول إلى أهل الأرض ، ألا وه و نوح عليه السلام ، هو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض ، فدعا إلى التوحيد . الآن الشرك قد وجد وفشى ولم يكن هناك من ينكر ، ليس هناك من ينكر حدث الشرك ، وصار دين الناس ، الشرك عبادة أولئك ، عبادة تلك التماثيل من هؤلاء الخمسة ، وغيرهم ؛ لأن قوله : **﴿ ولا تذرن آلهتكم ﴾** هذا يدل على أنهم لهم آلهة متعددة كثيرة ، ثم خص الخمسة **﴿ لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ﴾** هذا من عطف الخاص على العام ، يعني أولا حذروا من ترك آلهتهم عموما ، ثم خصوا الخمسة ؛ لأن هذه الخمسة كأنها هي الكبيرة وهي الأصيلة وهي القديمة ، ونُسي العلم عُبدت ، والأول والثاني كله من وحي الشيطان ، فالشيطان من وراء ذلك كله ، هو الذي يوسوس في الصدور ، ويلقي البذور ،

بذور الشرك ، وبذور المعاصي ، يحسن للإنسان القبيح ، ويحسن للإنسان البدع .
يقول الشيخ رحمه الله نقلا عن ابن القيم : (قال غير واحد من السلف) جماعة من السلف ، قالوا في شأن هذه الأسماء ، يعني في شأن أولئك الرجال

……………………………………………………………………

من قوم نوح : (لما ماتوا) لما مات هؤلاء ، ود وسواع ، ويغوث ، (لما ماتوا عكفوا على قبورهم) العكوف على الشيء ، ملازمته ، والبقاء عنده ، كما قال تعالى : ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم** ﴾ ، فلما ماتوا عكف قوم نوح على قبور أولئك الصالحين ، حبا لهم ، صاروا يلازمون هذه القبور ، يترددون عندها ، يبقون عندها ، يتذكرون سيرهم ، (عكفوا على قبورهم ، وصوروا تماثليهم) فلما ، قال غير واحد من السلف : (لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم) هذا الكلام مطابق ، لقول ابن عباس رضي الله عنهما ، (صوروا تماثيلهم ثم طال لما عليهم الأمد) ، هذا يفسره قوله : (فلما هلك أولئك ونُسِي العلم) ، طال الأمد وتقادم الزمن (عبدوهم بوحي من الشيطان) ولكن زاد هنا ، أن من أسباب الغلو في الصالحين ، العكوف على قبورهم ، من الغلو في الصالحين العكوف على قبورهم ، من الغلو في الصالحين تصويرهم وضع التماثيل لهم ، وهذان بابان إلى الشرك ، من صور الغل و في الصالحين عبادتهم ، وهذا هو عين الشرك الأكبر ، حدث الشرك فأرسل الله نوحا عليه السلام كما تقدم ﴿ **ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما** ﴾ ، هو يدعوهم بشتى الطرق ، بأنواع من الأساليب ، كما فسر الله ذلك في نفس

السورة ، سورة نوح ، ﴿ **قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبرا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسرارا قلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدارا** ﴾ الآيات سورة كلها في قوم نوح ، في نوح مع قومه من

....

أول السورة إلى أخرها ، وبعد هذا الجهد المتواصل ، والجهد الجهيد في الزمن المديد ، يقول الله في شأن من آمن به ﴿ **وما آمن معه إلا قليلا** ﴾ ، مع نوح طوال هذه المدة إلا قليل ، وهم الذين ركبوا معه السفينة ، ﴿ **وما آمن معه إلا قليلا** ﴾ .

فبهذه القصة أتضح ما ترجم له الشيخ ، أتضح سبب كفر بني آدم ، سبب حدوث الشرك ، فهذا سبب حدوث الشرك ، الغلو في الصالحين هو سبب حدوث الشرك في الأرض ، هو سبب ترك الناس للتوحيد الذي كانوا عليه ، فتركوا الدين الحق ، وعدلوا إلى الشرك بالله ، فعبدوا مع الله غيره ، فأرسل الله إليهم الرسل ، ثم نجا رسوله والمؤمنين وأهلك المكذبين ، وهذه سنته في أنبيائه وأوليائه وأعدائه ، النصر والنجاة لأنبيائه واتباعه ، والهلكة والخذلان والبوار لأعدائهم ، سنة الله ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾ .

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله)) أخرجاه .
ولمسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) .
ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثا .

الشرح :

هذه ثلاثة أحاديث كلها تدل على ذم الغلو ، وفيها التحذير من الغلو .

فالأول : وعن عمر رضي الله عنه ، (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تطروني)) أي لا تبالغوا في مدحي ، والثناء علي ، فالإطراء هو المبالغة في المدح ، الرسول صلى الله عليه وسلم جدير بالمدح ، وقد مدحه الله ، وأثنى عليه ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ، ﴿ **الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ الآيات ، ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف**

رحيم ﴾ ، ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا** ﴾ ، والآيات في ثناء الله لرسوله كثيرة ، من ذلك أنه لا يخاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلا بصفة النبوة والرسالة في الغالب ، ولا يخاطبه باسمه أبدا في القرآن ، فسائر الأنبياء فيه يا نوح ، يا موسى ، يا عيسى ابن مريم ، أما الرسول عليه الصلاة والسلام فسائر ما ورد من النداءات ، والخطابات له ، يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، وجاء في موضعين يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر .

....

((لا تطروني ، كما أطرت النصارى ابن مريم)) النصارى غلو في ابن مريم ، وبالغوا في مدحه ، وبالغوا في وصفه ، حتى زع موا أنه إله مع الله ، أو أنه الله ، أو أنه ابن الله .

((إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله)) هذا هو الحق في الرسول ، الحق الذي يجب اعتقاده ، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم به العبودية والرسالة ، هو عبد ليس بإله ، بل هو عبد عابد لله أكمل عبادة ، فهو أكمل الناس عبودية ، أكمل الناس عبودية هو محمد صلى الله عليه وسلم ن ولهذا يذكره الله بصفة العبودية في المقامات العظيمة ، في التحدي ، والإسراء ، والدعاء ، وفي النظارة ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** ﴾ ، فهذا هو الصراط المستقيم ، الذي يجب اعتقاده في الرسول ، أنه عبد ورسول ، كما تقدم في حديث عبادة بن الصامت : ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله)) ، وهكذا جاء في التشهد ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، فمن

رفعه عن منزلة العبودية فقد أفرط وغلى ، ومن كذبه ، أو لم يلتزم بتحقيق متابعته فقد جفا ، وفرط في حقه عليه الصلاة والسلام .

الواجب الإيمان بأنه عبد الله ورسوله إلى جميع الثقلين الجن والإنس ، وأنه لا يسع أحد الخروج عن شريعته عليه الصلاة والسلام .((إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله)) .

والحديث الثاني ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إياكم والغلو)) ، هذا أسلوب تحذير ، إياك ، أحذر ، احذروا الغلو ((فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) ، في لفظ ((إنما أهلك من كان قبلكم بالغلو)) ، ((إياكم والغلو في

....

الدين ، إنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) ، والشيخ لم يذكر من خرج هذا الحديث ، ولا من رواه من الصحابة ، وقد بين ذلك في الشرح ، في (فتح المجيد) وأنه من حديث ابن عباس ، وأخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه ، ولهذا الحديث سبب ، سببه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال في الغداة يوم النحر ، قال لابن عباس : ((ألقط لي)) يعني الحصى ، حصى الجمار ، قال : فلقطت له حصى الخزف . يعني سبع حصيات مثل حصى الخزف ، صغيرات متوسطات بين الحمص والبندق كما يقول أهل العل م ، فأخذهن بكفه صلى الله عليه وسلم ، وقال : ((بأمثال هؤلاء فارموا ، وإياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم ، الغلو في الدين)) فالمبالغة في الحصى برمي الكبار ، كما يصنع الجهلة ، يأخذ حصى كبار يمكن تكون كبر التمر ، ويمكن تكون أكبر ، يمكن تكون حجا رة ، هذا غلو في الدين ؛ لأن هؤلاء الذين يفعلون هذا يظنون أنهم يرمون عين الشيطان ، وأن الشيطان

واقف لهم يرجمونه ، واقف لهم في الجمرة ، ولعل بعضهم يرى أن هذا الجدار شاخص فوق الشيطان ، هذا كله من الجهل ، وهذا الجهل أفضى بهم إلى الغلو ، ولكن الحديث كما يقال في الأصول : إن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

والحديث الثالث :عن ابن مسعود عند مسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ((هلك المتنطعون)) . هذا مطابق لقوله : ((فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو)) أو ((إنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) ، هنا يقول : ((هلك المتنطعون)) الأظهر أنه خبر ، ويحتمل أن يكون دعاء .

((هلك المتنطعون)) الأظهر أنه خبر .

....

((هلك المتنطعون)) يعني المتعمقون ، المفرطون في أمورهم ، المتكلفون ، والتنطع في الدين يكون بتحريم الحلال ، تنطعا ، يكون بالتحريم ، وبإيجاب ما لم يجب ، وباستحباب ما لم يستحب ، يعني التنطع في الدين يكون بالابتداع فيه .

البدع كلها من التنطع في الدين ، وما يفعله الموسوسون من اعتقاد النجاسة في كل شيء ، كل شئ نجس ، هذا من التنطع في ال دين ومن الغلو . وكذلك من يبالغ في توقي الحرام حتى يعتقد التحريم في كثير أو في كل شئ ، هذا حرام نعم الذي تتضح فيه الشبهة ، الأموال التي في أيدي الناس كلها ما فيها حلال ! الحلال الآن عز ! نعم الحرام كثير ، يقول : أنا لا آكل إلا من نبات البر لأنه فسدت الأموال وفسدت الأطعمة وكلها حرام ! أو كلها من المتشابه ! فهذا متنطع في الدين .

ومن التنطع الذي ذكره المفسرون ، يعني التكلف قفي النطق والتقعر بحيث إن الإنسان يبالغ في التفاصح ، يتفاصح ولا سيما مع خطاب العوام ، يأتي يتفاصح ويظهر فصاحته مع العوام .
(قالها ثلاثا) يعني الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ((هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون)) وفي هذا زيادة تحذير وزيادة تأكيد وتنفير عن التنطع في الدين وعن الغلو في الدين ، وهذا نهاية نصوص هذا الباب .

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ، تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الشرح :

يقول الشيخ : المسألة الأولى : من تدبر هذا الباب وما اشتمل عليه من النصوص والآثار التي فيها تحذير من الغلو وفيها بيان سبب حدوث الشرك وهو الغلو في الصالحين ، وبابين بعده ، كما سيأتي : (باب ما جاء من التغليظ) الباب الذي بعده والتالي ، يعني من تدبرها شهد العجب العجاب ، وشهد من تقليب الله للقلوب كيف تزيغ القلوب عن الحق الواضح البين فتستحسن الباطل وتؤثره على الحق .
(من فهم هذا الباب) يعني تدبر هذا الباب وبابين بعده .

(تبين له غربة الإسلا م ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب) نعم ، وشهد أيضا غربة الإسلام ، فهذا الواقع الفاسد وهو الغلو في الصالحين هو الغالب على أكثر المنتسبين للإسلام ، يعرف ذلك من له خُبُر بأحوال الناس . فالغلو في الصالحين بأساليبه ومظاهره عام في العالم الإسلامي ولم ينج و منه إلا القليل ، وقد من الله على هذه البلاد وهذه المناطق بدعوة التجديد ، وإلا فقد كانت كغيرها من البلاد فيها الأضرحة ، وفيها الغلو في الصالحين أحياءً وأمواتا ، فطهر الله البلاد من مظاهر الشرك ومظاهر البدع ، فنسأل الله أن يحفظ ما فيها من الخير ، ويطهرها مما سرى وتسرب إليها من الشر .

الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين .
الثالثة : أول شيء غُيّر به دين الأنبياء ، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم .
الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها .
الخامسة : أن سبب ذلك كله كزج الحق بالباطل : فالأول محبة الصالحين ، والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا ، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

الشرح :

الثانية : (معرفة أول شرك حدث) في الأرض أنه حدث بسبب الغلو في الصالحين .
الثالثة : (أول شيء غُيّر به دين الرسل) هو الشرك بالغلو في الصالحين وبعبادة الصالحين ، أول شيء غُير به دين الرسل قديما في قوم نوح ، وأخيرا في جاهلية العرب ، إنما غُير دين إبراهيم بالغلو في الصالحين ، كما تقدمت الإشارة إلى أن عمرو بن لحي هو أول من غير دين إبراهيم ، وهو أول من سيب السوائب ، وبحر البحيرة ، وحمى الحامي ، فقد دله الشيطان على موضع تلك الأصنام فاستخرجها ودفعها إلى قبائل العرب كما تقدم .
الرابعة : (قبول البدع) مع أن الشرائع والفطر تنكرها ، ومع ذلك تقبلها النفوس وتتعلق بها وتصر عليها مع مخالفتها للفطر والشرائع ، ولكن إنما يحصل هذا مع ا لإعراض عما جاءت به الرسل ، ومع مسخ الفطرة ، فكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

....

فالفطر تنكرها ما لم تتغير ، فإذا تغيرت استحسنت ما كان من شأنه أن تستقبحه الفطر السليمة ، فالفطر السليمة هي التي تستقبح هذا الباطل ، أما الفطر المُغيَّرة فإن هذا هو الذي يناسبها ، ولهذا المشركون الذين تغيرت فطرهم حتى من المنتسبين للإسلام ينافحون عن أصنامهم وعن من يتعلقون بهم ، ينافحون عنهم ويقاتلون ويضحون بأنفسهم في سبيل نصرة الشرك ونصرة هذه الأصنام وهذه الأضرحة بزعمهم .
الخامس : يعني أن سبب تغير دين الرسل كلهم ، وسبب هذا الغلو ، وسبب القبول أيضا لهذا الباطل ، سببه مزج الحق بالباطل فعلا ، مزج الحق بالباطل

هو الوسيلة في كل زمان لترويج الباطل ؛ لأن الباطل لو تجرد لرفضته النفوس ورده كل عاقل ، لكن يُمزج بشيء من الحق ويخلط بشيء من الحق فيروج ويقبل ، وهذا الذي حدث هو كذلك .

.. فالحق الذي حصل من قوم نوح ، ما الذي حصل من الحق ؟ محبة الصالحين هذا حق . والباطل هو فعل قوم من أهل العلم وأهل الخير ، فعلوه إنما أرادوا به خيرا ، وهو تصوير صور أولئك الصالحين ووضعها في مجالسهم ، هذا باطل ممزوج بمحبة من ؟ بمحبة الصالحين ، فهذا هو الحق وهذا هو الباطل . فسبب رواج الباطل هو ما فيه وما قُرن به من الحق وهو حب الصالحين .

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح .

السابعة : جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد .

الثامنة : فيه شاهدٌ لما نُقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر .

الشرح :

السادسة : (تفسير الآية) هو من تفسير ما جاء عن ابن عباس وغيره .

السابعة : (جبلة الآدمي في كون الحق في قلبه ينقص والباطل يزيد) النفوس الأمارة بالسوء والقلوب المريضة المظلمة تؤثر الباطل عن الحق ، وتقبل الباطل وترفض الحق ، فيغلب إذًا على الناس أن ما في قلوبهم من الحق

والباطل أن الحق ينقص والباطل يزيد . هذا هو الأصل في الإنسان إلا من عصمه الله بالتوفيق والهداية والتيسير لليسرى والتزود من العلم الصحيح ، فهذا يعصم بإذن الله من هذه الحالة ، فينعكس الأمر ، فمن كان كذلك فإن الباطل في قلبه ينقص والحق يزيد ﴿ **ويزداد الذين آمنوا إيمانا** ﴾ ﴿ **وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم** ﴾ .

الثامنة : يقول : في هذه القصة شاهد لما جاء عن السلف ، أن البدعة سبب الكفر . نعم لا شك أن بناء المساجد على القبور ، أن العكوف على القبور ، أن تصوير صور الصالحين ونصبها ، أنها مفضية إلى الشرك ، فهي وسائل قريبة للوقوع في الشرك ، فهذه القصة شاهد لما قاله السلف : إن البدعة سبب الكفر ، ويقول العلماء : إن المعاصي بريد الكفر ؛ لأن من سياسة الشيطان التدرج ، فهو يتدرج بالإنسان باليسير إلى ما فوقه حتى ينتهي به إلى الكفر فإن غاية الشيطان هو أن يسلخ الإنسان من دينه ويخرجه من دينه ، هذه هي غايته وغاية أتباعه ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ .

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن القصد .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية ، وهي النهي عن الغلو ، ومعرفة ما يؤول إليه .

الشرح :

التاسعة : الشيطان يعرف ، عنده الخبرة فيما يكون سببا في الإضلال وإفساد القلوب (معرفة الشيطان لما تؤول إليه البدع) فهو يُحسن البدع ؛ لأن المبتدع يأتي البدعة وهو يراها حسنة ، يرى أنه يتقرب إلى الله بهذا العمل أو بهذا

القول ، فلا يكاد يتوب ، ولا يكاد يرجع إلا أن يتداركه الله برحمة منه فيوفقه ويبصره ويهيئ له الأسباب التي يميز بها بين الحق والباطل .

العاشرة : المقصود أن هذه تستفاد من القصة ومن سائر نصوص الباب (النهي عن الغلو) قاعدة شرعية تحريم الغلو ، فالغلو حرام في الشرع ، فهذه قاعدة كلية ، والغلو يؤول إلى الفساد ويؤول إلى الضلال ، وينتهي إلى الكفر ، يؤول إلى الكفر كما آل الأمر بقوم نوح ، آل الأمر لما غلو في الصالحين ، آل بهم غلوهم في الصالحين إلى أن عبدوهم من دون الله ، وهكذا جرى لأتباعهم ومن جاء بعدهم ممن ضللهم الشيطان كما ضلل من قبلهم ، يقولون : ﴿ **إنا وجنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعصمنا من الغلو في الدين ، وأن يلزم نا الحق المبين ، وأن يبصرنا بالحق والباطل فنؤثر الحق على الباطل ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبسا علينا فنتبع الهوى .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله .

الحادية عشر : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .

الثانية عشر : معرفة النهي عن التماثيل ، والحكمة في إزالتها .

الثالثة عشر : معرفة عظم شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .

الشرح :

الحادية عشر : مضرة العكوف على القبر ولو لعمل صالح ، العكوف والإقامة واللبث عند القبور من أجل ال عبادة عندها تذكرا لأصحابها وتبركا بتربتها ، وسيلة من وسائل الشرك ، هذه مضرة ، العكوف عند القبور وسيلة لعبادة أصحاب القبور ، كما وقع لقوم نوح ، عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، فطال عليهم الأمد فعبدوهم .

الثانية عشر : هذه كالتي قبلها ، (معرفة النهي عن التماثيل ، والحكمة في إزالتها) ، تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن التصوير ، واستعمال الصور ، ونصب التماثيل في البيوت وخارج البيوت ، وجاء الوعيد في ذلك ، ((إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله)) ، ثبت أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لعن الله المصورين)) ، ومن فوائد هذه القصة ، أي قصة قوم نوح ، وما فعلوه بصالحيهم ، فيه دليل على مفسدة التصوير ، وأن تصوير الصالحين من أسباب حدوث الشرك ، بل التصوير في حد ذاته ، هو نوع من الشرك ، فيه مضاهاة ، ((يضاهون بخلق الله)) ، ولهذا جاء الأمر بإزالتها ، كما جاء النهي عن التصوير واستعمال الصور ، جاء الأمر بإزالتها ، بتكسير الأصنام ، وبطمس الصور ، وبهدم ما بني على القبور ، كما جاء في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه ، أنه قال لأبن الهياج الأسدي : أنا أبعث على ما بعثني عليه ....

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته . فهاتان فتنتان ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل ، فالعكوف على

القبور ، ونصب التماثيل هما س بب حدوث الشرك في العالم ، وهما سبب حدوث الشرك عبر التاريخ إلى اليوم .

الثالثة عشر : (معرفة عظم شأن هذه القصة) قصة قوم نوح ، قصة أولئك الخمسة الصالحين من قوم نوح ، وما فعله قومهم ، من تصوير صورهم ، ونصب تماثيلهم في مجالسهم ، معرفة هذه القصة ، (وشدة الحاجة إليها) الحاجة ماسة إلى معرفة سبب حدوث الشرك لماذا ؟ ، لنحذر هذا السبب إذا عرفت السبب المؤدي إلى الشر والفساد ، كان ذلك مقتضيا لتجنبه ، لاجتنابه (وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها) أكثر الناس لا يعرفون خطر الغلو في الصالحين ، لا يعرفون هذه القصة ، قصة أولئك الخمسة من قوم نوح ن وقصة قوم نوح ، مع الغفلة عنها ، فينبغي للمسلم أن يعرف الشرك ، وأسبابه المفضية إليه ، ليتجنب الأسباب المفضية إلى الشرك إتقاء له ، وإتقاء لأسبابه .

الرابعة عشر : وهي أعجب وأعجب ، قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو افضل العبادات ،

واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه ، فهو الكفر المبيح للدم والمال .
الخامسة عشر : التصريح أنهم لا يريدون إلا الشفاعة .
السادسة عشر : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .

الشرح :

هذه المسالة وهي الرابعة عشر ، يقول الشيخ : (وهي أعجب وأعجب) أعجب مما تقدم ، وهي قراءة أولئك القبوريين الذين يعكفون عند القبور ، ويتخذون أعيادا ، ويبنون عليها المساجد والقباب ، ويقصدونها للصلاة عندها ، ونحر القرابين لها ، يق رءون هذه القصة ، يعني العلماء منهم يقرءون هذه القصة (في كتب التفسير والحديث) حديث البخاري وغيرها ، كتب التفسير ، ويعرفون (معنى الكلام) هذه قصة واضحة الدلالة ، وأن شرك قوم نوح إنما كان بعبادة الصالحين ، أن شرك قوم نوح إنما كان سببه الغلو في الصالحين ، بالعكوف أولا ، وبنصب التماثيل لهم ، ويفهمون معنى الكلام ، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب العجاب ، يعني مع قراءتهم (حال الله بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو افضل العبادات) أن فعل قوم نوح ، وهو عبادة الصالحين دعاءهم الاستغاثة بهم ، أ نه أفضل العبادات ، هؤلاء العلماء يقرءون هذه القصة ويفهمون معنى الكلام ، ومع ذلك اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات ، إذا يعلم من هذا أنه قد حيل بينهم وبين قلوبهم ، هذا واضح إلى هنا واضح ، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات ، يقول

....

: (واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه ، فهو الكفر المبيح للدم والمال)
نسأل هل هذا اعتقاد صحيح ؟ يعني أن ما نهى الله ورسوله عنه من الشرك ، هو الكفر المبيح للدم والمال ؟ صحيح ؟ ، وهذا لا يناسب ا لكلام ولا يناسب السياق ؛ لأن الحديث عن الذين اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، إذًا يلزم أن يعتقدوا أن التوحيد مناقض للحق ، وأنه باطل ، يعني ترك عبادة الصالحين هذا عندهم ، باطل ، بل التعلق بالصالحين هو أفضل العبادات ، إذا العبارة غير مستقيمة ، وأرى أن الصواب أن يقال : لعل الأصل ، واعتقدوا أن ما أمر الله به ورسوله ، يعني من التوحيد ، هو الكفر . يعني عكس ، جعلوا الشرك أفضل العبادات ، والتوحيد هو الكفر ، واعتقدوا أن ما أمر الله به ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال ، ومن هذا يحصل التقابل ، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو افضل العبادات ــ وفي المقابل ــ واعتقدوا أن ما أمر الله به ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال .

أو وهو أقرب إلى اللفظ ، واعتقدوا ما نهى الله ورسوله عنه وهو الكفر ، يعني اعتقدوا الشرك ، وهو الكفر المبيح للدم والمال ، فتكون العبارة (حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، واعتقدوا ما نهى الله ورسوله عنه) والحال أن ما نهى الله ورسوله عنه (هو الكفر المبيح للدم والمال) ، أما باللفظ الموجود عندكم فلا يستقيم ، بل يكون الكلام ، متناقضا .

واعتقدوا ما نهى الله ورسوله عنه ، وهو الكفر ، اعتقدو ه ، ما الذي نهى الله ورسوله عنه ؟ الشرك ، فكأنه قال : (حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو افضل العبادات ، واعتقدوا الشرك ، أو فاعتقدوا الشرك) يعني صار الشرك لهم عقيدة وهو أي الشرك أو ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم

....

والمال . أعد قراءة المسألة بالتصويب ، المسألة الرابعة عشر : (حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح افضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه ، وهو الكفر المبيح للدم والمال) هذه ما أقرب ما يكون عندي من التصويب .

الخامسة عشر : (التصريح بأنهم لا يريدون إلا الشفاعة) هذا ما ورد في اللفظ الذي ذكره الشيخ ، ولكن كأنه استنباط مما جاء في بعض ألفاظ القصة ، وأن الشيطان جاء على الجيل الثاني أو الأجيال المتأخرة ، وأوحى إليها أن هذه التماثيل إنما يستسقى بها ، يستنزل بها ال مطر ، ويستشفع بها في قضاء الحوائج ، وإلا لم يأتي في اللفظ الذي بين أيدكم التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة ، ما هو موجود .

السادسة عشر : ظن الجيل المتأخر (أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك) يعني أرادوا شفاعتهم ، ومعلوم أن الأولين إنما صوروا صور أ ولئك الصالحين ليتذكروا سيرهم ، ويكونوا حاضرين بتماثيلهم أمام أبصارهم .

السابعة عشر : البيان العظيم في قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)) فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .

الثامنة عشر : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشر : التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسِيَ العلم ، ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

الشرح :

السابعة عشر : من فوائد هذا الباب ، ما تضمنه حديث عمر رضي الله عنه من البيان العظيم الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)) ، هذا نهي يتضمن تحريم الإطراء ، وأن إطراء النبي صلى الله عليه وسلم بالغلو في مدحه ، أنه حرام منهي عنه ، وهو وسيلة قريبة من الشرك ، فكيف بإطراء من دونه ؟ ، يقول الشيخ : (فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين) ، صلى الله عليه وسلم ، بلغ البلاغ المبين ، دعا إلى الله وإلى توحيده ، وحذر من الشرك ووسائله ، حذر عن ذلك أبلغ تحذير ، ففي قوله : ((لا تطروني)) بيان شافي في تحريم الإطراء والمبالغة في المدح .

الثامنة عشر : يقول : من فوائد هذا الباب (نصيحته) صلى الله عليه وسلم ، (إيانا بهلاك المتنطعين) ، وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : ((هلك المتنطعون)) هذا تحذير لنا ، عن التنطع ، ليس هو دعاء فقط على المتنطعين

، وهو إخبار عنهم ، بل في هذا نصيحة لنا ، وتحذير لنا عن التنطع ، نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .

....

التاسعة عشر : رجع إلى المسألة الأولى ، هذه المسالة لو رجعت إلى المسائل الأولى المتعلقة بالقصة كان أولى ، من فوائد هذه القصة ، قصة قوم نوح ، من فوائدها أن هذه التما ثيل لم تعبد حتى نسي العلم ، ومات العلماء ، فلما هلك أولئك ، ونُسِيَ العلم عُبِدتْ ، ففي هذا بيان فضل وجود العلم ، وأهمية نشر العلم ، ومضرة فقد العلم ، فنشر العلم ، ووجود العلم يمنع من الوقوع في حبائل الشيطان ، وخدع الشيطان ، وفقد العلم يؤدي إلى الاستجابة ل دعوة الشيطان ، الإنسان الذي ليس له بصيرة يلقي الشيطان في قلبه وساوس ، شبهات ، تزين شهوات ، فمن لا علم عنده يقبل الشبهات ، ويستجيب للشهوات بداعي الهوى ، أما من أوتي العلم ، فإنه يدرك خطر هذا وهذا ، فإذا وفق رد الشبهات ، ولم ينسق وراء الشهوات .

العشرون : هذه فائدة ، وهي من أعظم أسباب فقد العلم موت العلماء ، يدل لذلك ما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبض العلم بموت العلماء)) أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، ففي هذه القصة شاهد لهذا المع نى ، أن سبب فقد العلم موت العلماء ، هذا يشهد به الواقع .

٢٠ ــ باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟ !

الشرح :

يقول الشيخ ، رحمه الله ، (باب ما جاء من التغليظ) يعني باب ما ورد من الأدلة من السنة الدالة على التشديد في من عبد الله عند قبر رجل صالح ، ما جاء من الوعيد الشديد ، في حق من ؟ في حق من عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف إذا عبده ؟ ، إذا كان من عبد الله عند قبر رجل صالح يعد من شرار الحق ، وتحق عليه لعنة الله ، فكيف إذا عبده ؟ ، وهذا هو التغليظ ، التغليظ بالوعيد الشديد على من عبد الله عند قبر رجل صالح ، عبد الله عند القبر فقط ، فعبادة الله عند القبور وسيلة قريبة من الشرك الأكبر ، وقد ورد الوعيد الشديد على من اتخذ القبور مساجد ، يصلي عندها ، ويصلي فيها ، أي في تلك المساجد ، يصلي عند القبور ولو لم يتخذ مسجدا ، أو أ ن يبني مسجدا يقول الشيخ : فكيف إذا عبده ؟ ! ، الأمر اشد وأغلظ

ففي (الصحيحين) عن عائشة ، رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنيسة رأتها بأرض بالحبشة وما فيها من الصور ، فقال : ((أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ــ أو العبد الصالح ــ بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله)) .
فهؤلاء جمعوا بين فتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

الشرح :

هذا الحديث فيه (عن عائشة ، رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم) في أصل الحديث أن أم حبيبة ، وأم سلمة ، ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بأرض بالحبشة وذكرتا من حسنها ، ومن تصاوير فيها ؛ لأن كلا من أم حبيبة ، وأم سلمة ، وهما من أمهات المؤمنين ، من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، كلا منهما ممن هاجر إلى الحبشة في أيام محنة المسلمين بمكة ، وإيذاء المشركون لهم ، هاجر من هاجر منهم إلى الحبشة .

ذكرت (كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور) ، يعني وذكرت ما فيها من الصور ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((أولئكِ)) والخطاب للمؤنث بكسر الكاف ، ((أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح ــ أو العبد الصالح ــ))

شك من الراوي ، والمعنى لا يختلف ، ((إذا مات فيهم الرجل الصالح ــ أو العبد الصالح ــ بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئكِ شرار الخلق عند الله)) ، ففي هذا أن من عادة النصارى بناء المساجد على قبور صالحيهم ، ومن عادتهم تمثيل صالحيهم ، ووضع تلك التماثيل في تلك المعابد ، ((إذا مات فيهم الرجل الصالح ــ أو العبد الصالح ــ بنوا على قبره

....

مسجدا)) يبنون عليه كنيسة ؛ لأن الكنيسة هي معبد النصارى ، ثم قال علي ه الصلاة والسلام ((أولئكِ شرار الخلق عند الله)) يعني هؤلاء شرار الخلق ، ((أولئك شرار الخلق)) فعلم أن بناء المساجد عند القبور ، والصلاة عند القبور ، ونصب التماثيل للصالحين ، أنه من عادة النصارى ، فمن يفعل ذلك من المسلمين ، يكون مشابها للنصارى ، ومستحقا للذم والوعيد الذي ورد في حق من اتخذ القبور مساجد .

فيه تشبه بالنصارى ، أولئك الذين يبنون المساجد على القبور ، قبور صالحيهم أو من يدعى لهم الصلاح ، هؤلاء مع ما ورد في حقهم من الوعيد والذم ، صنيعهم هذا تشبه منهم بالنصارى .

(هؤلاء جمعوا بين فتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل) هذه العبارة لشيخ الإسلام ابن تيميه ؛ لأنه هو ذكر هذا في بعض كتبه مثل (اقتداء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) ، يقول رحمه الله : (هؤلاء) يعني الذين بنوا على قبور صالحيهم المساجد ، وصوروا تماثيلهم ، (جمعوا بين فتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل) ، فتنة القبور بالبناء عليها ، والعكوف عندها ، وفتنة التماثيل التي فيها مخالفة لشرع الله ن وفيها الغلو لأولئك المصورين ،

وهي وسيلة قريبة إلى الشرك بهم ، فهؤلاء الذين ورد ذكرهم في هذا الحديث ، وذمهم ، وتوعدهم هؤلاء جمعوا بين الفتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل ، وهما فتنتان عظيمتان ، عمت البلوى بهما قديما وحديثا ، كما سبقت الإشارة أن العالم الإسلامي قد طغى فيه هذا المرض ، واستفحل ، وصار كثيرا من المسلمين ، يتدينون ، ويتعبدون بقصد القبور ، والعكوف عندها ، والصلاة عندها ، والذبح عندها ، والطواف حولها ، فتنة عظيمة .

ولهما عنها قالت : ((لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا أغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : ((لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ، يحذر ما صنعوا ، لولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدا . أخرجاه .

الشرح :

يقول الشيخ : (ولهما) أي للبخاري ومسلم ، وإذا قال : (لهما) فإنه يغني عن قوله في آخر السياق أخرجاه ، (ولهما عن عائشة رضي الله عنها أيضا ، قالت : ((لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم)) يعني نزل به الموت أو نزل به ملك الموت ، فهو فعل مبني للمجهول ، نُزِلَ برسول الله ، ((طفق يطرح خميصة له على وجهه)) الخميصة كساء معلم ، يعني فيه أعلام ، يعني خطوط ، خميصة ، طفق أي شرع ، ﴿ **وطفقا يخسفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ ، فطفق يقول النحاة : أنه من أفعال الشروع ، مثل أخذ يتكلم ، وأنشأ يتكلم ، وجعل يتكلم ، وطفق يتكلم ، أي شرع ، فهي من أفعال الشروع ، ((طفق يطرح خميصة له على وجهه)) وذلك لشدة ما يجد صلى الله عليه

وسلم ، فيجعل الخميصة على وجهه ، فإذا أغتم وضاق عليه نفسه كشفها ، ((فإذا أغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك)) يعني في حال السياق ، في حال الموت ، يعني روحه على وشك أن تفيض صلى الله عليه وسلم ، ((فقال وهو كذلك : ((لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) لعنة الله هذا لعن من الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود والنصارى ، إذا قال قائل : لعنة الله عليك يا فلان ، فهذا دعاء عليه بالطرد والإبعاد عن رحمة الله ، فقوله عليه الصلاة والسلام : ((لعنة الله على اليهود والنصارى)) فهذا

....

دعاء عليهم بالطرد والإبعاد عن رحمة ا لله ، وعلل ذلك بقوله ، يعني ما هو الموجب للعنهم في هذا المقام ؟ : ((اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ؛ لأنه قال ، اتصل الكلام ((لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) فاتخاذهم لقبور أنبيائهم مساجد هو من موجبات اللعن ، وقد يجتمع في الشخص الواحد عدد من موجبات اللعن ، فاليهود عندهم شر مستطير ، وكذلك النصارى ، وعندهم من أسباب حلول لعنة الله عليهم ، عندهم شيء كثير ، وهذا منه ، هذا مما يوجب لعنة الله ، اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد .

((فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أ نبيائهم مساجد)) وهذا تعليل للعنته لهم ، لماذا لعنهم ؟ لماذا ؟ الواجب بديهي ، لعنهم لاتخاذهم القبور مساجد ، يقول : ((لعن الله على اليهود والنصارى اتخذوا)) فكأنه قال : لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

لماذا الرسول قالها في هذا الموقف بالذات ؟ أولا : أن الرسول لم يزل يدعو ويبلغ أمته وينصح لهم إلى آخر رمق ، وهو في السياق يحذر أمته ، من أن

يفعلوا فعل الأمم الماضية ، يحذر ما صنعوا ، الظاهر أن الكلام لعائشة ، ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) هذا هو التعليل ، (يحذر ما صنعوا) ، هذا من كلام عائشة رضي الله عنها ، فهو من الكلام المدرج ، (يحذر ما صنعوا) ، يعني الرسول قال ذلك تحذيرا لأمته أن تصنع ما صنع أولئك ، (يحذر ما صنعوا) ، يحذر أمته أن تصنع كما صنعت اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم ، قالت : (لولا ذلك) لولا الخوف من اتخاذ قبورهم مساجد ، (لأبرز قبره) فدفن صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة في المكان الذي مات فيه ، وقد صح عن النبي عليه الصلاة

....

والسلام أنه قال : ((الأنبياء يدفنون حيث ماتوا)) فعائشة قال هذا في ظنها ، أنه لو لا الخوف من قصد قبره للصلاة عنده لأبرز قبره ، ولكنه (خُشي) أي خشي الصحابة ، (ولولا ذلك لأبرز قبره) أبرز قبره بماذا ؟ بأن يدفن ، في البقيع مع عموم المسلمين ، (ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي) أي خشي الصحابة أن (يتخذ قبره مسجدا) ، ويحتمل أن يكون خَشِيَ ، (لولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن خشي النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ قبره مسجدا ، وفي هذا الحديث دلالة على كمال نصحه صلى الله عليه وسلم لأمته ، وعلى استمراره في دعوته إلى آخر رمق ، وفيه دلالة على تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، فيه دلالة على أنه من كبائر الذنوب ، وذلك للعن من فعله .

وقولها : (ولولا ذلك لأبرز قبره) يبدو أنه في ظنها ، في ظنها أنه لولا ما يخاف منه من أن يتخذ قبره مسجدا لأبرز قبره .

قولها هذا بحسب ظنها ، وإلا فالأنبياء يدفنون حيث ماتوا .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بخمس ، وهو يقول : ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلا ، كما أتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذ من أمتي خليلا ، لأتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك)) .

فقد نهى عنه في آخر حياته ، ثم إنه لعن ــ وهو في السياق ــ من فعله ، والصلاة عندها من ذلك ، وأن لم يبن مسجد ، وهو معنى قولها : خُشي أن يتخذ مسجدا ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا ، وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)) .

الشرح :

الحمد لله ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ، ومن أهتدى بهداه ، أما بعد :

فيقول الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله : في باب ما جاء من التغليظ في فمن عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف بمن عبده ؟ ! ، يقول : ــ وهذا هو الحديث الثالث ــ ، يقول : (ولمسلم) في صحيحه ، (عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم) يقول قبل أن يموت صلى الله عليه وسلم ، (قبل موته بخمس) أي بخمس ليال ، في آخر حياته عليه الصلاة والسلام ، يقول في آخر حياته قبل أن يموت

....

بخمس ليال ، قد أوشك فارقه للدنيا ، (يقول : ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل) إني أبرأ إلى الله يعني امتنع أن يكون لي منكم خليل ، لا أقبل أن يكون لي منكم خليل ، وأفر إلى الله من ذلك ، فهو أمر لا يجوز لا يحل له صلى الله عليه وسلم ، أن يكون له من أمته خليل ، ولماذا ؟ ، وقبل هذا الخلة هي أكمل المحبة ، الخلة هي أعلى درجات المحبة ، فهل الرسول لا يحب أحدا من أمته ؟ لا ، يحب كل المؤمنين ، ويحب خواص من أصحابه ، يحب أصحابه كلهم ، ويخص خواص منهم بمحبته ، قيل له صلى الله عليه وس لم : من أحب الناس إليك ؟ ، قال : ((عائشة)) ، قيل : فمن الرجال ، قال : ((أبوها)) ، وقال في علي رضي الله عنه : ((يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله)) ، إذًا فكل المؤمنين أحبابه صلى الله عليه وسلم ، يحبهم ، لكن هل

له منهم خليل ؟ لا ، هذا لا يكون ، لما ذا ؟ قال عليه الصلاة والسلام معللا امتناعه أن يكون له من أمته خليل : ((فإن الله قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا)) فهذا الحديث نص في أن الرسول صلى الله عليه وسلم خليل الله ، كما أن إبراهيم خليل الله ، ولهذا محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر النبيين والمرسلين يعرفان بالخليلين ، الخليلان من هما ؟ خليلا الله إبراهيم ومحمد ، أما إبراهيم فقد نطق القرآن في شأنه بهذه المنزلة العظيمة ، الخلة ، وذلك في قوله : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلا** ﴾ ، فالخليل هو المحبوب ، المحبة الكاملة ، فلإبراهيم من مح بة الله منزلة الخلة ، وكما دل القرآن على هذه الفضيلة لإبراهيم ، فقد دلت السنة الصحيحة على ثبوت ذلك لنبينا عليه الصلاة والسلام .

وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ، فلابد أن تكون خلته أو ما ....

له من الخلة مثل أو أعلى ما لإبراهيم ، عليهما الصلاة والسلام .

((فإن الله قد اتخذني خليل ، كما أتخذ إبراهيم خليلا)) ، إذًا الرسول ليس له من أمته خليل ، لم يتخذ أحدا منهم خليلا .

وبعض الجهال يقول : إن إبراهيم خليل الله ، ومحمد حبيب الله ، ويرون في ذلك أحاديث ضعيفة ، ((إبراهيم خليل الله ، وأنا خليل الله)) كما يروى ، وهذا ضعيف ، الرواية سندا ومتنا ، فالمحبة هذه حاصلة لكل المؤمنين ، فالله تعالى يقول : ﴿ **إن الله يحب التوابين** ﴾ ، ﴿ **ويحب المتطهرين** ﴾ ، ﴿ **ويحب الصابرين** ﴾ ، ﴿ **ويحب المقسطين** ﴾ ، ﴿ **ويحب المتقين** ﴾ ، كل هذا في القرآن .

إذًا فليس في وصف النبي بأنه حبيب الله ، التخصيص ، ولهذا يقول الذين تغلغل هذا المعنى في نفوسهم ، يعبرون عن الرسول بالحبيب ، الحبيب ، حبيب يعني حبيبك تقصد ؟ أم تريد أنه حبيب الله ؟ ، قل : خليل الله ، محمد عبد الله ورسوله ، وخليله ، وأمينه على وحيه ، صلى الله عليه وسلم . وإذا كان هو خليل الله ن فهو حبيب الله ؛ لأن كل خليل هو حبيب ؛ لأن الخلة أخص من المحبة ، الخلة أخص ، فكل خليل حبيب ، وليس كل حبيب خليل . ويقول العلماء في مثل هذا المقام أن الخُلة سميت خُلة ؛ لأنها تخلل القلب ، وتخلل مسالك القلب ، مستشهد بقول الشاعر :

قــد تــخللت مســلك الروح منــي

ولــذا سمــي الخليــل خــليــلا

هذا تصوير لمحبة المخلوق ، والخلة التي تكون ، يعني هذا اللام يختص بالمخلوق ، قد تخللت مسلك الروح مني ، ولذا سمي الخليل خليلا ، هذه ناحية

....

لغوية ، وأصل هذا التعبير .

يقول عليه الصلاة والسلام في نفس الحديث موصول ، يقول : ((ولو)) لو هذا سبيل الفرض والتقدير ، ((لو كنت متخذ من أمتي خليلا)) وفي بعض الألفاظ ((لو كنت متخذ من أهل الأرض خليلا)) ، ((لأتخذت أبا بكر خليلا)) وفي بعض الروايات ، ((ولكن صاحبكم خليل الله)) ، ((لو كنت متخذ من أمتي خليلا لاتخذت أبي بكر خليلا)) ولكن قد تقدم براءته من ذلك ((أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل)) وفي هذا فضيلة لأبي بكر ، ويدل على أن أبا بكر هو أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن كان

أحب إلى النبي عليه الصلاة والسلام فهو أحب إلى الله ، فأبو بكر هو صديق هذه الأمة ، وهو أفضل الأمة بعد نبيها ، فهو أحب إلى الله من سائر الأم ة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا كما سيأتي في المسائل فيه الرد على الرافضة الطائفة المخذولة الخبيثة ، شر طوائف الأمة الرافضة ، الذين من مذهبهم البغيض الخبيث ، من مذهبهم بغض أبي بكر وعمر وسائر الصحابة ، وسبهم ولعنهم ، ونسبتهم إلى الظلم والفسق أو الكف ر ، هذا الذي يقول فيه الرسول عليه الصلاة والسلام : ((لو كنت متخذ من أمتي خليل ، لاتخذت أبا بكر خليلا)) هذا عند الرافضة ، هذا العدو بزعمهم أنه عدو للرسول ، بزعمهم الخبيث أنه عدو للرسول ، وأنه منافق ، قبحهم الله البغضاء ، ولكنهم يكتمون العفن ، عفنهم يكتمونه ، فإن من أصولهم التقية ، التقية معناها التستر على ما عندهم ، من زغل ودخل ، وقد استدل العلماء بهذا الحديث ، استدلوا به على أن أبا بكر هو الخليفة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فمن كان أحب إليه هو أولى بالأمر من بعده .

....

وفي هذا الحديث أيضا الرد على الجهمية المعطلة نفاة الصفات ؛ لأن في هذا الحديث إثبات المحبة لله ، وصف الله تعالى بالمحبة ، وأنه يحب ، فمعنى خليل الله يعني المحبوب لله أكمل محبة ، والحديث يدل سياقه على أن الله خليل عبده ورسوله ، فمحمد خليل الله ، والله خليله ، يدل لذلك قوله : ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا)) ، وهذا يقتضي أن يكون الله له خليلا .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا وإن من كان قبلكم)) من أهل الكتاب ، وهذا هو الظاهر ، ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد)) هذا يتفق مع الحديث المتقدم ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم و صالحيهم مساجد ،)) ألا أداة استفتاح ، ((ألا فلا تتخذوا القبور مساجد)) هذا نهي ، لا تتخذوا خطاب لأمة ، يحذرهم فيه صلى الله عليه وسلم من أن يسلكوا مسلك الأمم قبلهم ((ألا فلا تتخذوا القبور مساجد)) لا قبره الشريف صلى الله عليه وسلم ، ولا قبر غيره ، القبور تشمل قبره ، وقبر غيره ، ولكن قبره يدخل في ذلك دخولا أوليا ؛ لأنه قال ذلك بعد قوله : ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد)) لم يكن هذا على سبيل المدح لهم ، بل سيق مساق الذم بدليل أنه قال بعدها ، ((ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك)) هذا تأكيد ، هذا يزيد الأمر شدة ((فإني أنهاكم عن ذلك)) يعني خبر مؤكد ، يعني هذه يؤكد النهي الذي قبله ، لم يكتفي ألا ، بل قوله ألا هذا فيه تنبيه ، كأنه يستحضر أذهان المخاطبين ((ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، ....

فإني أنهاكم عن ذلك)) ، صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ ، رحمه الله ــ ولعل هذا الكلام منقول من كلام شيخ الإسلام ابن تيميه ــ : (فقد نهى) صلى الله عليه وسلم (عن ذلك) أي عن اتخاذ القبور مساجد (في آخر حياته) في حياته فلم يزل ينهى صلى الله عليه وسلم عن

اتخاذ القبور مساجد ، ثم نهى عنه مرة أخرى قبل أن يموت بخمس ، كما في الحديث المتقدم .

(ثم لعن من فعل ذلك وهو في سياق الموت) ، إذًا هذا يدل على خطورة الأمر ، وعلى غلظ تحريم هذا الفعل ، وهذا الصنيع ، هذا فيه تغلي ظ ، نهى عنه في حياته ، ثم نهى عنه قبل أن يموت بخمس في خطبة ، ثم لعن من فعل ذلك وهو في سياق الموت ، صلى الله عليه وسلم .

يقول الشيخ : (والصلاة عندها من ذلك) الصلاة عند القبور ، هو من اتخاذها مساجد ، إذًا اتخاذ القبور مساجد يكون بأمرين ، ببناء المسجد عليه ا ، بالصلاة عندها ، (والصلاة عندها من ذلك) (وأن لم يبن مسجد) من صلى عند قبر ، أو صلى في المقبرة فقد اتخاذها مسجدا ، وإن لم يبن عليها مسجد ، وهذا (معنى قول عائشة رضي الله عنها : لولا ذلك لأبرز قبره ، إلا أنه خُشي أن يتخذ مسجدا) خشي الصحابة أن يتخذ ق بره صلى الله عليه وسلم مسجدا ، فإنهم رضي الله عنهم ، لم يكونوا ليبنوا عند قبره ، أو على قبره مسجدا ، لكن الذي يخشى أن يكون من بعض الناس ، ارتياد لقبر الرسول من أجل الصلاة عنده ، هذا هو الذي خشي ، خشي أن يصلى عنده ، لا أن يبنى عليه مسجد ، فغن هذا لا يكون ، لا يكون ؛ لأن الصحابة لن يكونوا ليفعلوا ذلك ؛ لأنهم أبعد الناس .

....

(كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا))) ، فمن صلى عند قبره فقد اتخذه

مسجدا ، هذا كله يؤكد أن اتخاذ القبور مساجد ، لا يختص ببناء المساجد عليها ، بل يشمل ذلك والصلاة عندها .

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا : ((إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد)) رواه أبو حاتم ابن حبان في (صحيحه) .

الشرح :

هذا هو الحديث الأخير في هذا الباب ، (عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا) أي إلى الرسول ، هذه عبارة معروفة عند المحدثين ، هذه تدل على أن الحديث منسوب إلى الرسول ، لو قال ابن مسعود : إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد ، قلنا هذا الكلام موقوف على الصحابي ، لكن إذا قال هو : قاله رسول الله ، أو سمعت رسول الله ، أو ما أشبه ذلك ، فهذا رفع الحديث ، رفعه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهذا مرفوع ، فالمرفوع هو المنسوب على النبي صلى الله عليه وسلم ، ((إن من شرار الناس)) من شرار ، شرار جمع شر ، وشر بمعنى أشر ، فكأنه قال : إن من أشر الناس ، ((من تدركهم الساعة وهم أحياء)) تدركهم الساعة يقول العلماء : يعني مقدماتها ؛ لأن الساعة هي القيامة التي هي قيام الناس من قبورهم ، وهذا متى يكون ؟ ، متى تقوم الساعة ؟ بمعنى البعث ، ﴿ **ويوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ﴾ هذه تكون متى ؟ إذا مات الناس كلهم ، إذا ماتوا كلهم ، إذًا الساعة هي النفخة الثانية ، ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض** ﴾ هذه مقدمة لقيام القيامة ، صعق انتهوا ماتوا ﴿ **ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة** ﴾ .

والشاهد من الحديث قوله : ((والذين يتخذون القبور مساجد)) من شرار الناس ، هذا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة الأول ، لما ....

ذكرت له الكنيسة التي في أرض الحبشة ، لما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة ما رأتاه من الكنيسة ، وما فيها من حسن وتصاوير ، قال لهم : ((أولئك إذا مات فيه الرجل الصالح ــ أو العبد الصالح ــ بنوا على قبره مسجدا ، أولئك شرار الخلق)) ، إذًا فهو كلام متطابق ، هذا الحديث الأخير في هذا الباب مع الحديث الأول ، فكلهما يدل على أن من يتخذ القبور مساجد أنهم من شرار الخلق ، من شرار الناس ، ((أولئك شرار الخلق عند الله)) أما من تدركهم الساعة وهم أحياء فهم المشركون ، اتخاذ القبور مساجد ، تقدم انه وسيلة من وسائل الشرك ، والساعة تقوم على من تقوم ؟ تقوم على المشركين ، فإنه كما جاء في الحديث الذي عند مسلم أنه إذا قبضت أرواح المؤمنين ، بقي شرار الناس في الأرض ، بقي شرار الناس فيأتيهم الشيطان ويدعوهم على عبادة الأوثان فيقبلون على ذلك ، حتى لا يكون في الأرض من يقول الله ، الله ، فعليهم تقوم الساعة .

بهذا ينتهي نصوص الباب ، بهذا الحديث ، اشتمل الباب على أربعة أحاديث حديثين لعائشة ، وحديث أبي جندب ، وحديث ابن مسعود ، رضي الله عنهم جميعا .

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسو ل فيمن بني مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل .
الثانية : النهي عن التماثيل ، وغلظ الأمر في ذلك .
الثالثة : العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك كيف بين لهم هذا أولا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم .

الشرح :

الفائدة الأولى ، والمسألة الأولى : (ما ذكر الرسول) من الذم والوعيد والنهي الشديد فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح من نبي أو غير نبي ، وماذا ذكر الرسول ؟ ذكر ما تقدم من قوله : ((أولئك شرار الخلق)) ، ولعن من اتخذ قبور أنبيائهم مساجد ، والنهي المؤكد على ((ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)) . (ما ذكر الرسول) صلى الله عليه وسلم (فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح) فقد ثبت الذم والوعيد لمن فعل ذلك ، (ولو صحت نية الفاعل) يعني مجرد النية ما تصح ، يعني أهل البدع يريدون التقرب لله ، حتى والعياذ بالله المشركون الذي يتخذون الوسائط يقولون : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ ، فحسن نية الفاعل لا تبرر الفعل ، ولا تجعل الفعل شرعي ، ولا مرضي ، نيتهم زينة هذا شيء آخر ، قد تنفعهم عند الله ، قد تنفعهم أو تكون عذر لهم ، الله حكيم ، لكنها لا تسوغ الفعل ، لا يصير الفعل شرعي بحسن نية فاعله ، ما هو باطل باطل ، البدعة بدعة ، والمعصية معصية ، ولو حسنت نية الفاعل ، فيجب أن توزن الحسنات بميزان الشرع ، لا بنوايا أهلها ، يعني إن كانت نيته زين يصبح فعله زين ، لا ، توزن الأفعال

....

بميزان الشرع لا باعتبار نية أصحابها ولا باعتبار أهواء الناس وآرائهم ، الميزان هو الشرع ، هو الذي يحكم به على الأفعال ، هو حق ولا باطل ؟ ، معروف ولا منكر ؟ ، ما هو المقياس ، رأي فلان ؟ ، لا ، الميزان هو شرع الله ، فما دل الشرع على أنه معروف فهو معروف ، وما دل الشرع على أنه منكر فهو منكر ، يجب أن يلاحظ هذا الأمر في الحكم على الأفعال ، ما يفعله الإنسان في نفسه أو ما يحكم به على أفعال غيره .

الثانية : (النهي عن التماثيل وغلظ النهي عن ذلك) أين نجد النهي عن التماثيل ؟ نجده في الحديث الأول ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ــ أو العبد الصالح ــ بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق)) .

إذًا هذا الذم الذي تضمنه ((أولئك شرار الخلق)) هذا الذم مرتب على الفعلين على بناء المساجد على القبور وعلى التماثيل ، فكل منهما منكر ، وكل منهما وسيلة إلى الشرك مقربة ، فيجب الحذر من الفتنتين : فتنة القبور وفتنة التماثيل

الثالثة : هذه مسألة واضحة ، وهي مبالغة النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من اتخاذ القبور مساجد ، فإنه بين لهم تحريم ذلك في حياته ثم نهاهم عن ذلك قبل أن يموت بخمس ، ثم لم يكتف بما تقدم بل لعن في السياق وهو في سياق الموت من فعل ذلك ، يعني من اتخذ قبور أنبيائهم مساجد ، لم يكتف الرسول بالنهي الأول والنهي الأخير قبل أن يموت بخمس بل لعن وهو في السياق ، وهو في سياق الموت لعن اليهود والنصارى ، وهذا له سر كما سيأتي .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .
الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .

الشرح :

(نهيه عن فعله عند قبره) أي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبر مسجدا ، نهيه عن فعل ذلك عند قبره أي نهيه عن الصلاة عند قبره ، وعلى بناء المسجد على قبره قبل أن يموت وقبل أن يوجد القبر ، من أين نأخذ هذا ؟ هل في نصوص الباب ما يتضمن ذلك ويدل عليه صراحة ؟ لا .. ليس في شئ من هذه الأحاديث ((لا تتخذوا قبري مسجدا)) لا ما في ، لكن لعنه اليهود والنصارى وهو في السياق له مناسبة ، وهو في السياق في سياق الموت على وشك أن يُدفن وأن يموت ، فيدفن فيوجد قبره عليه الصلاة والسلام ، فهو حذر من اتخاذ قبره مسجدا قبل أن يوجد القبر ، وذلك مستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) .

الخامسة : نعم اتخاذ القبور مساجد من سنن اليهود والنصارى ، فمن يفعل ذلك من هذه الأمة فقد تشبه باليهود والنصارى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((من تشبه بقوم فهو منهم)) فالذين يبنون المساجد على القبور ويقصدون الصلاة عند القبور ، هؤلاء والعياذ بالله عاصون لنبيهم ومتشبهون بأعدائهم ، عصوا نبيهم وفي هذا محادة لله ورسوله ، الله تعالى ينهى عن الشرك ويحذر منه في آيات كثيرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الشرك وينهى عن وسائله .

(أنه من سنن اليهود والنصارى) فالذي يفعله هو متشبه باليهود والنصارى فيلحقه من الوعيد الذي دل عليه حديث : ((من تشبه بقوم فهو منهم)) .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة : العلة في عدم إبراز قبره .

الشرح :

نعم (لعنه إياهم) هذه من الفوائد ، لعنته صلى الله عليه وسلم لعنه اليهود والنصارى على هذا الفعل ، مما يدل على أن اتخاذ قبر الأنبياء أو من دونهم مساجد ، أن ذلك من موجبات اللعنة .

إذً فهو من كبائر الذنوب ؛ لأن الكبيرة على أحسن ما قيل في تعريفها : إنه ما رتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة من لعن أو غضب ، نعوذ بالله .

السابعة : هذا يؤكد ويشرح ما تقدم أن مراد النبي من لعنه اليهود والنصارى في هذا الظرف ، وفي هذه الحال أن مراده من ذلك ، هو تحذره إيانا عن فعل ذلك في قبره ، يعني تحذيره أن نفعل في قبره فعل اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم ، كما تقدم أن نهيه تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين هو نهي لنا .

الثامنة : من فوائد هذا الباب بيان السبب في عدم إبراز قبره ، إشارة إلى قول عائشة رضي الله عنها : لولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا هذه هي العلة في عدم إبراز قبره ، ولا يلزم أن تق ول هي كل شيء ، لكن هذا من فوائد عدم إبراز قبره ، وإلا فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((إن الأنبياء يقبرون ــ أو يدفنون ــ حيث ماتوا)) فهذه سنته سبحانه وتعالى في أنبيائه .

التاسعة : في معنى اتخاذها مساجد .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مساج د ، وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الشرح :

التاسعة : هذا تقدم في كلام الشيخ في نفس الباب ، ما معنى اتخاذها مساجد ؟ معناه الصلاة عندها ، وبناء المسجد عليها ، كلا من الأمرين من اتخاذها مساجد .

المسألة العاشرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود آخر حديث ، قرن بين من اتخذ القبور مساجد ، وبين من تدركهم الساعة وهم أحياء ، وهم المشركون ، فجمع في هذا الحديث بين الذريعة إلى الشرك ، وهو اتخاذ القبور مساجد ، وخاتمة هذا الصنيع ونهايته ، ما نهاية اتخاذ القبور م ساجد ؟ يفضي إلى ما ؟ ، يفضي إلى الشرك ، فجمع بين ذريعة الشرك ، وخاتمته ، (قرن بين من اتخاذها ، وبين من تقوم عليه الساعة) ، فاتخاذها وسيلة ، والساعة تقوم على المشركين ، فجمع ، (فذكر الذريعة إلى الشرك) وهو اتخاذ القبور مساجد ، (قبل وقوعه) قبل وقوع الشرك ، (مع خاتمته) وهي الشرك ، يعني فقوله عليه الصلاة والسلام : ((إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد)) ، يعني هذا الكلام

تضمن الوسيلة والغاية ، الوسيلة إلى الشرك ، والغاية وهي الشرك ، حيث جمع بين من اتخذوا القبور مساجد ، ومن تدركهم الساعة وهم أحياء .

قال المؤلف ، رحمه الله تعالى :

الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس ، الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشر ك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد .

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

المسألة الحادية عشرة : فيما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته قبل أن يموت بخمس ، صلى الله عليه وسلم ، من قوله : ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذ من أمتي خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا)) فيما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته تلك الرد على الطائفتين الرافضة والجهمية .

الرافضة الذين يسبون أبا بكرا ويبغضونه ويفسقونه أو يكفرونه ، وهذه الطائفة مع الطائفة الأخرى الجهمية ، هما شر طوائف الأمة ، الرافضة

والجهمية المعطلة ، يقول الشيخ : (حتى أخرجهما بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة) يعني أخرجهما بعض العلماء من الأمة ، يعني أنهم كفار ، فأما الجهمية ، فكما قال ابن القيم في (الشافية الكافية) في الجهمية ، يقول :

ولقــد تقــلد كفــرهم خمســون فـــي
عــشــر من العــلماء فـــي البــلــدان

يعني جاء ونقل تكفير الجهمية عن خمسمائة من أهل العلم .

....

ولقــد حــكـــاه الــلئي الإمـــام
بــل حــكـــاه قــبــلــه الطــبــرانـــي

وأما الرافضة ، فغلاتهم كالنصراية ، والإسماعيلية هؤلاء الغلا ة ، ويسمون الباطنية ، يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيميه : هم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى .

وأما الإمامية الأثنى عشرية ، فأصولهم كفرية ، ولكن فيهم الجهال ، وفيم المتأول ، وإلا فأصولهم أيضا كفرية ، أقوالهم أيضا أقوال كفرية ، فإذا كان الأئمة قالوا : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

فالرافضة قد انتقلت إليهم أصول المعتزلة ، مضافة إلى أصولهم من سب الصحابة وتكفيرهم أو تفسيقهم ، والغلو في أهل البيت ، والقول بعصمة الأئمة ، يقولون بعصمة الأئمة ، يضاف إلى ذلك أن متأخريهم صاروا قبورية ، فهم أول من أحدث بناء المساجد على القبور في هذه الأمة ، هم الذين أحدثوا الشرك في هذه الأمة ، فهم بذلك مشركون ، يستغيثون بعلي ، وبالحسين ، وبالأئمة يستغيثون بهم ، ففيهم شرور الطوائف ، شرور الطوائف مجتمعة في

الرافضة ، فاعرفوا ولا تغتروا بخداعهم ، ولا صلح بيننا وبينهم ؛ لأنه في هذا العصر قامت دعوة اسمها دعوة التقريب ، وهي دعوة تخريب ، وهي دعوة تقوم على الخداع والمكر ، أيلتقي الحق والباطل ؟! ، يجتمعان يتقاربان ؟! ، لا يلتقي الشرك والتوحيد ، ولا احترام الصحابة وحب الصحابة وبغض الصحابة لا يجتمعان ، لا يجتمع البيان والوضوح والنفاق والمكر والخداع ، إذًا فلا تقارب أبدا ، دعوة التقريب دعوة فاشلة باطلة ، التقريب يكون بتراجعهم عن الباطل ودخولهم في الحق .

....

فهاتان الطائفان ، هذا هو الشاهد ، ففي خطبته صلى الله عليه وسلم فيها الرد على الطائفتان ؛ لأن الحديث ، كما تقدم ، فيه دلالة :

على أن أبا بكر هو أفضل الأمة ، وهذا هو وجه الرد بهذا الحديث على الرافضة .

وفي قوله : ((إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا)) فيه الدلالة على إثبات الخلة لله تعالى ، والمحبة ، يعني أنه يحب عباده المؤمنين ، وأن محبته تتفاضل فهو يحب أنبيائه ورسله أعظم من غيرهم ، وحبه للخليلين أعظم وأتم والجهمية ينكرون المحبة ، ينكرون صفات الله كلها ، ومنها المحبة ، فيقولون : أنه تعالى لا يُحِب ولا يُحَب . وهذا يناقض قول الله تعالى : ﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ ، وفي الحديث الصحيح : ((لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله)) .

(حدث الشرك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد) يعني في هذه الأمة .

الثانية عشرة : ما بلي به النبي صلى الله عليه وسلم من شدة النزع
الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلَّة .
الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .
الخامسة عشرة : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .
السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته .

الشرح :

الثانية عشرة : من فوائد الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام بشر ، يبتلي تعتريه الأمراض والالآم صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك رفع لدرجاته ، ومضاعفة لحسناته ، ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم حصل له شدة عند الموت ، بدليل قوله في حديث عائشة ، الحديث الثاني ، (لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه) من شدة ما يجد تارة يضع الخميصة على وجهه ، وتارة يكشفها ، (فإذا أغتم بها كشفها) ، ولهذا تقول فاطمة ، رضي الله عنها : وا كرب أباه . لما لاحظت من الشدة على

الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((لا كرب على أبيك اليوم)) صلى الله عليه وسلم . وهذه الشدة ليست هي شدة خروج الروح ، فإن روح المؤمن تسيل وتخرج كما تسيل القطرة من فم السقاء ، بيسر ، فكيف بالنبي عليه الصلاة والسلام ن هذا حصل له كرب بعد ما نزل به الموت ، كرب الآم ،وهكذا أوجاع ، لكن عند خروج روحه عليه الصلاة والسلام ، ماذا كان ؟ ، عائشة أم المؤمنين تروي لنا أنه وهي مسندته صلى الله عليه وسلم على صدرها ، تقول : مات بين سحري ونحري . صلى الله عليه وسلم تقول : وهو على ذلك ، دخل عليها أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك ، فأمده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ـــ يعني صار ينظر إليه

....

ـــ فقلت : ءأخذه لك ؟ ، فأشار أن نعم ، قالت : فأخذته وقومته وطيبته ثم دفعته إليه صلى الله عليه وسلم ، فاستن به ـــ فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب السواك ؛ لأنه طيب ، ويحب الطيب ، ويكره الروائح الكريهة ـــ تقول : فما رأيته أستن استنانا أحسن منه . أو كما قالت ، رضي الله عنها ، ثم بعد ذلك أشار بإصبعه اللهم في الرفيق الأعلى ثم قضى ، صلى الله عليه وسلم .

فما يحص للمسلم من الآم وأوجاع في حال المرض ، وعند نزول الموت به ، هذه تكون فيها خير له ، تكفير لسيئات المؤمن ، أما الرسول فنقول : فيها رفع لدرجاته ، ومضاعفة لحسناته ، على صبره صلى الله عليه وسلم ، وهو كما قلت في البداية بشر تعرض له هذه الأمور ، وفيها دلالة على بطلان من يزعم إلهية النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو بشر تعتليه المصائب والالآم كما تقدم .

الثالثة عشرة : من فوائد هذا الباب ، وعلى وجه الخصوص الحديث الثالث ، من فوائده (ما أكرم به عليه الصلاة والسلام من الخلَّة) ، وفي هذا خصوصية له وكرامة له من ربه ، أكرمه الله بالخلة ، فهو من أحب الخلق إلى الله ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو أحب الخلق إلى الله ، فهو أفضل الخلق ، وهو سيد ولد آدم ، صلى الله عليه وسلم .

الرابعة عشرة : (التصريح بأنها أعلى من المحبة) ، التصريح هذا مستفاد من الحديث مع غيره ، لا منه فقط ، فإذا جمعنا بين قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له : من أحب الناس إليك ؟ ، قال : ((عائشة)) ، قيل : من الرجال ، قال : ((أبوها)) ، هذا فيه التصريح بأن أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر ، فأثبت له ماذا ؟ المحبة ، ونفى عنه ، الخلة ، وأثبت الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين والمتطهرين والتوابين والمقسطين أثبت لهم المحبة ، وخص الخلة ب محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم، ففي هذه النصوص التصريح بأن الخلة أعلى من المحبة ، في مجموع هذه النصوص التصريح بأن الخلة أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : (التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة) نعم لقوله : ((لو كنت متخذ من أمتي خليل ، لاتخذت أبا بكر خليلا)) ولكن صاحبكم خليل الله ، صلى الله عليه وسلم .

السادسة عشرة : (الإشارة إلى خلافته) ؛ لأنه إذا كان أحب الناس إلى الرسول ، فهذا يقتضي أنه يكون أولى بالأمر من بعده ، وقد حصل ، ودل على ذلك أدلة كثيرة ، ولكن هذا منها ، هذا الحديث : ((لو كنت متخذ من

أمتي خليل ، لاتخذت أبا بكر خليلا)) ، هذا واحد من الأدلة الكثيرة التي استدل بها أهل السنة على خلافة أبي بكر ، وأن خلافة أبي بكر ، ثبت بالنص ، قيل : بالنص الجلي ، وقيل : بالنص الخفي والإشارة ، ثم إن الصحابة اتفقوا على ذلك ، فجمع الله قلوبهم على أبي بكر تحقيقا لحكم الله ، وتحقيقا لما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .،

٢١ ــ باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

الشرح :

هذا الباب الثالث من الأبواب التي نوه بها الشيخ في المسائل ، في مسائل الباب الذي قبل الماضي ، (باب ما جاء أم سبب كفر بني آدم هو تركهم دينهم والغلو في الصالحين) .

هنا يقول : (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا) قد يكون هذا مستفاد ، يعني في الجملة مما تقدم ، لكن الشيخ أراد أن يصرح به ، وأن يفرده بترجمة ، وأن يذكر له بعض الأدلة زيادة على ما سبق ، (باب ما جاء) يعني باب ذكر ما جاء من الأدلة ، على أن الغلو في قبور الصالحين ، بالعكوف عندها ، والصلاة عندها ، وتحري الدعاء عندها ، (يصيرها أوثنا) يصيرها آلهة تعبد من دون الله ن يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ، فالغلو في قبور الصالحين ، ببناء المساجد عليها ، وبإسراجها كما سيأتي ، وبالصلاة عندها ، وبتحري الدعاء عندها ، وبالعكوف عندها ، يفضي هذا كله أو بعضه ، يفضي إلى أن تصير هذه القبور معبودة من دون الله ، يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ، فيستغاث بالأموات ، ويلجأ إليهم في الشدائد كما يصنع القبوريون ، فيصير القبر باسم صاحبه وثانا معبودا من دون الله ، فالغلو في قبور الصالحين يفضي إلى الشرك الأكبر ، كما أفضى ذلك في قوم نوح ، كما أفضى غلو قوم نوح في أولئك الصالحين ، وفي قبورهم ، أفضى بهم إلى عبادتهم ، وعبادة صورهم .

روى مالك في (الموطأ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) .

الشرح :

(روى مالك) الإمام مالك بن أ نس ، رحمه الله ، في كتابه المعروف ، ((الموطأ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))) ،

وقد جاء هذا المعنى من غير طريق ، كما جاء معناه عند الإمام أحمد في حديث أبي هريرة : ((اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، لعنة الله على الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد)) هو بمعناه ، فيه قوله : ((اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد)) هذا دعاء من النبي عليه الصلاة والسلام أن لا يكون قبره وثنا ، أن لا يكون معبودا ، أن لا يتخذ إلها مع الله ، ((اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد)) ، وقد قال بعض أهل العلم : أن الله قد أجاب دعاء نبيه ، كما يقول ابن القيم ، في (الشافية الكافية) :

فأجـــاب رب العـــالمـــين دعـــائه

وأحـــاطـــه بثـــلاث الجـــدران

فلم يكن قبره وثنا ، ولم يتخذ قبره مسجدا ، وعلى هذا فيستثنى من عموم ، ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) .

وذهب بعض أهل العلم على أنه لم يتحقق ما دعا به النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد عبده المشركون ، واستغاثوا به ، ولجاءوا إليه ، وكذا وكذا ، وهذا واقع ، كثير من المنتسبين للإسلام ، ممن لم يعرف حقيقة التوحيد ، كثير منهم يغلو في النبي فيستغيث به في الشدائد ، ويدعوه ، ويرجوه ، ويخافه .

....

وإذا جاء عند قبره استغاث به والتجأ إليه ، أما الشرك با لنبي صلى الله عليه وسلم مع الله ، فهذا واقع في المسلمين ، وأمر شائع مشهور ، لا يمنكن تجاهله ، فهم يدعونه من قريب ، ومن بعيد ، ويستغيثون به من قريب ، ومن بعيد .والذين قالوا : أنه لم يتحقق مطلوبه ، ذهبوا إلى ما يقع من كثير من المسلمين

من دعاء الرسول ، والاستغاثة به ، ولا سيما عند الحضور إلى مسجده ، والوقوف إمام بيته صلى الله عليه وسلم الذي دفن فيه .
والذين قالوا : إن الله أجاب دعائه ، يقولون : القبر مصون ، القبر دونه جدران وحواجز لا يوصل إليه ، فالذين يدعونه ويستغيثون به ، يستغيثون به هناك ، كما يستغيثون به في سائر القطار .
وليس المدعو به أن لا يشرك به ، ولا يدعا ، بل المطلوب في دعاء النبي أن لا يكون قبره وثنا يعبد من دون الله ، الله المستعان .

لابن جرير بسنده عن سفيان عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ (١) ، قال : كان يلت لهم السويق ، فمات فعكفوا على قبره ، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج .

الشرح :

(١) النجم الآية [١٩] .

هذان أثران عن مجاهد ، رحمه الله ، وعن ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد هو تلميذ بن عباس ، روى عنه التفسير يقول : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته ، أقف عند كل آية ، وأسأله عنها .

يقول مجاهد بن جبر ، رحمه الله (في قوله تعالى :﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ قال في اللات : أنه كان يلت لهم السويق) يعني أن اللات اسم رجل ، كان يلت السويق ، يلت يعني يعجن السويق ، والسويق معروف عندنا ، يكون أصله دقيق الشعير المحموص أو بر محموص ، وهو طري أسمر ، فإذا حمص الحب ، حب الشعير أو البر، حمص حتى يستوي فإنه يطحن ، وطحينه هذا يتخذ منه السويق ، يجعل مع شيء حلا ، يعني سكر أو نحوه ، فلت السويق قد يجعل معه شيء آخر ، فلت السويق يعني يخلط السويق بشيء آخر ، وهذا يناسب قراءة من قرأها : ﴿ **أفرأيتم اللـــَّات والعزى** ﴾ ، أما القراءة الأخرى فهي بالتخفيف : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ .

فإما أن تكون ، يعني اللات هي اللات ، وقد قيل : أن اللات مشتق من الإله ، اللات ، قالوا : وهي اسم صخرة بيضاء منقوشة ، كان يلت عليها هذا الرجل السويق ، فتبين لأنه لا من افاة المسألة قريبة ، يعني اللات اسم الصخرة ، واللات اسم للرجل ، وكلا منهما قد أله .

....

قال ابن عباس : (كان يلت السويق للحاج ، فلما مات) جاءت الكارثة ، (عكفوا على قبره) ، الشيطان بالمرصاد يدعو إلى الشرك ، إلى عبادة غير الله ، (لما مات عكفوا على قبره) يعني ثم عبدوه ، ولماذا ؟ لماذا فعلوا معه هذا ؟ ؛ لأنه كان رجل صالح ، يحسن ، يكرم الحاج ، يلت لهم السويق ، فما مات كما يقال ، عند أولئك الجهلة ، قالوا : يستاهل ، يعني تقدير لصلاحه ،

وبذله في سبيل حجاج البيت ، يلت السويق للحاج ، وبهذا تظهر مناسبة هذا الأثر ، وهذه القصة للباب ، الغلو في قبور الصالحين ، يصيرها أوثانا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والسرج ، رواة أهل السنن .

الشرح :

هذا الحديث فيه ثلاث مسائل ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور ، ولعن المتخذين المساجد على القبور ، والمتخذين السرج على القبور ، أما قوله : ((لعن الله زوارات القبور)) فيدل على تحريم زيارة النساء للقبور ، وأنه من كبائر الذنوب ؛ بدليل اللعن ، وقد اختلف أهل العلم في زيارة النساء إلى القبور ، فذهب كثير من أهل العلم إلى الجواز ، وذهب أيضا جماعة من أهل العلم إلى التحريم ، والذين قالوا بالجواز ، استدلوا بحديث : ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)) قالوا : فهذا عام . وأجيب به بأن هذا عام ، وحديث : ((لعن الله زوارات ــ أو زائرات القبور ــ)) خاص .

ومن طرق الجمع بين الدليلين أن يكون أحدهما عام ، والآخر خاص فيحمل العام على الخاص ، ويستثنى الخاص من العام ، وقد ناقش الإمام ابن تيميه مناقشة بديعة ، فذكر أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم لعنه زائرات القبور ، وإن هذا الحديث ، حديث ابن عباس ، وحديث عن أبي هريرة كذلك بمعناه ، أنه لا يقاوهما أي حديث يستدل به على زيارة القبور للنساء ، من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال لعائشة ، لما قالت له : أرأيت يا رسول الله ، ما أقول إذا زرت القبور ؟ ، قال : ((قولي : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ...)) الحديث ، يعني أنه علمها ، علمها كيف تسلم ، قال المانعون : أن هذا محتمل أن يكون قبل النهي ؛ لأن الأصل الإباحة ، فزيارة القبور كانت مباحة ، ثم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها

....

حماية لجانب التوحيد ، حتى يستقر في القلوب ، يستقر فيها التوحيد ، وتعزف عن الشرك ووسائله ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : ((كنت نهيتكم عن زيارة

القبور ، فزروها)) في لفظ ((فإنها تذكركم الآخرة)) ، وفي بعض الألفاظ ((فإنها تذكر الآخرة ، وترقق القلب ، وتدمع العين)) ذكر هذا عندكم في الشرح ، يقول الإمام ابن تيميه ما معناه ، أنه إذا كانت هذه الغاية من زيارة القبور ، زيارة الرجال للقبور ، فإن النساء لا يليق بهن ذلك ، ولا يناسبهن ؛ لأنهن ضعيفات لا يصبرن ، فلو جاءن عند القبور للتذكر لكنها منها العويل ، ولكن منها الصراخ ، ضعيفات ، أفرض بعض النساء يكون عندها جلد ، ولكن الشأن في جنس النساء ن ومن الوجوه التي ذكرها شيخ الإسلام أنه لا يعلم أحد من أهل العلم ، ي قول باستحباب زيارة النساء للقبور ، ولكن القول الآخر المعروف هو الإباحة فقط ، إباحة زيارة النساء للقبور ، إذا كان إباحة ، فقيل يستدل على ذلك بقوله : ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزروها)) .

وعلى كل حال ، أقرءوا ما نقله الشيخ عبد الرحمن ، والشيخ سليمان في كتابهما (تيسير العزيز الحميد) (وفتح المجيد) .

يعني في التحقيق هو تحريم زيارة النساء للقبور ؛ لأنه ثبت النهي واللعن ، ولم يثبت ما يبيح زيارة النساء للقبور .

((لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والسرج)) ، وهذا هو الشاهد من الحديث ، ((والمتخذين عليها المساجد)) ، كيف ؟ أي ببنائها عليها ، اتخاذ المساجد على القبور إنما يكون ببناء المساجد على القبور ، ويلتحق ببناء المساجد بناء القباب ، فالمزارات في العالم الإسلامية والأضرحة المعظمة عندهم عليها المساجد ، وعليها القباب الطويلة الضخمة ، وينفق في

....

هذا السبيل الأموال الطائلة ، الله المستعان .

((والمتخذين عليها المساجد والسرج)) من عادة القبوريين ، أنهم يبنون المسجد على القبر ، على قبر شيخ كبير ، ولي في نظرهم ، عبد صالح ، يبنون المسجد لمعظم عندهم ، يبنون على قبره مسجدا ، ثم يزوره الناس ، وربما صلوا في ذلك المسجد ، ثم يتدرج بهم الشيطان حتى يوقعهم في الشرك الكبر ،والمتخذين عليها المساجد ، والمتخذين عليها السرج ، المصابيح ، وكلاهما من مظاهر الغلو في قبور الصالحين ، كلاهما من الغلو في قبور الصالحين الذي يفضي بأهله ، يعني الغلو يفضي بأهله إلى عبادة أولئك ، على حد قول المصنف : (باب ما جاء في الغلو في قبور الصالحين ، يصيرها أوثانا تعبد من دون الله) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .
الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه .
الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

الشرح :

الأولى : (تفسير الأوثان) قالوا ، كما تقدم : أن الوثن ما عبد من دون الله من قبر أو شجرة أو حجرة ، أما الصنم فهو ما نحت على صورة إنسا ن ونحوه .

الثانية : (تفسير العبادة) العبادة المشروعة لنا : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، وهو يريد الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم : ((اللهم لا تجعل قبري وثن يعبد)) وكيف تكون عبادة الوثن ؟ تكون بالذبح عنده ، بل بالذبح له ، ال ذبح عند القبر لله هذا بدعة ، ووسيلة للشرك أما الذبح للميت ....

الثالثة : (أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ ولم يدعو إلا مما يخاف وقوعه) إذًا ما حدث من الشرك فهو متوقع ، وهو واقع .

الرابعة : (قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد)يعني قرن النبي صلى الله عليه وسلم بين الدعاء ألا يجعل الله قبره وثن يعبد ، وبين ذمه الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، جمع بينهما عليه الصلاة والسلام فقال : ((اللهم لا تجعل قبري وثن يعبد)) يعني كما عبدت قبور الأنبياء من قبلي ، ((فإن من كان قبلكم كان يتخذون قبور أنبيائهم مساجد)) .

الخامسة : ذكره شدة الغضب من الله .

السادسة : وهي من أهمها ، معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان .
السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .
الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية .

الشرح :

الخامسة : (ذكره شدة الغضب من الله) ، غضب الله ثابت في القرآن وفي السنة وبإجماع سلف الأمة ، فهو تعالى يغضب ، وغضبه لا يكون له شيئا ، وإنما يغضب إذا انتهكت محارمه ، الغضب يتفاوت ، وقد جاء في حديث الشفاعة : ((إن ربي قد غضب اليوم غضب لم يغضب مثله من قبل ، ولن يغضب بعده مثله)) ، فغضبه على الكافرين ليس كغضبه على العصاة .

السادسة : الذي يظهر لي أنه فيه تقديم وتأخير ، (من أهمها) يعني من أهم تلك المسائل ، (معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان) بماذا كانت عبادة اللات ؟ ، ما صفة عبادة اللات ؟ ، (معرفة صفة عبادة اللات) كيف كانت عبادتهم لـلات ؟ ، (فلما مات عكفوا على قبره) بالعكوف عند القبر للتقرب إليه بأنواع العبادة والطاعة والخضوع .

السابعة : (معرفة أنه) أن اللات (قبر رجل صالح) .

الثامنة : اللات اسم صاحب القبر الذي اتخذه أهل الطائف معبودا لهم ووثنا ، وأن هذا هو سبب التسمية ، اللات ، م ا سبب تسمية ذلك الصنم اللات ؟ ، أنه كان يلت السويق .

التاسعة : لعنه زوارات القبور .
العاشرة : لعنه من أسرجها .

الشرح :

التاسعة : هذه مسالة من المسائل ، وهي (لعنه زوارات القبور) ، مما يدل على تحريم زيارة النساء للقبور .

العاشرة : (لعنه من أسرجها) ، هذه من الفوائد أن من يعلق الشموع ، يعلق السرج على القبور مستوجب ، ومستحقا للعنة الله ، (لعنه من أسرجها) أي من اتخذ القبور مساجد ، ومن أسرجها .

* [يا شيخ أقرأ المسألة الأولى من مسائل الباب الأول الذي قرأناه من (باب ما جاء عن سبب كفر بني آدم وتركهم دين هم هو الغلو في الصالحين) ، المسألة الأولى : أن من فهم هذا الباب ، وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب] .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، قد قراءنا هذه الأبواب الثلاثة ، وهي متناسبة مر تب بعضها ببعض من جهة المعنى :

فالباب الأول قد تضمن سبب حدوث الشرك في العالم ، كما في قصة قوم نوح ، وفيه تحذير نبينا صلى الله عليه وسلم من إطرائه ، كما أطرت النصارى ابن مريم ، وفيه تحذرينا من الغلو في الدين ، ومن التنطع ، وأن ذلك سبب الهلكة .

وفي الباب الثـاني ، فيه التغليظ ، والوعيد الشديد ، والذم لمن اتخذ القبور مساجد ، ومن نصب للصالحين والأنبياء التماثيل ، وفيه النهي الأكيد عن اتخاذ

....

القبور مساجد ، كما تقدم ، وأن الساعة تقوم ، وأن الذين يتخذون المساجد على القبور مذمومون ، ولقد قرنهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشركين الذين تقوم عليهم الساعة ، وهم أحياء : ((إن من شرار الناس الذين يتخذون المساجد على القبور ، والذين تدركهم الساعة وهم أحياء)) ،

وفي الباب الثالث ، فيه التحذير على اتخاذ القبور مساجد ، ((اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ، وفيه لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج ، وهذا يدل على أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله .

يقول الشيخ في تلك المسالة : (أن من فهم هذا الباب ، وبابين بعده) هذه الأبواب الثلاثة ، يعني وعرف ما عليه المسلمون ، يعني المنتسبين للإسلام ، من تعظيم القبور ، والبناء عليها ، بناء المساجد عندها ، والطواف حولها ، والذبح عندها ، وبناء القباب عليها ، من فهم هذه الأبواب ، وما تضمنته من التحذير ، والتأكيد ، والوعيد ا لشديد على القبوريين الذين يتعلقون بالموتى ، ويغلون فيهم ، وفي قبورهم ، من فهم هذه الأبواب وعرف ما عليه كثير من المنتسبين للإسلام ، فإن كثير من أولئك قد اتخذوا القبور مساجد ، ببناء المساجد عليها ، وبالصلاة عندها ، وما يتبع ذلك من الغلو فيهم ، ودعائهم والاستغاثة بهم ، واللجوء إليهم في الشدائد ، يقول ، رحمه الله : (من فهم هذا الباب ، وبابين بعده) وفهم ما عليه الناس ، (تبين له غربة الدين) يعني

٢٥ ــ باب بيان شئ من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن العِيَافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الجِبْتِ)) .
قال عوف : العيافة : زجر الطير ، و الطرق : الخط يخط الأرض . والجبت ، قال الحسن : رنة الشيطان . إسناده جيد ، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند إليه .

الشرح :

يقول الشيخ : (باب بيان شئ من أنواع السحر) تقدم أن السحر نوعان : سحر حقيقي وسحر تخييلي ، وكل منهما باطل ومذموم ، سبق الا ستدلال لهما بآية البقرة وآية طه ، والشيخ في هذا الباب يذكر أشياء ، منها ما هو من السحر الحقيقي ، ومنها ما هو يشبه السحر في أثره وفي حكمه وإن بلم يكن من السحر بمعناه الخاص .

أول ذلك ، أول ما ذكر الشيخ : حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن العِيَافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الجِبْتِ)) قال عوف الراوي ، أحد رواة هذا الحديث : العيافة : زجر الطير ، زجره للاستدلال بحركته على ما يكون من خير وشر ، يعني التطير ، زجر الطير عيافة . ((إن العِيَافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الجِبْتِ)) .

فزجر الطير وتهييجه للاستدلال به هو تطير ، العيافة : زجر الطير .

....

والطرق : هو الخط يخط في الأرض ، أو هو الضرب بالحصى ، وهذا أسلوب عند الكهان والسحر ة والسواحر ، من أساليبهم للاستدلال على بعض المغيبات ، من طرقهم التي يفعلونها : الخط على الأرض ، والرمي بالحصاة . ولهذا يقول لديد في بيت :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى   ولا زاجرات الطير ما الله صانع

لكن يأبى أولئك الدجالون إلا أن يدعوا علم الغيب ، ف يفعلون ما يفعلون من الضرب بالحصى وزجر الطير والخط ، ثم بعد ذلك يصدروا الأحكام سيكون كذا أو لا يكون كذل وفلان فعل كذا .

والطرق : هو الخط يخط في الأرض . والطيرة : هي التطير والتشاؤم بمرئي أو مسموع من طير وغيره ، لكن أصلها في الطير ، أصلها التشاؤم بالطيور والاستدلال بحركة الطيور على ما سيكون ، وهذا سيعقد له الشيخ باب (باب ما جاء في الطيرة) .

((إن العِيَافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الجِبْتِ)) تقدم القول في الجبت ، ومما جاء هنا ما ورد عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال : الجبت : رنة الشيطان . الرنة : هي الصيحة ، صيحة الشيطان ، والشيطان الذي هو إبليس قد روي أنه رن رنات وصاح صيحات أسى وحزن ، ولكن كما قيل أنه رن لما أهبط من الجنة ، ورن لما ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورن يوم أنزلت الفاتحة ، له رنات ذكروها ، لكن الذي يظهر أن رنة الشيطان هي صوته الأثيم الذ ي يفعله الإنسان وهو منسوب للشيطان ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾ صوت الشيطان فسر بكل

صوت يدعو للباطل وكل صوت محرم ، فصوت النائحات ، وصوت المغني
....

والمغنيات هو صوت الشيطان ، هو مما يستفز به الشيطان ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾ فهذه المعازف وهذه الأصوات الرنانة ، هي رنة الشيطان ، لأنها بأمره وتدعوا إلى ما يحب من الفواحش والمنكرات ، رنة الشيطان وهي من الجبت ، إذًا كل هذه الأصوات الأثيمة هي من الجبت ، م ن المعنى العام ، الجبت كل شئ رديء لا خير فيه فهو جبت ، من الأعمال والأخلاق والذوات ، كما سبق .

يقول الشيخ بعد ذكر أن الحديث رواه الإمام أحمد ، يقول : (ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه) يعني أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه رووا الحدي ث المسند ، ما هو المسند في اصطلاح المحدثين ؟ المسند : هو المتصل المرفوع ، الحديث المتصل المرفوع هذا المسند ، فالمنقطع ليس بمسند والمقطوع ليس بمسند . إذًا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان ، لكن أبو داود والنسائي وابن حبان لم يذكروا قول عوف ، لم يذكروا تفسير عوف قول عوف : العيافة : زجر الطير ، والطرق : الخط يخط في الأرض ، إلى آخره .

وهذه الأمور تشبه السحر من حيث ما فيها ، داخلة في الجبت وقد سب تفسير الجبت بقول عمر : الجبت : السحر . فالعيافة والطرق والطيرة من الجبت بمفهومه العام ، فالجبت ي شملها ، وهي من السحر باعتبار أنها تدخل في مسمى الجبت ، وتشبه كذلك السحر من جهة ادعاء علم الغيب وعبادة

الشياطين ، فاللاتي يرمين بالحصاة ويأتين الكهانة يشبهن السواحر اللاتي ينفثت في العقد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)) رواه أبو داود ، وإسناده صحيح .

الشرح :

هذا الحديث أيضا : وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من اقتبس شعبة من النجوم)) يعني من علم النجوم اقتبس شئ ، قال : اقتبست العلم ، واقتبسته يعني تعلمته وحصلته ، من اقتبص شعبة : قطعة ، من علم التنجيم ((فقد اقتبس شعبة من السحر)) فالتنجيم أيضا هو نوع من السحر ، هذا يدل على أن التنجيم أيضا نوع من السحر ، وسيأتي باب مخصوص للتنجيم (باب ما جاء في التنجيم) وأن التنجيم المذموم المحرم المنكر هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، فعلم التنجيم الذي يقوم على اعتقاد التأثير ، تأثير الكواكب في الحوادث والاستدلال بحركة النجوم واجتماعها وافتراقها على ما يحدث في الحاضر والمستقبل ، هذا هو التنجيم المحرم المنكر ، الذي من اقتبس شيئا منه فقد أخذ بنصيب من السحر ، فقد اقتبس شعبة من السحر .

((زاد ما زاد)) كلما زاد من علم التنجيم زاد من السحر ﴿ **ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق** ﴾ وفي هذا تحذير بالغ من علم التنجيم ،

وهذا يدل على علاقة بين المنجم والساحر ، علاقة كما سيأتينا في باب (ما جاء في الكهان) بعد هذا الباب . منجم وساحر وكاهن بعضهم من بعض .

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ((من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل إليه)) .

الشرح :

هذا الحديث لذي رواه النسائي ر حمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه : ((من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر)) هذا من السحر الأصلي ، هذا من السحر المنصوص في القرآن ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾ وتقدم أن السحر الحقيقي هو عزائم ورقى وعقد تؤثر في العقول والأبدان فتمرد وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه . يقول : ((من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر)) وهذا الفعل لا يتم ، له سر ، ليس كل من عقد عقدة وتفل فيها ، لا يتم إلا بمعاونة الشياطين ، إذا اقترنت النفس الخبيثة ببعض الأرواح الشريرة من شياطين فإنه يتم له ما أراد من الكيد والإفساد . فمن طرق السحر أن يعقد العقد وينفث فيها لتحقيق مطلب من المطالب من أي شئ ، لأخذ هذا عن زوجته ، للتفريق بين هذين ، لإفساد فكر هذا الإنسان حتى تتنغص حياته بدل أن كان إنسانا عاديا سويا يتصرف بهذه العملية ونحوها تفسد عليه حياته ، حياة ذلك المسحور ، ﴿ **من شر النفاثات في العقد** ﴾ فالساحر يعمل سحره

على ترتيب معين لغاية معينة فتتم له ويتم له ما أراد بإذن الله الكوني ، ﴿ **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾ أبدا .
وملازمة الأوراد الشرعية في الصباح والمساء مع الاحتساب والاستحضار لعظمة الله من أعظم الأسباب الواقية من كيد السحرة وكيد شياطين الإنس والجن ، ينبغي للمسلم أن يتضرع بذكر الله والتوكل على الله والتوجه إلى الله بطلب الحماية والكفاية ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ ومن ذلك ملازمة ....

قراءة هذه السور : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس . دبر كل صلاة ، وفي الصباح والمساء ثلاث مرات .
ومما جاء فيها التعوذ بالله من السواحر الخبيثات ، والتعوذ بقراءة هذه السور من أعظم الأسباب الواقية من جميع الشرور ﴿ **من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن حاسد إذا حسد** ﴾ فينبغي أن نقرأها ونحافظ عليها بوعي وبصيرة .
((من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر)) أي عمل الحر وصار ساحرا ((ومن سحر فقد أشرك)) إذا السحر لا يتأتى إلا مع الشرك ، ولا يتأتى إلا مع عبادة الشياطين ، وهو من الاستمتاع الذي يكون بين الجن والإنس ﴿ **ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم** ﴾ .. إلى آخر الآية .
((ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه)) من تعلق قلبه بشيء من الأسباب ومن الأشياء التي تعلق كالتمائم ((من تعلق شيئا وكل إليه)) وكله

الله إليه وتركه الله تعالى ، كما في الحديث المتقدم ((من تعاق تميمة فلا أتم الله له ، ومن نعاق ودعا فلا ودع الله له)) ((ومن تعلق تميمة فقد أشرك)) وهنا ((ومن تعلق شيئا وكل إليه)) فالواجب على المسلم أن يعلق قلبه بربه مؤمنا بأنه لا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يدفع السيئات إلا هو ، مؤمنا بأن الخير كله بيده ، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، وأنه تعالى هو النافع الضار ، فيعلق رجاءه بمولاه ، بمن بيده ملكوت كل شئ .

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ألا هل أنبئكم ما العضه ؟ هي النميمة القالة بين الناس)) رواه مسلم . ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن من البيان لسحرا)) .

الشرح :

العضه على وزن فعل ، عض ، بسكون الضاد ((ألا هل أنبئكم ما العضه)) قلت : ما العضه ، نطقت بثلاثة حروف .

هذا الحديث يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : ((ألا أنبئكم)) ألا : أداة استفتاح ، أو أداة عرض ، ألا أنبئكم ، ألا أخبركم ، ((ما العضه ؟)) العضه فسره أهل اللغة بالبهت ، يعني بالكذب ((ألا أنبئكم ما العضه ؟)) يعني البهت ، وبعضهم يقول : أن الكلمة أصلها العضه وأصلها العضهه ، وهي البهت .

((ألا أنبئكم ما العضه ؟ هي النميمة)) فسرها الرسول ، قال : هل أنبئكم ما العضه ؟ يريد أن ينبئنا ، نبئنا ((النميمة القالة بين الناس)) النميمة : هي نقل الحديث على جهة الإفساد ، هذا أصل النميمة .

وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((لا يدخل الجنة نمام)) أو ((قتات)) وهو النمام ، وذكر اله في سيرة بعض الأشقياء أنه مشاء بنميم ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم** ﴾ النميمة : نقل الحديث ، وهي القالة ، النميمة : القالة بين الناس ، يعني الأقوال الكثيرة التي تروج للإفساد بين الأفراد والجماعات .

والنمام يشبه بالساحر ، حتى قال بعض السلف : إن النمام يفسد في الساعة ما يفسد الساحر في السنة . أليس من غايات السحر التفريق بين الزوجين بنص القرآن ، النمام غايته التفريق بين الأحبة ، بين الزوجين ، وبين الأخوين ، ....

وبين الابن وأبيه ، وبين الأصدقاء ، وبين الجماعات ، وبين القبائل ، تختلف النميمة ، فالنميمة من السحر ، مشبهة بالسحر من حيث الأثر ، من حيث أثرها ، فهي تفرق بين المرء وزوجه ، وتفرق بين الناس كالسحر ، وهي كالسحر في حكمه الإجمالي وهو التحريم ، وهي من كبائر الذنوب ، ولا يلزم أن تكون بمنزلة السحر في حكمه الخاص وهو الكفر ، كما تقدم .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن من البيان لسحرا)) ، هذا الحديث متفق على صحته .

(ولهما) البخاري ومسلم .

((إن من البيان لسحرا)) البيان : الفصاحة . والسحر : هو ما خفي ولطف سببه ، هذا في اللغة ، وهو القول والفعل المؤثر في العقول .

وقد اختلف أهل العلم في المقصود به ذا الحديث ، فقيل أن المقصود منه هو مدح البيان ((إن من البيان لسحرا)) يعني من البيان ومن الفصاحة ما يجلب

الأسماع ويصرف الأنظار ويشد الأذهان ، فهو مدح بهذا الاعتبار ((إن من البيان لسحرا)) من البيان ما يؤثر على الأسماع والأبصار والعقول ، البيان مؤثر ، يعني من الناس من تحدث بما أوتي من بلاغة وحسن بيان ما يجعل السامع لا يلتفت ، يشده بما أوتي من بيان .

ومن أهل العلم من يقول : إن هذا ذم . يعني هذا تشبيه للبيان أو لبعض البيان بالسحر ، كأنه يقول إن من البيان ، يعني بعض البيان كالسحر في التمويه ، وتلبيس الحقائق ، وإلباس الباطل ثوب الحق والحق ثوب الباطل .

وهذا هو اللائق بالمقام وأظهر ، والأصل أن السحر مذموم في الشرع ، فكيف يقال أن هذا مدح ؟ فمن البيان ما هو سحر ((إن من البيان لسحرا)) من ....

البيان ، من الفصاحة ما هو من السحر الذي يشوه الحقائق ويموه ، ويؤثر على العقول ، حتى ترى الشيء على غير ما هو عليه ، مثل السحر التقليدي ، أليس الساحر المخيل يُري ، يعني يموه على العقول حتى ترى الأشياء على غير حقيقتها ، كما في سحر سحرة فرعون ﴿ **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾ .

فالفصيح البليغ إذا استغل فصاحته وبيانه في الباطل قد يلبس الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق ، حتى يلبس على العقول فترى الأشياء على غير ما هي عليه ، يستشهد لهذا المعنى بقول الشاعر :

في زخرف القول تزين لباطنه والحق قد يعتريه سوء تعبير

ويشهد لهذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** ﴾ ، وهذا الصنف قد يقلب الحقائق في ال خصومات ، إذا دخل في الخصومات يجعل المحق مبطلا والمبطل محقا ، وهذا يكون لحنا بالحجة ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((إنما أقضي بينكم بنحو ما أسمع ، فلعل بعضكم يكون ألحن بحجته من صاحبه ، فأقضي له ، فمن قضيت له بما له أو بحق أخيه ، فإنما أقطع له قطعة من ن ار فليخذها ــ أو ليدعها ــ)) ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

فالمقصود إن الرأي الصحيح ، أن قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن من البيان لسحر)) ذم لضرب من البيان ، وهو ما تزيف فيه الحقائق ، ويلبس فيه الحق بالباطل . هذا وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله .

قال المؤلف ، رحمه الله :

فيه مسائل :

الأولى : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق .

الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .

الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : أن النميمة من ذلك .

السادسة : أن من بعض الفصاحة منه .

الشرح :

الحمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه

الأولى : هذه المسألة تقدم القول فيها ، وهي مضمون حديث قبيصة ، أن العيافة : وهي زجر الطير ، والطرق : وهو الخط ، والطيرة وهي التشاؤم بالطيور ، ونحوها ، كلها من الجب ت ، كلها شر ، وعمل منكر ، وأعمال جاهلية ، تلاعب من الشيطان كلها من الجبت .

الثانية : (تفسير العيافة والطرق) كما ورد في الكلام الأول .

الثالثة : أن علم النجوم ، ويقال له التنجيم ، نوع من السحر ، هذا صريح في حديث ابن عباس ، وهو تنجيم ، الذي يقال له علم التأثير لا علم اليسير .

الرابعة : (أن العقد مع النفث من ذلك) من ذلك ، يعني من السحر ، وهذا أصل ، العقد مع النفث هو أشهر أنواع السحر ، وهو من أخبث أنواع السحر ، كما نص الله عليه في كتابه : ﴿ **ومن شر النفثات في العقد** ﴾ ، النفثات في العقد السواحر ، فلعل هذا أهم ما ذكر في هذا الباب ، وأمكن هذه الأنواع في ....

السحر ، هذا السحر أصل في حقيقته ، وفي حكمه . العقد مع النفث من ذلك ، يعني من السحر ، وتقدم أن العقد مع النفث لا يتم به مطلوب الخبيث إلا بمعاونة الأرواح الخبيثة من الجن ، فهو نفث ، عقد ، إنما يصير سحر ويؤثر تأثير المقصود الخبيث بمعاونة الشياطين .ولا تتم معاونة الشياطين إلا بالخضوع لهم ، وبعبادتهم وبطاعتهم .

الخامسة : (أن النميمة من ذلك) أن النميمة من السحر ، لكن تقدم أن النميمة من السحر من جهة الحكم العام ، وهو التحريم ، ومن جهة الأثر وهو الإفساد

، وإلا فهي كلام معتاد ، لكنه أشبه ، يعني النميمة أشبه بالسحر من جهة الأثر ، وهو التفريق بين الأحبة ، ولا تأخذ حكم السحر ، ولا يأخذ النمام حكم الساحر من حيث الكفر أو تحتم القتل .

السادسة : أن م ن السحر بعض الفصاحة منه ، وتقدم القول فيه .، وأن الفصاحة التي يتوصل بها إلى قلب الحقائق ، ولبس الحق بالباطل ، وتمويه الباطل ، وتشويه الحق ، أنه من السحر كذلك من جهة الحكم ، ومن جهة الأثر ، يعني يشبه القول فيه ، يشبه القول في النميمة ، وإلا فهو كلام ، لكن الشيطان القرين ، يشجع على هذا ، على كل المعاصي ، النميمة أو المكر والخداع والتمويه ، كل هذا الشيطان من ورائها ، يزين للإنسان ، يزين لذلك الإنسان ، ويحببه إليه حتى يتعطاه .

٢٦ ـ باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أتى عرافا فسأله عن شئ فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما)) .

الشرح :

يقول الشيخ ، رحمه الله (باب ما جاء في الكهان ونحوهما) ، يعني هذا باب ذكر ما ورد من النصوص ، من الأحاديث ، والأثار في الكهان ، والكهان جمع كاهن ، والكاهن هو الذي يخبر بالأمور الغائبة ، المستقبلة ، أنه سيكون كذا ويحصل كذا أو غير المستقبلة ، ويتلقى ذلك عن مسترق السمع ، من يسترق السمع ، كما تقدم ، الشيطان يسمع الكلمة من الملائكة ، فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الأخر إلى من تحته ، فربما يدركه الشهاب قبل أن يلقيه ، وربما ألقاها قبل أن يدركهم ، حتى يقرها في أذن الكاهن ، كاهن يتلقى أخباره من مسترق السمع ، ومن سائر شياطين الجن ، ونحو الكهنة السحرة أو الكهان ، الكاهن يجمع على كهنة ، ويجمع على كهان ، كاهن وكهان ، وكاهن وكهنة ، ونحوهم الكهنة من ؟ السحرة ، والمنجمين ، والعرافين كما سيأتي كل هذه أنواع من الذين يدعون علم المغيبات .

وبهذا يتبين ملائمة هذا الباب إلى الأبواب التي قبله ، الشيخ ، رحمه الله ذ كر (باب ما جاء في السحر) ثم ذكر (باب شيء من أنواع السحر) ثم اتبع هذا

بذكر ما يتعلق بالكهان ، فبين هذه الأبواب تناسب ظاهر ، وهذا من حسن تأليف الشيخ ، وترتيبه ، وتبوبيه لهذا الكتاب ، رحمه الله .

....

يقول رحمه الله : (روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم) قد قيل إنها حفصة أم المؤمنين بنت عمر ، رضي الله عنهما ، (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من أتى عرافا فسأله عن شئ فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما))) ، ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله في شرح كتاب (التوحيد) ، (تيسير العزيز الحميد) أنه ليس في (صحيح مسلم) ((فصدقه)) ، وإنما فيه ((من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما)) ، وهذا وعيد شديد ، وتحذير ، ((لم تقبل له صلاة أربعين يوما)) حرمان عظيم ، قال العلماء : لم تقبل له ، يعني معناه أنه لا يثاب عليها ، يحرم ثواب الصلوات ، أي عقاب ! ، حرمان ، وليس المراد أن صلاته لم تجزئه ، بحيث أنه يجب عليه القضاء ، بعد أربعين يوم ، يجب عليه أن يقضي مائتين صلاة ، لا ، المراد بل تجزئ ، وتسقط الفرض ، ولكنه يحرم ثوابها ، نقل الشارح ذلك عن النووي في شرحه لـــ (صحيح مسلم) ، وأهل العلم متفقون على أن من أتى كاهن وسأله ، أنه لا يؤمر بقضاء هذه الصلوات ، بل يجب عليه يصلي في هذه الأيام ، ولكنه متوعد بحرمان ثوابها .

وهذا يدل على تحريم سؤال الكهان ، ونحوهم من العرافين ، وأنه كبيرة من كبائر الذنوب ، وظاهر الحديث أنه لو لم يصدقه ، ذهب يسال ، حتى ولو لم يصدق ، قد يكذبه ، وقد يشك ، المهم أنه ذهب وسأل ، وسأل ، إما أنة يسال

عبثا ، أو أن يسأل ليعرف شيئا عن المسئول عنه ، أما لو ذهب إليه ، ذاهب ليمتحنه ؛ لأنه قد نسب إليه الكهانة ، نسبت إليه الكهانة ، وكلف ولي الأمر أو بعض الغيورين ، ذهب ليتثبت ، فذهب يسأل ليتثبت أنه يتعاطي الكهانة ،

....

هذا هو شأن آخر ، ليس مقصوده أن يعلم ، ما لم يكن عر فه من قبل ، يسأل عن شيء يريد معرفة حقيقته أو الحالة ، إنما يريد معرفة حال هذا الشخص لا يريد معرفة شيئا عن المسئول عنه ، يريد معرفة حقيقة هذا الشخص حتى يُتخذ معه ما يجب من عقابه و إيقافه عند حده ومنعه من تعاطي ذلك العمل الخبيث .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أتى كاهنا فسأله عن شئ فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)) صلى الله عليه وسلم . رواه أبو داود .

الشرح :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أتى كاهنا فسأله عن شئ فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)) صلى الله عليه وسلم .

((من أتى كاهنا فسأله)) هذا موافق للحديث الأول لكن زاد عليه ، أولا في اللفظ الأول قال ((من أتى عرافا)) وفي هذا قال : ((من أتى كاهنا)) وهذا لا أثر له هذا الفرق لما يأتي من أن الكاهن والعراف معناهما متقارب .

((من أتى كاهنا فسأله عن شئ فصدقه)) هنا الرواية فيها (فصدقه) ، ((صدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل)) هذا هو العقاب .

الأول توعد بعدم قبول صلاته أربعون يوما ، والآخر متوعد بالكفر فقد كفر ((كفر بما أنزل على محمد)) صلى الله عليه وسلم ، وماذا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ أنزل عليه الكتاب والحكمة . وفي القرآن ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم من الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾ ﴿ **قل لا**

أقول لكم عندي خزائن ا لله ولا أعلم الغيب ﴾ ﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾ .

فالله تعالى هو علام الغيوب ، فلا يعلم الغيب إلا الله ، فمن أتى كاهنا فسأله عن شئ فصدقه ، صدقه بما يقول ، صدقه فيما أخبر به ، فق د كفر بما أنزل

....

على محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا وعيد شديد وتحذير بالغ عن إتيان الكهان والذهاب إليهم . فلا يحل الذهاب للكهان ، لا يسألون عن ضالة ولا عن مسروق ، ولا يسألون ع ن حالة عرضية أو مرضية ، لا يجوز الذهاب إليهم للتحقق عن أمر ، أو لاستفسار عن أمر ، فسأله عن شيء فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ، وهذا الكفر فيه مذاهب للناس إلى أنه كفر أكبر فهو ناقل عن الملة ، ناقل عن الملة ، فمن أتى كاهنا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول ، فهو مرتد على هذا ، يكون مرتدا يحتاج إلى أن يجدد إسلامه ، يتوب إلى الله ويجدد إسلامه .

وقيل : بل أنه كفر دون كفر ، كقوله صلى الله عليه وسلم : ((سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر)) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((اثنتان في الناس هم بهم كفر)) ، ونحو ذلك .

وقيل : بالتوقف عن التعين ، لا نقول أنه كذا أو كذا ، بل ينبغي أن يساق الدليل من غير تفصيل ولا تعين للمراد ، أهو الكفر الناقل عن الملة أو الكفر الأصغر الذي يقال عنه أنه كفر دون كفر ؟ ، يقول في الشرح أن هذا هو المشهور عن الإمام أحمد ، رحمه الله ، هو ظاهر مذهب التوقف .

والمقصود أن هذا من أحاديث الوعيد ، فينبغي إطلاق القول فيه ، وعدم التفصيل ليكون أبلغ في الزجر والتحذير .

وعندي والله أعلم ، أن حال السائل تختلف ، فالسائل الذي سأل وصدق ، هو يعرف أن هذا كاهن وأنه تأتي الشياطين وأنه تأتيه بعض أخبار من الجن ، تعامل مع الجن ، والجن يعرفون أشياء ؛ لأنهم يطلعون من أحوال الناس على مالا يطلع عليه غيرهم من الناس ، لا يعلمون الغيب ، ولكن قد يحصل من

....

الجن شيئا ، من مسترق السمع ، الشيطان الذي يس ترق السمع ، وقد قال العلماء : أن الكهان كانوا في الجاهلية كثير ، ثم لما حرصت السماء عند نزول الوحي ، لما أرسل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، انزل الوحي ، حرصت السماء وشددت الحراسة ، شاهد هذا في سورة (الجن) ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا** ﴾ ، ولهذا يقول بعض أهل العلم : أنه بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم تعذر وحرصت السماء ، وتعذر على الجن أن يسترقوا السمع ، وأن يسمعوا شيئا من كلام الملائكة في السماء أو في السحاب أو ما أشبه ذلك ، وفي الحقيقة أن الآية لا تظهر منها دلالة على انقطاع هذا المر ، ولكن فيها دلالة على أنهم أصبح المر أصعب وأشد من ذي قبل ، أن السماء قد شددت فيها الحراسة ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن ي جد له شهابا رصدا** ﴾ ، ثم أن هذا كان وقت نزول الوحي ، حماية للوحي المنزل

على محمد صلى الله عليه وسلم ، أن تصل إليه الشياطين ، ﴿ **وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزلون** ﴾ .
فالذي يظهر أنه لا يتعذر عليهم أن يسترقوا السمع ، ولكن السماء محروسة من قبل ، والله خلق النجوم لحكم منها ، أن تكون رجوما للشياطين ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين** ﴾ ، ﴿ **ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظنها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين** ﴾ .
فالسائل للكاهن ، يعني ما يلزم أن يعتقد أنه يعلم الغيب ، يعرفه ، ولكن يعرف
....

أنه يحضر الجن ، وأنه له علاقة بالجن ، أو أنه له رئيٌ وتابع من الجن ، هو يعرف أنه خبيث ، لكن من جملة المعاصي ، من جملة ما يتعرض له الإنسان من اتباع الهوى ، يسأل ، يذهب للساحر ويسأل ، كما سيأتي كما يذهب الآن كثيرا من المبتلين بالسحر ، أو من يظن أنه مبتلي به ، يذهب إلى السحرة يسألهم ، ويعرض نفسه لحل السحر ، كما سيأتي في الباب الذي بعد هذا .
فهذه الحال يمكن أن يقا ل : إنها كفر دون كفر ، أما إذا كان يعتقد أنه يعلم الغيب ، ويسأله ويصدقه ، يعتقد أنه يعلم الغيب وانه يطلع على أمور مغيبة ما أستأثر الله بعلمه ، وطوى علمه عن الخلق ، لا شك أن هذا كفر ، ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾ ، والغيب نوعين :
غيب مطلق مما أختص الله بعلمه .
وغيب نسبي يعني يعلمه بعض الخلق دون بعض .

فهذا الذي يعتقد في مخلوق انه يعلم الغيب ، يعلم ما في اللوح المحفوظ ، يعلم كذا ، يعلم المغيبات المستقبلية ، فهذا يصدق عليه أنه كفر بقوله تعالى : ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات الغيب إلا الله** ﴾ .

ويقول أهل العلم : إذا كان هذا هو حكم السائل ، فما حكم المسئول ؟ ما حكم الكاهن ؟ ، من باب أولى ، وإذا كان الساحر تقدم القول فيه وأنه كافر ، أن هذا الذي عليه جمهور العلماء ، وهذا هو الراجح ، فالكاهن مثله ، قريب منه ،

وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من أتى عرافا أو كاهنا فسأله عن شيء ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) . ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه ، مثله موقوفا .

وعن عمران بن حصين مرفوعا : ((ليس منا من تَطيرَ أو تُطُيرَ له ، أو تَكَهنَ أو تُكُهن له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ أو سُحِرَ له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) رواه البزار بإسناد جيد .

الشرح :

(للأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من أتى عرافا أو كاهنا فسأله عن شيء ، فصدقه بما يقول

، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم))) . هذا نفس الحديث المتقدم ، إنما ذكره الشيخ على أساس أنه رواية أخرى ، الأول رواه أبو داود ، وهذا رواه الأربعة والحاكم ، كذلك رواه أحمد بن حبان والحاكم ، ولم يذكر الصحابي ، ولكن قال في الشرح أنه رواه الحاكم عن أبي هريرة ، فهو يكاد أن يقال أنه نفس حديث أبي هريرة المتقدم ، فكأن قال ، نعم فيه اختلاف من جهة ذكر العراف والكاهن جميعا ، ((من أتى عرافا أو كاهنا فسأله عن شيء ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) ، وهو معنى الحديث الذي قبله .

(ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه ، مثله موقوفا) مثله موقوفا ، يعني موقوف على ابن مسعود ، يعني من قوله ، وأبو يعلى

....

الموصلي روى بإسناد جيد عن ابن مسعود مثل ما تقدم ، يعني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ، هو قال : من أتى عرافا أو كاهنا فسأله عن شيء ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذا موقوف صحيح ، بل هذا له حكم الرفع ؛ لأن مثل هذا لا يقال من جهة الرأي ، فهو مرفوعا حكما ، وإن كان لفظه من قول ابن مسعود رضي الله عنه .

((ليس منا من تَطيرَ أو تُطُيرَ له ، أو تَكَهنَ أو تُكُهن له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ أو سُحِرَ له ، ومن أتى كاه نا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) ، هذا الحديث حديث عمران بن حصين آخره موافق لما قبله ، فهذا المعنى إذًا رواه جماعة من الصحابة ، فأبو هريرة وابن مسعود وعمران بن الحصين كلهم روى هذا المعنى .

((من أتى كاهنا فسأله عن شيء ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) ، لكن حديث عمران فيه هذه الزيادة في أوله : ((ليس منا من تَطيرَ أو تُطُيرَ له ، أو تَكَهنَ أو تُكُهن له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ أو سُحِرَ له)) .

((ليس منا)) هذا فيه براءة من الرسول صلى الله عليه وسلم ممن فعل هذه الأفعال ، وهو يدل على أن هذه الأفعال من كبائر الذنوب .

((ليس منا)) ليس منا نحن المسلمين ، ليس من أهل ملتنا ، فالأصل مثل هذا ظاهره أن من فعل هذا ليس من المسلمين ، لكن أهل العلم فسروه على أنه من قبيل الوعيد والتغليظ والتنفير عن هذه الأفعال ، وليس المراد أن من فعل شيئا من ذلك خرج عن الإسلام وخرج عن المسلمين .

....

((ليس منا)) من جنس ((من غشنا فليس منا)) .

((ليس منا من تكهن)) يعني تعاطى الكهانة ، فعمل عمله الذي يتوصل به إلى الأخبار التي يسأل عنها ، يتكهن ، فتارة يكون بطريقة الخط ، يخطط في الأرض ، وربما تكهن بطريقة الضرب بالحصى ، وقد يتعاطى مظاهر أخرى ، المهم أنه يخبر عن مغيب ، وقد يخبر عن ما في ضمير الإنسان ، كاهن .

((ليس منا من تكهن)) هذا واضح .

((أو تكهن له)) المتكهن له هو الطالب الذي يأتي يسأل الكاهن فيتكهن له الكاهن ، فالسائل ، نقول إيش ؟ متكهن له ، والمسئول هو المتكهن ، من تكهن هو المسئول ، أو تكهن له هو السائل ، يأتي سائل ويطلب من الكاهن أن يتعاطى الكهانة ، يأتي ويسأله ثم ذلك يقوم بالعملية ، يصير عنده أسلوب ،

يعني إذا أردنا أن نشبه نقول : يضرب مثل بالكمبيوتر الخاص به ويعطي المعلومات ، فليس هو الكمبيوتر الآلي الطبيعي المعروف الأسباب ، لا .. يتعاطى أعمال شيطانية خبيثة .

((ليس منا ــ كذلك ــ من تطير)) المتطير هو الذي ينظر في الطيور ، له خبرة بحركة الطيور ، عند العرب بعض القبائل له خبرة بالطيور ، كما يقال :

خبير بني لهبن فلا تك ملغيا مقالة لهبي إذا الطير مرت

عنده خبرة يعرف دلالة حركة الطيور إذا جاءت يمين أو شمال أو أمام أو وراء أو مفترقة ، هذا يحسن التطير .

((ليس منا من تَكهن أو تُكهن له أو تَطير أو تُطير له)) يمكن يجئ بعض الناس ما يعرف قضية الطيرة ودلالتها يأتي للخبير ويقول : أنظر في سفري

....

الآن مناسب أو ما هو مناسب ؟ وانتظر الآن نشوف الطير أين رايح . فيعطيه القرار من جنس ((تَكهن أو تُكهن له)) فهذا سائل وهذا مسئول ، الذي يُتطير له هذا ما عنده خبرة ما يحسن الطيرة .

وهكذا التالي ((من سَحر أو سُحر له)) ((سحر)) هذا الساحر الذي يأتي السحر ويفعل السحر ويعمل السحر ، عنده خبرة .

((أو سُحر له)) هذا هو الذي لا يُحس ن السحر ، لكن يأتي إلى الساحر ويطلب منه ، يقول : أريد منك أن تسحر فلان ، أريد منك أن تفعل سحر . قد يفعل سحر ويقول : خذه معك وافعل كذا وافعل كذا ويعطيه ، يرسم له الطريقة ، فكل من هؤلاء متوعدون بهذا الوعيد وقد برئ الرسول صلى الله عليه وسلم

منهم ((ليس منا من تَطيرَ أو تُطُيرَ له ، أو تَكَهنَ أو تُكُهن له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ أو سُحِرَ له)) .
وإن كان المتكهن له راض بصنيعه أو يعتقد علمه بالغيب ، وكذلك الذي سُحر له إن كان يرضى بالسحر ويستحله أو يصدق الساحر فيما يدعيه من علم الغيب ، ويعتقد أنه يعلم الغيب فإنه حكمه حكم الساحر ، وحكم الكاهن .
المقصود أن هذا يدل على تحريم هذه الأعمال ، وأنها من كبائر الذنوب ، ولا يلزم من ذلك التساوي بين الكاهن والمتكهن والمتطير ، لكن قد يتساوون .

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : ((ومن أتى ...)) إلى آخره .
قال البغوي : العراف : الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن . والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير .

الشرح :

يعني هذا رواية أخرى لحديث عمران بن حصين ، فيه ((ليس منا)) وليس فيه ((ومن أتى كاهنا فسأله عن شئ)) إلى آخره .

(قال البغوي) هنا يقول البغوي الإمام المعروف حسين بن مسعود الفرا المفسر صاحب التفسير وصاحب شرح السنة ، يقول : (العراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات) يعني بعمليات يعملها ، مثل ما ذكرت من خط أو ضرب بالحصاة ، أو بملاحظة أشياء يستدل بها ، والذي يخبر عن المسروق ومكان الضالة ويستدل على الأمور بمقدمات .

والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل الذي يخبر عن ما في الضمير ، ما في ضمير الإنسان ، يقول : أنا أعرف أنك في نفسك كذا وكذا ، يخبر عن ما في ضمير الإنسان . قد يصدق وكد يكذب ، قد يصيب وهو الكذوب ، وقد يخطئ في أخباره . فالعراف هو الكاهن .

من العلماء من يجعل الكاهن أعم من العراف ، ومنهم من يجعل العراف أعم من الكاهن . والصحيح أن العراف أعم من الكاهن ، كما في قول شيخ الإسلام بن تيميه الآتي : فعطف الكاهن على العراف من عطف الخاص على العام ، وإن عطفت العراف على الكاهن فهو من عطف العام على الخاص .

وقال أبو العباس بن تيميه ، رحمه الله تعالى : العرَّاف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

الشرح :

هذا من أحسن ما قيل في التعبير عن العراف ، إن العراف اسم عام ؛ لأن العراف صيغة مبالغة من المعرفة ، فتصدق على كل من يدعي معرفة الأمور الخفية والأمور الغيبية . فيتناول الكاهن الذي يدعي معرفة المغيبات في المستقبل أو يدعي معرفة ما في الضمير ، أو يدعي معرفة المسروق ومكان الضالة . ويشمل المنجم الذي يعتمد في أخباره على النظر في النجوم ، هذا هو

المنجم . والرمال ـــ هذا نوع ثالث كلهم يدخل ـــ الذي يخط على الرمل ويرمي بالحصى ، هذا رمال ، قد يسميه بعض الناس : خطاط ، يخطط ، كما تقم ((أن العيافة والطرق والطيرة)) الطرق : الخط يخط في الأرض .
فالعراف ، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : (اسم للكاهن والنجم والرمال ونحوهم) مثل ما يذكر في الأيام الأخيرة ما يسمونه بقراءة الكف وقراءة الفنجان ، (ونحوهم ممن يدعي معرفة الأمور بهذه الطرق) بهذه الطرق الخفية والطرق الشيطانية التي ليست طرقا عادية معروفة ، الآن الصناعات صار الناس يصلون إليها وتصل إليهم بهذه الوسائل ، قد عُرفت أسبابها وأنها وسائل طبيعية قد خلق الله أسبابها ، وهي كلها من النوع المباح ، هذا الأصل فيها إلا أن تستعمل فيما حرم الله ، أما الأصل أنها أشياء مع روفة عند ذوي الاختصاص ، يعني أنها صناعة وإن كانت دقيقة وخفية وغريبة وعجيبة .

وقال ابن عباس رضي الله عنه ، في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق .

الشرح :

هذا الأثر عن ابن عباس ذكر الشارح أنه يروى مأثورا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنه لا يصح .
يقول : (في قوم يكتبون أباجاد وينظرون إلى النجوم) أباجاد اسم لحروف الهجاء على ترتيب معين ولا يزال معروف (أبجد هوز) حروف الهجاء

مرتبة هكذا (أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ف ، ص ، ط) يكفي إلى هذا ، مرتبة كل حروف الهجاء .
فهذه الحروف يكتبها المنجمون ويرتبونها وينظرون في النجوم .
(يقول : ما أرى من فعل هذا له عند الله من خلاق) أي من نصيب ، من خير وثواب ، كما تقدم الكلام على قول الله تعالى : ﴿ **ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة م ن خلاق** ﴾ ، وهذا الذنب في هذا القيل لمن يكتب هذه الحروف ، ومع النظر في النجوم ، ويستدل بها على أمور مغيبة ، وهكذا الآن المنجمون والكهان ، يعني من علامات شرهم ، ومن علامات خبثهم ، إذا جاءهم السائل ، يسألونه مثلا عن الاسم ، ما علاقة الاسم بالمسئول عنه ؟ إذا كان مريضا مثلا ، يعني الطبيب هل يلزم أن يعرف اسم المريض ؟ هل يستفيد من معرفة اسم المريض أو اسم أبيه وأمه ، هل يستفيد شيئا ؟ يعني في تشخيص المرض ، لا ، فمتى سأل المتطبب الخبيث ، متى سأل على الاسم ، ليستدل به ، أو سأل عن اسم الأم والأب ، أو طلب وهو بعيد ، أتو ني بثوبه ، ثوب ، الكشف ما يحتاج إلى أنه يحضر المريض ، ويحلل كما في الطب الطبيعي ، يحلل عناصر من جسمه ، لا ..يكفي أن يحضر له شيء ، هاتوا
....

بس ثوب ، ما ندري شُمَ الريح ، أو لا ، ف هذا الذي يكتب هذه الحروف ، ويستدل بها مع النظر في النجوم ، هذا منجم أو ساحر أو كاهن ، قل ما شئت ، يعني عراف ، (ما أرى من فعل هذا له عند الله من خلاق) ، يقول أهل العلم : من يكتب هذه الحروف لمجرد حساب أو ترتيب معين ، ترتيب أشياء ، يرتبها هذا الترتيب ، يعني ترتب أشياء تقول هذا (أ) هذا واحد ، هذا الأول ،

(ب) يكون منه اثنين ، (ج) هذا رمز ثلاثة ، و (د) أربعة ، هذا شيء معمول به الآن ، يعني ترتب الأشياء أحيانا ، بدلا أن تقول : واحد أثنين ، يلجأ إلى أن يرتبها بهذه الحروف ، (ا ، ب ، ج ، د) ، فإذا وجدت الورقة مكتوب عليها (ط) هذه معناها الرقم كم ؟ تسع ؛ لأن الطاء هي الحرف التاسع في ترتيب الحروف الهجائية الترتيب الأبجدي ، هذا تعريفه الآن ، تعرفونه وتقرءونه كثيرا الآن ، وبهذا ينتهي هذا الباب وسنؤجل مسائله مع الباب الأتي ، وهو قصير إن شاء الله لليلة القادمة ، بعون الله تعالى .

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكهان مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أباجاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

الشرح :

الحمد لله ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

يقول الشيخ المجدد ، رحمه الله ، يقول في مسائل باب ما جاء في الكهان ونحوهم : المسألة الأولى : (لا يجتمع تصديق الكهان) والإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا يقتضي أن تصدق الكهان عند الشيخ كفر ، هذا الذي يظهر من هذه المسألة ، (لا يجتمع تصديق الكهان مع الإيمان بالقرآن) هو المنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام ، تقدم أن المنزل على الرسول هو القرآن والسنة ؛ لأن ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾ ، الكتاب هو القرآن ، والحكمة هي السنة .

لأنهما ضدان لا يجتمعان ، (لا يجتمع تصديق الكهان والإيمان بالقرآن) ، يعني ((فمن أتى كاهنا فسأله عن شيء فصدقه ، فقد كفر)) كفر بالقرآن حيث صدق من يدعي علم الغيب ، وهذا يناقض قوله تعالى : ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات الغيب إلا الله** ﴾ ، تقدم لكم الكلام في مذاهب أهل العلم في مفهوم

....

الحديث ((فقد كفر بما أنزل على محمد)) ، قيل له : هو كفر دون كفر ، قيل : هو كفر ەو ردة ناقل عن الملة ، وقيل : بأن الواجب هو الإطلاق والتوقف عدم الجزم بواحد منهما ، وسياق الحديث على إطلاقه .

وذكرت لكم أيضا أنه يمكن التفصيل ، والله أعلم ، ففرق بين من يأتي الكاهن ويصدق على أنه يعلم الغيب هذا يكفر ، أو يأتي الكاهن وهو يعلم أنه دجال ، وأنه يخبر بما يخبر به ، ويصدق ، حيث أنه يتلقى بعض أخباره عن الجن ، وعن الشياطين الذين يطلعون من أمور الناس على ما لا يطلع عليه غيرهم ، فهذا إذا سأل وصدق ، لا يكون من جنس الأول ، بل يكون فعله هذا كفر دون كفر ، والله أعلم .سبق ذكر هذا ، ولكن على سبيل التأكيد ، والتذكير .

الثانية : (التصريح بأنه كفر) هذا يؤكد المسألة التي قبلها .

الثالثة : (ذكر من تكهن له) بأنه مذموم قد تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ((ليس منا من تَكَهن أو تُكُهن)) المتكهن هو الكاهن ، المتكهن له هو السائل ، كما تقدم .

الرابعة : (ذكر من تطير له) مثل ما قبله .

الخامسة : (ذكر من سحر له) كذلك من سحر له ، مثل من يستعين بالساحر على سحر إنسان يأتي ، يطلب منه أن يسحر فلانا ، أو أن يعمل له سحرا ، يضر بفلان ، فهو شريكه في الذم والوعيد .

السادسة : (ذكر من تعلم أباجاد)هذا يرجع إلى قول ابن عباس ، أنه قال : في قوم يتعلمون أباجاد ، وينظرون في النجوم ، لا أرى أن من فعل ذلك له عند الله من خلاق . ــ أو لا أرى أي لا أظن ــ .

السابعة : (ذكر الفرق بين الكاهن والعراف) الفرق بين الكاهن والعراف هذا ....

جاء في كلام البغوي ، وأن العراف هو الذي يستدل ، يخبر بالمسروق ، ومكان الضالة ، والكاهن هو الذي يخبر عن المستقبل ، أو عما في الضمير .

وكذلك قول شيخ الإسلام ، يتضمن شيء من الفرق أيضا ، من وجه ، حيث أن أبا العباس شيخ الإسلام ابن التيمية ذكر الفرق ، بين العراف والكاهن ، على أن قول الشيخ الفرق بينهما : أن العراف أعم من الكاهن ، فكل كاهن عراف ، وليس كل عراف كاهن ؛ لأن العراف يكون منجما ، ويكون رمالا ، وضاربا بالحصى ، ومن يقرأ الفنجان ن ومن يقرأ الكف ، كل هذا يصدق عليه اسم عراف ؛ لأن عراف صيغة مبالغة ، كما سبق .

٢٧ ـ باب ما جاء في النشرة

عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة فقال : ((هي من عمل الشيطان)) رواه أحمد بسند جيد ، وأبو داود ، وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

الشرح :

يقول الشيخ : (باب ما جاء في النشرة) ، يعني من الذم ، أو الإذن والجواز ، ما جاء فيها من النهي والذم أو من الرخصة والجواز ؛ لأن النشرة ، كما سيأتي نوعان .

النشرة : هي حل السحر عن المسحور ، مأخوذة من النشر بمعنى التفريق ، والكشف ؛ لأن النشرة فيها كشف السحر وإزالته ، وتفريق من عقد ، ومن اجتمع من عمل الساحر .

(عن جابر ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة) النشرة ، يقول العلماء : أن النشرة هنا ، (الــ) فيها للعائد الذهني ، يعني النشرة المعروفة عندهم في الجاهلية ، يسألون عن شيء معين ، لا عن النشرة مطلقا ، لا .. عن النشرة المعهودة معروفة ، وهي النشرة التي تشتمل على المحرم ، على الشرك أو غيره مما حرمه الله ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((هي من عمل الشيطان)) النشرة من عمل الشيطان ن يعني من العمل الذي يأمر به الشيطان ، أو من العمل الذي يعمله الشيطان ؛ لأن الساحر يستعين بالشيطان في حل السحر ، يتقرب إلى الشيطان فيبطل عمله ، كما يأتي في كلام ابن القيم ، يبطل عمله عن المسحور .

....

فإضافة العمل على الشيطان إما من إضا فة الفعل إلى فاعله ، أو من إضافة المسبب إلى سببه .
وعلى كل حال فإضافته للشيطان ، تدل على تحريم النشرة ، فالنشرة إذًا حرام ، ولما سأل الإمام أحمد ، رحمه الله عن ذلك ، يعني عن النشرة ، (قال : ابن مسعود يكره هذا كله) ابن مسعود رضي الله عنه ، يكره هذا كله ، كل ما يتعاطاه الناس في حل السحر ، ولا ريب أنه يعني الطرق المعهودة عندهم ، عند أهل الجاهلية ، يكره هذا كله ، والكراهة في لغة الشرع ، وفي لغة أهل العلم المتقدمين بمعنى التحريم ، قال الله تعالى : ﴿ **كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها** ﴾ ، قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال)) .
(قال الإمام أحمد : ابن مسعود يكره هذا كله) ، فأحال الإمام أحمد ، رحمه الله على قول ابن مسعود ، وهذا يشعر بأن الإمام أحمد يذهب إلى قول ابن مسعود ، ولعله لم يستحضر حديث جابر في وقت السؤال ، وله ذا أحال على قول ابن مسعود ، وإلا المناسب أن يقول أو أن يذكر الحديث ، ((النشرة من عمل الشيطان)) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((النشرة من عمل الشيطان)) ، أو أن يسوق الحديث ، سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن النشرة ، فقال : ((هي من عمل الشيطان)) .

وفي (البخاري) ، عن قتادة ، قلت : لابن المسيب رجل به طبٌّ أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل له أن ينشر ؟ ، قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه .

الشرح :

هذا الأثر كما ذكر المصنف ، رحمه الله ، رواه البخاري ، وذكر بعذ الشرا ح أن البخاري رواه تعليقا ، المقصود أنه صحيح ، (عن قتادة) بن دعامة السدوسي التابعي المشهور المفسر ، يقول : (قلت : لابن المسيب) سعيد بن المسيب ، الإمام المعروف ، أحد الفقهاء السبعة ، رحمه الله ، سئل فقيل له : (الرجل به طبٌّ أو يؤخذ عن امرأته) به طب يعني سحر ، فالطب يطلق على السحر ، إنسان مسحور يقال : فيه طب ، قال الشارحون : أن هذا من أساليب اللغة العربية أن يطلقوا على الشيء اسم ضده ، فإن الطب هو العلاج لإزالة الداء ، فيطلق اسم الطب على الداء نفسه ، كقول العرب للذي للديغ سليم ، اللديغ يسميه العرب سليم ، تفاؤلا له بالسلامة ، وهذا تفاؤلا له بالشفاء ، طب ، أو هو من الأضداد ، فإن في اللغة العربية ألفاظ تعرف بأنها من الأضداد ، يعني تطلق على الشيء ، اللفظ الواحد يطلق على الشيء وضده ، مثل قوله تعالى : ﴿ **والليل إذا عسس** ﴾ ، قيل : عسس أقبل ، وقيل : أدبر ، ضده .

(الرجل به طبٌّ أو يؤخذ عن امرأته) ، يظهر أن أو للتنويع ليست للشك ، به طب ، يعني به سحر ، أو يؤخذ عن امرأته أو يحبس ، هذا نوع ، حالة من حالات السحر ، السحر ، حبس الرجل عن امرأته ، حتى لا يقدر على جماعها ، وإن كان سليما عضويا ، ليس فيه آفة ، ليس فيه علة عضوية جسدية ، لا ..

بل علته نفسية ن يعني عمل يمنع الرجل من الوصل إلى امرأته ، وهذا
....

معروف قديما وحديثا ، شر يبتلى به بعض الناس بسبب بعض أولئك الخبثاء المفسدين الأشرار ، الذين يكيدون لمن يعادون .

(أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل له أن ينشر ؟) هذا هو السؤال ، موضوع السؤال الرجل به سحر أو يؤخذ عن امرأته ، والسؤال : أيحل عنه أو ينشر ؟ هذا (أو) هنا للشك ، يعني ينشر يعني يحل عنه ، فقال سعيد بن المسيب ، رحمه الله : (إنما يردون به الإصلاح) يريد الذين يفعلون هذا ، ويقيمون بحل السحر عن المسحور ، يريدون به الإصلاح ، يريدون به النفع ، (فأما ما ينفع فلم ينه عنه) ، يعني ظاهر هذا الكلام أن حل السحر عن المسحور أنه جائز ولا شيء فيه ؛ لأن المقصود منه النفع ، فلا بأس به ، وهذا لا يستقيم على الإطلاق ، فليس كل ما يريد الناس به الإصلاح أو يصلون به إلى منفعة ما يكون جائز ، هذا لا يصح على الإطلاق ، لابد أن يكون الفعل الذي يراد به الإصلاح مأذونا فيه شرعا ، أما إذا كان محرم ، مثل الدواء بالمحرم ، الذي يعالج بالخمر ، ما يريد ؟ يريد النفع ، يريد أن ينفع ، أو ببعض المحرمات ن ببول يعالج ببول يقول : أشرب البول ، أو أكبر من ذلك ، يأمره يقول : افعل كيت وكيت من الأفعال المنكرة ، اذبح ديك أو اذبح شيء من هذا القبيل ، حتى تشفى ، الآن هذا كله ظاهره يراد به الإصلاح ، وهل إرادة الإصلاح بهذا تسوغه ؟ لا ..وليس كل ما يراد به ا لإصلاح ، وليس كل ما قد تترتب عليه منفعة ، يعني فعلا أو صدفتا ، مما يسوغ .

إذًا كلام الإمام سعيد بن المسيب ، رحمه الله لابد أن يحمل على معنى صحيح ، كلام أهل العلم يجب إذا كان محتمل لأمر لا يصح ، يجب أن يحمل على معنى يصح ، ما يجب حمله على يتناقض مع مقامه ، و منزلته ، إذًا قول سعيد ....

هذا يحمل على ما ليس فيه شرك ، ولا محرم ، فإما أن يكون من المباح البين ، وإما أن يكون من الأمر الذي لم يتبين فيه ما يوجب منعه ، وتحريمه ، ما دام أن فيه منفعة ، ويراد به الإصلاح ، وليس فيه أمر محرم ، ليس فيه شيء مما نهى الله ورسوله عنه ، فلا بأس به ، يحمل على هذا .

كما حملنا قول ابن مسعود ، رضي الله عنه أنه يكره هذا كله ، يعني يكره الطرق التي يتعاطاها الناس في الجاهلية لحل السحر وعلاجه ؛ لأنها طرق محرمة ، يكره هذا كله .

وروي عن الحسن انه قال : لا يَحُل السِحَر إلا ساحر .
قال ابن القيم ، رحمه الله : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان :
أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطا ن بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .
والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

الشرح :

الحسن البصري التابعي المشهور المعروف العالم الفقيه الواعظ ، يقول ، رحمه الله : (لا يحل السحر إلا ساحر) ، لعلنا نقول : أن هذا باعتبار الأغلب من واقع الناس ، الأغلب من واقع الناس أنه لا يحل السحر إلا ساحر ، والموجب لهذا التفسير وهذا التأويل ، الموجل لهذا ما سيأتي من أنه يمكن حل السحر بغير السحر ، أن يحل السحر غير الساحر ، كما في كلام ابن القيم التالي .

قول ابن القيم هذا فيه فصل وتفصيل ، يقول الإمام ابن القيم : (النشرة : حل السحر عن المسحور) هذا التعريف العام ، حل السحر عن المسحور هذه هي

النشرة ، (وهي نوعان :) قسمة ، (حل بسحر مثله ، فهذا هو الذي من عمل الشيطان) هذا هو الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله لما سئل عن النشرة : ((هي من عمل الشيطان)) يقول ابن القيم : (وعلى هذا المعنى ، يحمل قول الحسن) لا يحل السحر إلا ساحر ، يعني لا يحل السحر إلا ساحر ، يريد حل السحر بسحر ، هذا لا يفعله إلا الساحر ، حل السحر بالسحر لآ

....

يكون إلا من ساحر ، وذكرت لكم أن هذا الحصر يجب أن نحمله على الغالب من واقع الناس ، فأكثر ما يحصل ويقع حل السحر بسحر ، ولا يكون إلا من ساحر ، لا يحل السحر إلا ساحر ، يقول ابن القيم : (فيتقرب الناشر) وهو الساحر ، (والمنتشر) وهو المسحور الذي يريد أن تعمل له النشرة ، يتقرب الجميع (إلى الشيطان بما يحب) من شرك أو معصية على الأقل ؛ لأن هذا ما يحبه الشيطان ، (فيبطل عمله) لأن أصل السحر عمل شيطاني ، (فيبطل عمله عن المسحور) إذًا حل السحر هذا طيب ، إبطاله طيب ، ولكن الطريق إليه هذا ، والوسيلة كما يقال : الغاية لا تبرر الوسيلة ، كما ذكرت آنفا ، ليس كل ما يقصد فيه الخير والإصلاح يتوصل إليه بكل طريق ، والوسائل يجب أن تكون محكومة بموجب الشرع ، أن تكون من الأمور المأذون فيها نصا أو أن تكون مما لم ينهى عنه ، فيبطل عمله عن المسحور ، هذا هو القسم الأول ، من النشرة ، قال : (وعليه يحمل قول الحسن) .، ويحمل عليه الحديث ، هي التي من عمل الشيطان .

القسم الثاني من النشرة ، وهي حل السحر عن المسحور ، علاج المسحور بالرقي الشرعية ووالتعاويذ أو التعوذات ، وعطف التعاويذ على الرقى من

عطف الخاص على العام ، والأدوية ، أدوية مباحة شرعا ، دهان شيء مما أباح الله ، وأدعية مباحة ، وتضرع إلى الله من المسحور أو ممن له عناية بالمسحور أو من غيرهم ، دعوات ، الدعاء سبب عظيم ، بل هو أعظم السباب في جلب المنافع ، ودفع المضار ، دعاء المسألة ، والدعوات المباحة ، فهذا جائز ، هذا لا ك لام فيه ، وليس هو محل اشتباه ولا إشكال ، حل السحر بالرقى ، يمكن حل السحر بالرقية والتعويذات والدعوات والأدوية ، يمكن ،

....

لكن عند كثير من الناس ، عندهم أن الذهاب إلى الساحر ، حل ا لسحر مضمون عند الساحر ، وهذا ليس بصحيح ، حل السحر ليس مضمون عند الساحر فأحيانا تكون العلة يظن أنها سحر وهي ليست سحرا ، هذا يجري لكثير من الناس يهرع إلى السحرة والمشعوذين والدجالين ظنا منه أن هذه العلة أنها سحر ، وليست سحر ، يمكن أن تكون عين ، سببها عين ، يمكن أن تكون بلا سبب من قبل الناس ، علة أنزلها الله بحكمته البالغة ، والكل بقدر الله ، الكل ما كان بسبب من قبل الناس ، وما لم يكن له سبب من قبل الناس ، الكل لا يخرج عن قدر الله ، ثم لو كان العلة التي يعاني منها المبتلى ، لو كانت سحرا فليس من الضروري أن أي ساحر يحل ، يعني إذا أصبح الساحر ، يعني يشفي من السحر مطلقا ، وهو على ذلك قدير ، ما يصلح أبدا ، الساحر قدرته محدودة ، وشياطين الإنس والجن مهما أوتوا من قدر فإنهم يعجزون عن أشياء ، يعني قدرتهم محكومة بمشيئته سبحانه وتعالى ، يقول الله تعالى في شأن سليمان ﴿ **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل من سأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في**

العذاب المهين ﴾ مات سليمان ، والجن يعملون ويكدحون ، ما دروا أن سليمان مات ، ولو كان السحرة والكهان كما تقدم علمهم تام ومطلق ، أصبح شرهم خطر أعظم ، كم من مبتلى يذهب للعديد من السحرة ، ويبوء بالفشل ، وقد يكون السحر من أثاره تلبس الجن بالإنس ، فيصبح هذا الشيطان يتلاعب بالساحر وبالمسحور ، فيخرج ويرجع ، يخرج ويرجع ، وهذا تسمعون منه كثيرا ، من تلاعب الجن بالإنس من السحرة ، أو ممن يرجع إليهم ، و ممن يسألهم .

....

فالمقصود أن حل السحر بهذه الطريقة ممكن ، نقول : هل يمكن حل السحر بالأدعية والدعوات والتعاويذ والرقى ؟ نقول : نعم ممكن ، لكنه مضمون ؟ لا ، هو سبب من الأسباب ، مثل ا لأدوية ومثل الأدعية ليس مضمونا ، وحل السحر بسحر ممكن ؟ ممكن ، لكن هل هو مضمون ؟ لا ، ما الفرق إذًا بينهما ؟ إن الأول ، حل السحر بالأدعية والدعوات ، هذا طريق مباح ، وبقدر ما يتوفر عند الإنسان من الإيمان واليقين والتوكل على الله ، يكون أثر هذا الدعاء ، بقدر ما يكون بقلب الداعي ، والراقي ، والمرقي ، بقدر ما يكون بقلوبهم من صدق التوكل على الله ، وصدق الإقبال عليه ، يكون الأثر بإذن الله تعالى ، وتلقون في الشرح ما ذكره ابن القيم وغيره عن بعض أهل العلم من علاج السحر بقراءة بعض آيات ورد فيها ذكر السحر ، وبطلان الس حر ، كما في سورة الأعراف ، ويونس ، وهود وطه . هذه آيات ، ثلاثة آيات من سورة الأعراف ، وأربع أو ثلاث آيات من سورة يونس ، وخمس آيات من سورة طه ، ﴿ **وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يئفكون**

فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فضربوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ ، ﴿ **وقال فرعون أتوني بكل ساحر عليم** ﴾ في سورة يونس ، ﴿ **فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلامته ولو كره المجرمون** ﴾ ، وفي سورة طه ﴿ **قالوا يا م وسى إما أن تلقي أو نكون أول من ألقى قال بل القوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى فوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح**

....

الساحر حيث أتى ﴾ ، فذكر بعض أهل العلم أن قراءة هذه الآيات في ماء ، على ماء ، فإنه ينفع بإذن الله ، يضاف إلى ذلك ما جاء عن وهب بن المنبه أن من المجرب في علاج السحر أن يؤتى بسبع ورقات من السدر الأخضر وتوضع في ماء ، فإذا أضيف ه ذا إلى هذا مع قراءة الآيات كذلك التي في النصوص نفعا وأثرها ، وهي سورة (الفاتحة) ، (قل هو الله أحد) ، و(قل أعوذ برب الفلق) ، (قل أعوذ برب الناس) كذلك (قل يا أيها الكافرون) ، فإذا فعل هذا وهذا وهذا ، فهذا كله مما يرجى نفعه ، بل إنه مجرب كما ذكر أهل العلم قديما وحديثا ، وقد ذكر شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز أنه وقع له هذا وجربه هو وغيره ، فنفع الله به بإذن الله .

فهذا هو الذي يتضمنه ، أو من معنى قول ابن القيم والنوع الثاني حل السحر بالرقى والتعويذات والأدوية والأدعية المباحة ، فهذا ......، فإذا تيسر مثلا من يفعل هذه الأشياء ، وهذا شيء ميسور ، قراءة الفاتحة ، والمعوذتين ، (وقل

هو الله أحد) ثلاث مرات ، (قل هو الله أحد) ، والمعوذتين ثلاثا ، مع ذكر ، قراءة كذلك آيات السحر التي ذكر بعض أهل العلم ، وهو ليث بن أبي سليم أنها مجربة ، وتنفع بإذن الله ، فتقرأ على ماء فيحتسي منه المبتلى ، يعني يشرب منه ، جرعات ، ويغتسل بالباقي ، وهذا نرجو أنه لا باس به ن ولا مانع منه ، هذا مما يصدق أو يمكن أن يحمل عليه قول سعيد بن المسيب : إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلو ينه عنه . يعني فلا حرج بالإيتان بسبع ورقات سدر ، والرقية على الماء ، وقراءة هذه الآيات ، آيات السحر ، كل هذا منه ما دلت النصوص عليه ، يعني ما أرشدت إليه النصوص ، وقراءة سورة الفاتحة ، ومنها ما لم ينهى عنه ، الحمد لله ، والله تعالى يقول :

....

﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسرا ﴾ ، والقرآن شفاء لأمراض القلوب بالدرجة الأولى وهو المقصود الأول وشفاء لأمراض الأبدان .

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعافينا وإياكم من كل مكروه ، وأن يعصمنا وإياكم من كيد شياطين الجن والإنس وأن يرزقنا البصيرة في الدين وأن يبطل كيد الكائدين ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يمن علينا وعليكم بالعافية في ديننا وفي أبداننا ، أنه تعالى على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، وفي ختام هذه الندوة ، أوصيكم بمواصلة هذا الطريق ، فطريق العلم كما تقدم طريق دائم وطويل وليس هو بمؤقت ، فالدراسات التي توقت بكذا سنين ، وحتى يتخرج الإنسان ، ليس معنى ذلك أنه ينتهي من العلم ، فالعلم طريقه طويل ، فالمسلم ينبغي أن يكون طالبا دائما وأبدا ، حتى يلقى

ربه ، وهو يطلب من ربه المزيد من العلم ، فقوله تعالى : ﴿ **أهدينا الصراط المستقيم** ﴾ ، هذا الذي نكرره في كل ركعة ، تتضمن طلب الهداية ، الهداية العامة ، والهداية الخاصة بتعليم ما لم نعلم ، وبالتوفيق للعمل بما لم نعمل به ، بالتوفيق ، وبالثبات على ما آتانا الله من علم ، وما وفقنا له من عمل ، نسأله تعالى أن يهدينا صراطه المستقيم ، وأن يزيدنا وإياكم علما وهدى وتوفيقا .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال .

الشرح :

الأولى : (النهي عن النشرة) هذا تقدم .

الثانية : (الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال) من قول ابن القيم ، وأن هذا التفصيل الذي ذكره ابن القيم يزيل الإشكال الذي يتبادر على الأذهان في كلام السلف ؛ لأن المأثور عن السلف فيه شيء من الاختلاف ولكن بمراعاة ذلك التقسيم الذي ذكره ابن القيم يزول الإشكال ، فيحمل كلام من منع على النوع الأول ، ومن أذن على النوع الثاني وما أشبهه .

جزى الله فضيلة الشيخ خير الجزاء .

الأسئـــلة

السؤال :

يقول السائل : فضيلة الشيخ ، ما هو الفرق بين الأسماء والصفات ؟ ، فهل مثلا القدير صفة أم اسم ؟ ، وما هو الاسم ، وما هي الصفة ؟ وهل يجوز الحلف بالصفات أم لا يجوز ؟ .

الجواب :

هناك قاعدة نبه عليها أهل العلم ، وهي أن كل اسم من أسماء الله متض من لصفة ، فالله تعالى الحي والحياة صفته ، وهو القدير والقدرة صفته ، فيصح أن نقول : أن القدير اسم وصفة .

فأسماء الله مشتقة ، والمشتق عند أهل اللغة يدل على ذات المسمى ، والمعنى القائم بالمسمى ، وهو تعالى السميع والسمع صفته ، وهو تعالى البصير والبصر صفته ، فكل اسم فإنه يدل على ذات الرب وصفة من صفاته .

لكن ليس كل صفة يشتق لـــه تعالى منها اسم ، فنقول : إن من صفاته تعالى الفعلية النزول ، ينزل إلى السماء الدنيا ، ومن صفاته الرضا والغضب ، والمقت ....، ولا نقول : إن من أسمائه الغاضب أو الراضي أو النازل أو ما أشبه ذلك ، لا .

فكل اسم متضمن لصفة ، وليس كل صفة مستلزمة لاسم ، هذه قاعدة ، نعم ، وأقول : يجوز الحلف بصفات الله ، كعزته ورحمته وقدرته ، وما أشبه ذلك .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، كيف نجمع من أن جبريل عليه السلام حضر يسأل النبي عليه الصلاة والسلام والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبه عما سأل فماذا يسمى هذا ؟

هل يسمى وحيا ؟

الجواب :

لا يسمى هذا وحي ، هذا سؤال لتعليم السائلين هكذا بين الرسول ، لما جاء جبريل وسأله تلك الأسئلة ، وانقضى السؤال والجواب ، وذهب لهم الرسول بعد ذلك ، لعمر أو غيره ، : ((أتدري من السائل ؟)) قال : الله ورسوله أعلم ، قال : ((هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) .

ما جاء ليعلم الرسول ، ما جاء ليعم الرسول حتى نقول : أنه جاء يوحي إليه ، فسأله عن أمور الرسول يعرفها من قبل ، ويعلمها من قبل ، لكن جاء ليعلمهم بطريقة السؤال والجواب ، ومعلوم أن التعليم بطريقة السؤال والجواب لها وقع فهي أسلوب جيد له وقع في النفوس ويسترعي الانتباه ، وتقع الأجوبة موقعها ، وهذا مجرب في التربية وفي التعليم .

فهذا الحديث أصل في التعليم بطريقة السؤال والجواب ، يمكن المعلم يلقي سؤال ثم يجيب عليه ، ويمكن أن يكلف إنسان يلقي أسئلة ، ويجاب عليه ، وأنظر الآن في الواقع المجرب ، الآن إلقاء مثل هذه الأسئلة ، قد لقيها بعض الناس ، لا لأنه محتاج ولكن ليفيد الآخرين للتنبيه على بعض الأمور ، أحيانا يكون السائل مسترشد يسأل عن ما لا يعلم ، وتارة يسأل ليعلم غيره ، فجبريل جاء يسأل الرسول لا ليعلم الرسول و لا ليتعلم من الرسول ، وإنما جاء ليعلم الصحابة رضي الله عنهم .

السؤال :

يقول السائل : ذكرت أنه يقال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه يقال : الله ورسوله أعلم ، ألا يمكن أن يقال إذا كان الأمر بعد وفاة النبي صلى

الله عليه وسلم من الأمور المحدثة ، فيقال : الله أعلم فقط ، وإن كان مما علمه النبي صلى الله عليه وسلم فيقال : الله ورسوله أعلم .

الجواب :

هذا سؤال حسن واستفسار طيب ، يمكن أن يقال أن هذا في الحكام الشرعية ، أما في الأمور الغيبية الأخرى فقد يكون الأولى الاقتصار إلى تفويض العلم إلى الله وحده لا شريك له ، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله ، وقد علم أنه لا يعلم ما يحدث بعضه من الأحداث من أحوال الناي وتغيرات الناس ، كما في أحاديث الحوض ، وأنه يقال له : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فلا يعلم من الغيب صلى الله عليه وسلم إلا ما أعلمه الله به ، لكن يمكن أن يقول هذا في الأحكام الشرعية ، محله الأحكام الشرعية ، وهذا لا أقوله على سبيل الجزم مطلقا في كل شيء ، حتى لأنه قد ورد في قصة الثلاثة الذين خلفوا وأحدهم كعب بن مالك ، ورد أنه جاء إلى ابن عمه أبي قتادة يسأله عن نفسه ويقول له : أليست تعلمني إني كذا وكذا وإني أحب الله ورسوله ، فقال : الله ورسوله أعلم ، فكان الصحابة يطلقون هذا ، في حضور الرسول في خطابه ، يعني في حضوره كما في حديث معاذ عندما قال له : ((أتدري ما حق الله ؟)) ، قال : قلت الله ورسوله أعلم ، ويقولنه في غيبه عليه الصلاة والسلام ، ولكن مع هذا فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يعلم من الغيب إلا ما علم ، فيتوجه إطلاق مثل هذا في الحكام الشرعية .

والشيخ ، رحمه الله في هذه المسائل التي استنبطها أطلق هذا وقال : إن في الحديث دلالة على أنه من سئل على ما لا يعلم فإنه يقول : الله ورسوله أعلم ، وكأن المسألة تحتاج إلى مزيد تدبر .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فهناك من يستدل بحديث معاذ رضي الله عنه بجواز كتمان العلم حتى ولو كان هذا يؤدي إلى تفشي علوم تفتن الناس وتشككهم فيه ، كدعاوى النصارى واليهود والعلمانية وغيرهم ، ويقول هذا الزاعم : أن هذا من المصلحة العامة المشروعة ومن خشية الفتنة ، فما قولكم ؟

الجواب :

لا شك أن الدعوة إلى الله وبيان العلم هو في الأصل واجب ، لكن لابد من النظر في النتائج والعواقب ، يعني المفتي إذا سئل إلى أمر يجب أن ينظر إلى مردود هذه الفتوى ، فقد يكون الإمساك هو مقتضى المصلحة ، وقد يكون البيان هو مقتضى المصلحة ، فقد يتحتم عليه أن يبين ابتداء ، وقد يتحتم عليه إذا سئل إن يبين ، قد يتعين على المسؤول أن يجيب ، وقد لا يتعين عليه إلا يجيب .

فأمر المصالح والمفاسد هذا أمر اجتهادي ، نوع اجتهاد ، والرسول صلى الله عليه وسلم ترك بعض الأمور التي يحب فعلها درأ للفتنة ، كما في بناء البيت ، وقال لمعاذ في هذا حديث : ((لا تبشر)) لا تخبر بهذا ، وسبق التنبيه على أن هذا ليس على إطلاقه ، فلكل مقام مقال ، وهذا موضع كما قلت تختلف فيه الاجتهادات ، فإذا صلح القصد ، وصلحت النية فيبقى المجال للاجتهاد ، والمجتهد إذا أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، ما صحة قول بعض العلماء أن كل من أفعال الله تعالى يشتق منه صفة ؟، وهل يشتق من اسم الله الحق صفة ؟

الجواب :

هذه المسائلة سئلت عنها بالأمس ، وأجبت عنها بالجواب المعروف عند أهل العلم ، أن كل اسم متضمن لصفة ، وليس كل صفة يشتق له تعالى منها اسم .
فمن أسمائه الحق ، ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين** ﴾
نعم هو الحق ، هو الحق بكل معاني التحقق ، الحق ضد الباطل ، إلا كل شيء ما خلا الله باطل ، فالحق يندرج فيه معاني ، فيه الثبوت ، فيه الكمال ، فيه الدوام ، فإن ما ليس بواقع ولا كامل فهو باطل ، والله تعالى هو أكمل الموجودات ، أعظم الموجودات ، هو ذو الوجود المطلق ، ذو الوجود الواجد ، فلم يزل ولا يزال ، فكيف تقول أن هذا لا يشتق له منه صفة ؟ نعم ، صفة الأحقية إن صح التعبير ، الأحقية ، البطلان هذا صفى غيره والأحقية صفته ، بكل معاني الحق ، فهو حق ، وقوله حق ، كما في الحديث ، استفتاح حديث ابن عباس : ((ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك حق))
ما معنى (وعدك حق) ؟ يعني ليس بكذب صدق ، ((وقولك حق)) قوله حق حقيقة ، صدق وعدل ، ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا** ﴾ ((والجنة حق)) ما معنى الجنة حق ؟ يعني أنها ثابتة واقعة ،
((والنار حق)) كذلك . والله تعالى هو الحق الذي لـــه كل معاني الأحقية ، صفاته حق وأسمائه حق .

السؤال :

فيقول السائل : في الكثير من الأحاديث يقول في الحديث : ((من فعل كذلك ابتغاء وجه الله)) وغير ذلك من الألفاظ ، فما هو المقصود بوجه الله ؟ هل هو الثواب المقتضي لدخول الجنة ثم رؤية وجه الله تعالى ؟

الجواب :

المراد بالوجه وجه الله سبحانه وتعالى ، فالكلمة فيها دلالة للمفرد ، وفيها دلالة للمعنى .

فالوجه لا نفسره بالثواب ، هذه طريقة المعطلة يفسرون وجه الله بالثواب ، أو يفسرونه بالذات ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ يعني يبقى ربك ، المراد بالوجه الذات .

وهناك تفسير للتركيب والجملة ، فمثلا قوله تعالى : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ إذا عبر المفسر ، وقال : المعنى تعالى وتقدس وعظم خيره سبحانه وتعالى ، الذي لـــه الملك ، الذي بيده الملك ، يعني المتصرف في الملك ، بقدرته ومشيئته ، كيف شاء .هذا التفسير صحيح لمضمون الكلام ، وليس تفسيرا لليد ولا تأويل لليد ، والآية فيها إثبات اليد .

كذلك مثل هذا الحديث ومثل قوله تعالى : ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾ نعم المعنى لله ، نطعمكم لله ، ولكن في نفس الوقت فيها دلالة على إثبات الوجه ، ولا يفهم عاقل أنه المراد أنهم إن فعلوا ذلك للوجه ، وأن هذا معنى غير لله ، قوله : ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾ يساوي من حيث المعنى للكلام ، إنما نطعمكم لله ، ولكن في نفس الوقت ذكر الوجه أفادنا زيادة معنى ، وهو إثبات الوجه .

ثم إن النظر إلى وجه الله مطلب من مطالب المؤمنين ، ((وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم)) ، فهو يعمل لله ويرجو أن يكرمه الله بالنظر إلى وجهه الكريم ، فلا يجوز أن يقال : أن المراد بالوجه الثواب ، ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾ أو من قال : لا إله إلا الله يبتغي ثواب الله ، لا يبتغي بذلك وجه الله ، يعني يريد بذلك الله تعالى ، يريد الله لا يريد سواه . ففي كل هذه النصوص إثبات الوجه لله ، وفي كل مقام يفسر الكلام بما يقتضيه السياق .

السؤال :

يقول السائل : هل صاحب الشرك الأصغر ، وتارك الصلاة متكاسلا مخلدا في النار ؟

الجواب :

أما تارك الصلاة ، فهذا الكلام فيه مشهور ، وخلاف أهل العلم فيه معروف ، فالذي فهم من النصوص ، أنه كافر مرتد خارج عن ملة الإسلام ، نعم إذا مات تارك الصلاة يكون مخلدا في النار ، ولكن تعلمون أن هذا محل خلاف ، ولكن لا يصح لعاقل أن يتسلى بالخلاف ، ولا يصح من عاقل أن يتسلى أن الموحد يخرج من النار ، ويقدم على الذنوب ويجترأ عليها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وما يدريك لعل الاستخفاف بالذنوب ينتهي بصاحبه إلى سوء الخاتمة يموت كافرا أما الشرك الأصغر ، فلا يقول أحد من أهل العلم أن الشرك الأصغر يوجب الردة وإن من مات عليه ، من مات على الشرك الأصغر مخلدا في النار ، لا لم يقل بهذا أحد ، الشرك الأصغر ليس كالشرك الأكبر .

أما ترك الصلاة فهذا راجع إلى حكمه ، والله اعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وجاء في تارك الصلاة ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)) ، والحديث الأخر ((بين الرجل وبين الشرك ــ أو الكفر ــ ترك الصلاة)) .

فحذاري ، حذاري ، وحذروا وانذروا عن ترك الصلاة ؛ لأنه من البلاء الذ ي قد عم وتعرض له كثير من الناس ، نسأل الله السلامة والعافية .

السؤال :

يقول السائل : يوجد كتيب موصوم بضعيف كتاب التوحيد ، ويباع في بعض المكتبات ، وقد سمعت أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، حفظه الله تعالى ورعاه قد بيع هذا الكتيب أو بيعه أرجو ا لتنبيه عن هذا الكتيب

ن وبيان ما هو الحق ؟ مع ملاحظة أنه قد خرج كتاب يرد على هذا الكتيب ، وقد قدم له الشيخ عبد العزيز بن باز .

الجواب :

جزاك الله خيرا ، سؤاله فيه التنبيه ، كتاب (التوحيد) لعلي ألمحت أنه كتاب التوحيد في البداية ، جميع الأبواب ليس فيها كثير كلام للشيخ إلا باستثناء المسائل أما الباقي فهي آيات وأحاديث وآثار ، ولعل أكثر أحاديث كتاب (التوحيد) لعلي أقول أن أكثر هذا في (الصحيحين) أو في أحدهما ، ومنها ما خرج عنهما ، فأحاديث كتاب (التوحيد) إما صحيح متفق عليها أو في أحد (الصحيحين) ، أو مما صح في غيرهما ، وهناك جملة من الأحاديث متكلم فيها ، يعني فيها بعض الرواة المتكلم فيهم ، وبعض الأحاديث ، ولكن معظم هذه الأحاديث المتكلم فيها قد تعقب ، يعني صاحب ضعيف كتاب التوحيد ، يعني نظر فيها نظرا قاصرا ، وقف على ما قيل في بعض رجال أسانيد هذه الأحاديث ، ولم ينظر إلى الشواهد والأدلة والقرائن ، وتعقبه الشيخ فريح ..... في كتابه تخريج الأحاديث المنتقضة ، قدم له الشيخ وأثنى على هذا الكتاب ، فينبغي الاستفادة من هذا الكتاب .

ثم إذا قدر أنه وجد في كتاب (التوحيد) بعض أحاديث ترجح تضعيفها فهذا لا يضر ؛ لأنه ليس شيء من هذه الأحاديث الضعيفة يعني جعل هو العمدة ، في الموضوع ، فإن أهل العلم قد درجوا على أنه قد يذكرون الحديث الضعيف للاستشهاد والاعتضاد لا للاعتماد ، فالقضايا ثابتة بالنصوص الصحيحة الصريحة ، وبالآيات القرآنية ، انظروا إلى الباب الأول ، والباب الثاني ، وهكذا الثالث والرابع ، كلها أحاديث ولله الحمد في (الصحيحين) أو في غيرهما أو مما صح في غير (الصحيحين) .

السؤال :

يقول السائل : إذا أتيت والإمام في التشهد الأخير فهل أدخل معه أم أصلي مع جماعة ثانية متخلفة معي ؟

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، إذا كنت تعلم أن هناك من تصلي معهم من أول الصلاة فالأولى أن تكون معهم تتأخر معهم ؛ لأن على الصحيح أن الجماعة لا تدرك إلا بإدراك ركعة ، فمن لم يدرك إلا التشهد في الحقيقة لم يدرك الجماعة ، لكن إذا كنت لا تدري فدخولك معهم أولى وأحوط ، والواقع أن الصلاة قد فاتتك كلها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : ((ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا)) فتحقيقا قد فاتت الصلاة كلها لأن ما تدركه غير معتد به . والله أعلم .

السؤال :

يقول السائل : ما حكم تخليل أصابع الأرجل في الوضوء ، تخليل الأصابع المعروف عند أهل العلم أنه من المستحبات ، إلا إذا كان الإنسان يعلم أن فيها التصاق وأن الماء لا ينفذها فإنه يجب التخليل لتحقيق الإسباغ ، وفي حديث لقيط ((وخلل بين الأصابع))

السؤال :

يقول السائل : إذا توضأت ولم أسبغ وضوئي ونسيت غسل عضو وعلمت بعد الصلاة ، فهل عليَّ إعادة الصلاة ، أم ماذا يجب عليَّ ؟

الجواب :

نعم عليك إعادة الوضوء والصلاة .

السؤال :

يقول السائل : إذا زاد الإمام في الصلاة الرباعية ركعة خامسة ونبه ولكنه لم يرجع ، فبعض المصلين جلس والبعض قام مع الإمام ، فهل صلاة الذين جلسوا صحيحة ، وهل فعلهم هذا صحيح ؟

الجواب :

الذين جلسوا هم المصيبون فإنه لا يجوز للمأموم إذا تيقن الزيادة أن يقوم مع الإمامة ، إذا قام الإمام لخامسة أو رابعة في المغرب مثلا فإنه لا يجوز لمن علم خطأه بيقين أن يقوم معه ، والذين يقومون معه يكون غالطين ومخطئين مثله ، فالصواب مع الذين يجلسون ، فالواجب الجلوس ، فمن جلس فهو إما أن ينتظر الإمام حتى يسلم وإما أن يختار لنفسه أن يسلم وينفرد عن الإمام لأن الإمام قد أخطأ فلا حرج ، ولكن الأولى أن ينتظر حتى يسلم الإمام ، ولا يجوز أن يقوم معه ، والذين يقومون معه عذرهم الخطأ ولو تعمدوا مع علمهم بالحكم بطلت الصلاة ، يعني من تعمد الزيادة في الصلاة بطلت صلاته .

السؤال :

يقول السائل : فضيلة الشيخ حفظكم الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هل على المرأة التي شعرها كثيف في الغسل أن تمسح شعرها أم تغسله كله ؟ أرجو من فضيلتكم التفضل بالإجابة .

الجواب :

عليها أن توصل الماء إلى أصول الشعر ، وأما الضفائر فيكفي غسل ظاهرها ولا يلزمها نقض الشعر ، لكن أصول الشعر يجب أن تحثي على رأسها بحثية من الماء يتخلل وينفذ إلى باطن الشعر .

السؤال :

يقول السائل : قمت من النوم لصلاة الفجر وأنا جنب ، ثم نثرت على جسمي الماء بدون وضوء ولا استنشاق ولا مضمضة فهل هذا يكفي ؟

الجواب :

الواجب تعميم البدن بالماء والمضمضة والاستنشاق على الصحيح واجبان في الوضوء والغسل ، وهذا هو الأصل أما الأمر بالإعادة فأنا أتوقف في هذا الأمر ، أتوقف في وجوب الإعادة على من حصل منه ذلك ، لكن الأصل أن عليه أن يتمضمض ويستنشق ، والأكمل في حقه أن يغسل كفيه ثم يغسل فرجه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة .

وهذا يسمى عند أهل العلم إذا كنت قد أسبغت جميع بنك وأوصلت الماء إلى أصول شعرك وعممت جسمك فلم يبق عليك المضمضة والاستنشاق وغسلك صحيح ، والأكمل أن تفعل ما ذكرت من غسل الكفين ثم الفرج ثم تتوضأ وضوءك للصلاة ثم تحثي على رأسك ثلاث حثيات وتخلل الشعر إذا كان لك شعر ثم تفيض الماء على سائر البدن فهذه صفة غسل النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الصورة التي ذكرتها فلم يفت فيها من الغسل المجزئ إلا المضمضة والاستنشاق .

السؤال :

يقول السائل:هل أصلي بالغسل المجزئ إذا لم أغتسل اغتسالا كاملا ؟

الجواب :

نعم ، إذا كنت اغتسلت تريد الطهارة تريد أن تصلي فإن ذلك يجزئك عن الوضوء .

السؤال :

يقول سائل : ما حكم شراء بعض المأكولات من البقالات التي تبيع دخانا ؟

الجواب :

يجوز الشراء منهم ، ولكن تشجيع غيرهم ممن لا يبيع الدخان أولى .

السؤال :

يقول ما حكم أكل الدجاج الغير وطني ؟

الجواب :

هذا من المسائل التي فيها خلاف بين أهل الفتوى ، والشبه أن المستورد يعترضه أمران :

الأول : أن منه من يستورد من دول لا دينية ، يعني شيعية ونحوه ، وثنية .

والثاني : ما هو مشهور من أن طريقتهم في الذبح ليست الطريقة ا لشرعية ، بل تذبح المواشي ويذبح الدجاج بطريقة الصعق الكهربائي ، وهذه ذبحة تجعل الحيوان من نوع الموقذة أو المنخنقة ، وبعضه يذكر أنه يذبح على السنة كما يكتب على بعض الكراتين ، فهو محل اشتباه . فبعض أهل العلم يرى أن الأصل الحل ، ذبائح أهل الكتاب خاصة الأصل فيه ا الحل ، ومن المشايخ من يرى أن هذا فيه اختلاط الميتة ، من نوع اختلاط الميتة بالمزكاة .

وأنا شخصيا لا آكله لا يعجبني ولكني لا أنكر على من أكله . ثم أنه ينبغي التواصي ، وينبغي للمؤسسات الوطنية أن تعنى بشروط التزكية وحل الذبيحة وأساسها الذبح الذي ينهر الدم ، يعني يذبح الحيوان بطريقة يحدث بها إنهار الدم ، والأمر الثاني التسمية . والتسمية يقصر فيها ويخشى أن يقصر فيها كثير ممن يتولى الذبح ، فينبغي العناية بالتسمية فإن الله تعالى يقول : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، قال صلى الله عليه وسلم : ((ما أنهر الدم و ذكر اسم الله عليه فكل)) . حتى أن من أهل

العلم من يرى أن الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها لا تحل ولو كن الترك نسيانا ، فالأمر عظيم .

السؤال :

يقول السائل : ما السبيل إلى إزالة الإشكال الظاهر بين حديث البطاقة وأحاديث تعذيب عصاة الموحدين ؟

الجواب :

ليس هناك عند أهل العلم إشكال ، صاحب البطاقة لابد أنه كانت منه كلمة التوحيد في حال عظم فيها إخلاصه حتى رجح بذنوبه ، حتى رجح بتلك الذنوب ، ولم يعمل بعد هذه الكلمة تلك الذنوب ، هذا معنى جواب شيخ الإسلام بن تيميه ، اقرءوه في فتح المجيد . وكلام ابن القيم رحمه الله ، اقرءوا هذا المعنى .

السؤال :

يقول السائل : ما صحة العبارة : الله ما رأيناه وبالعقل عرفناه ؟

الجواب :

أما قوله (الله ما رأيناه) فهذا صحيح ، الله سبحانه وتعالى الإيمان به من الإيمان بالغيب ، والمقصود ما رأيناه بعيوننا ، بالعيون .

ولكن (بالعقل عرفناه) ما هو بصحيح أنه بالعقل وحده ، بل عرفناه بالعقل والشرع ، الله معروف بالعقل والشرع ، عرفناه بآياته الكونية وبآياته الشرعية ، كم يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في الأصول الثلاثة : (إذا قيل لك بما عرفت ربك ؟) ــ الجواب من دروسكم الأولى ــ (فقل : عرفته بآياته ومخلوقاته) بآياته الشرعية وبآياته الكونية وهي المخلوقات ، المخلوقات كلها آيات كونية :

﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ . ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ .

والله يعدد ويذكرنا بالآيات الدالة على ربوبيته وألهيته وكماله سبحانه وتعالى . فالقول (بالعقل عرفناه) هذا صحيح لكنه قاصر ، لأنه يوهم إننا إنما عرفناه بالعقل ، لا إنما عرفناه بالعقل وبالشرع ، بل كثير من أسماء الله و صفاته إنما عرفناها بالشرع ، التفصيل ، يعني العقل معرفته معرفة إجمالية كما يقول العلماء ، فالعقل لا يستقل بمعرفة الله بأسمائه وصفاته ولا بمعرفة شرعه ولا بمعرفة الغيب وما أعد الله للعاملين .

السؤال :

يقول السائل : ما حكم من يتتبع رخص مشائخنا في بعض المسائل و يذهب مع كل مرخص في رخصته على تعدد من أفتى من العلماء ؟

الجواب :

مقولة معروفة ومشهورة عن أهل العلم ، يقولون : من تتبع الرخص تزندق ، من تتبع الرخص ، نعم وهذه الكلمة صادقة ، لأن الذي يتتبع الرخص ليس طالبا للهدى بل هو متبع للهوى ، فيأخذ من كلام كل عالم ما يوا فق هواه فيجعل فتوى العالم ستارا له وحجة له . فهذا ليس بطالب للحق ولا متبع لهدى الله ولا طالب للصواب ، هذا متبع لهواه ، واستفتاءه يريد أن يبرر به عمله ، حتى يقول إني أفتاني فلان وهذه فتوى فلان ، ويجعلها حجة له وليست حجة له ، ليست عذرا له لا في الدنيا ولا الآخرة .

وإذا الإنسان استغل فتوى العالم لموافقة الهوى لا تكون عذرا له ولا يغني عنه ذلك من الله شيئا . والعالم معذور باجتهاده ، وهذا ليس معذور ؛ لأنه ليس مجتهدا ولا مقلدا طالبا للحق .

فهذا أسلوب باطل ومنكر يدل على فساد دين من هذا صنيعه ، بل الواجب أن يتحرى ، المستفتي يتحرى في إفتاء من يثق في دينه وعلمه ، وإن استفتى هذا العالم وأفتاه فلا يضره إن استفتى آخر رآه أعلم وأمكن في العلم والدين ، فينتقل من المفضول إلى الأفضل .

فيجب الحذر من هذا المنهج ، ومن يصنع هذا لابد أن يقع في التناقض والتذبذب والتضارب ؛ لأنه قد يستفتي هذا فيحرم عليه ما سأل عنه ويستفتي آخر فيحله ، فيأخذ بفتوى من يحل ولا عذر له إن كان الصواب مع الآخر .

فالأمر خطير ، هذا منهج سيئ يدل على فساد في الباطن فحذاري حذاري .

السؤال :

يقول السائل : هل مقولة إن القرآن نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل به جبريل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم منجما حسب الوقائع والأحداث هي من قول الأشاعرة في كون أن القرآن لم يتكلم به الله جل وعلا ولم يسمعه جبريل منه بل يأخذه من السماء الدنيا كما نزل جملة وينزل به إلى النبي صلى الله عليه وسلم مفصلا ؟

الجواب :

هذا مضمون إن القرآن نزل ليلة القدر جملة إلى بيت العزة ، هذا جاء فيه أثر عن ابن عباس وقد يستغله الأشاعرة ، قد يستغلون هذا ، وأما المعتمد المعروف عند أهل السنة أن جبريل عليه السلام يتلقى الوحي من الله ويسمع كلام الله من الله ويبلغه حيث أمره الله ، ولا ينافي ذلك أن يكون القرآن مكتوبا

في اللوح المحفوظ ، القرآن مكتوب محفوظ ، اقرءوا قوله تعالى : ﴿ **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ واقرءوا قوله تعالى : ﴿ **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾ . فالقرآن في اللوح المحفوظ لكن هذا لا ينافي أن يتكلم الله به ، فإن اللوح المحفوظ جامع ، كتب الله فيه ما شاء مما يخلقه أو يتكلم به سبحانه وتعالى وما يفعله .

فلا منافاة بين أن يكون القرآن مكتوبا وأن يكون مكتوبا أيضا في صحف الملائكة أو في بيت العزة ، يعني هذا الأثر عن ابن عباس يمكن يستغله الأشاعرة فقط ، لكن لا حجة لهم فيه وأصل كلامهم باطل ، وإذا كان الأصل باطلا لا ينفعه أن يكون له بعض الشبهات ، قول الأشاعرة باطل ؛ لأن قولهم أن كلام الله معنى نفسي واحد قديم كما تقدمت الإشارة إلى هذا ، ومضمون قولهم تشبيه الله بالأخرس ، وأن كلام من نوع ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ من نوع كلام الأخرس . هذا لازم قولهم ومضمونه .

والحق أن كلام الله صفة قائمة به وأنه يتكلم إذا شاء بما شاء وكيف شاء ، فهو صفة ذاتية فعلية وأنه حرف وصوت ، فالقرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود . والقرآن كلام حروفه ومعانيه ، ليس كلام الله ال حروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف ، كما قال ذلك شيخ الإسلام بن تيميه في العقيدة الواسطية ، هكذا بعض العبارات .

هذا منهج أهل السنة والجماعة ، فالله لم يزل يتكلم وبما شاء وإذا شاء وكلامه مسموع وموسى سمع كلام الله من الله .

<u>السؤال :</u>

يقول السائل : سمعت أحد المشائخ يقول : حرص الله أن يبعث في كل أمة رسولا ليقيم الحجة ، فهل يطلق هذا اللفظ في حق الله تعالى ؟

الجواب :

لا أعلم أنه ورد حرص ، حرص هذه لا أذكر أنها وردت في آية ولا حديث ، والله أعلم بالصواب ، فمثل هذا ما يضاف له ، حرص ، الله سبحانه وتعالى أراد ، يمكن أن يوصف بالعزم ، عزمة من عزمات ربنا ، أما حرص فلا .
ومن أطلق ذلك فعليه الدليل ، لكن الأصل ألا نثبت مثل هذه الألفاظ إلا حسب الورود .

السؤال :

يقول السائل : ما الفرق بين الشرك والكفر ؟

الجواب :

يمكن أن نقول أن بين الشرك والكفر عموم وخصوص وجهي ، يسمونه وجهي ، فكل شرك أكبر هو كفر ، الشرك الأكبر كفر ، والتكذيب للرسول كفر وليس بشرك لكن بمنزلته كله كفر ، الاستهزاء بالدين مثلا ، جحد أصل من أصول الإيمان كفر ولا نسميه شركا إلا من باب الاستواء في الحكم .

ومن الشرك ما ليس بكفر ، كالشرك الأصغر ، شرك ، ومن الأعمال ما أطلق عليه اسم الكفر وليس هو من الشرك ، كالطعن في النسب والنياحة على الميت ، فيجتمع اسم الشرك والكفر في مثل الشرك الأكبر ، وينفرد الكفر في أنواع من الكفر أخرى أكبر أو أصغر ، وينفرد الشرك بالشرك الأصغر ، والله أعلم

السؤال :

يقول السائل : ذكر المؤلف في حديث بن عباس رضي الله عنه : ((فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)) . سؤالي : قوله في الحديث ((ومعهم)) هل معنى ذلك أن السبعين ليسوا كلهم من أمة

محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أنهم ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أنهم كلهم من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ؟

الجواب :

أن كلهم من أمة محمد ، ((فقيل لي هذه أمتك ومعهم)) يعني فيهم ، هذا أسلوب معهم لا يعني هذا أن معهم من ليس منهم ، قد يقال معهم من قوم موسى كذا ، لكن إذا لم يأتي بيان لهذا النوع الخاص فهذا الذي معهم هو منهم ، هذا لا ريب فيه أن السبعين ألف من أمة محمد ، المعنى معهم يعني منهم وفيهم ، منهم وفيهم سبعون ألفا .

[والضرب الذي ذكرناه البارحة كان فيه خطأ عندي ، كان الرقم الصحيح أربعة ملايين وتسعمائة ألف وسبعون ، ما هو صح عندكم كده ، إي أربع أنا قلت البارحة خمس ملايين وستين والصحيح الآن أربع ملايين وتسعمائة ألف وستين .]

السؤال :

يقول السائل : هل الذهاب إلى الطبيب يدخل ضمن طلب الرقية الشرعية ؟

الجواب :

ما يدخل ، التداوي سبق التنبيه عليه على أنه لا ينافي كمال التوكل ، الأسباب المشروعة المباحة التي ليس فيها وجه كراهة هذه لا تنافي كمال التوكل إذا لم يكن اعتماد عليه ، بل تفعل على أنها أسباب مع كمال اعتماد القلب عليه سبحانه وتعالى والثقة به . وهذا باب واسع مسألة الأسباب الطبيب وغير الطبيب والاكتساب ، جميع مصالح الدنيا والآخرة ، وتحصيل المصالح ودفع المفاسد قائم على الأسباب كونا وشرعا .

السؤال :

يقول السائل قرأت في كتاب السنة للبهبهاري قوله أن لكل نبي حوض ما عدا النبي صالح فإن حوضه ضرع ناقته ، فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

لا هذا يحتاج إلى دليل ولم يذكر دليلا ولا أعلن دليلا ، والذي أذكر أن الحديث الذي ورد بهذا المعنى عند الترمذي أن لكل نبي حوض ، ما أذكر أن فيه استثناء ، لكل نبي حوض .

السؤال :

يقول السائل : وقال أيضا إن القرآن محتاجا للسنة أكثر من حاجة السنة للقرآن ، فما رأي فضيلتكم في ذلك ؟

الجواب :

يعني على أية حال كلام له معنى صحيح ؛ لأن أكثر ما في القرآن من الأوامر والنواهي جاءت مجملة ومطلقة ، والسنة فيها التفصيل ، انظروا إلى قوله تعالى ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾ ماذا في القرآن من أحكام الصلاة وصفات الصلاة ؟ نجد أن السنة هي التي قد جاءت واشتملت على تفصيل أحكام الصلاة . نعم في القرآن أيضا إجمال لوقت الصلاة ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر** ﴾ لكن تحديد مواعيد الصلاة مواقيت أول الوقت وآخر الوقت .

وأعداد : في القرآن ذكر الكوع أيضا نعم ﴿ **اركعوا واسجدوا** ﴾ لكن كم الظهر ؟ العصر المغرب العشاء الفجر ؟ كل هذا يستفاد من السنة ، ماذا يقول المصلي في الركوع والسجود وبين السجدتين وفي آخر الصلاة ، وهكذا . فهذا المعنى له وجه ، وهذا فيه الرد على من ينكر السنة ويقول : يجب أن نقف مع القرآن ولا نعبأ بالسنة .

بل لا يمكن العمل بالقرآن إلا مع العمل بالسنة ، فالذي يدعي بالقرآن بدون السنة هو كاذب متناقض . ماذا يصنع بقوله تعالى : ﴿ **وأطيعوا الرسول** ﴾ في آيات كثيرة ، ﴿ **واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ ﴿ **قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ والآيات في ذلك كثيرة .

السؤال :

فضيلة الشيخ قلتم إن الحرص لا يطلق على الله جل وعلا ، أفلا يدخل ذلك في القاعدة التي ذكر عنها أهل السنة : (إن باب الإخبار عن الله جل وعلا أوسع من باب الأسماء والصفات) ؟

الجواب :

ما يدخل في باب الإخبار هذا ، معنى الإخبار : أن يتضمن الإخبار معنى صحيح معلوم الثبوت ، مثل موجود ، وشئ ، وذات .

تقول : الله موجود . وإن لم نجد في الكتاب ولا في السنة لفظة موجود ، لا نجد كلمة موجود لكنها معنى صحيح ضروري معلوم الثب وت بالعقل والسمع والفطرة .

وشئ : الله شئ ؟ نعم ، بل هو أكبر من كل شئ ﴿ **قل أي أكبر شئ أكبر شهادة** ﴾ .

أما (حرص) لا ليست من هذا النوع .

السؤال :

يقول السائل : ما رأيك يا فضيلة الشيخ في هذه العبارة فيمن سؤل بماذا تعرف ربك ، فقال : أعرف ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي ؟

الجواب :

هذا معنى صحيح ، لا علم لنا إلا بما علمنا ، نعم عرفت ربي لأنه هو الذي علمني ، هذا معنى صحيح (عرفت ربي بربي) وفسرها بقوله (فلولا ربي ما عرفته) نعم ، أجل ، والله لولا الله ما اهتدينا ، هذا ما كان يقوله الصحابة والرسول يقوله معهم (والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا) نعم لولا الله ما عرفته .

كم من خلق الله قد طمست بصائرهم فلم يعرفوا ربهم بل لم يعرفوا أنفسهم على حقيقتها ، نعم إي والله .

السؤال :

يقول السائل : فضيلة الشيخ هل يرى الله عز وجل في المنام ، وقد جاء في حديث حسن ، فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((رأيت ربي في المنام في أحسن صورة)) وقد ذكر شيخ الإسلام بن تيميه بحثا مطولا في مسألة رؤية الله في المنام ، فالأصل أن أهل السنة يثبتون رؤية الله في المنام ، لكن أنا لم أصل إلى كيف يتأتى الحكم على من ادعى رؤية الله في المنام ؟ كيف يتأتى الحكم له بالخطأ والصواب وأن رؤياه صحيحة أو غير صحيحة ؟ يعني لا أعرف الضابط الذي نميز به بين الصادق في رؤياه ومن لبث عليه في رؤياه ، بخلاف من ادعى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فإن لها ضابطا ، نقول : صف لنا ما رأيت . فإن وصف لنا ما رأ ى بالصفة المنطبقة على النبي صلى الله عليه وسلم قلنا : نعم هذه رؤيا صحيحة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمثل به الشيطان .

السؤال :

يقول السائل : هل يعتبر اتباع الهوى من الشرك ، وهل يصل إلى الشرك الأكبر ، وهل يعتبر الكفار باتباعهم الهوى مشركين بذلك ، وب ذلك يكون كل كافر مشرك ؟

الجواب :

يمكن، اتباع الهوى نعم يكون شركا أكبر أو أصغر بحسب ما موقع فيه الاتباع فالمشركون الله قال فيهم ﴿ **وما يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس** ﴾ وهذا قد يوجب نوعا من الشرك ، لكن قد يقال إن هذا ما يتأتى إلا فيمن أقر بالله ، لكن من كفر بالله ، من جحد الصانع هذا معطل ، فهو لا يعرف الله ولا يعبد الله بوجه من الوجوه . فمفهوم الشرك بما تتضمنه كلمة الشرك من اشتراك ومشاركة وتشريك ، كأنها غير متحققة في هذا الصنف .

السؤال :

يقول السائل : ما حكم الاستناد إلى حاملات المصاحف أو مد الأقدام إليها أو الاستناد عليها للكتابة مع وجود المصاحف فيها ؟

الجواب:

أما الاعتماد عليها في الكتابة فأرجو ألا حرج ؛ لأن ليس في ذلك ما يشعر بالامتهان ، يعني دولاب فيه مصاحف واعتمدت عليه في الكتابة ، كذلك الاستناد أرجو ألا يكون فيه امتهان ؛ لأنك عندما تستند إليها لا يقال أنك استندت على المصحف ، استندت على دولاب كأنه في مكان آخر ، قد يكون الدولاب هذا . المقصود أن ليس في هذا شئ من الامتهان .

أما مد الرجل ، إذا كانت المصاحف قريبة من الأرض بمعنى أن المصحف يلي قدمك فهذا فيه شئ من الامتهان . أما إذا كان الدولاب له رفوف ولكن

الموازي لرجلك هي أرجل الدولاب ، الدولاب مرتفع عن الأرض كذا ، أو نصف الذراع ، قدمك ليست إلى المصاحف . هذا الذي عندي والله أعلم .

السؤال :

يقول السائل : فضيلة الشيخ في قوله جل وعلا ﴿ **فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** ﴾ قال لنا أحد مدرسي التفسير : إن الجنة بالنسبة لله سبحانه وتعالى موجودة الآن وبالنسبة لنا غير موجودة الآن . فما معنى كلامه ، حفظكم الله ؟

الجواب :

هذا هو يُسأل عن كلامه ، هذا كلام لا أصل له ، لا نعلم أن أحدا من أهل العلم قاله أبدا ، أهل السنة يقولون أن الجنة موجودة الآن . وهذا الكلام لا أعلم له وجها أبدا . يعني غير موجودة يعني في الأرض ، إن كان يريد إنها غير موجودة بالنسبة لنا في الدنيا يعني في الأرض هذا كلام معقول وتحصيل حاصل لا يحتاج إلى أن يفصل هذا التفصيل وهذا التنطع هذا كلام فيه تنطع (موجودة بالنسبة لله وليست موجودة بالنسبة لنا) هي موجودة مخلوقة ويصير إليها ما شاء الله من أرواح المؤمنين ، نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، وأرواح الشهداء جعلها الله في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وترد أنهارها وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش .

فهذا كلام فيه تنطع وتكلف ولا يعبأ به ولا يشار إليه ، والاحتمال الذي ذكرته هذا تحصيل حاصل لا يخالج ذهن أسط الناس أن الجنة أنها ليس معنى أنها ليست موجودة أنها في الأرض ، لو كانت في الأرض لسافرنا إليها .

السؤال :

يقول السائل : فضيلة الشيخ ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : ما قولكم في شاب وقع له نوع م حبة في الله لأحد أقرانه ، ثم تنامت وتعاظمت هذه المحبة حتى بلغت مبلغا عظيما ؟ فهو لا يصبر عن رؤيته ويغار إن تكلم محبوبه هذا مع غيره في حضوره وهو دائم الفكرة فيه ، أفتونا مأجورين .

الجواب :

هذا إفراط وتجاوز ليس من الحب في الله في شئ ، وهذا من الشيطان ، الحب في الله لا يصل إلى هذا ، وهل صار هذا المحب أحب الناس إليه في الله ؟ يعني ما في من هو أحب منه في الله ، أخشى أن تختلط المحبة في الله بالمحبة الطبيعية والتعلق الشخصي ، كما يذكر عن بعض الناس من النساء مع بعضهن أو من الشباب مع بعضهن ، فأخشى أن هذا اختلطت محبته في الله بمحبة طبيعية مفرطة ، فعلى من هذه حاله أن يصحح وأن يحذر وأن يقاطع هذا الذي أفرط في حبه ليعالج نفسه عن الفتنة به ، لينقذ نفسه من هذه الفتنة ، هذه فتنة ألبسها الشيطان معنى الحب في الله .

سبحان الله ، لا يريد من أخيه أن يتكلم مع غيره ولا يريد من غيره أن يتكلم به ، وبالنسبة للآخرين ممن يجب حبهم في الله ، لا هذا عنده خلل في فكره وفي إدراكه فيجب أن يصحح وأن يعالج نفسه ، فيجب أن يقاطع هذا المحبوب ، يقاطعه يتركه لا يتعلق به لأن التعلق به أصلا ما هو بشرعي .

السؤال :

يقول السائل : هل عذاب القبر على الروح والبدن أم على أحدها ؟ وكيف نرد على من يقول : إن العذاب على الروح لأننا لو فتحنا القبر لما وجدنا الجسد يعذب ؟

الجواب :

أن المعروف عند أهل السنة أن العذاب على الروح والبدن ، والأحاديث الكثيرة فيها ما يدل على أن القبر فيه العذاب وفيه النعيم ، ومن أصول أهل السنة الإيمان بفتنة القبر وعذاب القبر ، ما قال بفتنة الروح وعذاب الروح ، عذاب القبر والقبر فيه البدن ، والروح تتعلق بالبدن وهو في القبر .

وأما الرد على من يقول : (كيف يكون العذاب على البدن ونحن نفتح ..) فالجواب : أن الله على كل شئ قدير ، فليس كل موجود تدركه حوا سنا . هذا لا يقوله إلا جاهل ساذج أو ملحد يشبه ، يلقي بالشبهات للتشكيك في أمور الغيب التي أخبر الله بها ورسوله ، ليس كل ما يوجد في واقعنا ولا ما يوجد في القبور يكون مدركا لنا في حواسنا ، فيمكن أن يفتح القبر وصاحبه يعذب ويلاقي من العذاب ما يلاقي ، ومن يراه لا يدرك شيئا من ذلك ، وارجعوا في مناقشة هذا المعنى في كتاب الروح لابن القيم ، فإنه نسب مثل هذه الشبهة للزنادقة الذين يشككون في أصل عذاب القبر ونعيمه .

السؤال :

يقول السائل فضيلة الشيخ حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأما بعد فقد ذكرتم إمكانية رؤية الله جل وعلا في المنام ، وعلى حد علمي القاصر أني قد سمعت أنها رؤية قلبيه ، أي رؤية النبي عليه الصلاة والسلام في المنام الإشكال أن من ادعى رؤية ربه جل وعلا ، فإنه يقال له : صفه لنا ، فإن وصف شيئا فإنه لابد أن يكف صفة الرب جل وعلا ، وإن لم يصف شيئا فإنه قدر رأى عدما

الجواب :

اترك هذا السؤال ، الذي عندي قلته .

السؤال :

يقول السائل هل يجب عند شرب الماء الذي عزم فيه أن استحضر النية التي استشعر فيها أن هذا الماء قد عزم فيه ، لكي استفيد منه ، أي أني لو لم استشعر ذلك لا استفيد منه كما يقولون .

الجواب :

هذا في الرقية ، الرقية يعني يناسب الشعور بفائدتها ، بل أن الشعور بالفائدة مطلوب في كل الأسباب يناسب أنه مفيد ، يعني الذي يتعاطى الدواء ، وهو لا يشعر ويقول إن هذا عديم الفائدة يمكن أن يضعف أثره أو يكون عديم الأثر ، فالاستعداد النفسي والقابلية هذه لها اعتبار في تأثير الأسباب في مسبباتها فالذي مثلا قراءة الأوراد الشرعية والأذكار الشرعية ، لو أن الإنسان أتى بها من غير استشعار لأثرها ونفعها العاجل من التحصين والوقاية من الشرور التي يتقيها ، فإنه يضعف أثرها ، وكذلك الأسباب الطبيعية ، فالإنسان إذا رُقي أو رَقى نفسه و استشعر النفع ، يكون هذا أحرى بتأثير هذا السبب ، أقوى لحصول الفائدة .

السؤال :

يقول السائل : هلك المتنطعون ؟

الجواب :

هذا حديث ، ((هلك المتنطعون)) يعني المتكلفون سواء في أقوالهم أو أفعالهم ، وهذا يصدق على من يشدد في أمر الدين ويتكلف ويبالغ مثل ما يفعله مثلا أهل الوسواس في الطهارة ، يعني لابد أن يبالغ في الفرك ، ولابد أن يغسل العضو خمس مرات وسبع مرات وأكثر هذا من التنطع الفعلي ، وكذلك التكلف في الأمور التي التنقيب عن الأمور التي الأصل فيها الحل والأصل فيها الطاهرة فيه تنطع ، يعني كونه لا يصلي إلا في موضع بعد أن يعرف هذا

المكان ما فيه ، والأصل في الأمكنة الطاهرة ، فمن التنطع أن تقول هذا المكان لا ، مع أنه ما فيه ما يوجب الاشتباه أو الشك ، طاهر ، فهذا كله من التنطع ، والبدع في شكل عام هي من الغلو في الدين ، ومن التنطع في الدين .

السؤال :

يقول السائل ، المسلم المؤمن بالله في القبر هل يعذب حتى قيام الساعة ، أم يعذب على ذنوب معينة أم يعذب فترة مؤقتة ثم يفتح له روضة من رياض الجنة ، أفتونا مأجورين .

الجواب :

الله أعلم ، إنما الذي وردت به النصوص هو ذكر حال المؤمن الذي يثبت عند فتنة القبر ، ويفتح له باب إلى الجنة ، ويوسع عليه قبره ، وذكرت حال الكافر والمنافق ، هذا الذي صرحت به النصوص .

أما العاصي ، فأنه ورد في شأنه الوعيد وأن أصحاب المعاصي يعذبون كأكل الربا ، والذي كما جاء في الحديث الطويل ، في حديث سمرة في الأصناف الذين رآهم الرسول مثل الزواني ، والزناة رآهم النبي عليه الصلاة والسلام في مثل التنور ، في مكان أسفله واسع وأعلاه ضيق ، وأهل العلم قالوا : أن هذه حال أولئك العصاة في البرزخ .

وقد ذكر العلامة ابن القيم ، هذا السؤال ، يعني هل عذاب القبر دائم أو منقطع ، فذكر أن عذاب القبر يتفاوت ، أما على الكافر فهو دائم أم ا على بعض العصاة فقد يدون ويستمر إلى أن قيام الساعة ، يقول : ومن العصاة من ينقطع عنه العذاب .

وهذا لا أذكر أنه ذكر دليلا صرح بهذا المعنى ، ولكن لعله أخذه من أن العذاب أصله مرتب على الأعمال ، فمن كانت ذنوبه لا تقتضي دوام العذاب ،

فإنه لا يدون عذاب ، العذاب مرتب على سببه ، على الذنوب ، فمن كان عذابه في القبر ، ذنوبه لا تقتضي عذاب دائم يوم القيامة فإن عذابه ينقطع ، ثم هل يصير روضة الله أعلم .

اقرؤوا الجواب على هذه المسائلة في كتاب (الروح) لابن القيم .

السؤال :

يقول السائل: هل يصح الحلف بالصفات الفعلية مثل النزول والإتيان ؟

الجواب :

القاعدة أنه يصح الحلف بالله وصفاته ، هذه هي القاعدة العامة ، ولكن المأثور في الأحاديث وفي الآثار الحلف بعزة الله وبقدرة الله ، الحلف مثلا بأيمن الله ، وأيمن الله ، وكذلك يعني من جنس التعوذ ، التعوذ بكلمات الله ، الحلف بكلام الله ، فالقاعدة العامة هو جواز الحلف ، لكن التعوذ والحلف من نوع التوسل ، فكأنه ينبغي أن يراعى في ذلك المناسبة ، القاعدة جواز الحلف بالله وبكل أسمائه وصفاته ، إنما ينهى عن الحلف بالمخلوق ، من حلف بغير الله ، والحالف بأي اسم أو بأي صفة من صفات الله ، هو لم يحلف بغير الله .

السؤال :

يقول السائل : ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من رواية مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((قال الله تبارك وتعالى : يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر)) فهل من أسماء الله تبارك وتعلى الدهر ؟

الجواب :

الذي عليه الجمهور من أهل العلم أن هذا الحديث لا يدل على أن ليس من أسماء الله الدهر ، ذهب بعض أهل الظاهر إلى أن من أسماء الله الدهر ، لكن يعلم من سياق الحديث تماما ، من تدبر الحديث أوله وآخره يعلم أن ليس

المقصود أن الدهر اسم من أسماء الله ، بل المراد من قوله (وأنا الدهر) المراد أنه هو الفاعل للحوادث وأنه هو المتصرف في الدهر فإنه قال بعد ذلك (أقلب الليل والنهار) .
هو المتصرف في الليل والنهار وهو الخالق للأحداث وهو المقدر للأحداث ، هذا هو الذي عليه جمهور أهل السنة وهذا هو الصواب .

السؤال :

يقول السائل : ذكر فضيلتكم بالأمس أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء ، السؤال كيف نجمع بين هذا وبين نهي النبي عليه الصلاة والسلام عن تفضيله على موسى عليه الصلاة والسلام وقوله ((لا تفضلوني على يونس)) ؟

الجواب :

هذا سؤال الجواب عنه معروف ، وهو أن النهي عن التفضيل محمول على أحد وجهين : إما أن يكون على وجه الحمية والتعصب أو على وجه التنقص للمفضول . فينهى عن التفضيل الذي يكون على وجه التعصب ، يعني نبينا أفضل من نبيكم يا نصارى ، يعني مفاخر . ويؤيد هذا السبب مناسبة قول الرسول عليه الصلاة والسلام : ((لا تفضلوا بين الأنبياء)) فإنه سبب الحديث أن يهوديا قال : والذي اصطفى موسى على البشر . فغضب أحد المسلمين وقال : تقول هذا والرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ــ أو كما جاء في الحديث ــ فلطم اليهودي ، فشكاه إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ((لا تفضلوا بين الأنبياء)) .
وقال : ((لا تفضلوني على يونس بن متى)) .

فإذا كان التفضيل على وجه التعصب والحمية أو كان على وجه التنقص للآخر لم يجز ، أما إذا كان لبيان الواقع وبيان منازل الأنبياء كما دلت على ذلك النصوص هذا من العلم الصحيح ، من بيان العلم الصحيح ،الرسول أخبر عن ذلك قال : ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) لم يقله ليتعاظم على الأنبياء ويفتخر عليهم ، بل قاله بيانا لمنزلته صلى الله عليه وسلم ، وهذا من العلم الذي أمره الله بتبليغه ، أمر الله تعالى النبي بأن يبلغ بما له من المنزلة عند ربه .

السؤال :

يقول السائل : ذكرت أن الدهر ليس من أسماء الله جل وعلا ، فما حكم قول بعض الناس أكل الدهر عليه وشرب .

الجواب :

هذا أسلوب مجازي ، يظهر أنه لا بأس به ، يعني كناية عن تقادم العهد ن أكل عليه الدهر وشرب ، وهل الدهر يأكل ولا يشرب ، القارئ والسامع كلهم يعرفون أن المعنى أنه مر عليه زمان طويل ، لا يري د المتكلم ولا يفهم المستمع أن الدهر يأكل ويشرب، أكل الدهر عليه وشرب يعني مر عليه أزمان يعني تعبير على تقادم هذا الشيء وطول عهده .

السؤال :

يقول السائل : هل يجوز سؤال الله جل وعلا ، بأن يقول السائل الداعي : يا رب أسألك بحق لا إله إلا الله ، أن تغفر لي أو أن ترحمني ؟

الجواب :

أرجو أنه لا بأس بهذا ، لكن تركها أولى ؛ لأنها محل اشتباه ومحل إشكال ، أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا ، أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت ، أسألك بأني أشهد ، هذا معناها .

كأن معنى هذا السؤال هو معنى أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، فقول القائل : (أسألك بحق لا إله إلا الله) يحتمل عندي أحد أمرين :
إما أنه يتوسل بقوله لا إله إلا الله ، أتوسل إليك بحق لا إله إلا الله ، فيتوسل إليه على نحو ما جاء في الحديث المشهور وإن كان ضعيفا ، ((أسألك بحق السائلين وبحق ممشاي هذا)) وبحق ممشاي هذا يعني إلى الصلاة ، وحق الماشين إلى الصلاة هو الإثابة من الله ، فيكون من سبيل التوسل بالإثابة ، والإثابة فعل من أفعاله سبحانه وتعالى .
ويحتمل أن يكون بحق لا إله إلا الله أنه نوع من التوسل بصفات الله ، فإن قول لا إله إلا الله يتضمن التوحيد ، فكأنه يقول أسألك بوحدانيتك ، فاللفظ يحتمل إما أن تكون توسلا بالعمل أو توسلا بالإثابة ، بإثابته على العمل ، أو توسل بما تتضمنه هذه الكلمة من وحدانيته تعالى بأنه لا إله إلا الله .
ويصح أن تتوسل ، والتعبير الواضح أن تقول : أسألك أنني أشهد أن لا إله إلا أنت بأني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد .
(أسألك بأني أشهد) فيكون من سبيل التوسل بالعمل .
أو يقول : أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، فيكون من التوسل بأسمائه تعالى وصفاته ، والتوسل بأسماء الله وصفاته هو أعلى أنواع التوسل الشرعي . والتوسل بالعمل الصالح قولا أو فعلا هو من التوسل المشروع الجائز ، التوسل في الدعاء .
السؤال :
يقول السائل : ما حكم الاستشهاد ببعض آيات القرآن أو السنة على بعض الحوادث التي تقع للشخص المشابهة للآية أو الحديث .

مثل قول بعضهم مثلا لما رأى شخصا اسمه إبراهيم يبني بيتا فقال : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** ﴾ .

وبعضهم يقول مثلا مما يستدل على هذا : بأن كلام الله جل وعلا وكلام النبي عليه الصلاة والسلام من أبلغ ما يكون فلذلك نستشهد به

الجواب :

أقول : لا يجوز لأن هذا استعمال لكلام الله في غير ما نزل الله وفي غير معناه ، لا يجوز أن تتلو الآية لمناسبة لا تتعلق بها الآية ولا تدل عليها الآية ، وتتلو النص ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** ﴾ من إبراهيم ومن البيت وما القواعد ؟ هذا استعمال لكلام الله في غير معناه وفي غير ما نزل له .

ما يجوز استعمال كلام الله لأجل أنه من أبلغ ما يكون ، إذًا تأتي قصة المتكلمة بالقرآن ، هذه قصة أسطورة أو هي مخرفة جاهلة ضالة في منهجها .

السؤال :

هذا سؤال جاء من بعض الأخوة قال فيه : بسم الله الرحمن الرحيم فضيلة الشيخ ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تعلمون حفظكم اله ما أصاب أخواننا المسلمين في البوسنة أخيرا حيث سقطت إحدى المدن في يد النصارى الحاقدين ــ ولعله يقصد مدينة سربنيتشيا ــ ففصلوا الرجال عن النساء والأطفال ، أما الرجال فاقتادوهم إلى معسكرات الاعتقال ، وأما النساء والأطفال فالله أعلم بحالهم ، وما يتهددهم من أخطار في دينهم وأعراضهم ، فبماذا توجهنا يا فضيلة الشيخ تحقيقا لقول النبي عليه الصلاة والسلام : ((المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا)) وقوله صلى الله عليه وسلم : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)) .

فما العمل الذي تنصحنا أن نعمله تجاههم وننصح به من ورائنا من أهلنا وأصحابنا ؟

الجواب :

لا شك أن إثارة هذا الموضوع ولفت الانتباه إليه لا شك أنه مهم ، ويشكر الأخ الذي كتب هذه الورقة ، فينبغي لنا جميعا أن يكون أمر المسلمين من أهم المهمات واهتمام المسلم بشأن إخوانه المسلمين بحسب ما يقوم بقلبه من الإيمان والشعور بالأخوة ، فإن الأخوة الإيمانية ترتبط بالإيمان ، فقوله عليه الصلاة والسلام : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ...)) هذا التراحم وهذا التعاطف يرجع إلى مدى الإيمان ، فكلما كان الإيمان أقوى وأتم كان هذا التراحم وهذا التعاطف أظهر وأوفر ، وإن نقص الإيمان نقص ذلك ، فالشيء يتبع المقتضي له والسبب المؤثر في حصوله ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للإيمان الصادق وأن يوفقنا لتحقيق هذه الأخوة وثمراتها المرجوة ، فعلى كل مسلم أن يحاسب نفسه وهو أعلم بإحس اساته وبعواطفه وبتحرك مشاعره ، فإن وجد من نفسه عاطفة قوية فليحمد الله وعليه أن يقوم بما يستطيع ، وأقل ما يستطيعه المسلم أن يكون مع إخوانه المسلمين بقلبه يألم بألمهم ويسر بسرورهم ، وأن يقدم لهم ما يستطيع من نفع وإحسان ، وأقل ذلك وهو مستطاع الدعاء .

اللهم انصرهم على عدوهم ، اللهم اخذل الصرب الظالمين اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين .

الدعاء لهم ، الدعاء لإخوانه بالنصر ، والمسلمون حتى وإن كانوا عندهم خلل في دينهم وتقصير ونقص لكنهم مسلمون فيهم تفاضل وفيهم تفاوت وفيهم جهل وفيهم نقص ، لكن هذا ما يقطع حبل الأخوة بينك وبينهم ما داموا مسلمين ،

وهم في جملتهم منتسبون للإسلام على حسب أحوالهم في علمهم وفي استقامتهم .

أفسق الناس ما دام أنه مسلم فالأخوة باقية ، أخوة الإسلام باقية ، هذا موضوع يطول الحديث فيه ، الله سمى القتيل أخا للقاتل ، وهو هذا قاتل لأخيه ، ﴿ **فمن عفي له من أخيه** ﴾ عفي له من أخيه ، هو أخوه حتى وإن كان قتله بسبب نزغة شيطان أو بسبب أي مؤثر فالأخوة باقية ﴿ **فمن عفي له من أخيه** ﴾ وسمى الله المؤمنين مع الاقتتال سماهم أخوة ، اقرءوا في سورة الحجرات .

فالمؤمنون أخوة وإن تباعدت ديارهم وإن اختلفت ألوانهم وأنسابهم .

فالمقصود إذا توفرت العاطفة والجياشة والرحمة والشعور بالأخوة فليقدم المسلم ما يستطيع من نفع ، وأقل ذلك الدعاء لهم والدعاء على أعدائهم ، والله بيده الأمر لو شاء ربك ما كان شيئا من هذا ، لو شاء الله ما اقتتلوا ، قول آية من سورة البقرة ﴿ **فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد** ﴾ فهذا الاقتتال جار بالقدر ، بقدر الله ولكن هذا لا يعني عدم المبالاة وترك الأمر ، يجب أن يكون المسلم مع المسلمين بقلبه وبعمله وبجهده وبماله ، حسب الاستطاعة فيقدم ما يستطيع من النفع دعاءً وقولا ، يمكن أن يتحدث المسلم عن إخوانه في كلمة في موعظة في خطبة ، كما يرجى من الخطباء أن يتكلموا عن هذا الموضوع بأسلوب طيب ، ويقدم ما يستطيع من المال من خلال القنوات المأمونة التي يرجى وتحصل الطمأنينة بوصول ما يقدم إلى من يستحق ذلك الدعم ، وهكذا .

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يلطف بنا وأن يرحمنا وأن يعاملنا بعفوه ، المتأمل لحالنا يجد أن هناك البرود وهناك التقصير والإخلال ، الناس يتمتعون برغد العيش وبنعم ، فمع ضعف الإيمان وضعف البصيرة وتوفر النعم نحس

بضعف الإحساس وقلة الاهتمام ، على المسلم أن يجاهد نفسه وكذلك ين صح إخوانه وينصح لإخوانه بما يستطيع من قول أو عمل أو مال ، والله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها .

ويمكن أيضا بالاتصال بذوي الإمكانات والقدر العلمية والعملية والمالية لتقديم ما يمكن من النفع المادي والمعنوي .

السؤال :

هذا سائل يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

الخوف من الجن أعظم من الخوف من الله عند بعض الناس في جنوب المنطقة نسأل الله العافية والسلامة ، هل عليهم خطر شرعي وهل عليهم إثم في ذلك ؟

الجواب :

الخوف من الجن منه ما هو طبيعي ، يعني الجن عالم خفي غيبي وهم مع الناس ، فبحسب عقليات الناس يتفاوت خوفهم من الجن ، بحسب أيضا قواهم الشخصية ، فهناك ما يسمى بالوحشة ، بعض الناس يتوحش يستشعر الجن في مكان كذا ولا سيما في بعض الأمكنة ، أمكنة خربات ، أمكنة مظلمة ، أمكنة كذا ، هذا أمر طبيعي الإنسان يستوحش يستشعر وجود الجن يخشى من كيدهم ، وهم فعلا يؤذون أحيانا وبحسب ضعف الإنسان ، ضعف شخصيته وضعف تحصنه يمكن أن يتسلطون عليه ويؤذونه ، يؤذونه بصوت يؤذونه بفعل يزعجونه ، فهذا الخوف أرجو أنه خوف طبيعي ، لكن على المسلم إنه يتوكل على ربه ويقاوم هذا الخوف بالأذكار الشرعية وبالأوراد الشرعية وبقوة التوكل على الله سبحانه وتعالى . وما يحصل له من خوف ما دام أنه لا يحمله عل فعل محرم ولا على ترك واجب فالأمر سهل ــ كما قلت إنه طبيعي ــ

كما يخاف الإنسان إذا سلك البرية أو بعض البلاد يخاف من العدو يخاف من الذئب ، هذا اسمه خوف طبيعي .

أما الخوف من الجن الذي يوجب الاستعا ذة بهم كما كان أهل الجاهلية إذا نزل الواحد منهم واديا يقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه . هذا معناه أنه شرك ، هذا الخوف حمله على أن يشرك بهم ، أو أن يدعوهم ، يقول يا فلان إذا كان قد يعرف لهم أسماء ، شياطين يدعوهم ، يستغيث بهم ، يطلب منهم النصر ، يطلب منهم الحماية ، فهذا شرك . فالواجب الحذر من ذلك حتى وإن كان يعتقد أنهم قد يقدرون على أشياء ، هم فعلا الجن قد يقدرون على أشياء غريبة ، يمكن يؤذون الإنسان يتسلطون عليه ، مثل ما يخاف الإنسان من اللصوص ومن قطاع الطريق يمكن يخاف من الجن ، لكن عليه أن يقاومهم بالطرق الشرعية لا يقاومهم بالاستغاثة بهم والتعوذ بهم **﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾** .

السؤال :

هذا سائل يقول : قال الله تعالى في سورة الأحزاب **﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما ﴾** ، فكيف المنافقون وهم كفار في الباطن يتوب الله عليهم ؟

الجواب :

إي والله يتوب عليهم ، أجل ، يعني المنافق الآن إذا كان في منافق ، تقول خلاص إنه في نار جهنم ما دام حي ! إن مات على النفاق نعم ، لكن يمكن يتوب ، نعم يمكن يتوب ، كثير يمكن أن يتوبوا ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في المرأة الغامدية : ((إنها تابت توبة لو تابها سبعون من أهل

المدينة)) يعني قال أهل العلم في شرح هذا الحديث : (سبعون من أهل المدينة يعني المنافقين) .

﴿ **ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء** ﴾ يعذبهم إن شاء ﴿ **أو يتوب عليهم** ﴾ فإن تاب عليهم لم يعذبهم وإن لم يتب عليهم عذبهم . فالعذاب المعلق على المشيئة هو العذاب باعتبار عدم التوبة عليهم ، يتوب عليهم إن شاء ويمنع منهم التوبة إن شاء فيعذبهم ، أما من مات على النفاق الأكبر فعذابه محقق وهو متوعد بالدرك الأسفل من النار . واقرءوا في شأن المنافقين .

على كل حال هذا هو الجواب ، والقرآن يفسر بعضه بعضا ، اقرءوا : ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من الله ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين** ﴾ استثناء ﴿ **تابوا وأصلحوا واعتصموا وأخلصوا دينهم لله** ﴾ إذًا المنافق ما يمتنع أن يتوب توبة صادقة فيصلح ويخلص ما يمتنع يمكن ، لكن ذكر العلماء مسألة ــ وإن كان الوقت قد أوشك ــ اختلف العلماء في قبول توبة الزنديق ، والزنديق منافق ، والخلاف في قبول توبته إنما هو في قبولها ظاهرا ، يعني إذا ضبطنا منافقا ملحد يتكلم بالإلحاد وهو يتظاهر بالإسلام وضبطناه ثم تظاهر لنا بالتوبة وقال أنا أتوب ، هل نقبل توبته ؟ أو لا نقبل توبته ونقتله لأنه مرض خفي ما ندري عن صدقه ؟ يمكن إنه يتستر يعلن التوبة نفاقا ، هذا محل ، أما ولو لم نقبله نحن ظاهرا إذا كان صادق في توبته فالله يقبلها منه ويكون من أهل الوعد ويكون من المؤمنين في الآخرة وإن لم نقبل توبته نحن بحسب الظاهر لأنا لا ندري عن قلبه فنحن نخاف أنه يخادعنا فلا نقبلها . هذا معنى اختلاف أهل العلم في قبول توبة الزنديق أي المنافق .

واله أعلم والصلاة والسلام على رسول الله .

السؤال :

هذا سائل يقول : فضيلة الشيخ ما توجيهكم حفظكم الله لمن يتصدى لعلاج الناس بالرقية وهو جاهل بكتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما واجب طلاب العلم تجاه ذلك ، وهل تنصحونهم بهذا العمل ؟

الجواب :

الرقية هي تعويذ بالقرآن وبالأدعية الشرعية ، فهي نوع من الدعاء ويأتي إن شاء الله الكلام في باب ما جاء في الرقية ، في الرقى والتمائم ، وتقدم الكلام في الإسترقاء ، وأنه لا حرج ولا نقص أن يرقي الإنسان نفسه أو يرقي غيره متبرعا ، ولكن الذي يكره الاسترقاء وطلب الرقى ، فالذين يذهبون إلى أولئك الأولى بهم أن لا يسترقوا هذا أكمل وأفضل في حقهم ، وأما بالنسبة للراقي فعليه أن يلزم في رقيته الأدعية الشرعية ، فإذا كان جاهل لا يميز بين الأدعية الشرعية وغيرها ، فإنه لا يجوز له أن يمارس الرقية ؛ لأنه لعله يرقي بما هو محرم أو بما هو شرك ، وفي الحديث ((لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا)) . ومع هذا كله فلا أرى أتخذ الرقية حرفة كما ه و متبع ، وكما وقع وتفاقم فإن هذا المنهج الذي صار في هذه الأيام لم يكن معروفا فيما أعلم في عهد الصحابة ، ولا التابعين ، ولا تابعي التابعين ، فيما أعلم اتخاذ الرقية حرفة وفتح محلات للرقية ، وإن الأخبار عن بعض أو كثير من أولئك المحترفين بالرقية لا توجب الحذر والبعد عنهم ، من معاملتهم مع النساء وادعاءات وسؤال المجانين واعتمادهم على أخبار الجن ، فأنا أنصح بترك الذهاب إليهم ، وأنصح الكف عن اتخاذ هذا ، اتخاذ الرقية حرفة ، فمن أراد أن ينفع أخاه فلينفعه ، إذا كان الإنسان عنده استعداد ونفع بعض أخوانه ، فلا حرج أما اتخاذ هذا حرفة ، هذا أصبح مزي دخل فيه من يحسن ومن لا يحسن ودخل

فيه المستقيم وغير المستقيم في دينه ، ودخل فيه تأويلات والله يصلح الأحوال ، نسأل الله أن يشفي مرضى المسلمين وأن يصرف عنا وعندكم كيد الشياطين ، ولهذا الأسلوب ، يعني اتخاذ الرقية حرفة له سلبيات وله مأخذ ، وقد كتب بعض أهل العلم كتابا في المفاسد في كتيب صغير ولعله معروف ، للدكتور الشيخ : علي العلياني ، فليرجع إليه .

السؤال :

هذا سائل يقول : فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ما حكم تعليق التمائم التي من القرآن ؟

الجواب :

أترك هذا السؤال ، يأتي وقته إن شاء الله .

السؤال :

هذا سائل يقول : فضيلة الشيخ كيف نوفق بين قول الله عز وجل : ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ومن يتقي الله يجعل له مخرجا** ﴾ وما يحصل للمسلم من الأذى في سبيل الله عز وجل ، قوله تعالى : ﴿ **ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ ، وغيرها من الآيات .

الجواب :

انه لا منافاة بينها ، هذه النصوص ، فالوعد بالدفاع وبتيسير الأمور ، وتفريج الكروب لا ينافي الأدلة الدالة على الابتلاء ، ولكن هذا يدل على أن العاقبة تكون للمتقين ، والعاقبة للمتقين ، فالرسل و اتباعهم وإن ابتلوا فهذا لا ينفي أن الله يدافع عنهم ، حتى ولو في حال الابتلاء ، لا نقول : أنه في هذه الحال أن الله لم يدافع عنهم ، لا ، ولعل الله صرف عنهم من الأمور ومن أنواع الشرور

، ومن كيد الأعداء ما لا يخطر بالبال ، ثم النهاية تكون للمتقين ، حتى إن الرسل يبلغ بهم الأمر إلى حالة عصيبة ، ويستبطئون النصر ، ولكن يأتي النصر ، ﴿ **حسبتم أن تدخلوا الجنة ولم يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله** ﴾ استبطئوا ، متى ؟ ، هو وعدهم بالنصر فيقولون : متى ؟ قال الله : ﴿ **ألا إن نصر الله قريب** ﴾ لكن هذا القرب ليس مقدر بتقديرات العباد ، لا هو قريب ولكن هذا القرب لا تحده عقولنا وتقدره حساباتنا ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ﴾ .

نصوص الابتلاء حق ، ونصوص الدفاع والنصر والتيسير والتفريج كلها حق ، ويبين التوفيق بينها الأدلة الدالة على أن العاقبة للمتقين ، ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر** ﴾ اصبر على ما يكون من البلاء ، ﴿ **فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ .

السؤال :

هذا سائل أو مخبر ويسأل في أخر خبره يقول : الإخبار بين قليل تقول : أن الصرب ليس بينهم وبين إحدى المدن التي كانت ملاذا آمنا ، ليس بينهم وبينها إلا خمسمائة متر ، والحرب على أشدها هناك ، فهل يشرع القنوت من قبل أئمة المساجد ، والحال هذه ؟

الجواب :

والله أنا لا أرى مانع ، ولكن ما أدري لو كان هناك استفسار سبحان الله ، أقول : لا أرى مانع في الجملة .

السؤال :

هذا سائل يقول : في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((فأعلمهم أن الله أفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغني ائهم فترد على فقرائهم)) ، فهل يؤخذ من هذا أنه لا يجوز إخراج الزكاة من بلد المزكي لقوله : ((على فقرائهم)) ؟

الجواب :

أجل قد استدل بها الكثير من أهل العلم على هذا المعنى ، وقالوا : لا يجوز نقل الزكاة عن البلد التي فيها المال إلى فقراء غيرها ، استدل بها ك ثير من أهل العلم على ذلك ، ولا شك أن أهل البلد أحق بزكاة أغنيائهم ، فقراء البلد أحق ، ولكن إذا نقلت أيضا تجزيء أو لا تجزيء محل أيضا خلاف .

ولكن القول الوسط : إنها إذا نقلت لمصالح شرعية وراجحة ، فنرجوا أنها تجوز وتجزئ .

السؤال :

هذا سائل يقول : الوعد المترتب على الهداية في الحديث ، حديث سهل بن سعد هل هو هداية كل شخص سواء كان مسلما أو عاصيا أم عاصيا ؟ أم يختص بهداية غير المسلم ؟

الجواب :

((فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا)) الوارد في سياق الحديث هو هداية الكفار إلى الإسلام ؛ لأنه قال : ((فأدعوهم إلى الإسلام أخبرهم ..)) إلى قوله : ((فوالله لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)) ، ولكن هناك ((من دل على هدى كان له مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء)) وهذا أعم منه وأوضح ، ولا ريب أن من كان كافرا ثم دعوته إلى الإسلام ودخل في الإسلام واستقام وحسن إسلامه أن هذا أعظم من

إنسان مسلم دعوته لترك ذنب من الذنوب ، ولا شك أن ذرة من ثواب الآخرة خيرا من الدنيا وما فيها ، فلا تزهدن من شيء من هذا الفضل فضل الدعوة إلى الله نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين .

السؤال :

ما حكم قول من حسن الطالع ؟

الجواب :

هذا تعبير المنجمين لا يجوز استعماله ، وإذا جرى على لسان بعض الناس المعروفين بحسن المعتقد ، فيكون هذا من خطأ الألفاظ ، لا من انحراف الاعتقاد ، فنقول له : هذا التعبير غلط ، فلا تقل : من حسن الطالع ، وإذا قلت من حسن الطالع ، فيلزم أن تقو ل في الآخر : من سوء الطالع ، ما هو الطالع ؟ الطالع : النجم ، هذا أصل التعبير ، المنجمون هم الذين يستدلون على الحوادث ، على ما يحدث من خير أو شر بالطوالع بالنجوم ، فعندهم هذا طالع سعد وهذا طالع نحس ، فلا ينبغي للمؤمن الموحد أن يقول مثل هذا التعبير .

السؤال :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هل رهبة الناس وخشيتهم عند إرادة فعل الخيرات كإمامة في الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ثم الامتناع عن ذلك يدخل في شرك الخوف من غير الله عز وجل ؟ .

الجواب :

لا هذه أمور ، الامتناع عن فعل الخير منه أسباب :

تارة يكون منشأه الخوف الطبيعي ، الإنسان يهاب أن يكون إماما ، يخجل ، ما يستطيع يقرأ إذا غلب عليه الخوف هذا ، هذا أمر طبيعي ، ما يملكه الإنسان ،

وهو معذور فيه ، ولكن ينبغي أنه يقاوم ، وبالتدرب شيء فشيئا ، وبالإقدام ؛ لأنه يكون أن يتهيأ في البداية ثم يصير الأم ر سهلا ، كثير من الأمور التي فيها مواجهة للناس كالإمامة ، والخطابة ن والتحدث مع الناس ، هذا يمكن أن يحجب عنه بعض الناس ويجبن ن ولكن يمكن التغلب على هذه الحالة بالإقدام والعزم والصبر ، ثم يزول شيء فشيئا ، ويصير هذا الأمر عاديا .

وتارة يكون الخوف من المر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، يعني من باب الخوف على شخص الإنسان ، لا يريد أن تجرح مشاعره ، ولا يريد أن يؤذى ، ولا أن يسب ، وهذا لا يصح أن يكون عائقا ، بل على المسلم أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، لو أذى الأذى الذي ليس هو بالضرر ، هذا قد يؤذى بالكلام ، قد يسخر منه بعض الناس ، فلا ينبغي أن يكون هذا ، فمن امتنع عن ما وجب عليه من هذه الفضائل ، من امتنع عن ما وجب عليه من ذلك ، يعني خشية من بعض الأذى ، فإنه يأثم ولا يكون هذا عذرا له ، خشي الضرر على نفسه ، أنه مثلا يضرب ، أمر محقق أنه سيضرب أو يسجن أو ما أشبه ذلك ، فأرجو أن هذا عذر . والموضوع يحتاج إلى أكثر من هذا ، ولكن الوقت .

السؤال :

يا شيخ ، ما رأيكم في مقولة : توكلت على الله ثم عليك ؟ هل تعتبر من الشرك الأصغر ؟ .

الجواب :

والله ذكر بعض أهل العلم ، نعم ، الظاهر أنه ابن القيم ، وكذلك الشيخ محمد بن إبراهيم ذكر هذا في فتاويه : أنه لا يجوز أن يقول الإنسان توكلت على الله ثم عليك .

وهذا وجه ظاهر ؛ لأن التوكل اعتماد القلب المتوكل عليه والتفويض إليه ، وهذا ليس إلا لله ، فالإنسان يوكل ولا يتوكل عليه ، فأنت إذا وكلت شخصا ، ما تقول : توكلت عليك أو اعتمدت عليك ، تقول : وكلتك وتوكلت على الله ، وكلتك يا فلان وتوكلت على الله ، فالتوكيل هذا سبب ووكليك هذا سبب ، أما الذي بيده المر وبيده الملك ، والذي يقدر على تحقيق الأمور وصرف العوائق فهو الله وحده سبحانه وتعالى ، فالتوكل على الله وحده ، والله تعالى يقول : ﴿ **وعلى الله فتوك لون** ﴾ الجار والمجرور مقدم لإفادة الحصر ، فقوله : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ أو ﴿ **فعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ أي على الله وحده توكلوا .

****

قبل الأسئلة ، فضيلة الشيخ يتساءل الأخوة وكثر توارد الأسئلة في ذلك عن الاقتراح الذي قدم بالأمس إلى يوم الخميس بدلا من يوم الأربعاء فما هو رأي فضيلتكم .

الشيخ : هذا لا مانع ، الأمر سيان ، المقصود والمنشود المصلحة ، فبدل ليلة الخميس ليلة الجمعة . أقول أوافق على هذا لا مانع .

****

السؤال :

يباع في هذه الأيام أساور لتخفيف الوزن أو لرفع المرض الذي يسمى الروماتيزم ، وبعض الخلاخل لنفس الغرض ، فما حكم ذلك ؟ مع العلم أنهم يقولون : أنه يصدر موجات مغناطيسية فقط .

الجواب :

هذا قد وجد من فترة ، ورفع إلى لجنة الإفتاء ، والذي بلغني أن لجنة الإفتاء أفتت بمنعه ، وكأنه لم يثبت عندهم علميا أن تأثير هذا أمر طبيعي ، ويبالغ الذين قدموا أو صنعوا وعرضوا هذا يبالغون في نفع هذه الأساور وأنها تشفي من كذا وكذا ، فيبالغون فيها ، فالأصل هو المنع حتى يثبت طبيا وعلميا تأثير هذا النوع ، حتى تثبت علميا ، فالأصل المنع فلا يجوز استعمال هذه الأساور التي يدعا أنها تأثير في تخفيف ال وزن أو تؤثر بإزالة نوع أو أنواع من الأمراض ، والله أعلم .

السؤال :

فضيلة الشيخ حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ما رأيكم في من يلبس دبلة الخطوبة ؟ ويرى أنه إن فسخها فإن الخطوبة قد
انفكت ؟ وهل تعتبر هذه بمثابة التميمة ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب :

نعم هذه من جنسها ، لبس دبلة الخطوبة إن كان يعتقد أنها لها تأثير في الحب ، ودوام الحب بين الخطيب وخطيبته ن فهذا من نوعه ، من نوع الاعتقاد في التمائم ، فأهل الجاهلية كانوا يعلقون التمائم لرفع البلاء ودفعه ، وهذا نوع جديد ، وهو لتثبيت الحب ، وهذا باطل ، ف لا أثر لما يلبس من ذلك في دوام الحب ، وإن وقع شيء من ذلك في الشعور فهذه من تأثير الشياطين التي تؤثر على نفسيات الناس بالتحبيب والتنفير للتعلق بهذه الشعارات ، وهذه المظاهر ، فيحرم لبس دبلة المخطوب على هذا الأساس .

ومن كان يجعلها مجرد شعار على أنه خاطب ، ما شاء الله إذا لقي أصحابه يعرفون أنه خاطب الآن ولم يتزوج وكذلك هي هذا عنوان لها ، فهذا من

الشعارات الدخلية على المسلمين ، فيمنع من ذلك لما فيه من التشبه بالنصارى أو بغيرهم من الكفار الذين يتخذون هذه شعارات للخطبة .

ثم إن لبسها لو بهذا القصد وسيلة للمعنى الأ ول ، فكيف نميز بين من يعتقد تأثيرها في دوام الحب ومن لا يعتقد ؟ فتمنع لذلك كما تقدم في شأن التمائم ، التمائم من القرآن تمنع سدا للذريعة أيضا .

خلاصة القول لا يجوز لبس الدبلة التي تعرف بدبلة الخطبة .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، السلام عليكم ورحمة الله ، ذكر أهل العلم شروط لا إله إلا الله ، وعدها بعضهم سبع ، وأضاف بعضهم إليها أمر ثامن وهو الكفر بما يعبد من دون الله ، فما هو الراجح في هذه المسألة عند فضيلتكم وفقكم الله ؟

الجواب :

لا موجب للتوقف ولا التردد ولا الخلاف ، الأمر واسع ، أنا ذكرت أنه من لم يعد الثامن ربما يقول : أنه داخل في معنى لا إله إلا الله ، ومن عده نظر إلى تصريح الحديث به وقوله : ((ومن كفر بما يعبد من دون الله)) فلا خلاف ، فهذا الخلاف من نوع الخلاف اللفظي ، فغن الأحاديث منها ما صرح بهذا الشرط ، كهذا الحديث ، وأكثر الأحاديث ليس فيه التصريح ، ولكن لا يعني هذا إغفال هذا المعنى ، لا ، هذا المعنى أساسي هو داخل في صميم لا إله إلا الله ، كما ذكرت لكم أنه هو مضمون ومقتضى النفي ، فإن لا إله إلا الله ، مركبة من نفي وإثبات ، فالنفي يتضمن هذا الشرط .

السؤال :

فضيلة الشيخ حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، هل يجوز تخصيص شخص معين سواء كان يهوديا أو نصراني بالكفر ؟

الجواب :

إي والله ، بل يجب ، أن نقول : هذا كافر ، وهذا كافر ، كل يهودي ونصراني نشهد عليه أنه كافر ، يجب كل يهودي ونصراني ووثني ، وكل واحد ، كل يهودي هو كافر ، يجب ما هو يجوز ، بل يجب أن نشهد على كل يهودي ونصراني بأنه كافر ، ولكن ما يجوز أن نشهد على كل يهودي ونصراني بأنه في النار ، ما ندري مآل أمره ، ولكن من مات منهم على اليهودية أو النصرانية فهو في النار ، ففرق بين الشهادة على أعيانهم بالكفر أو الشهادة على أعيانهم بأنهم في النار ، نحن لا ندري ، ما د ام حي فإنه تحت مشيئة الله ، يمكن أن يتوب ، ولا ندري عن ما مات عليه ، يعني من مات منهم لا ندري على ما مات عليه . وهذا بخلاف من وقع في بدعة المكفرة من المنتسبين للإسلام من قدرية أو معتزلة وما أشبه ذلك ، ولكن إذا قلنا أن هذه المقالة كفرية فإننا لا نشهد على هذ ا المعين بالكفر ؛ لأنه يمكن أن يكون له من الأعذار ما ينفي ثبوت هذا الحكم في حقه ، والله أعلم من تأويل أو جهل .

السؤال :

فضيلة الشيخ حفظكم الله ، البعض يتهموني بنقص في المعتقد ؛ لأني لا أكفر من في كفره شك في نظري ونظر بعض العلماء ، فهل ما أنا عليه صحيح ؟ وجزاكم الله خيرا .

الجواب :

ما أدري ، هذا سؤال مجمل وملفوف ، اتركه .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هل نكفر الرافضة والأشاعرة على نفس التفصيل والخلاف عند علماء السنة في مسألة تكفيرهم للجهمية والمعتزلة ؟

الجواب :

الرافضة كفار في جملتهم ؛ لأنهم مشركون يعبدون غير الله ، وهم قبورية ، زيادة على أصولهم الكفرية .

أما الأشاعرة ، فمقولتهم كفرية ، لكن لا يطلق عليهم كفار ، غنما جاء التصريح من أهل العلم بالجهمية ، والجهمية تعطليهم مغلط أما الأشاعرة أرجو أنه لا يطلق عليه اسم الكفر ، ولكن اسم الكفر على جحد كذا وجحد كذا ، والله أعلم .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، هل من الأفضل الحلف على الفتيا أم الأخبار بها بدون حلف ؟

الجواب :

قد تختلف المقامات أحيانا ، ينبغي الحلف في الأمر ، يعني الذي يكون فيه محل قطع ، ويحتاج المستفتي إلى التأكيد .

السؤال :

شيخنا الفاضل ، هل الشرك من يطيعون رهبانهم في استحلال الحرام وتحريم الحلال ، مثل الشرك الذي هو عبادة مع الله ؟

الجواب :

أقول هو عبادة ، لكن العبادة أنواع ، الله يقول : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله** ﴾ بعدها بالضبط ، نفس الآية ، وفي حديث عدي قال : إنا لم نكن نعبدهم ، وفي

آخر الحديث قال : ((فتلك عبادتهم)) فلا معنى لهذا السؤال ، لهذا السؤال مبني على أن العبادة لا تكون غير صلاة أو سجود أو ركوع أو ذبح .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، هل النور من أسماء الله أم من صفاته ؟ وما معنى قوله تعالى : ﴿ **الله نور السماوات والأرض** ﴾ ؟

الجواب :

بعض أهل العلم يعد النور أسم من أسماء الله ، وهذا لا أعلم له دليلا إلا ما ورد في رواية حديث : ((إن لله تسعا وتسعين اسما ، من أحصاها دخل الجنة ، وهي ...)) سرد فيه الأسماء ، فرواية سرد الأسماء ، هذه رواية مضعفة عند أهل الحديث فلا يؤول عليها في إثبات ، يعزي أعيان أسماء الله ، يعني فأنا أتوقف في إثبات هذا الاسم النور ، ولكن الله أخبر بأنه نور السماوات والأرض ، فنقول : الله نور السماوات والأرض ، ومن صفاته النور ، نعم النور كمال ، وهو أحق بكل كمال فمن صفاته النور ، وهو نور السماوات والأرض ، ومن معاني ﴿ **الله نور السماوات والأرض** ﴾ يعني منور السماوات والأرض ، ينورها بالنور الحسي والنور المعنوي ، فكل نور في السماوات والأرض الله هو الذي خلقه ، وهو الذي يهدي أهل السماوات والأرض ، فالإيمان في قلوب المؤمنين نور ، يجعله الله في قلوب المؤمنين ، نسأل الله أن يملأ قلوبنا نورا ، أن يجعل في قلوبنا نورا ، أن يجعل في أسماعنا نورا ، وفي ألسنتنا ، كما في الدعاء : ((اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي لساني نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي بصري نورا ..)) إلى آخر الحديث ، والله أعلم .

السؤال :

هذا سائل يقول فضيلة الشيخ ، ما الفرق بين من يذهب إلى الطبيب معتمدا على الله باحثا عن الأسباب ، ومن يذهب إلى الطبيب معتمدا عليه ؟

الجواب :

هذا السؤال ، ما أرى له ، يعني ما الفرق بين من يعتمد على الله ، ومن يعتمد على غيره ؟ أليس هذا هو السؤال ؟

الأول : قائم بموجب الشرع ، آخذا بالأسباب ومتوكل على الله ، وه ذا هو سبيل المهتدين .

والآخر يذهب للطبيب معتمد عليه معتمد على السبب ، وهذا مشرك ؛ لأن الاعتماد على الأسباب من الشرك .

فشتان بين الموحد والمشرك ، بين المتوكل على الله القائم بأمره ، المتوكل المعتمد على غيره .

شتان هذا مثاب في توكله على الله ، وحري بأن ينفعه الله بهذا السبب ، والآخر حري بأن يعاقب وهو آثم في اعتماده على غير الله ، في اعتماده على ذلك السبب ، آثم يستوجب ما يستحق من عقاب ، وقد يكون الاعتماد على هذا السبب سببا لحرمانه من الانتفاع بسببه ، سبب لحرمانه ، وقد ينتفع فيكون ذلك موجب لاغتراره وتماديه في تعلقه بالأسباب ، واعتماده عليها .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، استشكل علينا طلبة العلم في أحد مسألة ، وهي ما نوع العلاقة بين توحيد الأسماء والصفات ، وبين توحيدي الربوبية والألوهية ؟ هل هي علاقة تضمن واستلزام ؟ أرجو بسط القول في هذا الموضع ، وما تنصحون طالب العلم في قراءة أحد كتب العقيدة التي يستطيع قراءتها بمفرده بدون شرح ..

الجواب :

العلاقة بين أنواع التوحيد ، علاقة وثيقة ، توحيد الأسماء والصفات ، توحيد الربوبية ، توحيد الألوهية ، علاقة وثيقة الكلام فيها ، بما يجلي هذا الأمر يحتاج إلى وقت أوسع من هذا .

لكن توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات بينهما تقارب كبير ، ولهذا بعض أهل العلم ، يجعل التوحيد نوعين فقط :

توحيد في المعرفة والإثبات ، أو التوحيد العلمي الخبري ، أو التوحيد في العلم والقول ، هذا شيء واحد .

والتوحيد العملي ، التوحيد في الإرادة والقصد والعمل ، وهو توحيد العبادة .

فتوحيد الأسماء والصفات ، يعني حقيقة اعتقاد تفرد الرب بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأنه لا شريك له ولا شبيه .

وتوحيد الربوبية ، اعتقاد تفرده بأفعاله ، الخلق ، والرزق والتدبير ، وأفعاله هي صفاته الفعلية .

فتوحيد الربوبية يدخل في توحيد فـي توحيد الأسماء والصفات ، فلهذا يجعله بعض أهل العلم يعبر عنهما جميعا ن بالتوحيد في العلم والقول ، أو التوحيد في العلم والإثبات .

أما توحيد الألوهية ، فهو إفراد الله بالعبادة ، لكن مع اعتقاده تفرده تعالى بالألوهية ، وأنه هو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه .

فتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد العبادة ؛ لأن الموصوف بكل كمال ، المنزه لكل نقص ، الفعال لما يريد المتفرد بالعطاء والمنع ، هو المستحق للعبادة ، بداهتا ، هو المستحق للعبادة ، لا العاجز الناقص ، المدبر المربوب ، الموصوف بكل كمال المالك لكل شيء ، الخالق

لكل شيء ، الذي هو على كل شيء قدير ، هو المستحق للعبادة ، ولهذا لما قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ..**﴾ إلى أن قال : ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداد** ﴾ فذكر ما يتضمن توحيد الربوبية ، وجعله موجبا لتوحيد العبادة .

وأما بالنسبة للجزء الثاني من السؤال ، فمسألة كتب العقيدة ، أو غير كتب العقيدة ، ما يحتاج إلى شرح ، ويستطيع الطالب أن يقرأه بنفسه هذا أمر يختلف من شخص لآخر ، ما ينضبط فالكتاب البسيط الذي يعرفه أو يفهمه أوساط طلبة العلم ، هذا يحتاج إلى شرح بالنسبة إلى المبتدئ ، لكن من كتب العقيدة ، ومن الكتب البسيطة السهلة ، (الأصول الثلاثة) ، (العقيدة الواسطية) كلها سهلة واضحة ليس فيها تعقيد ، ليس فيها مصطلحات منطقية ، وليس فيها خلافات ، يعني ليس فيها ذكر مذاهب الفرق الكلامية ، أبدا فيها تقرير معتقد أهل السنة و الجماعة ، فيها تقرير أصول الدين مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . لكن كلمة لا يحتاج لها شرح ، هذا كما قلت يختلف من شخص لآخر ، وقد يكون هذا لا يحتاج إلى شرح ، ولكن بالنسبة إلى بعض الناس أو لكثير من الناس يحتاج إلى شرح مع السهولة .

السؤال :

يقول السائل : عندنا في العمل ، نذيل أو ننهي خطابات مكتوبة من إدارة إلى أخرى بقولنا : ولكم خالص تحياتي ، فاخبر أحد الشباب بأن هذا لا يجوز ، فبدأت أكتب فقط ولكم تحياتي ، فقال : آخر أن التحيات خالصة لله سبحانه وتعالى .

الجواب :

أما خالص تحياتي ، في الحقيقة ما يصح أن يكون مثل هذا للمخلوق ، خالص التحيات ، وكامل التحيات ، التحيات كلها لله ، التعظيم المطلق لله وحده ، التحيات لله والصلوات الطيبات .

فأرجو أنه ، أن التعبير الأول هو الذي يجب اجتنابه ، يجب اجتناب : ولكم خالص تحياتي .

أما لكم تحياتي ، فالذي يظهر لي ، أنه لا مانع منه ؛ لأنه يقصد لكم التحيات ، والأولى أن يقول : ولكم مني تحية ، يعني حتى لا يكون لكم التحيات كلها ، لكن إذا قال ك لكم تحياتي ، فأرجو أنه لا بأس به ، بمعنى لكم تحياتي التحيات المعتادة بين الناس ، أما خالص تحياتي ففيها مبالغة ، خالص التحيات وكا مل التحيات إنما يكون لله تعالى ، أما التحية فتكون من المخلوق للمخلوق .

السؤال :

هذا سائل يقول : فضيلة الشيخ هل الحجر الأسود والنخلة مباركان ؟

الجواب :

لماذا هذا الربط بين الحجر الأسود والنخلة ؟ ما في ربط . نعم الحجر الأسود حجر مبارك ، وجعل الله له شأنا ، يتميز به على سائر الأحجار :

أولا : شرع الله جعله في الكعبة ، وشرع الله تقبيله ، واستلامه ، واستلامه وتقبيله عبادة ، نعم الحجر نفسه لا يضر ولا ينفع ، لا يمنح أحدا ، لكن مسحه واستلامه وتقبيله عبادة وعمل صالح .

فإذا قلنا أن التبرك بهذا الحجر ، بمعنى التبرك به بفعل ما شرع الله من استلامه وتقبيله ، فهو ......، البركة هي الخير الكثير ، فاستلامه فيه خير .

عمر رضي الله عنه يقف عنده ويقول : أعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع .

لكن الله خصه ، كما جعل بيته مباركا ، ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين** ﴾ فإذا أريد بالتبرك بالبيت طلب ما جعل الله في ذلك الموضع من البركة والخير ، بأي شيء يكون التبرك بالكعبة ؟ يكون بالفعل المشروع ، بالطواف حولها ، باستلام ما يشرع من أركانها ، بالصلاة إليها ، بالاعتكاف لله عندها ، ﴿ **و إذ جعلنا البين مثابة للناس وآمنا** ﴾ ، ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ ، ﴿ **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** ﴾ هذه ثلاث : الطواف ، واعتكاف ، وصلاة .

أما النخلة ، فشتان ، ليست من نوع الحجر الأسود أو الكعبة ، يمكن إن قلنا أن البركة نوعان :

فيه بركة شرعية . ونوع من البركة كونية أو يصح أن نقول طبيعية .

فالبركة التي في الحجر أو في البيت ، وفي هذه المواضع ، بركة شرعية ن ولهذا شرع لنا أقوال وأعمال للحصول على هذه البركة وذلك الخير .

أما بالنسبة للنخلة فهي شجرة مباركة ثمرها طيب ، وغذاء نافع ، ولكن أقول : أنها بركة كونية جعلها الله فيها ، والرسول صلى الله عليه وسلم مثل بها المؤمن لكثرة منافعها ، والمؤمن مبارك ، المؤمن بقدر بحسب إيمانه تكون بركته ، المؤمن مبارك أيضا بركة شرعية ، بإيمانه وعمله الصالح ، لكن يكون تبرك بالمؤمن ؟ ! لا ، التبرك بذات المؤمن وجسده ، لا هذا من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن المؤمن والعبد الصالح يكون التبرك به بماذا ؟ بالمجالسة لأخذ القدوة الحسنة ، والأسوة ، للإقتداء ، ((مثل الجليس الصالح كحامل المسك ، إما أن تبتاع منه ، أو يهدي إليك ، أو تكتسب منه رائحة طيبة)) مجالسة الصالحين فيها بر كة ؟ ، فيها بركة من

حيث ما يحصل منها من القدوة الحسنة ، والفائدة العلمية ، والفائدة التوجيهية ، الكلام الطيب ، والذكر الطيب ، ولكن ما تتبرك به ، يعني بأثره الجسدية ، هذا من خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام

السؤال :

فضيلة الشيخ ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، لو أن أصحاب الصنم الذين في حديث طارق بن شهاب ، قالوا : قرب أو افدي نفسك بمال ، فهل يجوز له أن يفدي نفسه بمال ؟ وجزاكم الله خيرا .

الجواب :

أظن إني ذكرته .

السؤال :

ذكرتم يا فضيلة الشيخ أن اللعن يحتمل الدعاء ، ويحتمل الإخبار ، فبمن أن الذبح لغير الله شرك ، واللعن بمعنى الطرد ، فهل يبقي احتمال أن اللعن هنا للدعاء ؟

الجواب :

يصح ، ما المانع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على الكفار ، على المشركين ، هذا دعاء ((ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا)) ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد)) يشمل الأمرين .

السؤال :

تواردت الأسئلة من الأخوة عن سؤال مسبق ، وهو تعليق الآيات القرآنية والأذكار ، هل هو من التحريم أم من الكراهة ؟

الجواب :

تعليق الآيات في الجدران زينة امتهان . تعليقها تعبد بدعة وعلى هذا البدعة حرام ، وامتهان القرآن حرام ، هذا الذي يظهر ، والله أعلم .

ولكن إذا وقع شيئا من هذا جهلا ، فالجاهل معذور إن شاء الله .

السؤال :

يقول السائل : ما رأيكم في بعض الناس يعلق لوحة بها أسماء الله عز وجل في المنزل ، هل يدخل حكمه في حكم تعلق الآيات في المنزل ، أرجو التوضيح حفظكم الله .

الجواب :

الله أعلم ، ولكن الذي يظهر أنه قريب ، لماذا تعلق الأسماء الحسنى ، تجعلها لوحة ؟ تريد تجعل زينة ديكور كما يقولون ، وتكتب بنقوش ، تفعله تعظيما ؟ ، ما شرع الله ، عظم أسماء الله بإيمانك بها ، وبذكر الله بها ، وبتلاوة النصوص التي جاءت فيها ، يعني تضمنتها ، هكذا

السؤال :

فضيلة الشيخ ، جزاكم الله خيرا ، حديث الشؤم في ثلاثة .

الجواب :

اجل هذا السؤال .

السؤال :

شيخنا الفاضل ، التبس علينا قوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا بلغت الحدود إلى الحاكم ، فلعن الله الشافع والمشفع له)) هل هي بفتح الفاء أم بكسرها ؟

الجواب :

أنا نصت عليه ((لعن الله والمشفع)) والمُشَفِع ، اسم الفاعل يعني الذي قبل الشفاعة ، السلطان الذي يقبل الشفاعة في الحدود .

السؤال :

هذا سائل يسأل ، فضيلة الشيخ فالأماكن أو المناسبات التي أقيمت على غير تقوى من الله ورضوان ، كالمناسبات التي يحتفى فيها بالترا ث ويغلى فيها ، وكالنوادي الرياضية ، هل يسوغ المشاركة فيها فيما ظاهره الخير ، كأن يقام فيها معرض كتاب ونحو ذلك ؟

الجواب :

هذا محل تأمل ومحل اجتهاد ، ويختلف نظر أهل العلم وطلبة العلم ، والدعاة في ذلك ، ورأي إنها جديرة بالمقاطعة .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، كيف نجمع بين كون النذر مكروها ، بين كونها عبادة لا يجوز صرفها إلا لله ؟ والله سبحانه وتعالى يحب العبادة .

الجواب :

أجله إلى الباب القادم ، يأتي إن شاء الله .

السؤال :

هل يجوز لعن المعين من الكفار ؟

الجواب :

ظاهر حديث ابن عمر في قصة قنوت النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن فلانا وفلانا وفلانا ، قال : ((لعن الله صفوان ابن أمية ...)) سماهم فهذا يستدل به على جواز لعن المعين من الكفار ، والله أعلم .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، حفظكم الله ، كيف نفرق بين الذي يقصد الشرك ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، وبين من دخل الناي بذباب ، ألم يكن مؤمنا ، ولكنه أضر إلى ذلك ، أرجو التوضيح ؟

الجواب :

لعل كما سمعت ، الظاهر إنه ما سمع أو لم ينتبه للكلام حول هذه النقطة ، قلت إنه إذا قدر إنه مكره ، مع إن الرجل لم يكن عنده ذلك المانع ؛لأنه اعتبر بأنه ليس عنده شئ يقربه ، فإذا قُدر أنه فعله مكرها فقد سبق التنبيه عل أن العذر من خصائص إكرام هذه الأمة .

السؤال :

هل يصح قلب الكنائس إلى مساجد يعبد الله فيها ؟

الجواب :

إي والله ، بل الصلاة في الكنيسة فيه مذاهب لأهل العلم ، ثلاثة مذاهب : أحدها أنه لا تجوز الصلاة في الكنيسة ، والثاني أنها تجوز ، والثالث التفصيل إذا كان فيها صور فلا تجوز الصلاة فيها . ثلاثة مذاهب ، ولعل هذا أوسطها وأرجحها ؛ لأن الأصل أن الكنائس مبنية لعبادة الله لكن أحدث فيها الشرك ، فلو أحدث الشرك كما حدث ويحدث في المساجد المعظمة كالمسجد الحرام ، أيكون وجود الشرك في المسجد الحرام مانعا من الصلاة فيه ؟ لا يمنع ، وقد كانت الأصنام في المسجد الحرام وكان المسلمون يصلون فيها ؛ لأن هذا المسجد الأصل فيه أنه معد ومبني لطاعة الله .

السؤال :

هذا سائل يسأل ويقول : فضيلة الشيخ وفقك الله ، هناك أحد الأشخاص من غير أهل هذا البلد ، كان يكثر من ذم بعض العلم اء والدعاة وسبهم والازدراء

بهم ، ثم أصيب لسانه بالشلل ، فهل يشرع الفرح بما أصابه والدعاء على أمثاله بمثل ما أصابه أم لا ؟

الجواب :

ما دام أنه مسلم فلا يُفرح عليه بما أصابه بل يُتخذ من ذلك عبرة ، ولعله في هذه المصيبة ، لعل في ذلك عظة له ولغيره ، فيدعى له بأن يجعل الله ذلك له موقظا ومنبها ، مجرد أن تفرح عليه هذا لا نتيجة له ما دام أنه مسلم ، يعني مثل المسلم هل تفرح عليه بما يفعله من المعصية ؟ لا ، تدعو له بالصلاح بصلاح الحال ، كذلك إذا أصيب تدعو له باستقامة الحال وأن يعافيه الله . فتؤخذ من هذا العبرة ، ويدعى بأن يجعل الله له ذلك تنبيها وإيقاظا وزاجرا له عن صنيعه .

السؤال :

ما المراد بكلمات الله في هذا الحديث ، هل هي الشرعية أو الكونية ؟

الجواب :

لعلي أجبت على هذا ، والحديث عام ، والحديث مثل هذا عام ، والآيات الشرعية هناك آيات شرعت قراءتها للاستعاذة لما تتضمنه من العياذة بالله والاستعانة به سبحانه وتعالى من أنواع الشرور .

السؤال :

يقول : فضيلة الشيخ ، دار نقاش بيني وبين زملائي في الحديث الذي فيه ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره)) فقال بعضهم : المقصود ببصره هو الله ، وقال : بعضهم هو المخلوق . فما هو الصحيح ؟

الجواب :

لا ، هذا ما يحتاج نقاش ، والذي يقول إنه المخلوق هذا جاهل بدلالة الكلام ، سبحان الله ، ما في مجال للنقاش ولا في مجال للاختلاف أبدا ، الضمير في قوله ((بصره)) يعود إلى الله ، ((لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)) الضمير في ((بصره من خلقه)) يعود على الله .

السؤال :

هل المقولة المشهورة : (وا معتصماه) التي قالتها بغير حضرة المعتصم تعتبر شركا ؟ أفيدونا وجزيتم خيرا .

الجواب :

هذه المقولة مقولة تاريخية لا يعول عليها ، وإن رددها بعض الناس وأكثروا من ترديدها ، وأسلوبها ليست أسلوب الاستغاثة ، أنها تستغيث بالمعتصم وهي أسيرة لا يسمعها ، ولم يكن الاستغاثة بالموتى والغائبين لم يكن في ذلك التاريخ فاشيا في الأمة كما حدث في العصور المتأخرة ، هذا يسمى ندبة كما يقال في ندب الميت : وا أبتاه ، وا أخاه ، وا صاحباه . فلعلها هي تعظم أمر الخليفة وتخاف عليه لأنه ولي أمر المسلمين ، ولذلك قالت ذلك ، وإلا لا يصح أن يتصور أنها تقول في السجن : وا معتصماه . يا معتصماه أنقذني ! لا أبدا . عندي أن هذا من نوع قول القائل لفقيده وأبيه : وا أبتاه ، وا أماه ، وهكذا . ولا يدعوه ولا يستغيث به بل يتوجع عليه ويندبه .

السؤال :

هذا سؤال فقهي ويبدو أن سائله مضطر للإجابة عليه الآن ، لهذا خرجنا عن الموضوع : امرأة وضعت حملها قبل وفاة زوجها بيوم واحد فكيف تكون عدتها ؟

الجواب :

تكون عدتها أربع أشهر وعشرة أيام .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، ذكرت أن الاستعانة بالمخلوق الحاضر القادر على الفعل جائز ، فهل يدخل الاستعانة بالجن في هذا الحكم ؟

الجواب :

وما يدريك عنه أنه حاضر ، لا يدخل .

السؤال :

من كان مداوما على معصية فقال : إن فعلت هذه المعصية مرة أخرى سأحرم نفسي من دخول الامتحان ، ولكنه فعل تلك المعصية ، فهل يكون هذا من قبيل نذر اللجاج والغضب ؟

الجواب :

وعدم دخول الامتحان هو قرب ؟ هذا لا نذر ، هذا لا يسمى نذر ، دخول الامتحان هذا لا نسميه طاعة ولا معصية ، هذا أمر عادي دخول الامتحان ، لأن الإنسان يبغى يهون ولا يدخل الامتحان ويستريح ، كيف ؟ سأحرم نفسي من دخول الامتحان . إن كفر كفارة يمين قد يكون له وجه ، احتمالا .

السؤال :

هل الجهر بالنذر يجب لكي يتحقق النذر أم أنه في القلب فقط ولا يجب التلفظ به ؟

الجواب :

ما لم يتلفظ به لا يؤاخذ به الإنسان ولا تترتب عليه أحكام ، مثل كل العقود لا بد من التكلم بها ، فإذا فكر إنه ينذر ، فكر إنه إذا فعل كذا حصل كذا أو أنه إذا فعل كذا يفعل كذا ، هذا ما يكون ، لا بد أمن يتكلم . والله أعلم .

السؤال :

هذا سائل يقول : فضيلة الشيخ ، طرأ في هذه الأيام القريبة تغير غير معتاد في الجو من تلبد للغيوم ونحو ذلك مع ما حصل للمجاورين من هطول أمطار غزيرة لم يعهد نزولها في مثل هذا الوقت منذ قرابة خمسة وستين سنة ، ومما ينتظر من أهل العلم أن يذكروا الناس بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الظروف ، فهل لكم يا فضيلة الشيخ أن تذكرونا بارك الله فيكم .

الجواب :

قول السائل : بهدي النبي ، أنا الآن ما أذكر ، ماذا يعني بهدي النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ، يعني أنا ما عرفت إلا الغيم الذي علينا نعرفه كلنا ، أما المطر الذي نزل في بعض البلاد المجاورة فأنا ما سمعت به إلا قبيل المغرب ، ولا أعرف الواقع تماما ، لكن معلوم ، الذي عندي وأستطيع أقوله الآن ، معلم أن الله أجرى الوجود على السنن ، وجعل للوجود سننا ماضية ، سنن يعني طريقة مستمرة ، وقد تسمى عادة ، المطر يأتي في هذا الوقت ، والحر في هذا الوقت ، والشتاء في هذا الوقت ، فجعل لكل شيء قدرا ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ سنن كونية ، ولكل بلاد ما قدره الله وما شاءه من السنن ، فمث لا في هذه المناطق الصحراوية ، المعتاد أن المطر إنما تكون في الوسم وما بعده ، وفي الشتاء وفي الصيف ، كما هو متبع ، أما في هذا الوقت فلا يعتاد فيه المطر ، هذه السنة الجارية .

لكن قد يحصل في هذا الوقت الذي لا يعتاد فيه مطر ، قد يحصل خلاف المعتاد ، وخلاف السنة الغالبة ، فيأتي المطر ، فيحصل للناس إذا جاء غزيرا ، بسبب غزارته ، وبسبب عدم التوقع له ، الناس إذا كان في الشتاء ، تجد عندهم ترتيبات ، يعني يتحرون المطر في كل مساء ، آخر النهار ينشأ السحاب ، فيحصل للناس استعداد ، لكن في الصيف أبدا ، تجد أهل الأسمنت لا يغطون أسمنتهم ، وأهل الأموال ، وأهل البيوت ما يلحظونها وأشياء ، على أساس ما فيه مطر أبدا وما ينتظرونه وما يتوقعونه .

ففي مثل هذا الحدث لفتات ، فيه تنبيه ودلالة على قدرة الرب سبحانه وتعالى ، أنه قادر على أن يحدث من أمره ما شاء ، وينزل الغيث متى شاء ، وما أدري الأرصاد أعطت خبر عن هذا المطر ؟ بكام يوم ، ولكن وإن عرفوا شيء ، فقد غابت عنهم أشياء وأشياء سبحان الله ، هل أعطت أجهزتهم إنذارا أنه سيأتي مطر غزير له أثار وأضرار ؟ وإن أعطت إنما تعطي عندما تحصل المقدمات ، لكن هل عرفوا ذلك قبل أن تحصل مقدماته من فترة ، يعني بحساب ؟ لا ، ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم الله ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ إذًا نذكر أن الله على كل شيء قدير ، وينسحب هذا على كل الأشياء ، عندما تشتد الشدائد ، وتشتد المصائب ، يكاد الناس ييأسون من الن صر يأتي النصر ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا** ﴾ ، ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين معه ، متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾ النصر يأتي في الوقت الذي يستبعد الناس فيه النصر، الله قادر مع ما يعيشونه المسلمون من ضعف ، وما تعيشه هذه الأمم الطاغية ، أمم الكفر ،

ما تعيشه من طغيان ، الله قادر على أن ينزل بأسه بهم ، فيزلهم كما يحصل وإن لم يكن بالصور التي يتخيلها الله ن ويقدرها الناس ، فالله ينزل بهم بأسه كيف شاء ، ولعل في هذه إشارة ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد .

السؤال :

قد وردت كثير من الأسئلة ، تسأل عن حكم لعن المعين ، سواء مسلما أو كافرا ؟ .

الجواب :

والله الذي ظهر ، هذا سبق الإلماح إليه ، أما المسلم فلا يجوز لعن المعين ، وأما الكافر فيجوز ، هذا الذي وصلت إليه ، وظهر لي والله أعلم.

السؤال :

إذا كان المجاهد في سبيل الله الذي يستشهد يشفع لسبعين من أهله فكيف الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشفع لأهل بيته وصاحبته وهو أفضل المخلوقين ؟

الجواب :

لم يأتي ذكر للشفاعة ، والشفاعة لها باب ، والشافع لا يم لك ن الشفاعة هي ملك الله ، ولا أحد يشفع عنده إلا بإذنه ، فعاد الأمر إليه ، هل الشافع يملك أن ينجي أحد من النار ؟ ، إذا نجا ما نجا هل يقال : أن الشافع صار يملك نجاة من شاء من النار ؟ ، أبدا ، الشافع لم يملك الشفاعة ، ولا يملك نجاة أحد ، يعني إذا إذن الله له شفع ، فإذا شفع وشفع ، وقبل الله شفاعته ، فمن الذي نجا المشفوع له من النار ؟ هو الله .

السؤال :

هل الخوف من الساحر يقدح في التوحيد ، أم أنه خوف طبيعي ؟

الجواب :

خوف طبيعي ، الإنسان يخاف من الشرير ، إذا عرفت أن هذا ساحر أحذر منه أخاف أن يعمل عملا ، يعمل عملا له أعوان من الشياطين .

السؤال :

هل الساحر أو من يعتاد الذهاب إلى السحرة ، وهدفه إذاء الناس والسيطرة عليهم ، من الكفار ؟

الجواب :

يخشى عليه ، نسأل الله السلامة .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، ذكر أن المسلمين دخلوا إلى مخيمات المشركين التي احتفلوا بها ودخلوا عليهم ، فقتلوا منهم أناس إلى آخر ما قال فما صحت هذه الرواية ؟

الجواب :

ما أدري ، ما فيها ، السؤال مبهم ، أنا ما أعرف ، ما أدري كأن السؤال عن هذا ، كأن تحته شيء إشكال ، هم مسلمون يعني انتصروا أولا ثم انهزموا ثم استشهد من استشهد ، ثم كروا على عدوهم ، وهزم الله الأعداء ، وتفصيل هذا في سورة (آل عمران) وفي الكتب التاريخ المعنية بهذا ، والله أعلم .

السؤال :

هذا سائل يسأل ويقول لك عندما قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكفار ، فانزل الله سبحانه وتعالى ﴿ **ليس لك من الأمر شيئا** ﴾ **الآية** ،علمنا

من ذلك أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمعنى أن عليك الدعوة والبلاغ ولا تزد ، فهل يؤخذ منه دليل على النهى عن القنوت في النوازل ؟

الجواب :

لا ، الشيخ ذكر المسالة ، قال : فيه دليل على قنوت النوازل ، إنما نهي عن دعاء المخصوص ، عن الدعاء على هؤلاء الكفار ، \ بالطرد والإبعاد عن رحمة الله ، دعا على قبائل من العرب ولم ينزل عليه ﴿ **ليس لك من الأمر شيئا** ﴾ الذين قتلوا القراء دعا عليهم الرسول ، وما نزل عليه شيء ، الآية ما نزلت عن النهي عن القنوت ، بارك الله فيك ، نزلت للنهي عن دعاء المخصوص ، ولا أيضا نقول : دعاء المخصوص بل لبيان أن الأمر لله ، فإذا لم يستجب للرسول فيهم ، فذلك راجع إلى أن الأمر لله ، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله ، نبه على هذا ، وعلى كل المسائل ، ذكر دلالة الحديث على مشروعية القنوت في النوازل ، فيه دليل على لعن المعين ، وفيه بيان أن الرسول عليه الصلاة والسلام مع ما له من المنزلة العظيمة ، أنه قد يدعو ولا يستجاب له ، ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، ذكرتم مسألة القنوت في النوازل ، فهل يشترط أن تكون في صلاة الفجر أو يكون الإنسان فيها مخيرا ؟ .

وهل يشترط أيضا طلب الإمام للدعاء ؟

الجواب :

لا يختص قنوت النوازل في صلاة الفجر ، ثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام قنت في صلاة الفجر ، وفي غيرها ، بل ورد أنه قنت في جميع الصلوات ، ونص العلماء على ذلك إذا دعت الحاجة ، ولكن كان قنوته في صلاة الفجر

أكثر ، وقد يرجع هذا إلى واقع النازلة ، كلما تكون النازلة أشد وأفدح وأعظم ، يكون المقتضي للقنوت ومضاعفة الدعاء أكثر ، كل ما تكون المصيبة وتكون النازلة أعظم ، كان المقتضي للدعاء ومضاعفة الدعاء وتكرير الدعاء بحسب ذلك .

وأما مسألة الإمام ، وسؤال الإمام ، فهذا محل اجتهاد ، وينظر فيه إلى المصالح والعواقب ، ولا أذكر أ نه يشترط هذا ، ولكن قد تقتضي المصلحة الرجوع إلى الجهات المعنية ، حتى تكون الأمور تسير على منهج معين واضح ، ولا يكون فيه اضطراب وتذبذب ، ومعروف أن الدعاء مجالاته واسعة لا تنحصر في القنوت ، الدعاء على الكفار ، والدعاء على أعداء الله ن لا تنحصر في القنوت ، مجالات الدعاء ، أوقات الدعاء ، أحوال الدعاء واسعة ، الله أكبر ، سبحان من يسر لعباده طرق الخير ، وفتح لهم أبواب الرحمة .

السؤال :

هل القرآن يعتبر من أسماء الله وصفاته ؟ وهل يجوز الحلف به ؟ .

الجواب :

القرآن كلام الله ، وكلام الله صفته ، ويجوز القسم به ، ولا تقول : من أسماء الله ، القرآن ليس منن أسماء الله ، ولكن القرآن مشتمل على أسماء الله كثير ، أكثر ما نعلم من أسماء الله في القرآن .

السؤال :

نرى في بعض الشوارع كلمة مكتوبة دعائية (الأصيل أصل الأصول) ، فما رأيكم في هذه العبارة ؟

الجواب :

الأصيل ، المقصود به الثوب ، (الأصيل أصل الأصول) ، الأصيل هذا عنوان اسم ، فيه أصول متنوعة ، فيه أصول الشجر ، يعني هو أصل هذه الأنواع ، أصيل أصلي ، وفيه الجيد يقال له : أصلي ، نسبة إلى الأصل ، هؤلاء يبالغون ويكذبون ، كلا يدعي أن سلعته هي الأصيلة ، وهي أصل الأصليات ، تمشي دعاية ، والدعاية يغلب فيها المبالغة والكذب .

السؤال :

ذكرت يا شيخ ، الشرك العاجل ، فما المقصود بالشرك العاجل ؟

الجواب :

العاجل ، ما أدري ، هل تشهدون علي إني قلت العاجل ؟ ، هات شاهد ثاني ، ما أدري ، شرك عاجل ، ما أدري الشرك العاجل أبدا ، إن ورد شيء على لسان سبق لسان أو شيء ، من كان يعلم هذا فليشهد ، لا تكتموا الشهادة .

* النفع العاجل ، ما هو الشرك العاجل يصير ، يعني قد يحصل للمشرك نفع ، يعني قد يحصل له ما يكون له فتنة ، لكن ما يلزم أن يكون بسبب الشرك ، يمكن أن يحصل فتنة وأنا مثلت لهذا وقلت يمكن أن يدعو عند قبر فيستجاب له ، يعني نص العلماء على هذا ، يدعو عند قبر فيستجاب له ، ويحصل له المنفعة ، فيظن أن السر في الدعاء عند القبر ، ولا يدري أنه لعل السر في إجابة دعائه أنه دعائه بضرورة وإلحاح ، وقوله تعالى : ﴿ **ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك** ﴾ لا ينفعك ، فيه ا نفي عام ، يعني لا ينفع لا عاجلا ولا أجلا ، الصنم ، الذين يدعون الأصنام ، أو الذين يدعون الموتى لا يحصل لهم بهذا الدعاء نفع ، لا تنفعهم ، لا نفعا عاجلا ولا أجلا ، نعم ، كلمة عاجل تأتي في النفع ، ما تأتي في الشرك ، شرك عاجل ، لا ، أحسنتم هذا تقرير .

السؤال :

لقد رأيت في بعض محلات العطارة ، بعض الأوراق مكتوبة بماء الزعفران ، وقد كتب فيها آية الكرسي أو المعوذتين ، والإخلاص ، وهي توضع على مكان الألم بعد وضعها في الماء ..إلى آخره ، فما حكم شرائه وفعل ما هو مطلوب منه ؟

الجواب :

والله ، يعني العلاج بالكتابة هذا فيه بعض الأثار ، يذكر شيء من هذا عن عبد الله بن عباس ، كما في زاد الميعاد ابن القيم في الطب النبوي ، ذكر أشياء من هذا القبيل ، فأنا لا أمر بها ، ولا أنهى عنها ، والاقتصار في هذا أولى وأحوط ، أي عدم التوسع في هذا ؛ لأن الذين دخلوا في هذا توسعوا وأفرطوا وكثر الخلط ، وفيه مدخل أيضا للدجالين ، في الكتابات هذه ، والله أعلم .

السؤال :

ذكرت يا فضيلة الشيخ ، ينافي التوحيد ، وقولكم ينافي كمال التوحيد ، فما الفرق ؟ وأيهما أعظم ؟

الجواب :

ينافي التوحيد : يعني ينافي أصل التوحيد .

ينافي كمال التوحيد : يعني أنه يحصل به نقص التوحيد .

والمثال تكرر ، الشرك الأكبر ينافي أصل التوحيد ، يعني ما يجتمع شرك أكبر وتوحيد ، المشرك شرك أكبر يخرج به الإنسان عن الإسلام ، ولا يبقى معه توحيد .

الشرك الصغر أو المعاصي ، تنافي كمال التوحيد ، ينقص بها التوحيد ، ولكن ما يزول الأصل ، هذا جاء له مناسبات عدة ، وعند قوله تعالى : ﴿ **الذين**

آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ تفسر بالشرك ، الشرك الأكبر ، الذي ينافي الأمن ، وينافي الاهتداء ، الشرك الأكبر لا يكون لصاحبه أمنا ولا اهتداء أصلا ، أكثر الناس ، أكثر المسلمين الموحدين ، عندهم اصل التوحيد ، وأما كمال التوحيد ، فهذا للقلة من خلق الله ، للقلة .

السؤال :

تواردت أسئلة كثيرة تسأل عن بعض الألفاظ الرائجة بين العامة ، مثل عند وقوع المكروب ، قولهم : يا وجه الله ، أو مثل : يا دافع البلاء ، أو مثل عند الدعاء : يا رب يا حبيبي .

الجواب :

أما يا وجه الله ، فهذا خطأ ، ولا يجوز ، يعني خطأ بالنسبة لمن يتكلم به ، هو معذور جاهل لا يدري ، لكن من حيث الحكم ما يجوز ، ما يجوز دعاء الصفة ، ما تقل : يا وجه الله ، قل : يا الله ، ولا تقل : يا رحمة الله ، قل : يا الله ، يا رحمن ، يا حي ، يا قيوم ، ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ ، نعم التوسل ، تقول : اللهم أني أسألك برحمتك ، أعوذ بعزتك ، أستقدرك بقدرتك ، أستخيرك بعلمك ، هذا توسل كله ، أعوذ بوجهك ، نعم أعوذ بوجهك حق ، ولكن دعاء نداء يا وجه الله ، لا . هذه واحدة .

الثانية ، يا دافع البلاء ، هذا حق ، وإن كان دافع ما نسميه اسم ، ولكن مقصود هذا ، هو أن يدعو ربه ، الله هو الذي يدفع ، ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾ ، ﴿ **الله لا يحب كل خوان كفور** ﴾ ، وهو الذي يدفع البلاء ، ويكشف البلاء ، ويكشف السوء ، يكشف الضر ، ﴿ **وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له** ﴾ ، يعني يا دافع البلاء ، مثل يا كاشف الضر ، قريب ، قريب من يا كاشف الضر ، فالمعنى صحيح .

الثالثة ، يا رب يا حبيب ، كذلك أرى أنه لا باس ؛ لأن الله يحب ، ويُحب ، ﴿ **يحبونهم ويحبونه** ﴾ ، يا رب لكن ممكن أن يكون أولى منها أن يقول : يا ربي يا مولي ، يا رب يا مولي ، فإن المولى يطلق على الحبيب .

السؤال :

ما رأي فضيلتكم فيما يفعله بعض الناس ، من الذين يرقون الناس من القراءة في مكبر الصوت ؟ بعض الآيات والأدعية والأذكار ، وبعد أن ينتهي من القراءة يقوم هذا الراقي ؟

الجواب :

هذه من بدع الرقى ، وهذا من التوسع الهائل العجيب ، لكن نسأل الله أن يوفق المسئولين المعنيين من أهل العلم أن ينظروا في هذا ويصدروا فيه إيضاحا ، الرقية بالتليفون ، ما هي معروفة ؟ ما سمعتوا عنها ؟

من جنسها الرقية بالتليفون ، يمكن الرقية بالتليفون بعد أهون ، يعني كأنها أهون ، لكن الرقية بمكبر الصوت ، مجرد قراءة هذه لا تسير رقية لو تقرأ . إذًا يكفي إنه يجمع جماعة ألف إنسان في مسجد ويقرأ وهو في مكانه ! لا . سمعهم فقط ؟ الرقية ما هي تسميع فقط ، فهذه بدعة في الرقى .

السؤال :

يقول بعض العامة : إذا انكسر إنماء من يده انكسر الشر ، فما حكم هذه المقولة ؟

الجواب :

هو ما يعني أن هذا الإناء إنه هذا شر ، لا .. هو يدعو ربه لأن يكون الكسر على الشر والزوال للشر، ما هو يتفاءل بهذا لكن بالمناسبة يدعو ويقول انكسر الشر ، ما يقصد أن هذا الشيء هذا شر وانكسر ، لا بالمناسبة .

السؤال :

ما المقصود بقول الجهمية من أن إثبات الصفات لله يقتضي الت شبيه والتجسيم والتركيب ؟

الجواب :

والله هذا يبي له محاضرة خليه بس بعدين .

السؤال :

ذكرتم يا فضيلة الشيخ أن من نذر أن يصلي في البلد الفلاني أو في المسجد الفلاني ، يجوز له أن يصلي في أي مكان ، فهل يجوز له أن ينتقل من بلد إلى بلد ؟

الجواب :

هذا قاله أهل العلم ، ما يجوز له أن ينتقل من بلد إلى بلد ، ليصلي في مسجد كذا ، لا ، إذا نذر أن يصلي بالطائف ، نقول : صلي فيها ، ولا يجوز له أن يسافر ليصلي في مسجد بالطائف ، ((لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد)) .

السؤال :

ما حكم من غلط في قراءة سورة (الفاتحة) ، مثل أن يقرأ (ولا الضالين) بـــ (ولا الظالين) ؟

الجواب :

نص العلماء أن هذا مما يشتبه ويتقارب فيعفى عنه ، إن شاء الله ، الضاض ما كل يحسن أن ينطقها ، حتى طلبة العلم ، حتى طلاب العلم ما كل واحد يحسنها ما تجي ، فالأمر فيه إن شاء الله سعة ، لكن من يحسنها ينبغي أن ينطقه ا بالنطق الفصيح العربي .

السؤال :

هذا سائل يسأل ، وهذا السؤال تكرر كثيرا ، ما حكم قيام مسلم بتفجير حافلة بها كفار معتدون ؟

الجواب :

هذا موضوع ، الوقت ما يتسع للخوض ، ولكن الوقائع التي تذكر ، نحن نقول : من تقع منه هو مجتهد مخطأ عندي هكذا باختصار ، وهو عل ى نيته الله تعالى يعلمه ، الله يجزيه على نيته ويغفر له خطأه .

السؤال :

هذا سائل يقول : فضيلة الشيخ ، ما حكم التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته مما هو موجود الآن ؟

الجواب :

التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كالتبرك بآثاره في حيا ته ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستشفون بما لديهم من شعره ، فقد كان عند إحدى أمهات المؤمنين ــ أظنها أم سلمة ــ بعض شعرات ، وكان عند بعضهن أيضا شيئا من ملابسه ، فكانوا يستشفون بها ، صلى الله عليه وسلم . أما مما هو موجود الآن فهذا يحتاج إلى برهان فهذا يحتا ج إلى برهان ، هذه مزاعم ، من يثبت أن هذه شعرة النبي أو هذا قميص النبي ، فالآن الموجود الآن نقول لا يشرع ولا يجوز لعدم ثبوت أن ذلك من شعره أو من ثيابه .

السؤال :

ألا يا فضيلة الشيخ أن في الحديث مساواة قول الصحابة في حديث أبي واقد رضي الله تعالى عنه مع بني إسرائيل أنه من جنس الشرك الأكبر دون الشرك الأصغر ؟ أرجو التعليق والإيضاح .

الجواب :

قلت أنا على المسألة التي ذكرها الشيخ حيث قال : أن الشرك فيه أصغر وأكبر . وعلل ذلك بقوله بأنهم لم يكفروا بذلك ، قلت هذا فيه تأمل ، والأظهر عندي ما دام أنهم طلبوا أن يفعلوا فعل أولئك المشركين فهو من جنس طلب بني إسرائيل تماما .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تعلم حفظك الله أن من شروط لا إله إلا الله العلم ، ونحن نرى كثيرا من العوام ليس عندهم علم ، أرجو توضيح هذا الشرط ؛ لأنه أشكل علي عندما سألت كثير ا من الناس ما معنى لا إله إلا الله ، فيقول : ما أعلم ، وبعضهم يقول : ما في إلا الله أو لا رب إلا الله .

الجواب :

على كل حال أحيانا يكون عند الإنسان علم ولا يستطيع أن يعبر عنه ، فالمسلم الذي على الفطرة ، ولا يدين بالإلهية إلا لله ولا يعبد إلا الله ، ويعلم أن عبادة غير الله باطلة ، وأن ما عليه المشركون عباد الأصنام والأضرحة أن هذا كله باطل ، فهذا هو العلم ، حتى ولو لم يعرف لا معبود بحق إلا الله ، حتى لو ما استطاع أن يعبر هذا التعبير .

لو لم يستطع أن يقول : معناها أن لا معبود بحق إلا الله ، و (لا) نافية ، و (إله) اسمها ، وتقدير الخبر (بحق) ، وهذه كلها ما يعرفها . هو يعرف أنه لا يُعبد إلا الله ، هذا هو العلم . ليس بلازم أن يعرف العبارة ما دام أنه

يعرف الأصل أن معبوده الذي يخافه ويرجوه ويتوكل عليه ويصلي له هو الله ، وأن كل ما يتعلق به المشركون أن هذا باطل ، هذا عظيم .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، إذا طلب أحد الأشخاص مني شراء دخان له وأطعته ، فهل يعتبر هذا من الشرك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؟

الجواب :

لا .. هذه معصية ، عاونته على المعصية فعصيت ، وليس هذا من الشرك ، الشرك الطاعة في التحليل والتحريم ، يعني المشركون لما قالوا للمسلمين : هذه الذبيحة الميتة من ذبحها ؟ قالوا الله ، وهذه التي تذبحون بأيديكم هذه إيه ؟ الميتة حرام وهذه التي تذبحونها بأيديكم حلال ؟ إذا هذه التي ذبحها الله ولم تذبحوها أنتم هذه تكون حرام ؟ لا .. تصير حلال !

هذا وحي الشياطين ، فالله تعالى نهى عباده المؤمنين أن يغتروا بتضليل شياطين الإنس الذين يتلقون كفرهم عن شياطين الجن **﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون لأوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾** .

فلو أطاعوهم وقالوا : نعم إذًا الميتة حلال . كانوا بذلك مشركين .

لو أن مضللا جاء وقال : إيش الخمر شئ منعش ولذيذ وينبسط الإنسان ، إيش فيها ؟ ما هي بحرام ! فإذا أطعته وقلت : والله هذا صادق ، وأنت تعلم من كتاب الله وسنة رسوله النهي ، فهذا هو الشرك . أطعته في تحليل ما حرم الله ، لكن لو أن شخص قال : امش نتونس ونوسع صدورنا يوما من الزمان ، يا ابن الحلال هي حرام لكن الله غفور رحيم . ثم أطعته استجابة للشهوة وأنت

تدين الله بأنها حرام ، فهذه معصية ؛ لأنك لم تستحلها ولم تطع من أباحها ، أنت فعلت هذا وأنت ضميرك ينطوي على أنك تفعل حرام وأنك عاصي ، فلا بد من الفرق .

السؤال :

يقول السائل : لي قريب لا يصلي وقد سمعت أنه ينكر وجود الله ، فما رأي فضيلتكم في عملي معه ، هل أناقشه أم هل أقاطعه ، مع العلم بأن والدتي تقربه وتدعوه للغداء معنا ، ولكني لا أجلس معهم وأن أنكر عليهم ، أرشدوني للطريق الصحيح أثابكم الله .

الجواب :

جاهد ، ادعه دعوات مجملة ، لا تدخل معه في نقاش ، لا تجادله إلا أن تكون ممن لديه قدرة على المجادلة والبيان لإقامة الحجة ، ولعل الله أن يهديه ، لكن كن مخوفا له بالله ، خوفه ، ذكره بالموت ، أدرك نفسك يا فلان ، أدرك نفسك لا تمت على هذه الحال ، بس هات له كلام تخويف لعل ضميره يتحرك ، لا تدخل معه في كلام ، لعل هذا أردع ، لعل هذا أقرب مريح ، وربما يؤثر على نفسيته ، لعله يفكر . فكر في نفسك ولا تتخذه ولا تكن تندمج معه في انبساط وأنس كأنس الأخ لأخيه ، بل كن مكفهرا معه ، إلا في المقام الذي أنت تريد ، هذا ممكن أن تلين له إذا كان المقصود من الجلوس معه الكلام معه ، فمن الممكن أن تلين له في القول وتلين الجانب لصالح الدعوة ، وعليك أن تذكر أمك أن عليها أن تبغضه ، لا تغلبها العاطفة حتى تستهين بأمره إذا كانت تعلم ، وإذا كان يتستر ويخفي من أمره فهي معذورة ، إذا كان هو يتستر فهي معذورة لأنها لا تعلم حقيقة حاله ، ولا تعرف منه ما تعرفه أنت ، فإن كانت

لا تعرف فلعلها أن تكون معذورة ، وإن كانت تعرف فعليها أن تبغضه وأن تنكر عليه وأن تخوفه بالله وألا تتبسط معه ، بل عليها أن تبغضه في الله ؛ لأن هذا ملحد كافر البعيد ، وعليها أن تدعو له بالصلاح والهداية .

أما الجلوس معهم على الطعام فينظر فيه إلى مصلحة الدعوة ، إذا كان جلوسا فقط لمجرد حكم العادة فلا تجلس ، أما إذا كان ترجو أنك إذا جلست وأكلت معه أنك تستميله وتؤثر عليه فهذا إليك ، أما الأصل فلا تجلس معه جلوس أنس ومؤانسة ومعاشرة مع هذا المصاب ، نسأل الله العافية ، نسأله تعالى أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن . ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أعوذ بالله من الكفر بالله ، أعوذ بالله .

السؤال :

كثرت الأسئلة حول عظم الذئب ولحمه ودمه حيث أن كثيرا من القراء يوصون من به سحرا أو عين بشم العظم وشرب الدم وأكل لحم الذئب .

الجواب :

كل هذا منكر عندي ، كل هذا منكر وخرافة ، ولعل الشياطين لهم دور في هذا ، يمكن الشيطان لتعميق هذا الفكر يمكن إنه يسوي حركة إنه يخاف . الشياطين يتلاعبون الآن بالناس والقراء أنفسهم ، نفس الشياطين يضحكون على بعض أولئك القراء ، يضحكون عليهم ، ما يلزم من كون المصروع هذا يخاف من شعر الذئب يدل على إنه صح إنه علاج وإنه مؤثر أبدا ، يمكن للشيطان يعمل مكر ، أسلوب مكر ، الشياطين هؤلاء يمكرون .

وبعض القصص ما يبنى عليها أشياء أنا ما أعرف لها أصل .

السؤال :

يقول السائل : أحيانا أقوم بالعمل لا رياء ولا سمعة ، وإنما ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة ، مثل حضور المحاضرة أو تطويل الصلاة ، ولكن عندما أرى شخصا رآني أحس في نفسي بارتياح رغم أنني جئت إلى هذا العمل ليس لشيء غيره ، فهل هذا من الرياء ؟ رغم أنني بعد هذا الشعور الداخلي أدعو بقولي : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك بشيء أعلمه وأستغفرك مما لا أعلمه .

الجواب :

سر على هذا الطريق ، والله يحفظنا وإياك . ما ترى إن شاء الله مكروها ، على كل حال قد يكون هذا حالة ضعف بس ، حالة الضعف الإخلاص ، ونرجو أن الله يعصمنا وإياك ويمن علينا بتحقيق الإخلاص ، اللهم بيسر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

السؤال :

هذا سائل يقول: هل يُعذر الشخص بالجهل إذا ذهب إلى السحرة والمشعوذين ؟

الجواب :

أرجو إذا كان جاهلا ، هذا مما يخفى لأن أمرهم يلتبس على أنه كطبيب ، ما يدري ، هم الآن مخلوط ، السحر بالرقية بك ذا مختلطة ، يكون ساحر ويظهر بأنه قارئ ومطوع .

السؤال :

هذا سائل يقول ، فضيلة الشيخ أحسن الله إليك ، أفتيتم في الأيام الماضية بأن مقولة توكلت على الله ثم عليك لا تجوز ، واستدللتم بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ وهذا الاستدلال وجيه ، لكن حصل

لي إشكال بعد قراءة الفتوى رقم (٣٥٧١) من فتاوى اللجنة الدائمة والتي تقول أنه يجوز للشخص أن يقول توكلت على الله ثم عليك بحيث يكون التوكل على العبد بعد التوكل على الله جل وعلا ، وهو تفويض العبد فيما يقدر عليه ، فكيف يتم الجمع بينهما ، وفقنا الله وإياك للعمل النافع .

الجواب :

لا تجمع بين الآية وقول الناس ، إذا كان الآية لكن أقول هذه الفتوى تحتاج أن يتفاهم ممن صدرت عنه ويُسألون عن التوجيه ، لكن هذا هو الظاهر ، ولأنا حكيت لكم ، راجعوا فتاوى الشيخ محمد ، أنا ما قرأت ولكن ذكر لي أنها موجودة في فتاويه . الشيخ محمد بن إبراهيم ، تراجعونها جزاكم الله خير ، والفائدة منشودة . وإذا كان التوكل عبادة ، توكل عبادة ، فلا يتوكل إلا على الله ، ﴿ **وعلى الله فتوكلوا** ﴾

السؤال :

هل تعليق أدعية الركوب في السيارات يعتبر بدعة ؟

الجواب :

إن كان يعتقد أن تعليقها عبادة فهي بدعة ، وإن كان علقها يقول من أجل أن يتذكر فهذا نقول له : احفظها ، لماذا تجعلها ؟ احفظها .

إذًا كل حاجة من حاجاتك حط لها معاليق في السيارة ، كل حاجة ، هذا ذكر كذا وهذا حاجة كذا ، حط لك علاقات في السيارة من اليمين للشمال ، أبدا لا أرى تعليقها ، أذكرها احفظه ا ، احفظ الذكر وقله وتذكره ، هذه أمور يتدرج الناس فيها شيئا فشيئا ، يحتاج يحط في السيارة ، وفي الباب يمكن باب البيت والداخلي وعند الفراش لازم تعلق لك علاق فيه ذكر النوم وذكر اليقظة ،

وعند الحمام حط لك لوحة ! ما دري طريق التوسع في هذا مذري ما يصلح .
احفظوا الذكر وقولوه وتذكروه بدون وضع لافتات .

السؤال :

كثرت الأسئلة حول بعض الألفاظ المنتشرة ، مثل (باالله عليك) ، بالياء وليس بتسكين الهاء .

الجواب :

(باللهي عليك) هذا خطأ في التعبير (باللهي) هذا خطأ في التعبير ، هو ما يقصد ، وبعض الناس لهجته إنه يمد صوته ، أرى أنه لا حرج على من وقع في هذا لكن من علم ينبغي إنه ما يمد ، ما يقول : (باللهي عليك) ، لو يقول : (بالله عليك) هو قول أسلم . هذا من ناحية المد .

مع أن هذا الأسلوب (بالله عليك) من قبيل السؤال بالله ، والسؤال جاء ما يدل النهي عنه ، لأن فيه إحراج ((من سأل بالله فأعطوه)) ففيه إحراج أن تقول : (بالله أعطني كذا) أسألك بالله يعني بالله أسألك بالله ، لكنها صارت عند بعض الناس أسلوب كأنها من لغو الكلام .

السؤال :

وقوله : (ما صدقت أو الله)

الجواب :

ما صدقت أو الله كذا ، أقول الذي يظهر لي أنه لا بأس بها وليس فيها شئ ؛ لأن لها معنى عند التأمل ، يقول : ما صدقت إني أجد فلان ، يعني كاد إنه ييأس ، أحيانا يقول : ما صدقت إني أشوف فلان ، وأحيانا يقول : ما صدقت على الله إني أصل ، جاءت (على الله) ما لها علاقة بكلمة صدقت ، ما يرد يقول إني ما صدقت الله ، جاءت ه ذه كأنها معترضة ، هو يقول : ما صدقت

إني أصل ، يقول : تعبت حتى إني ما صدقت إني أصل ، بحثت عن فلان حتى إني ما صدقت إني أجده ، خلاص أيست .

جاءت (على الله) جمله عرضية ما لها تعلق بكلمة صدقت ، ربما كانت من نوع كأنها لها أصل إنه يبي يحلف يقول : ما صدقت والله إني أصل .

فلا بأس بها .

السؤال :

وقوله : يا الله فزعتك يا فلان .

الجواب :

وهذه ينبغي تركها وإن كان المتكلم بها يقصد المعنى الصحيح ، يقصد الفزع : النصر . يقصد معنى صحيحا ، هو يقول يا الله فزعتك يعني يا الله نصرتك ، يا رب نصرك ؛ لأن الفزع عند الذي يتكلم بهذا الفزعة هي النصرة ، افزعوا ، افزع لفلان ، يعني افزع : انصره . يريدون هذا المعنى .

لكن الفزع له معنى في أصل اللغة العربية ، معناه الخوف الفزع ، فيحسن اجتنابها واستبدالها بالنصر ، يا الله نصرتك ، يا رب نصرك ، اللهم انصرنا على من عادانا .

السؤال :

وأيهما أصح في التعجب : يا سبحان الله أو سبحان الله ؟

الجواب :

كلها صحيحة ؛ لأن (يا) هذه تجئ للتنبيه ، فلا مانع من هذا وهذا .

السؤال :

يقول أحد الأخوان : أنا من خارج الرياض ، ويجد قريب منا مسجد بني على مقبرة ، فما الواجب علينا ، وما حكم الصلاة فيه الماضية والمستقبلة ؟

الجواب :

الماضية إن شاء الله مقبولة للجهل بالحكم ، وأما بعد فلا تصلي في هذا المسجد المبني في المقبرة ، مبني على مقبرة قديمة لا تعرف ، أرجو توضيح السؤال

السؤال :

أحد الأخوان يقول : أنا رجل من خارج مدينة الرياض ، ويوجد عندنا كما يذكر البعض أنه يوجد قريبًا من قريتنا في قرية مجاورة يوجد مسجد بني على مقبرة ، وهو مسجد صغير ، والناس المجاورين لهذا المسجد يصلون فيه فما رأيك في هذا المسجد ، على نسعى في إزالته بإخبار أهل الحي بذلك ؟ ، وما حكم الصلاة فيه ، وما حكم صلاة الناس فيه السابقة هل تصح أم لا ؟

الجواب :

سبق أن أجبت عليها ، ويجب السعي في إزالته إذا كان بني على المقبرة . إذا كانت القبور هي السابقة ، فيجب أن يزال المسجد ، سدا لذريعة الشرك ، وفي المستقبل لا يصلى فيه ، بل ينبغي أن يبنى مسجد بعيدا عن المقبرة .

السؤال :

هل يجوز الصلاة خلف القبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب :

نعم يجوز ، القبر في مكان مسور ، ولكن لا يقصد ، الخرافيون يقصدون استقبال الحجرة ، يقصدون ذلك ، نقول : لا تقصد ، ولكن لو أدركتك الصلاة أو امتداد الصف ، وحاذيت الحجرة ، فلا حرج عليك ، الآن السور ليست متصلة من الشرق إلى الغرب ، بعد التوسعة ، وبل وقبل التوسعة ، كانت يعني أطراف الصفوف من اليسار تحاذي الحجرة .

وبالمناسبة يقول أهل العلم : أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس هو في المسجد ، هو في بيته ، ولم يزل في بيته ، ولكن المسجد بالتوسعة أحاط بالقبر من كل الجهات أو أكثر الجهات ، فإذًا حجرة النبي وما جاورها ليست معدودة في المسجد ، بل هي مفصولة بتلك الحوائط والجدران ، ولو تيسر عزله عن المسجد كان هذا أبعد عن ذرائع الشرك .

السؤال :

فضيلة الشيخ ، بعض الناس يقول : أن التصوير المحرم هو الذي باليد أما الذي بالكاميرا فهو حبس ظل ، وليس تصوير محرم ؛ لأنه ليس باليد ، والدليل خص ما كان باليد ، فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

عندي أنه ليس بصحيح ، ونسأل هذا القائل ، نقول : الذي يوجه الآلة لتلتقط الصورة ، ويحركها ، وإذا كانت من النوع الذي ليس فيه ما يسمى بالتحميض ، يقوم هو بتحميض الصورة ، حتى تبرز ، ويملك التلوين ، يلون الصورة ، متطورة ، ما اسم هذا ؟ ، مصور ، خلاص ، صادقتم وأصبتم ، هو في عرف الجميع هو مصور ، فأن يقال : أن الآلة يعني هي المصورة ، وليس للإنسان فيها أثر ، ولا يرجع إليه منها حكم ، هذا ما يستقيم ، فالتصوير الفتوغرافي عندي أنه داخل في عموم الأدلة ، وهل يجوز تعليق الصور المصورة بالآلة ؟ بإجماع الجميع أنه لا يجوز ، فكيف نمنع تعليق الصور الفتوغرافية أو الاحتفاظ بها كذكرى ، ونحن نقول أن هذا تصوير جائز ، تصوير الصور جائز ؟.

الجواب : أن الأدلة عامة تشمل ما صوره الإنسان بيده ، أو صوره بآله يوفر بها جهده .

السؤال :

وهل يدخل في ذلك التصوير بالفيديو ؟

الجواب :

والله عندي كذلك الجميع ، التصوير وصور حقيقة ، بل التصوير الفوتوغرافي أبلغ من التصوير باليد ، أليس فيها مضاهاة ؟ أليست الصورة فيها مضاهاة للحقيقة ؟ ، فاجتنبوا التصوير كله ، أما ما تدعو إليه الضرورة من تصوير لإثبات الشخصية ، فهذا موضع اجتهاد ، وأهل العلم رأوا أن ذلك سعي للحاجة أو للضرورة إلى ضبط الناس ، ومعرفة أشخاصهم ، وقطع ذرائع الفساد ، والتلبيس ، ففي هذا التصوير ، التصوير لإثبات الشخصية ، يعني ما يمنع من عبث المفسدين لعدم ما يثبت الشخصية .

السؤال :

هل هذه العبارة صحيحة : التوفيق هو خلق قدرة الطاعة ؟

الجواب :

هذه عبارة مجملة ، فالتوفيق هو شرح الصدر للإسلام ، وقذف النور في القلب ومنح القدرة التي يجب معها الفعل ، القدرة التي يجب معها الفعل ، بهذا القيد ، فلو قال : إن التوفيق هو القدرة ، وليس هو القدرة ، بل خلق القدرة التي يجب بها الفعل .

السؤال :

يقول في بلد يعرف فيه التوحيد هل يعذر الساجد فيه للقبر بالجهل ؟

الجواب :

الجهل هذا أمر تختلف في أحوال الناس ، فقد يكون الإنسان جاهل ، ولو كان هناك من يعرف التوحيد ؛ لأنه يكون بعيدا أو غافلا أو لم ينبه ، الإنسان

الجاهل إذا لم يدعى ويبين له ، يبقى على جهله ، وهل يعذر بالجهل ، هذه مسالة ثانية ، نحن فرضنا أنه جاهل ، وما كان منه إعراض ولا تقصير لكن هو رجل ماشي في طريقه ، ولا تهيأ له من يدعوه ويبين له وينكر عليه ، فهذا جاهل ، وهل يعذر ؟ هذا محل نظر ، ومحل تردد ، ومحل خ لاف بين أهل العلم ، أما من يقع منه شيء من الشرك الكبر جهلا ، يعني في حالة عرضية ، فأرجو أنه معذور ، لكن الشأن في من يتدين بالشرك ، وحياته كله قائمة على تعظيم الأضرحة ، ودعاء الموتى ، فهذا هو محل النظر ، هل يكون معذورا بسبب جهله ، حيث لم يتهيأ له من يدعوه ويبين له وينكر عليه ؟ أم أنه ليس بمعذور لأن هذا هو الشرك المناقض لأصل الدين فهو مشرك ؟ ولا يكون من المسلمين على تقدير أنه غير معذور ، وهذا محل اجتهاد ، ومحل تأمل ، والأمر خطير ، وأرجو ، والله أعلم أن من كان جاهلا على هذا النحو ، ولم يتهيأ له من يدعوه ويبين له ، أرجو أنه معذور إن شاء الله ؛ لأنه يؤمن بالله ورسوله ، وهو لم يعلم أن هذا يناقض ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، هو يريد تحقيق اتباع النبي عليه الصلاة والسلام ، فيظن أن هذا الصنيع أنه موافق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأمر خطير فيجب نشر التوحيد بين المسلمين ، ومن كان من أهل تلك البلاد ، وقد من الله عليه بمعرفة التوحيد والشرك ، فعليه أن يدعو إلى الله ، وأن يحذر بعبادة غير الله ، وأن يحذر من التعلق بالقبور ، ومن في القبور ، فيقوم بواجب الدعوة إلى الله ، ثم الله يفعل ما يشاء ، يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء .

السؤال :

هل الدعاء عند القبور يعتبر من اتخاذها مساجد ؟

الجواب :

لا ، ليس من اتخاذها مساجد ، ولكنه وسيلة إلى الشرك ، يعني من تحرى الدعاء عند القبر زاعما أن الدعاء عند قبر فلان أو فلان أنه أحرى بالإجابة ، فهو مبتدع وضال ، وفعله هذا وسيلة إلى الشرك ، ولكنه ليس من اتخاذها مسجدا ؛ لأنه ما صلى فيها .

السؤال :

ما القول الفصل في أهل الفطرة ؟

الجواب :

الله أعلم .

السؤال :

كيف يحذر طالب العلم من بعض الأخطاء العقدية في كتب أهل العلم ؟

الجواب :

طالب العلم إذا كان عنده بصيرة ومعرفة للعقيدة الصحيحة ا لسلفية ، ويعرف يعني المذاهب المختلفة فيما يتعلق بتوحيد العبادة ، أو بتوحيد الأسماء والصفات ، أو غير ذلك ، فإنه بحمد الله بما أوتي من العلم يستطيع أن يتجنب ما في الكتب من آراء أهلها ، والمقولات البدعية ، يستطيع مما أوتي من معرفة وبصيرة ، لكن كأن هذا السؤال يراد به من لم يتوفر عنده الفرقان ، ليس عنده بصيرة ، وليس عنده فرقان ؛ لأنه مبتدئ ، أو أنه لم يعنى بمعرفة العقيدة وما يخالفها ، عقيدة أهل السنة وما يخالفها ، فإنه وإن كان مثقفا ، وإن كان يحمل كذا من الشهادات إذا لم يتعلم عقيدة التوحيد ، والمنهج الذي عليه أهل السنة والجماعة فإنه يقع في تلك الأخطاء من حيث لا يشعر .

إذًا فالطريق أن يتعلم القارئ ، وطالب العلم عليه أن يتعلم العقيدة السلفية الصحيحة ، وعليه كذلك أن يرجع إلى أهل العلم ليسألهم عما يشتبه عليه

وأشكل عليه ، ويسألهم عن الكتب ، يسألهم عن المقولات الموجودة في بعض تلك الكتب ، يعني هل هذه المقولة صحيحة أو ليست صحيحة يستفتي ، يعني يستفتي .

السؤال :

ما الفرق بين العقيدة والتوحيد ؟

الجواب :

العقيدة أعم ، يعني الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وبالقدر ، اعتقاد ما دل عليه الكتاب والسنة في هذه الأصول ، هذه عقيدة ، هي العقيدة الصحيحة .

وأما التوحيد ، فهو خاص ، وهو داخل في الإيمان بالله ، وهو اعتقاد تفرد الرب تعالى في ربوبيته ، وألهيته ، وأسمائه وصفاته ، وأنه واحد لا شريك له ، ولا شبيه ، لا شريك له في ربوبيته ولا في ألهيته ، ولا شبيه له في أسمائ ه وصفاته ،فهذا هو التوحيد .

الحاصل أن العقيدة أعم من التوحيد .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ ، هل هناك دعاء معين يقال عند زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وصاحبيه ؟ أم الدعاء الوارد في عموم زيارة المقابر ؟

الجواب :

أبدا ، المعروف أن الذي كان يفعله ابن عمر رضي الله عنه ، أنه كان يأتي ويقول : السلام عليك يا رسول الله ، ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا أبتاه ، السلام عليك يا عمر . ثم ينصرف .

يقول أهل العلم : أنه لو سلمت هذا الكلام ونحوه ، وقلت للنبي صلى الله عليه وسلم : أشهد إنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصفت الأمة ، فجزاك الله عن أمتك خيرا . كان جائزا ، وسيأتي هذه الزيارة ليست من الأمور المرغب فيها ، فإن المقصود هو الصلاة والسلام على الرسول ، والصلاة والسلام هو يعني ميسران غاية التيسير ، فالذي يصلى ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم في قطر من الأقطار ، يبلغ سلامه إذا كان مقبولا ، يبلغ صلاته وسلامه لنبينا صلى الله عليه وسلم .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ : أشهد الله إني أحبك في الله ، أرجو أن توضح لنا لما لم يتخذ رسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر خليلا ؟

الجواب :

أقول لأخينا الكريم وفقنا الله وإياكم وإياه : أحبك الله الذي أحببتني فيه ، اللهم اجعلنا وإياكم من المتحابين فيه .

لأن الله اتخذ محمدا خليلا ، وكأن هذا يقتضي أن خليل الرسول هو ربه ، يعني هذا هو السياق ، لكن التصريح في أن الرسول هو خليل الله ، ويظهر من السياق أن ثبوت الخلة للنبي ، أنه خليل الله ، يقتضي أن يكون الله خليله ، إذًا فلا يكون أحد خليل للنبي صلى الله عليه وسلم مع الله ، ليس للنبي صلى الله عليه وسلم خليل سوى ربه .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ : في بعض المساجد يتقدم حارس المسجد للصلاة بالناس ، ويكون عنده حفظ للقرآن ، ولا بأس بقراءته ، ويكون من أحد دول شرق آسيا

، ويعترض بعض الناس وحجتهم عليه أن تلك البلاد تكثر فيهالا البدع ، ويكثر فيها الشرك ، وهو غالب حال الناس فيهم ، وأن عامي من بلاد الجزيرة خيرا من هذا ، فما تعليقكم .

الجواب :

الأصل قوله صلى الله عليه وسلم : ((يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله)) فإذا كان هذا قارئا وحفاظا للقرآن ، أو قديرا في حفظ القرآن ، فهو قدير بالتقديم على من هو دونه ، ولكن يبقى هذا المعنى الذي أشار إليه السائل ، فإن عرف هذا الرجل بأنه مستقيم في عقيدته ، عرف بسبب أنه موجود ، ومن فحوى كلامه ، وبغضه للبدع والخرافات ، والقبورية وأ نه ينكرها ، أخطر ما يكون أن يكون قبوريا ، يخشى أن يكون قبوريا ، يتعلق بالأولياء ، وقراءته للقرآن لا تدل على سلامته من ذلك ن فإذا كان لا يعرف من حاله الباطنة شيء ولا حصلت له مواقف ومناسبات ، يستكشف بها ما عنده ، فينبغي أن يقدم غيره ؛ لأنه كما قال السائل أمر ه اشتباه ، اشتباه قوي ، وإن كان أهل العلم عندهم أن صلاة المستور صحيحة ، ونحن نقول في ذلك ، ولكن الأمر ما دام فيه هذه الشبهة القوية ، وأن الغالب على العالم الإسلامي هو الخرافة والقبورية والبدعة ، فلابد أن نتبين حال ذلك الرجل ، ولنتثبت ، فالإنسان الذي عايش الناس وبقي عندهم كذا ، تتبين دخائله ، وتوجهاته ، فإذا كان هذا الرجل لا يعرف من كل وجه إلا أنه يقرأ القرآن ، فينبغي أن يقدم من يعرف بسلامة المعتقد إذا كان يحسن القراءة ، ولكن وإن لم يحفظ القرآن .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ : هل يكفي وضع المسجل على سورة البقرة ، لكي تطرد الشيطان ؟

الجواب :

هذا سؤال طيب ، والله هذا فيه تأمل عندي ، وأن الذي عندي من قبل أن هذا لا يكفي لكن يحتاج إلى مزيد تأمل ، الذي عندي أنه لا يكفي اللهم إلا مع العذر ، لو أن إنسان ما يحسن قراءة (البقرة) ووضع الشريط ، وصار يستمع له فأرجو أن يتحقق له ذلك .

أما وضع مجرد شريط تضعه في البيت ، فلا هو قراءة مباشرة ، ولا استماع ، فهذا الأقرب عندي أنه لا ينفع ، هذا هو الأظهر ؛ لأن المقصود أن يقرأ المسلم أو يستمع على الأقل ، إما أن يقرأ أو يستمع ، فإذا كان وضع الشريط لا يتضمن شيء من هذا ، هو نفسه ليس بق راءة ، يعني حاضرة إنما هو صورة صوتية ، صورة قراءة فلان ، صورة صوتية ، فإذا كان لا قراءة من المكلف ولا استماع فلا يترتب الأثر ، والله أعلم .

إذا وضعت الشريط ، وخرجت أو سافرت ، وتقول : حتى يطرد الشياطين ، هذا عندي ما ينفع .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ : بماذا يرد على من احتج من القبورية بموقع قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب :

والله إني أظن إني ذكرت شيء من هذا في البداية ، الجواب أن موقع القبر يظن الناس أنه في المسجد ، وإنه ليس هو في المسجد إنما دخلت الحجر بيت النبي أو بيوته ، دخلت في المسجد ، ولم تكن هي في المسجد ، فالقبر في

البيت وليس هو في المسجد ، ولو وسع مسجد من المساجد حتى أحاط ببيت من بيوت الناس من اكثر جوانبه ، أفيقال : أن هذا البيت صار في المسجد ؟ ، وصار أهله في المسجد ؟ ، الجواب لا ، أقول : لو وسع مسجد من المساجد ،ة وصاحب البيت رفض أنه يوسع به ا لمسجد ن وصار المسجد أمامه وخلفه ومن جانبه ، يعني من الجوانب الثلاثة ، ولم يبقى للبيت إلا جانب واحد ، إيش صار البيت ؟ صار هو مسجد ؟ ، وأهله في المسجد أم في بيتهم ؟ ، هذا تأويل أهل العلم في هذا .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ : في فترة مضت وقعت بلاد المسلمين غالبها تحت سيطرة الاستعمال الأجنبي ، ولم ينجو من ذلك سوى الجزيرة وبعض البلدان ، فما معنى الخبر الصادق الوارد في حديث ثوبان ، ((وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم)) .

الجواب :

يمكن أن يجاب على هذا بأن خروج بلاد الحرمين ، ومعظم بلاد الجزيرة نجاتها من هذا الا حتلال يمكن أن يقال : أن هذا هو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : ((وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم)) هذا شيء .

الأمر الثاني ، على ما سبقت الإشارة عليه أن بيضتهم ، يعني معظمهم ، فإن استيلاء الكفار على ما استولوا عليه من بلاد المسلمين لم يمحو الإسلام من تلك البلاد ، بل الإسلام كان موجودا وإن كانت الدولة ، والإدارة ، والتدبير لأولئك ، ولكن المسلمين والإسلام موجودان في تلك البلاد ، فيها صالحون ، فيها علماء يقيمون بما يستطيعون من الحق ، غاية الأمر أن تكون ظروفهم ،

تشبه ظروف وأحوال المسلمين فـي مكة ، والمسلمون في مكة كانوا قائمين بالإسلام بحسب حالهم ، وملتزمون به ، وثابتون عليه ، فلم يقدر المشركون على ردهم عن دينهم ، ولم يقدروا كذلك على استئصالهم ، والله أعلم .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ : ما معنى الحديث ((إن الشيطان قد يأس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم)) .

الجواب :

هذا سؤال مناسب للمقام ؛ لأن هذا من شبهات من يقول : أن هذه الجزيرة على الأقل لا يكون فيها الشرك . وأجيب عن هذا بجوابين معروفين لأهل العلم :

أولا: قوله : ((إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب)) ، قال العلماء : يأس الشيطان من ذلك لا يستلزم أن لا يكون ما أيس منه ، فإنه من المعقول أنه قد يحصل اليأس من شيء بحسب ما يظهر من الدلائل ، ثم يقع الأمر بخلاف ظن الآيس ، فالشيطان يأس لما ظهر له من ظهور الإسلام ، وعز الإسلام ، وقوة الإسلام ، يأس أن يعبد في ج زيرة العرب ، ولكن الأمر حصل بخلاف ذلك ، يعني يكون الشيطان قد تفاجأ ، يعني لو قال ، لقال : ما كنت أظن أنه يحدث الشرك ؛ لأنه قد رأى من ظهور الحق ، وقوته ، وعزته ، ما جعله ييأس من أن يعبده المصلون ، أو أن يعبد في جزيرة العرب .

والجواب الثاني : معروف أيضا مشهو ر ، وهو ، ((أن الشيطان يأس أن يعبده المصلون)) أي أن يجمعوا على عبادته ، ويطبقوا وهذا لا يكون ، لا تطبق الأمة على عبادة الشيطان ن وعلى الشرك ، كما أطبقت في الجاهلية ، كما أطبق الناس على الشرك في الجاهلية .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ : يستشهد الرافضة بالآية : ﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا** ﴾ ، قالوا : إن هذه الآية لم يأت قبلها ولا بعدها نفي لعملهم ، بل أثبتت عملهم ، فما الرد عليهم ؟

الجواب :

الآية نعم ، فيها الخبر عن فعلهم ، ولكن القرآن والسنة يرد بعضها إلى بعض ، العام قد يأتي في موضع ، ويكون مخصص في موضع آخر ، ويأتي النص مطلقا ويأتي المقيد في موضع آخر ، فليس من شرط المبين أن يكون متصلا بالمجمل ، ولا المقيد متصلا بالمطلق ، ولا الخاص متصل بالعام ، فهناك التخصيص المنفصل ، والتقيد المنفصل ، وهكذا هنا ، هذه الآية نعم لو فرضنا أن ليس هناك في القرآن ولا في السنة ما ينفي قلنا فيها دليل ، لكن إذا وجدنا في القرآن وفي السنة ما ينفي هذا العمل ، ويدل على بطلانه لم يكن فيها أي حجة ، انتهى . فما الدليل ؟ أما الدليل من السنة فظاهر ، ولو فرض أن هذا جائز في شرع من قبلنا ، لو كان جائز في شرع من قبلنا ، ما كان جائز في شرعنا ؛ لأن شرعنا قد جاء بخلافه ، ((ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)) ، ((أولئك شرار الخلق)) ، ((إن من شر الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد)) ، إذًا السنة قد بيت أن هذا ليس شرعا لنا .

بل قال الله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم** ﴾ ، وهذا من الغلو .

فاتخاذ أولئك عليهم مسجدا هو من العمل الذي ابتدعوه ، وليس هو من دين الرسل ، ليس من شرع من قبلنا ، اتخاذ القبور مساجد ، وبناء المساجد عليها ، ليس من شرع الله ، ليس من شرع الله ، لم يكن مشروعا في شيء من

الشرائع الماضية ولا هذه الشريعة ، فغاية الأمر أن الله أخبر عن صنيعهم فقط إنما هو خبر ، وعلمن بطلانه من الأدلة من الكتاب والسنة ، كما تقدم .

السؤال :

يقول فضيلة الشيخ : هل رؤية الله عز وجل في المنام ثابتة ؟

الجواب :

يثبت العلماء رؤية الله في المنام ، و لشيخ الإسلام كلام مستفيض في الجزء السادس (في مباحث الرؤية) ، وقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((رأيت ربي في المنام في أحسن صورة)) ، فرؤية الله في المنام ثابتة ، لكن في الحقيقة أن تطبيق ذلك بين الصادق والكاذب ، والرؤية الصادقة والكاذبة في هذا ليس عندي بالبين ؛ لأن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لها ضابط ، رؤية الرسول في المنام لها ضابط وهي أن يُرى بصفته ، فمن رأى الرسول على صفته ، ونعته المعروف فقد رآه ؛ لأن الشيطان لا يتمثل به ، ولكن رؤية الله في المنام هذه لا أعلم كيف نحقق أو نعرف أن ال مدعي لذلك صادق أو كاذب ؟ وأن هذه الرؤية صادقة أو كاذبة ؟ الله أعلم ، لكن هذا هو الأصل المعروف عند أهل العلم أنها واقعة وثابتة للإمام ابن تيميه كلام وتفصيل ، فمن أراد المزيد فليرجع إلى الجزء السادس ، هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله .

السؤال :

يقول : ما الفرق بين الإقرار والتصديق ؟

الجواب :

لا أجد بينهما فرقا ، لا أجد فرق بين التصديق والإقرار ، لكن كأن الإقرار كأنه يشعر بالإقرار باللسان أيضا ، والتصديق قد يكون الشخص مصدقا بقلبه لكن غير مقر بلسانه ، لكن الواقع أن كلا من التصديق والإقرار يكون بالقلب وباللسان ، إلا أن الإقرار نعم يمكن ، يمكن أن يكون الإقرار يتضمن ، كأنه يشعر بالانقياد ، لأنه تقول أقر له ، كما تقول آمن له ، فأبو طالب مصدق بأن محمد صلى الله عليه وسلم نبي وأنه صادق ، مصدق بقلبه ولسانه لكنه غير منقاد لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، وغير مقر له ومؤمن له ، فيظهر لي أن الإقرار يتضمن الانقياد ، وقد يطلق الإقرار بمعنى التصديق ، أقر بكذا صدق ، لكن من غير متابعة .

السؤال :

ما حكم قولهم : يا عزيلي أو يا عزهم أو وا عزاه ؟ لا سيما أننا سمعنا من أحدهم قوله أنها أسماء لأصنام كانت في نجد منذ زمن ليس بالبعيد .

الجواب :

هذه الأخيرة هي التي فيها بشاعة ، كلمات تجري على الألسن وليس فيها شئ من ، كأن فيها معنى العزاء (يا عزيلي يا عزيلك) كأن فيها شئ من العزاء ، كأنه يتمنى ويرجو أن يحصل له العزاء على ما فاته من أمر من الأمور ، وأما الجملة الأخيرة (وا عزاه) فهي تشتبه بقول المشركين : (لنا العزى) لكن أنا أستبعد أن تكون هكذا بل هي ترجع في نظري إلى معنى العزاء لا إلى معنى العزى ، لكنها اشتبهت بها لتقارب اللفظ .

وما ندري من الذي يقول (أنها أسماء لأصنام كانت في نجد) ، أعطونا قولهم أسند ، إذا كان من أهل العلم والاضطلاع انسب إليه ، إذا كان مبني على تخرص ، إلا هذا الذي يظهر لي الآن فيها .

السؤال :

يقول : هل يجوز أن نجزم بعدم قيام الساعة في هذا الوقت ، وذلك استشهادا بحديث قيام الساعة على شرار الخلق ، حيث أنه ما زال يوجد من خيار الخلق وأهل التوحيد ؟

الجواب :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له الله قادر على أن يقيم الساعة متى شاء ، قدرة الله لا حد لها ولا شئ يقيدها ، فهو قادر ، أما إذا قيل : يجوز أن تقوم الساعة في هذا الوقت ، له معنيين : يجوز بمعنى أن الله قادر على ذلك ، نقول نعم الله قادر على ذلك . أما يجوز بمعنى نعم محتمل أن تقوم الساعة ، فلا لأنه لا تقوم الساعة حتى يكون ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يكون قبلها ، والله لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، وحتى يخرج المسيح الدجال ، وحتى يخرج يأجوج ومأجوج ، أبدا والله لا تقوم الساعة حتى تخرج الآيات . والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد .

السؤال :

يقول ك ما الراجح في حكم الساحر ؟

الجواب :

لعلي ذكرت أن الساحر كافر ، هذا هو ظاهر الأدلة ، إلا أن يتبين أن السحر بواسطة مواد مركبة ، يعني يركب مواد طبيعية يؤثر فيها على بعض أبدان الناس ، هذا من نوع السموم ، مثل ظلم الناس بسقي السم ، كما ذكرت سابقا .

السؤال :

هل يجوز استخدام السحرة في أعمال الخير ، مثل كشف الجرائم والتجسس على الأعداء ؟

الجواب :

لا والله ، أعوذ بالله من ذلك ، إذًا يكون السحر بضاعة رائجة ويصير له !

كيف لا يحل التداوي بالخمر ؟ هي داء وليست بدواء ، وإن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها . ثم يقال يستعان بالسحرة ! السحرة يجب القضاء عليهم وفضحهم وإبعادهم وتطهير المجتمع منهم ؛ لأنهم أشرار وضررهم على الأمة في دينها ودنياها جميعا ، فلا يجوز الاستعانة بهم ، وهذا كما سيأتينا في باب (ما جاء في الكهان) . الرجوع إلى السحرة لكشف الجرائم كما جاء في السؤال هذا بعينه هو سؤال الكهان ، الذي جاء فيه : ((من أتى كاهنا فسأله)) أو من أتى كاهنا أو عرافا فسأله عن شئ فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)) صلى الله عليه وسلم .

السؤال :

ما حكم القراءة في كتب تعليم السحر مثل (شمس المعارف) للتسلية ؟

الجواب :

لا والله ، هذا منكر لا يجوز للتسلية ولا لغير التسلية ، اللهم إلا لو قرأ بها إنسان ممن يتصدى للرد على أهل الباطل وفضح السحرة

السؤال :

يقول : هل من يذهب إلى السحرة ليشتري منهم سحرا يسحر به عدو له ، يكون تكفيرا له ؟

الجواب :

لا يظهر لي ، يظهر لي أنه ظلم وعدوان وجريمة شنعاء أما كفر فلا ، إنما استعان بالساحر على ظلمه وكيده وشره .

إذا كان يرضى بسحره فإنه حينئذ يصير شركيه ، في الحكم ، ولكن قد يقضى هذا لغاية معنية ، إذا كان هو يكفر بالسحر و لا يقره ، ولا يرضى به ، ولكن لغرضه الخبيث .

السؤال :

بعض القراء يعطي أوراق مموهة بخطوط الزعفران ، ما حكمها ؟

الجواب :

هذه لا ينبغي شراؤها ولا استعمالها ؛ لأنها ليست واضحة من الذي قرأ ، وما الذي قُرأ ، وما الذي في هذه الأوراق ، ليس في هذه الأوراق إلا خطوط صفراء ، أشتري زعفران وأشربه ، لكن العقول الضعيفة والحاجة تجعل الناس يتعلقون بكل شيء ، ورق صفراء ، مضحكة ، نعم أهل العلم ذكروا إن من طرق الرقية أو من أساليب الرقية أو من الأشياء الجائزة ، أن يكتب قرآن وأذكار وآيات ثم تمحو وتشرب ، هذه إذا فعلت بوضوح بين ، ومن شخص موثوق ، تجري على هذا الرأي ، وأنا شخصيا لا أقول فيه بشيء ، لا تسوغا ولا منعا ، الله أعلم ، ولكن هذا له أصل ن له أصل أما هذه الأوراق التي يعرضها المحترفون هذا لا يعجز عنها أحد ، أي واحد منكم يستطيع يحضر زعفران ، ويصبغه أوراقه ، .....في الشاي ، ضح ك على الناس ، والله مهازل هذه ، يعني احتراف الرقية واحتراف مظاهر الرقية ، أقرأ آية الكرسي أنت ، أقرأها أنت .

السؤال :

هل ظاهرة كثرة القراء جيدة ؟

الجواب :

لا والله ما هي جيدة ، القرآن ليس مخصوصا لفلان وعلان ، وكثير من محترفي الرقية ، كثير منه مشبوه إما أن يكون عاميا ليس عنده من البصيرة والعلم ما يحول له هذا التمييز ، وأن يتبنى الرقية على المرضى ، وإما أن يكون متهما في دينه ، لما يعرف عنه من تصرفات ، وسيرة ذميمة ، وفيما يؤثر من تصرفاته مع زبائنه من جهلة الناس ، من الاستعانة بالجن ، ومن الفجور ، بسبب أساليبه في معاملة النساء ، وأشياء ، والقليل منهم هو الذي تكون صفحته بيضاء .

السؤال :

ما حكم الاغتسال بالماء المقروء فيه في دورات المياه ؟

الجواب :

ما أدري عنه ، لكن تركه أولى .

السؤال :

ما حكم دفع العين بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب :

هذا ليس له أصل ، ما اعرف له أصل ، دفع العين بالصلاة والسلام ، لا ، دفع العين يكون بالأوراد الشرعية ، تحصن بالأوراد الشرعية في الصباح والمساء ، وفي أدبار الصلوات ، وبالتعوذ ، يعني لو خشيت في موقف من المواقف ، يمكن أن تتعوذ ، أعوذ بكلمات الله التامة من ك ل شيء شيطان وهمة ، ومن كل عين لامة ، أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، ممكن ، وفق الله الجميع ، والسلام عليكم ورحمة الله .

السؤال:

يقول السائل : نرجو توجيه النصيحة بضرورة الاهتمام بالأذكار والأحراز الشرعية .

الجواب :

نعم ، تقدم أن أهم الأسباب الواقية من كيد السحرة والشياطين هو الالتزام بالأوراد الشرعية ، آية الكرسي ، أعظم آية في كتاب الله ، صح أن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حارس ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح ، وكذلك (قل هو الله أحد) والمعوذتين ، صح استحباب قرأتها في أدبار الصلوات ، وتكرير ذلك في الصباح والمساء ، بعد المغرب ، وبعد الفجر ، ثلاثا ، وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه السور عندما يريد النوم ، ينفث في يديه ويقرأ (قل هو الله أحد) ، والمعوذتين ، فيمسح بها وجهه ، وما استطاع من بدنه ، وصح كذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام ، في آخر آيتين من سورة البقرة ، أن من قرأهما في ليلة كفتاه ، ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ..**﴾ ، إلى آخر السورة ، وكذلك الأذكار الشرعية مثل أمسينا وأمسى الملك لله ، الحمد لله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما في هذه الليلة ، وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها ، إلى آخر هذا الذكر . وفي الصباح يقول : أصبحنا واصبح الملك لله إلى قوله أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر هذا اليوم ، وشر ما بعده ، مثل بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ، ولا في السماء ، وهو السميع العليم ثلاثا إلى غير ذلك من الأذكار ، ذلك الأذكار التي ليست دعاء ، هذه أذكار ودعاء ، ولكن هناك أذكار ليست دعاء مسألة ، مثل التسبيح ، التحميد ، التكبير ، ((من قال

في اليوم : سبحان الله وبحمده ، مائة مرة غفرت خطا ياه وإن كانت مثل زبد البحر)) ، هذا من أسباب الخير والعافية ، وكذلك ((من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة ، كتبت له مائة حسنة ، وحط عنه مائة خطيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه هذا ، ولم يأت أحد بمثل ما جاء به إلا من عمل مثل عمله ، وكان كمن اعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل)) معنى الحديث ، والحديث في (الصحيحين) .

السؤال :

هل صحيح ما يقال أن الساحر يستعين بقرين الإنسان لمعرفة بعض أموره ؟

الجواب :

والله لا أدري ، ولكنه ليس ببعيد ، الشياطي ن بعضهم مع بعضهم ، يوحي بعضهم إلى بعض ، يمكن .

السؤال :

هل يجوز للقارئ ، الذي يقرأ على الناس أن يمسك بطرف من أطراف المرأة ؟

الجواب :

يظهر لي أنه لا يجوز ؛ لأنه ما الموجب لإمساكه بطرف المرأة ، يمكن أن يقرأ بدون ، وكما تتوقف على يمسك الإنسان بطرف .

السؤال :

إلا يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم : ((أو تُكِهَن له)) ، ((من أتى كاهنا فصدقه بما يقول)) ؟

الجواب :

نعم ، أنا ذكرت هذا ، قلت المتكهن له هو السائل .

السؤال :

يقول في حالة الضرورة القصوى ، هل يجوز أن يفك السحر بسحر مثله ؟

الجواب :

هذا فيه خلاف لبعض أهل العلم ، بعضهم يرخص فيه ويرى أن الضرورة مسوغة ، والصواب أن الضرورة لا تبيح حل السحر بسحر مثله ، فإذا كان حل السحر بسحر يتضمن الشرك ، أو يتضمن المعصية لله ورسوله ، فإن الضرورة لا تبيح المحرم مطلقا ، بعض الناس تقول : إن الضرورات تبيح المحظورات ، هذا ليس صحيحا على الإطلاق ، فهل الضرورة تبيح ما يرشد إليه بعض الدجالين والكهنة والسحرة من الشرك ، من التقرب إلى الجن بذبح أو غيره ، ومن يسرق منه المال الكثير ، يعني إنسان سرق منه مال ضخم ، خلو مائة ألف أو مليون ، وهذه الثروة كلها سرقت ، هل يحل له أن يذهب إلى كاهن يسأله ؟ هذه ضرورة ، لا يحل الذهاب إلى الكهنة والسحرة ، ولو لضرورة بل عليه أن يفوض أمره إلى الله ، ويلجأ إلى ربه ، ويستنصر بربه ، ويفزع إليه بالدعاء ، ويستغيث بالله ، الذي يكشف الضر ﴿ **أمن يجيب المضر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ .

السؤال :

كيف يعرف الفرق بين المسحور والمصاب بالعين ؟

الجواب :

والله لا أعرف فرق ، يمكن بعض الناس ؛ لأنها علل خفية ، وليس للعين ، يعني بعض المتطببين والمحترفين للرقية ، يزعم أنه يعرف المصاب بالعين ،

وأن هذه العلة بسبب عين ، هذا ليس بصحيح ، تخرص ، هو خرص ، قد يوافق أشياء فيظن السائل والمريض أن هذا عنده عين ، من أين لك أيها المدعي أن هذا مصاب بعين ؟ الآن هو يشتكي من مغص في بطنه أو من صداع شديد في رأسه ، أو من حالة وقلق في نفسه ، من أين لك أن سبب هذه العلة عين ؟ نعم ، يمكن العين يعرفها الإنسان بمواقف معينة ، مواقف بدون إخبار البعيد هذا ، هذا البعيد ما الذي أدراه ؟ ومن المؤسف المؤلم أن بعض محترفي الرقية الآن يدعون أكثر من هذا لا يكفي أن يقول : إنك مصاب بعين ، لا ، يقول لك : إنك مصاب بعين ، وأن الذي عانك هو فلان ، أو يقول : أن الذي عانك صفته كذا ، رجل طوله كذا ، وجهه كذا ، ويصفه لك ، اليوم أنا سألت عن مثل هذه الحالة ، من أين هذا ؟ هذا لا نشك بأنه له رئين من الجن ، وهو يدعي ، كما قال السائل الذي سألني ، يدعي أن هذا أمر ينقدح في نفسه ، يعني إذا رقاه ، وقرأ على هذا المريض يقع في نفسه أنه مصاب بعين ، وأن الذي عانه ، أصابه بالعين صفته كذا وكذا ، فيظل ينعت للمريض ، حتى يقول المريض : نعم هذا فلان ، قريبه ، ابن عمه ، أخوه ، صديقه ، جاره أي واحد ، فيزرع العداوة بهذا ، والأصل إما أنه رجما بالغيب مصادفة ، يعني صادف شيء من الواقع ، أو أنه بوحي شيطاني ، فيذهب هذا المضلل الدجال ، ويذهب المبتلى ، فيتهم فلان وفلان ، قد يصيب وقد يخطئ ، قد يرمي البريء ، كما تقول لهم الشياطين ، يعني بعض محترفي الرقية يسأل الجني الذي في بدن المصروع ، يسأله : ما الذي أتى بك ؟ ، فيقول : فلان عمل سحرا ، وربطه بفلان ، فيصدق الراقي المحترف والمصاب أو ولي المصاب ، يصدق بهذا ويذهب يتهم فلان ، ويذهب يبحث عن السحر كما زعم له الشيطان المتلبس بالإنسان .

السؤال :

بعض القراء يستعين بالجن في معرفة مكان السحر ، فيذهب إليه ويتلفه ، هل هذا العمل جائز ؟

الجواب :

عندي أن هذا تصديق للشيطان ، فإذا كان لا يجوز الذهاب للكاهن ، فكيف نصدق الشيطان الذي في بدن المصروع ؟ ! ، وقد يرشده ولا بلغني أبدا أن إنسان برأ بهذه الطريقة ، ما بلغني ، كل ما يحصل أنه يذهب ويقول : تجد كذا في مكان كذا ، والسحر ما هو ؟ عبارة عن شيء من الأشياء المستقذرة ، شعر أو قلمات أظفار أو خيوط وعقد ، فيجدها في مكان ، فيوهمه أن هذا سحر ، وقد لا يكون سحر ، وليس بلازم ، لو وجدت أشياء من هذا النوع ، وهي مربوطة في شيء ، تقول : هذا سحر ، ما يلزم ، ثم هذا الشيطان يخرج فترة ، ثم يعود ، تلاعبا منه ، بالمتطبب وبالمريض ومن ورائه ، نسأل الله العافية ، أعوذ بالله من الشيطان .

السؤال :

ما حكم سوار الروماتيزم ؟

الجواب :

حكمه كما في حديث عمران بن الحصين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ، وفي يده حلقة من صفر ، فقال : ((ما هذا ؟)) ، قال : من الواهنة ، قال : ((أنزعه ، فلا يزيدك هذا إلا وهنا ، إنك لو مت وهو عليك ما أفلحت أبدا)) ، فلا يجوز استعم ال ما يسمى بسوار الروماتيزم ، هذا من جنسه ، وهذا السوار فيه فتوى من لجنة الإفتاء ، ومما يدل على الكذب ، كثرة

ما يضاف إليه من المنافع والتأثير وأنه ينفع في كذا ، وينفع في كذا ، لأمراض كثيرة .

السؤال :

هل يعتبر اسم الستار من أسماء الله عز وجل ؟

الجواب :

ما علمت ، الغفار هذا هو الاسم من أسماء الله ، أما ستار فلا ، لكن الله تعالى هو الستار الذي يستر عباده ، ((من ستر مسلما ستره الله)) فيستر من شاء ، ويفضح من شاء ، فهو معناه صحيح، لكن اعتباره علم ، اعتباره علم على الرب كالغفار والغفور والعزيز والحكيم ، لا ، يعني لم يرد اسما علم على الرب تعالى . ولكن معناه صحيح ، فيصح أن تخبر عن الله وتقول : أن الله هو الستار ، الإخبار به صح ، تقول : أن الله هو الستار ، هو الذي يستر من شاء .

السؤال :

هل يجوز التوسل بصفات الله عز وجل التي لم يشتق منها أسماء ؟ مثل البطش ؟

الجواب :

ما أدري ، كالبطش ، كيف يريد يتوسل ؟ ، يقول : اللهم إني أسألك ببطشك ؟ التوسل يكون بالصفات التي لها تناسب ، هل يليق أن تقول : اللهم اغفر لي فإنك شديد العقاب ؟ ، هل في تناسب بين المطلوب والوسيلة ؟ ، قل اللهم إني أسألك بعزتك وقوتك أن تنصر المسلمين وأن تنتقم من أعدائهم ، التوسل بالأسماء المناسبة ، يكون بين الوسيلة والمطلوب وبين الوسيلة تناسب ، كفى ، أستقدرك بقدرتك ، أستخيرك بعلمك ، أعوذ بعزتك ، أعوذ برضاك من

سخطك ، أعوذ برضاك من سخطك ، تناسب ، أعوذ بمعافاتك ، التوسل بالمعافاة ، لا تقول : أسألك بعقابك ، أسأ لك بقوتك وعزتك أن تنزل عقابك على أعدائك ، فلابد أن يكون هناك تناسب ولياق .

السؤال :

نذهب مع بعض الزملاء على المدينة المنورة ، ونقوم بزيارة لجبل أحد ، وبعض الآثار في المدينة ، ويقوم أحد الزملاء بتوضيح بعض الأمور لنا ، فهل هذا جائز ؟ ، وهل كوننا نفعله كلما ذهبنا هناك فيه محظور شرعي ؟

الجواب :

أولا : وصف المدينة بالمنورة ، هذا ليس معروفا في لسان أهل العلم ، المدينة النبوية ، هذا هو التعبير الصحيح ، أسافر إلى مدينة الرسول ، إلى المدينة النبوية ، هذا هو التعبير المناسب أما المنورة هذا من كلام المتأخرين الذي لا فقه لهم في الألفاظ الشرعية ، والمعاني الشرعية ، فإذا ذكرت أن تذكر المدينة ، فإما تقول : المدينة وهو علم عليها ، المدينة ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب** ﴾ ، أو إذا أردت تضيف فقل : مدينة الرسول ، أو المدينة النبوية ، فهذه ملحوظة يجب أن تراعى ، أما التفرج على تلك المواقع فأرجو أنه لا باس بذلك على وجه الإطلاع والتفرج فقط ، يعني الأصل أن السفر لزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو لأن أصل السفر لأمر عادي ، سفر لزيارة علمية ، زيارة الجامعة الإسلامية أو زيارة مكتبات هناك كما يحتاج إلى ذلك طلاب العلم ، فإذا ذهب الإنسان إلى هناك ، ثم ذهب يتمشى ويتفرج على الجبال ، ويتفرج ويشوف جبل أحد هذا لا بأس به ، لكن لا على أن هذا مستحب لمن زار المدينة ، أن يذهب هناك ، بل هذا أشبه ما يكون بالأمر العادي ، وقد ينفع من ناحية إيضاح التعليم عندما يذكر جبل أحد

، يقال : جبل أحد ، هذا جبل يقع في موقع كذا من المدينة ، وأنه جبل هذه صفته ومن شأنه كذا وكذا .
فالخلاصة أنه لا بأس بذلك .

الخاتمة

في الختام نسأل الله أن يجزي عنا شيخنا خير الجزاء ، وأن يبيض وجهه يوم الحساب والجزاء ، وأن يجعل مثواه في عليين ، وأن يحشره في زمرة النبيين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

الشيخ :
والأخوة الحاضرين كذلك نسأل الله أن يتقبل منا ومنهم ، وأن يعفر لنا ولهم وأن يزيدنا وإياهم هدى وتوفيقا ، وأن يعصمنا وإياكم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يمنحنا ا لإخلاص في القول والعمل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

التوحيد ، الدين الخالص ، والتوحيد الحق ، أهله قليل ، (تبين له غربة الدين ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب) سبحان الله العظيم ، مع هذه النصوص المتظاهرة ، ومع هذه الأدلة الظاهرة ، مع ذلك نجد من يشد

....

المساجد على القبور ، ويشد القباب ، ويقصد القبور ، قبور الصالحين ، وقبور منم يعتقد فيهم الصلاح وإن لم يكونوا الصالحين ، بل وقبور موهومة ليس لها حقيقة ، لكن نصبها الدجالون ، وكذلك سدنة هذه الأضرحة ، السدنة الذين يقيمون على خدمتها ، واستقبال زوارها ، يكذبون ، فمن القبور ما هو موهوم ، يعني ليس هناك ميت ولا قبر ولا شيء ، لكن الدجاجلة يأبون إلا أ ن ينوهوا أن هذا المكان قبر لفلان ، ثم يزنون للناس الغلو في هذه القبور ، والتعلق بها ، ويحسنون لهم دعائها ، والاستغاثة بها ، فيدعونهم إلى الشرك الأكبر ، ومن عفي فليحمد الله ، بهذا تظهر ، يعني هذه النعمة العظيمة التي من الله بها على هذه البلاد ، وغيرها ممن ا نتفع بدعوة الإمام المجدد رحمه الله ، فنسأله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه ، وأن يعصمنا مما وقع فيه الأكثرون ، وفي دعاء الخليل عليه السلام ﴿ **واجتنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾ ، اللهم أجنبنا عبادة الأصنام ، وأجنبنا عبدة الأضرحة ، وأجنبنا الشرك كله ، صغيره وكبي ره ، ظاهره وخفيه .